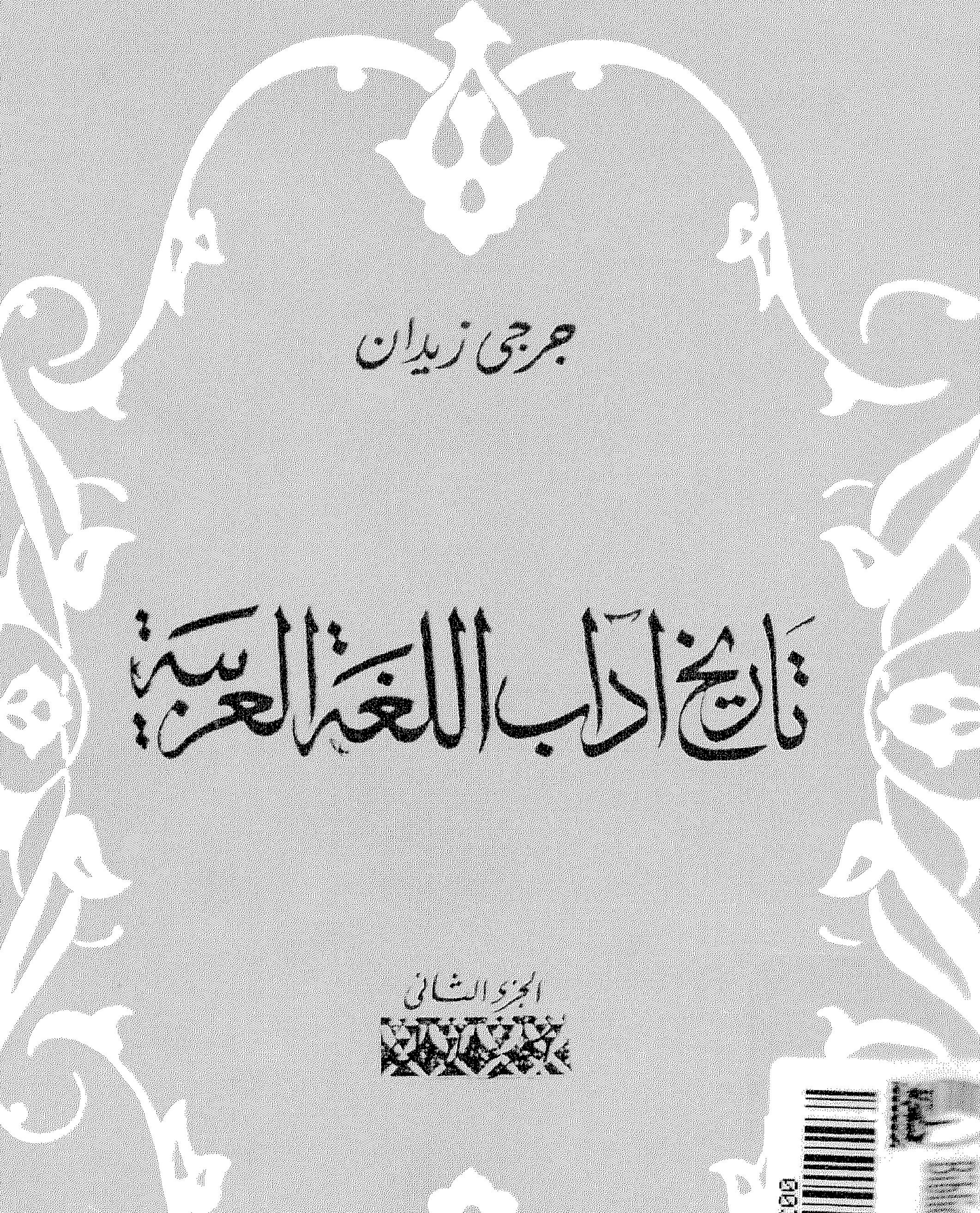


جرجي زيدان

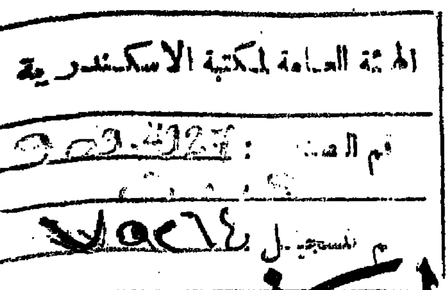
تاريخ آداب اللغة العربية

الجزء الثاني









تاريخ آداب اللغة العربية

تاليف

جرجي زيدان

منشىء الهلال

الجزء الثاني

يحتوى على تاريخ آداب اللغة العربية فى العصر العباسى من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ

طبعة جديدة راجعها وعلق عليها

الدكتور شوقى ضيف

أستاذ الأدب العربى بكلية الآداب
بجامعة القاهرة

دار الهلال



مقدمة

شروط التاليف (١)

من يتصدى للكتابة أو التأليف ، يجعل نفسه خادما للمصلحة العامة .. الا من يحصر كتابته فى شؤون خصوصية أو يعالج علما بلا له لا يهمه سواه ، أو يمارس الكتابة لأغراض معينة ، أو يكون هدفه من التأليف بيان قدرته على الانشاء والغوص على المعانى العويصة والالفاظ الغريبة بتقليد الاساليب القديمة التماسا لاعجاب العلماء مما يشق فهمه على جمهور القراء .. فهؤلاء وأمثالهم يكتبون لأنفسهم أو لطبقة خاصة لغرض خاص ، ولهم منزلة وفضل ولكن فى غير الخدمة العامة . واذا لم يصادفوا اقبالا من الجمهور اتهموه بالجهل وهددوه بالاعراض والتقاعد عن الكتابة ، مع انه لم يشعر بوجودهم لأنهم لم يخاطبوه بلسانه

وأما الكاتب العام فانه خادم الأمة وولى ارشادها . وعليه أن يبذل الجهد فى سبيل مصلحتها . ولابد له فى تأليفه من ثلاثة شروط ، الأول : اختيار الموضوع الذى يرى الأمة فى حاجة اليه . والثانى : أن يسبكه فى قالب يسهل تناوله . والثالث : أن يتوخى صدق اللهجة والصراحة بلا انحياز الى طائفة أو حزب . والكتاب يتفاوتون قدرة على القيام بأحد هذه الشروط أو كلها بتفاوت أحكامهم على النافع والضار من الموضوعات وتباين قدرتهم على ايضاح أفكارهم . ويصعب ذلك على الخصوص فى الموضوعات الأدبية كالتاريخ والاجتماع والأخلاق ونحوها ، بخلاف الموضوعات الطبيعية فانها مقيدة بمصطلحات تسهل الاجادة فيها

الاسلوب العصرى

أما الأبحاث الأدبية فانها تفتقر فى تأديتها الى اعمال الفكرة من حيث ترتيبها وسبكها فى عبارة سهلة تخلو من الركاكة والتعقيد . وهذا فى نظرنا هو الاسلوب العصرى الذى يجب على كل كاتب ان يتخذه . وهو شائع اليوم على أقلام الكتاب ، لايشذ عنه الا المتفانون فى المحافظة على القديم الذين يحسبون اللغة « وقفا » لايحل بيعه أو التعرف فيه . وفاتهم انها من قبيل الاحياء الخاضعة لناموس الارتقاء ، تتغير بتغير أحوال المجتمع من البداوة أو الحضارة .. فتنمو بتولد الالفاظ الجديدة للمعانى الجديدة

---

(١) تنبيه : يلاحظ أن تعليقات الدكتور شوقى ضيف ، فى هذا الجزء كالجزء السابق ، يشار اليها فى الهامش بعلامة (*) تمييزا لها من تعليقات المؤلف المشار اليها بأرقام.

والتراكيب العصرية للافكار العصرية . وتذهب الالفاظ القديمة بذهاب معانيها ، كالاعضاء المهملة فى الجسم الحى ، تقضى الطبيعة بانقراضها ليقوم سواها مقامها . أو هى كالخلايا التى تندثر بالعمل الحيوى فتخلفها الخلايا الجديدة النامية . والتغير الذى يصيب الالفاظ والاساليب باختلاف العصور دليل على حياة اللغة . ومن حاول الوقوف فى سبيل هذا التغير فقد عارض الطبيعة ، كما يفعل الصينيون بحبس أقدام بناتهم فى قوالب الحديد لتبقى صغيرة . فهم لا يقفون النمو لكنهم يشوشون عمله ، فتنمو الاقدام مشوهة . وهكذا الوقوف فى سبيل اللغة فانه لا يقف نموها لكنه يشوش عمله

صدق اللهجة

اما صدق اللهجة والصراحة فى القول والخلو من الغرض ، فذلك من أهم واجبات الكاتب ، لكنه من أصعب الشروط عليه .. اذ لايسهل على الانسان أن يجرد نفسه من الروابط الدينية أو الاجتماعية التى تتجاذبه ، وقد تأثر بها منذ الصغر وتمكنت منه بتوالى الاعوام . وانما يقوى على مغالبتها قوى الارادة عالى التربية . وقد يتطرف المتعصب لأمته أو طائفته حتى لايرى الحسنات الا فيها ولا يرى فى سواها غير السيئات ، ولذلك فهو لا يفيد فى الخدمة العامة وقد يضر

اما الموضوعات ففيها النافع والضار وما بينهما . والموضوع الواحد يختلف نفعه أو ضرره باختلاف حال الأمة وباختلاف نسق الكاتب فى تبويبه وأسلوبه فى تأديته ، وبمقدار ما يضمن كتابه من الحقائق أو المواد .. لأن من الكتاب من يصرف همه الى رشاقة العبارة وتزويقها وتنميقها ، ولو أدى ذلك الى اضطراب المعنى أو غموضه . ومنهم من يوجه اهتمامه الى الحقائق التى يستطيع جمعها فى كتابه بلا تكلف أو تأنق ، ويحافظ على سلامة المعنى قبل كل شىء . وهذه هى الخطة التى نبذل جهدنا فى الاخذ بها فيما نكتبه .. لأننا نرى الأمة فى حاجة الى الحقائق أكثر من حاجتها الى الالفاظ . وهذا ما توخيناه على الخصوص فى هذا الكتاب لاتساعه وتشعب موضوعاته وتعدد جزئياته ، ولأننا نعلق أهمية كبرى على حاجة الناشئة العربية اليه

ماهو تاريخ آداب اللغة ؟

اختلف الكتاب فى مباحث تاريخ آداب اللغة ، فبعضهم يقتصر منها على تاريخ الادب بمعناه الخاص دون سائر العلوم ، أو بمعناه العام لكنه لا يتجاوز النظر فى تاريخه مع إعتبار مجرى التاريخ العام عليه أو بقطع النظر عن ذلك . وقد يكتفى بعضهم من تاريخ آداب اللغة بتراجم العلماء والشعراء وأمثلة من أقوالهم بدون التعرض لكتبهم ، أو يجعل همه وصف الكتب التى ظهرت فى كل علم دون التراجم وأطوار العلم . ومنهم من يكتفى باطراء أصحاب هذه اللغة وما بلغوا اليه من الرقى فى معالجة

الموضوعات الهامة بالقياس الى الأمم الاخرى . أما نحن فقد أردنا أن نجمع بين ذلك كله بقدر الامكان

نسق هذا الكتاب

قسمنا كتابنا الى عصــور بينا فيها ما تقلبت عليه آداب اللغة فى كل عصر . وذكرنا الاسباب السياسية والاجتماعية التى أثرت فى ذلك ، وما قد يقابلها عند الأمم الاخرى ومزية العرب فيها . وأرخنا كل علم فى كل عصر وترجمنا النابغين فيه وذكرنا ما خلفوه من الكتب ، واقتصرنا من ذلك على ما يمكن الحصول عليه ، ووصفنا أهم تلك الكتب وقيمتهـا بالنسبة لسواها . وأشرنا الى المطبوع منها مع سنة الطبع ومكانه . وما لم يطبع ذكرنا مكان وجوده فى أشهر المكاتب الكبرى بمصر أو الآستانة أو أوربا أو غيرها من دور الكتب العامة أو الخاصة . وربما فاتنا ذكر كتب لا توجد الا فى بعض المكتبات الخاصة التى لم يصلنـا خبرها . وذيلنا كل ترجمة أو باب بأشهر المصادر التى يمكن الرجوع اليهـا فى تفصيل تلك الترجمة أو التوسع فى ذلك الباب

فمن أحب الاطلاع على تاريخ علم من العلوم مثلا طلبه فى كل عصر وتتبع تاريخه الى آخره . ومن شاء الاطلاع على تأثير التقلبات السياسية فى الآداب والعلوم هان عليه ذلك بمطالعة ما صدرنا به كل عصر من تاريخ تلك التقلبات . واذا أراد الاطلاع على ترجمة عالم أو شاعر أو أديب أو نحوى أو لغوى أو مؤرخ أو جغرافى أو أى رجـل من رجال العلم أو الأدب طلب ترجمته فى باب العلم الذى غلب عليه حسب العصور ، فيجد هناك خلاصة ترجمته وحقيقة منزلته وما خلفه من الكتب مما وصـل الينا خبره ووصف كل كتاب وأين يوجد . واذا شاء التوسع فى ترجمة ذلك الرجل رجع الى ما ذكرناه من المصادر فى ذيل ترجمته . وهكذا اذا كان غرضه البحث عن موضوع يريد التوسع فيه فانه يجد الكتب التى تبحث فيه فيختار ما يريده منها

الغرض من هذا الكتاب

وقد ألفنا هذا الكتاب للناشئة العربية وطلاب هذا اللسان الذين يريدون الوقوف على العلوم وأماكنها للمطـالعة أو التأليف ، أو يعوزهم درس موضوع أو الكتابة فيه ولا يعرفون مظانه ، وقد عرفنـا حاجة الناشئة الى ذلك من الاسئلة الكثيرة التى تتوالى علينا من هذا القبيل . فربما رغب أحدهم فى درس تاريخ أمة أو دولة أو موضوع من الموضوعات الاجتماعية أو الاخلاقية أو اللغوية ، وأحب الاطلاع على ما قاله العرب فيه ولا يدرى من ألف فيه منهم ، وهل ما ألفوه لايزال باقيا ؟ وما هى قيمته بالنظر الى سواه فى موضوعه ؟ وهل طبع وأين ؟ واذا لم يطبع فأين يوجد ؟ الخ .. فهذا الكتاب يرشده الى كل ما يريده من هذا القبيل .

ويسهل استخدامه لهذه الغاية بعد وضع الفهارس فى آخره

وقد توخينا الافاضة فيما يهم طلاب الأدب أو الشعر أو التاريخ وسواها من العلوم الأدبية والاجتماعية والاخلاقية ونحوها . واختصرنا فى كتب الفقه وسائر العلوم الشرعية لكثرتها وتنوعها واستقلالها بموضوعها . وفعلنا ذلك أيضا فى كتب الطب والفلسفة والمنطق ونحوها من العلوم القديمة لذهاب دولتها أو تغير قواعدها

موقع الجزء الاول

وقد تحقق ظننا فى حاجة الناشئة الى مثل هذا الكتاب بما أنسناه من اقبالهم على الجزء الاول مع قلة مواده واقتصاره على تاريخ آداب اللغة فى العصور الاولى قبل تكون العلوم . وكان لهذا الجزء وقع لدى الأدباء والكتاب ، فتناولوه بالتقريظ والانتقاد . اما المقرظون فنشكر لهم حسن ظنهم . واما المنتقدون فقد اهتموا بانتقاده بلهجة تتفاوت شدة وأسلوبا بتفاوت فهمهم من المراد بالانتقاد وشروطه ، وتدل على حرج مركز الكاتب الشرقى بين قرائه . وليس فى الدنيا جمهور استحكم فيه اختلاف المشارب والأهواء والأغراض مثل قراء العربية ، فلا يتأتى لكاتب ارضاؤهم جميعا ولو أوتى علم الأولين والآخرين

ومما تحسن الاشارة اليه من الانتقادات المعقولة ان بعضهم انتقد على المؤلف تقليله من الأمثلة الشعرية أو النثرية ، ولكن ذلك ما أردناه . ولو أكثرنا من الأمثلة لخرجنا عن الغرض المقصود من هذا الكتاب . ومن أراد التوسع فليطلب ذلك فى المصادر الاصلية المذكورة فى ذيل التراجم ، أو يطالعه فى كتب الأدب لأدباء هذا العصر ومنها طائفة حسنة جمعت نخبة الأشعار والأقوال أشهرها « أدبيات اللغة العربية » لمحمد عاطف (بك) والشيخين محمد نصار وأحمد ابراهيم وعبد الجواد عبد المتعال من رجال وزارة المعارف العمومية . وكتاب « أدب لغة العرب » للشيخ محمد حسن نائل المرصفى مدرس اللغة العربية بكلية الفرير فى مجلدين . و « مجانى الأدب » وشرحه للآباء اليسوعيين فى عدة مجلدات . و « جواهر الأدب » للشيخ احمد الهاشمى مراقب مدارس فيكتوريا ونحوها . ومن الكتب الهامة فى تاريخ آداب اللغة « تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب » لروحى بك الخالدى ، وهو فريد فى بابه

وانما نختص من المنتقدين بالذكر الأب لويس شيخو اليسوعى ، لأنه كتب فى مجلة المشرق (سنة ١٤ ج ٨) فصلا طويلا فى نقد الجزء الاول من هذا الكتاب نقدا ، نم عن أدبه وفضله ودل على تمكنه من الموضوع . فبعد أن وصف الكتاب ومنزلته بالنسبة الى ما ظهر من الكتب فى موضوعه بالعربية وغيرها ، ذكر ملاحظاته وانتقاداته بتعقل واخلاص . فنشكر له حسن ظنه واهتمامه فى البحث والتنقيب ، وسننظر فى ملاحظاته بعين الاهتمام وان كان أكثرها فى غير مكانه أو قبل أوانه . فان بعضها يكاد

يكون تحقيقه مستحيلا كطلبه بيـــان اللغات التى كان يتكلم بها العرب فى جاهليتهم الاولى . والبعض الآخر ليس مكانه فى ذلك الجزء كالمفضليات والحماسات ونحوها ، فقد ذكر أكثرها فى هذا الجزء لأن أصحابها من أدباء العصر العباسى . واتهمنا بالتقصير فى ابحاث سبق لنا البحث فيها مطولا فى كتبنا الاخرى ، كبيان نسبة اللغة العربية الى اخواتها السامية فقد فصلنا ذلك فى كتابنا « الفلسفة اللغوية » وفى « تاريخ العرب قبل الاسلام » واقترح علينا أمورا لو أردنا العمل بها لاستغرق هذا الـكتاب اضعاف حجمه . فانه طلب الينا أن نستخرج عادات العرب وتاريخهم من أمثالهم وأشعارهم . وهو خارج عن موضوع الـكتاب . ومثل ذلك اقتراحه أن نطيل فى درس كل شاعر وشعره ، وهذا يفتقر الى كتاب خاص لـكل شاعر . وانما اكتفينا بخلاصة الترجمة وزبدة ما يقال فى الموضوع مع مراعاة المـكان ، وأشرنا الى المصادر لمن أراد التعمق . وأخذ علينا أيضا مبالغتنا فى بيان مآثر العرب والتنويه بفضلهم ! ويرى أيضا اننا اخطأنا فى تعيين وفيات بعض شعراء الجاهلية . وغير ذلك من الملاحظات التى يريد من ورائها خدمة آداب اللغة وهى ضالتنا التى ننشدها . ولذلك فاننا سنتدبر ملاحظاته

موضوع هذا الجزء

كان المراد عند الفراغ من الجزء الاول أن نجعل هذا الجزء خاصـا بتاريخ آداب اللغة فى العصر العباسى ، من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، فقسمنا هذا العصر أو الدولة الى أربعة عصور لـكل منها صـفة مشتركة فى السياسـة والاجتماع والأدب يمتاز بها عن سواه سيأتى ذكرها . وانما نريد هنا بيان الحكمة فى ذلك التقسيم : فالعصر الاول (سنة ١٣٢ ــ ٢٣٢ هـ) هو عصر الاسلام الذهبى من حيث السياسة والدولة أو هو عصر الرشـيد والمـأمون والبرامكة ، وقد بلغت فيه الدولة الاسلامية غاية مجدها . وفيه نشأت أكثر العلوم الاسلامية ونقلت أهم العلوم الدخيلة . والعصر الثانى (سنة ٢٣٢ ــ ٣٣٤ هـ) هو فترة ما بين العصرين الاول والثالث اشتغل فيها رجال الدولة بأنفسهم عن نصرة رجـال العلم والأدب . والثالث (سنة ٣٣٤ ــ ٤٤٧) هو عصر الاسلام الذهبى من حيث نضج العلم والأدب ولاسيما اللغة وعلومها والتاريخ والجغرافية . وفيه تعاصرت عدة دول تعاون ملوكها وأمراؤها ووزراؤها على الاشتغال بالعلم والأخذ بناصر العلماء . والرابع (سنة ٤٤٧ ــ ٦٥٦ هـ) فيـه ظهرت ثمـار العلوم ونضجت الموسوعات والمعاجم التاريخية والجغرافية وغيرها

فلما شرعنا فى الكتابة اتسع بنا المقال ، فاكتفينا بالعصور الثـلاثة الاولى فى هذا الجزء أى من تكون العلوم الى نضجها . وأجلنا الـكلام فى العصر العباسى الرابع وما يليه من العصور الى الجزء الثالث من هذا الكتاب

وقد بذلنا الجهد فى تنسيق هـذا الكتاب وتبويبه وضـبط حقـائقه

ويسط عبارته باخلاص وصراحة مما نعتقد فيه النفع للناشئة العربية . فان أحسنا ، فذلك ما أردناه وهو فرض أديناه . والا فقد أعذرنا ببذل الجهد وصدق النية . ولنا الأمل أن ينشط من آدبائنا من يوفى الموضوع حقه بأحسن مما فعلنا وبالله التوفيق

اقسام العصر العباسي

من سنة ١٣٢ ــ ٦٥٦ هـ

تختلف الدولة العباسية عن الأموية اختلافا بينا .. كانت الدولة الأموية عربية بدوية ، واصطبغت الدولة العباسية صبغة فارسية الا من حيث آداب اللغة فظلت عربية ، وفى أيامها نضجت آداب العرب وعلومهم ونقلت علوم القدماء الى لغتهم ونبغ الشعراء والأدباء والنحاة والمؤرخون واللغويون والمنشئون والفقهاء والمفسرون والمحدثون والفلاسفة والاطباء وغيرهم

ومدة العصر العباسي أو الدولة العباسية فى بغداد خمسة قرون وبعض القرن ، من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ

وقد تقلبت آداب اللغة العربية فى أثنائها بتقلب الدول وتغلب الأمم على ما اقتضته الانقلابات السياسية أو الاجتماعية . وقد تدبرنا ذلك باعتبار القرون أو العصور فوجدنا لكل قرن تقريبا من القرون الثلاثة الاولى خصائص تختلف عما لسواه باختلاف أحوال الاجتماع أو السياسة أو باختلاف الدول التى أفضت الامور اليها . أما القرنان الاخيران فيشتركان فى أحوالهما . فقسمنا العصر العباسي الى أربعة أدوار أو عصور ، وهى :

١ ــ الدور أو العصر الاول : من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ونسميه العصر العباسي الأول

٢ ــ العصر العباسي الثاني : من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ الى استقرار الدولة البويهية فى بغداد سنة ٣٣٤ هـ

٣ ــ العصر العباسي الثالث : من استقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ

٤ ــ العصر العباسي الرابع : من دخول السلاجقة بغداد الى سقوطها فى أيدى التتر سنة ٦٥٦ هـ ، وسنتقدم للكلام عن كل عصر بما حدث فيه من الانقلاب السياسي أو الاجتماعي الذى بعث على تغيير آداب اللغة فيه . ويقال بالاجمال أن فى زمن العباسيين بلغت آداب اللغة العربية أرقى أحوالها وتمهد للكلام فى ذلك بما كان من تأثير القرآن الكريم فى نشوئها . وقد أشرنا الى شىء من ذلك متفرقا فى الجزء الاول فأحببنا جمعه والتوسع فيه هنا

القرآن الكريم

وآداب اللغة العربية

تكاثرت العلوم والآداب في التمدن الاسلامي حتى تجاوز عددها ثلاثمائة علم في الشرع واللغة والتاريخ والأدب والشعر وغيرها . وأكثرها نشأ من القرآن الكريم أو تولد خدمة له ، ولا يكاد يخلو علم من تأثير القرآن عليه تأثيرا مباشرا أو غير مباشر . فلا غرو اذا أفردنا فصلا خاصا لبيان ذلك.

١ ـ العلوم التي تفرعت من القرآن الكريم أو نشأت لخدمته (*)

خرج العرب من جزيرتهم الى العالم في صدر الاسلام ، وليس في أيديهم من الكتب غير القرآن الكريم يقرأونه ويتعظون به ويتحاكمون اليه ، وقد اعجبوا بأسلوبه ودهشوا لبلاغته .. لأنه ليس من قبيل ما كانوا يعرفونه من نثر الكهان المسجع ولا نظم الشعراء المقفى الموزون . وقد خالف كليهما وهو منثور مقفى على مخارج الأشعار والاسجاع . فلا هو شعر ولا هو نثر ولا هو سجع ، وفيه من البلاغة وأساليب التعبير ما لم يكن له شبيه في لسانهم . فسحروا بأسلوبه وبما حواه من الشرائع والأحكام وقصص الأنبياء . فأصبح همهم تلاوته وتفهم احكامه لأنه قاعدة الدين والدنيا وبه يتأيد السلطان والخلافة . وهو أول كتاب أخذوا في قراءته وحفظه

القراءة وعلومها

واختلفوا في قراءة بعض آياته فتولدت القراءات السبع نسبة الى سبعة من ائمة القراء مر ذكرهم . وقد أخذ كل منهم يثبت صحة قراءته بالتواتر عن الرسول ، فتولد من ذلك علم القراءة وشواذها . وتفرع بتوالي العصور

(*) عرض المؤلف هنا باختصار للعلوم التي نشأت لخدمة القرآن الكريم ، وفي المكتبة العربية كتب مختلفة عالجت هذا الموضوع بافاضة لعل أهمها كتاب « الاتقان في علوم القرآن » للسيوطي المتوفى في القرن التاسع الهجرى ، وهو يقع في مجلدين ضخمين . وقد الفت قبل هذا الكتاب كتب كثيرة ، منها مايتناول علماخاصا ، كعلم أسباب النزول لاى الذكر الحكيم او علم مجازه او علم اعرابه او علم قراءاته او علم تفسيره . ويذكر السيوطي في كتابه كل علم واهم الكتب التي الفت فيه ، وينقل عنهافصولا واسعة . ومن اهم من الفوا فيه قبله ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ للهجرة وله فيه كتابان مخطوطان بدار الكتب المصرية ، يسمى احدهما « فنون الافنان في علوم القرآن » ويسمى الثاني « المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن » ولبدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ للهجرة كتاب مهم في هذا الموضوع اعتمد عليه السيوطي في مصنفه الانف الذكر وهو كتاب « البرهان في علوم القرآن » . وتعنى دار الحلبي في القاهرة بنشره الان.

الى سبعة علوم هى : علم الشواذ ، وعلم مخارج الحروف ، ومخارج الألفاظ ، والوقوف ، وعلل القرآن ، وكتـابة القرآن ، وآداب كتابة المصحف . ولـكل من هذه العلوم قواعد وكتب

النحو

وأول شيء احتاجوا اليه فى ضبط القراءة « النحو » وقد بعثهم على الاسراع فى وضعه وضبط قواعده ما شاهدوه من لحن الناس فى قراءة القرآن بعد الفتوح وانتشار العرب فى الآفاق .. فسمع أبو الأسود الدؤلى رجلا يقرأ « ان الله برىء من المشركين ورسوله » بخفض رسـوله وهى مضمومة ، فصنف باب العطف والنعت وهو من أسس علم النحو . ثم وضع الاعجام لضبط القراءة . فكان القرآن من أهم البواعث على وضع النحو أو الاسراع فى وضعه . فتمت قواعده ولما يتم القرن الثانى للهجرة ، أى انه نضج فى قرن وبعض القرن . واليونان لم يتم علم النحو عندهم الا بعد انشاء دولتهم بعدة قرون ، ولم يضع الرومان نحو اللغة اللاتينية الا بعد قيام دولتهم بستة قرون . وقد فصلنا ذلك فى الجزء الاول من هذا الـكتاب

الادب وعلومه

ويفتقر علم النحو فى تأييد قواعده الى معرفة كلام العرب وأساليبهم . ولما أخذ المسلمون فى تفسير القرآن الكريم احتاجوا أيضا الى ضبط معانى ألفاظه وتفهم أساليب عبارته ، فجرهم ذلك الى البحث فى أساليب العرب وأقوالهم وأشعارهم وأمثالهم وهو « علم الأدب » وقد بعث الى وضعه فى الأكثر تفسير القرآن الكريم . قال ابن عباس : « اذا قرأتم شيئا من كتاب الله ولم تعرفوه فاطلبوه فى الأشعار لأن الشعر ديوان العرب »

فكانوا اذا عمدوا الى تفسير آية أو أرادوا اثبات معنى لفظ التبس عليهم فهمه ، أتوا بشعر جاهلى وردت فيه تلك اللفظة بهذا المعنى أوذاك الأسلوب ، وخصوصا فى التفاسير التى يراد بها المعنى اللغوى فى الأكثر ، كالـكشاف للزمخشرى ، فان الشواهد الشعرية التى جاءت فيه استغرقت مجلدا ضخما أفرد بعضهم كتابا لشرحها والاشارة الى سبب ورودها . وصـاروا يؤلفون كتب الأدب والتاريخ لخدمة القرآن . قال ابن قتيبة فى مقدمة كتابه الشعر والشعراء : « وكان أكثر قصدى للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم فى الغريب وفى النحو وفى كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وناهيك بما تفرع اليه علم الأدب من الفنون الأدبيـة والعلوم المتعلقة بالألفاظ ، وهى تزيد على عشرين علما كالنحو والصرف والاشتقاق والمعانى والبيان والبديع والعروض وغيرها ، والفضل فى تعجيل ظهورها للقرآن

الحديث

واحتاجوا فى تفسير القرآن الكريم أيضا الى تفهم الحديث لأنهم كانوا اذا أشكل عليهم فهم آية واختلفوا فى تفسيرها أو حكم من أحكامها استعانوا بأقوال الرسول على استيضاحها . فلما تفرق الصحابة فى الارض بعد الفتوح تفرقت الأحاديث معهم فاشتغل جماعة من أهل القرائح بجمعها وتدوينها وتولد من ذلك بتوالى الأزمان العلوم المتعلقة بالحديث كشرح الحديث وسنده وتأويله ورموزه وغرائب لغاته وأحوال الرواة ونحو ذلك . وفى كل علم من هذه العلوم مؤلفات وأبحاث وعلماء

التفسير

والتفسير نفسه لما نضج تفرع الى علوم عدة ذكرها صاحب مفتاح السعادة ، وهى تزيد على سبعين علما . ولكل منها علماء ومؤلفات وأبحاث ومناظرات . وكان للعلوم اللغوية ارتباط بالعلوم الشرعية ولايستطيع الطالب اتقان الواحدة منهما ان لم يتقن الاخرى حتى قال حماد بن سلمة : « ان الذى يكتب الحديث ولايعرف النحو مثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها »

الفقه

ولما صار الاسلام دولة احتاج امراؤه الى ما يقضون به بين رعاياهم فى أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية ، فكان معولهم على القرآن الكريم والحديث فاستنبطوا منه الشريعة وأحكامها وهو « الفقه » بفروعه المشهورة كعلم النظر والمناظرة والجدل والفرائض والشروط والقضاء والتشريع والفتاوى ونحوها

التاريخ

ولما اشتغل المسلمون بتفسير القرآن وجمع الأحاديث احتاجوا الى تحقيق الأماكن والاحوال التى كتبت بها الآيات أو قيلت فيها الأحاديث ، فعمدوا الى جمع السيرة النبوية ودونوها .. واضطروا لتحقيق مسائل الحديث والفقه والنحو والأدب الىالبحث فىأسانيدها والتفريق بين ضعيفها ومتينها . فجرهم ذلك الى النظر فى الرواة وتراجمهم وسائر أحوالهم . وقسموا رواة كل فن الى طبقات . فتألف من ذلك تراجم العلماء والأدباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات،كطبقات الشعراء وطبقات المفسرين أو النحاة أو الفقهاء أو الحفاظ أو النسابين أوغيرهم . وكان ذلك من أهم أسس علم التاريخ. واتسع تاليفهم فى هذا السبيل ، حتى انهم كثيرا ما كانوا يؤلفون الكتب التاريخية خاصة لتراجم الأعلام الواردة فى كتاب ، ككتاب تراجم الرجال الذين روى ابن اسحق سيرة الرسول عنهم وكتاب تهذيب الأسماء .. فان من اهم البواعث على تاليفه ترجمة الأعلام الواردة

فى كتب مختصر المزنى والمهذب والتنبيه والوسيط والوجيز والروضه

وزد على ذلك ان المسلمين يجدون فى القرآن آيات تستحثهم على الاشتغال بالتاريخ والأخبار للعبرة والعظة من مثل : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » : « ومثلا من الذين خلوا من قبلهم وموعظة للمتقين » ومثل : « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق »

الجغرافية

ويقال نحو ذلك فى الأسباب المساعدة على وضع علم الجغرافية أو تقويم البلدان أو الاسراع فى نضجه ونموه كالأسفار فى طلب الحديث من حملته والحج الى مكة والرغبة فى تطبيق القواعد الفقهية كالخراج والجزية ، ويفتقر ذلك الى معرفة حال البلاد وكيفية فتحها صلحا أو عنوة . فجرهم ذلك الى تعرف البلاد ومواضعها وعلة فتوحها . ووجدوا فى القرآن آيات تحض على طلب هذا العلم من مثل : « أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » و « قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كانت عاقبة المكذبين » وغير ذلك

٢ ـ تأثير القرآن الكريم فى آداب اللغة العربية

هذا ما كان من تأثير القرآن الكريم فى تولد العلوم وتفرعها بعد الاسلام ، وهناك تأثير لا يقل عن ذلك احدثه القرآن فى الآداب التى كانت شائعة قبل الاسلام فغير أسلوبها ورقاها وهاك أهمها :

الخطابة

الخطابة والشعر من الفنون الأدبية الجاهلية التى زادها الاسلام رونقا وبلاغة ، والخطابة سبقت الشعر فى ذلك لحاجة المسلمين اليها فى الفتوح والغزوات فمارسوها . وقد أشربت نفوسهم بأسلوب القرآن الكريم لما علمت من اقبالهم على حفظه وتدارسه ، فارتقى ذوقهم الخطابى بتقليد أسلوبه واقتباس آياته . وأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثلا وتهديدا ، حتى لقد يجعلون الخطبة بجملتها مجموع آيات كما فعل مصعب ابن الزبير لما قدم العراق وحرض أهله على طاعة أخيه عبد الله . وقد نشرنا خطبته فى الجزء الاول من هذا الكتاب ، وصار المسلمون يسمون الخطبة التى لم تزين بشىء من القرآن الكريم « البتراء » و « الشوهاء »

الشعر

وقس على ذلك تأثيره فى الشعر فانه زاده طلاوة ورونقا واكتسب تعابير وأساليب لم تكن له من قبل وترى أمثلة منها فى هذا الكتاب

الانشاء

لم يصلنا من أساليب الانشاء الجاهلي غير سجع الكهان ، أتينا بمثال منه في كلامنا عن الكهانة في الجاهلية في الجزء الاول . واقوال شق وسطيح الكاهنين الجاهليين مشهورة ، وكلها باردة ركيكة يمجها الدوق .. ذلك ما وصل الينا على السنة الرواة . ومن خطبهم الجيدة خطبة قس بن ساعدة في عكاظ . ومهما يكن من الأمر فان الانشاء في الاسلام تبدل وارتقى كما ارتقت الخطابة ، ودخل في طور جديد من البلاغة والفصاحة في عبارته على اختلاف طرق تأديتها . وأخذ الكتاب يقلدون القرآن الكريم في الايجاز والبلاغة ، ويتوخون الاختصار على قدر الامكان عملا بالحديث القائل : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا » فكانوا يجمعون المعنى الكبير في اللفظ القليل حتى تكاد ترى المعنى مجردا من اللفظ . وكان لتلك الرسائل تأثير الخطب في الفتح ، فاستعاضوا بعد زمن الفتح ببلغاء الكتاب عن بلغاء الخطباء .. كأن الرسالة البليغة خطاب يتلوه المرسل اليه . وقد أتينا بأمثلة من ذلك في الجزء الاول

وكانوا اذا ارادوا البلاغة والتأنق في الانشاء ضمنوا عباراتهم آيات يقتضيها المقام ، فهي كالترصيع أو التطريز ولا يزالون يفعلون ذلك الى اليوم . ويكفي مثالا على ارتقاء ذوق الانشاء بالقرآن الكريم ماظهر من بلاغة علي بن أبي طالب في خطبه ورسائله ، ثم كان للانشاء تاريخ سنأتي عليه في حينه

اللغة

دخل اللغة كثير من الألفاظ الاسلامية واكتسبت كثيرا من المعاني الاسلامية لم تكن فيها من قبل كالصلاة والزكاة والمؤمن والكافر والمسلم وغير ذلك من الألفاظ التي اقتضاها الاسلام ، وقد فصلنا ذلك في مكان آخر

وبالجملة فان معظم العلوم العربية اقتضاها القرآن الكريم أو الاسلام حتى عدها بعضهم من قبيل الدين . قال أبو عمرو بن العلاء : « علم العربية هو الدين بعينه »

وقد رأيت ان العلوم اللسانية استعجلوا في وضعها لقراءة القرآن الكريم وتفسيره ، لكنها ما لبثت أن صارت تعتمد عليه وترجع في تحقيق قواعدها الى آياته ، يستشهد بها القوم في النحو والأدب وسائر العلوم اللسانية حتى اجتمع في كتاب سيبويه في النحو ثلاثمائة شاهد من القرآن الكريم

واعتبر ذلك في سائر فنون الأدب أو علوم اللغة . ومنها ما تأيد اكثره بأساليب القرآن الكريم كالمعاني والبيان والبديع ونحوها . ويرى المسلم في القرآن الكريم آيات يتنسم منها الحض على طلب العلم ورفع قدر العلماء من مثل : « هل يستوي الدين يعلمون والدين لا يعلمون »

٣ ــ تأثيره من الوجهة الاجتماعية

وهناك تأثير عظيم الأهمية لم يكتب لغير القرآن الكريم من الكتب الدينية فى الأمم الاخرى ، ذلك انه أطال بقاء اللغة العربية الفصحى وجعل ملايين من الناس يقرأونها ويفهمونها . وهو الذى حفظ الجامعة العربية واستبقى العنصر العربى .. لأن الاسلام يفرض على كل مسلم أن يحفظه ويطالعه ، فلولا القرآن الكريم لكانت لغة العالم العربى لغات متفرقة يصعب التفاهم بين أصحابها كما صارت اليه اللغة اللاتينية بعد ذهاب دولة الرومان ، فتفرق أصحابها أمما وطوائف وامحت الدولة الرومانية والأمة الرومانية كما امحت سواها من الأمم التى ذهبت جنسيتها بذهاب لغتها كالسريان والانباط فى الشام والقبط فى مصر . وهؤلاء انما حفظت جامعتهم بالدين لا باللغة

أما اللغة العربية فقد حفظها القرآن الكريم وحفظ بها التفاهم بين الأمم الاسلامية فى الشام ومصر والعراق والحجاز والمغرب وزنجبار والسودان وغيرها . ولولاه لـكانت كل أمة من هؤلاء تتكلم لغة لا تفهمها صاحبتها . ومع ذهاب التمدن الاسلامى وتقهقر الدولة الاسلامية كان يخشى ضيـاع تلك الأمم وفناؤها أو اندماجها فى الأمم التى تسلطت عليها ، كما أصاب الأمم التى اندمجت بالعرب بعد الاسلام . لـكنها الآن تجتمع وتتعاون لأنها تتفاهم بلغة واحدة لغة القرآن الـكريم وتعد نفسها أمة واحدة

ناهيك بمن يقرأ العربية من غير العرب بسبب حفظ القرآن الكريم ، ولو كانوا فى أقصى الشرق كالهند والصين أو بأواسط آسيا ، بتركستان وخراسان وفارس .. فان عدد قراء العربية يزيد على مائتى مليون وقراء التوراة بلغتها الاصلية شرذمة من اليهود المتعلمين وجمهورهم يقرأها بلغة بلاده . وقراء الأناجيل بلغتها الاصلية فئة قليلة . وأكثر أمم النصرانية يقرأونها فى اللغات المترجمة اليها . أما القرآن الكريم فالمسلمون يقرأونه باللغة العربية

ويعد من قبيل تأثيره فى آداب اللغة أيضا تأثيره فى أخلاق أصحابه . ولـكل كتاب من كتب الدين الرئيسية تأثير عام على اتباع ذلك الدين يظهر فيهم ولو تباعدت مواطنهم ، وذلك طبيعى لما نعلمه من تأثير العـادات فى الأخلاق والأبدان . ولـكل دين تعاليم وتقاليد وآداب تظهر آثارها فى أخلاق أصحابه

واعتبر ذلك فى القرآن الـكريم ، بل هو أشـد تأثيرا فى المسلمين من سواه لأنهم مكلفون فى حداثتهم بحفظه قبل كل علم . وهو داخل فى كل شىء من أمورهم الدينية والدنيوية واساس شرائعهم القضـائية وقاعدة معاملاتهم اليومية وأحوالهم العائلية ، حتى الطعـام واللبـاس والشراب والنوم والغسل وكل شىء يمكن استنباطه منه ويوجد له مثال فيه . وهذا لا تراه فى الأناجيل مثلا ، فانها كتب تعليمية لمصلحة الآخرة فقط . ولا تجد فيها شرعا أو حـكومة أو أحوالا شخصية أو نحـو ذلك الا ما يأتى عرضا ويفتقر الى تأويل

ولكل كتاب من هذه الكتب شأن خاص أيضا من حيث أخلاق القوم الذين كتب الكتاب لهم أو بلسانهم بما يلائم أخلاقهم وعاداتهم وآدابهم . ويختلف القرآن عن سائر تلك الكتب من هذا القبيل ، كما تختلف أخلاق عرب الجاهلية الذين جاء القرآن الكريم بلسانهم عن أخلاق العبرانيين الذين كتبت التوراة لهم والأقوام الذين كتبت الاناجيل بألسنتهم

وتأثير القرآن الكريم فى أخلاق أهله ومعاملاتهم اليومية والبيتية لا يخلو من التأثير فى عقولهم وقرائحهم وآرائهم ولو بعدت عن الدين وعلومه . فالصبغة الدينية القرآنية او الاسلامية تظهر فى مؤلفات المسلمين ولو ألفوا فى الفلسفة أو الطب أو الفلك أو الحساب أو غيرها من العلوم الرياضية أو الطبيعية ، فضلا عن العلوم الاسلامية الشرعية واللسانية والتاريخ والأدب

وبالجملة فان للقرآن تأثيرا فى آداب اللغة العربية ليس لكتاب دينى مثله فى اللغات الاخرى

العصر العباسى الأول

أو المائة الاولى من سيادة العباسيين فى بغداد

من سنة ١٣٢ – ٢٣٢ هـ

هو عصر الاســلام الذهبى ، بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها فى الثروة والحضارة والسيادة ، وفيه نشأت أكثر العلوم الاسلامية ونقلت اهم العلوم الدخيلة الى العربية . وكانت دور الخلفاء آهلة بالأدباء والشعراء والعلماء مثل بلاط لويس الرابع عشر ملك فرنسا فى ابان مجده . وكانت الدولة العباسية فى أكثره صاحبة السيادة على العالم الاسلامى ، وأوربا فى أكثف غياهب الجهالة

وكان الشرق يومئذ فى نهضة فكرية ، فان الاسلام هز أركانه ونبه أهله ، فنهض الفرس والترك والتتار والهنود .. حتى أهل الصين واليابان فانهم هبوا هبة اصلاحية أدبية فى أثناء العصر العباسى الاول ، أو على أثره . فنبغ فى الصين نحو القرن العاشر للميلاد طائفة كبيرة من فحول الشعراء على عهد دولة طانغ ، وكانوا كالعباسيين فى دورهم الاول يحبــون العلم ويقدمون العلماء . واشــتغل اليابانيون فى ذلك العصر أيضا باصــلاح لسانهم وتهذيب آدابهم الاجتمــاعية ، ونبـــغ فيهم الشعراء والــكتاب والمصورون والحفارون وغيرهم

وتمهيدا للـكلام فى آداب اللغة العربية فى ذلك العصر ، نذكر الانقلاب السياسى الذى حدث بانتقال الدولة من الامويين الى العباسيين ليهون علينا تفهم ما حدث من التغيير فى الآداب والعلوم

الانقلاب السياسى فى العصر العباسى الاول

كانت عاصمة الدولة الاموية فى دمشق على حدود بادية العرب ، وكان خلفاء تلك الدولة عربا وجندها وقوادها وعمالها من العرب . وكذلك كتابها وقضاتها وسائر رجال حكومتها . اما الدولة العباسية ، فقد نصرها الفرس ، فجعلت قصبتها (بغداد) على حدود بلادهم ، واتخذت وزراءها وأكثر أمرائها وقوادها منهم . ولما عمرت بغداد تقاطر اليها الناس للارتزاق بالتجارة أو الصناعة أوالادب أوالشعر أو بأسباب الملاهى فالتقى فيها العربى والفارسى والرومى والنبطى والتركى والصقلبى والهندى والبربرى والزنجى . وفيهم المسلم والنصرانى واليهودى والصابىء والسامرى والمجوسى والبوذى وغيرهم

واعتبر ذلك فى البصرة والكوفة من مدائن العراق الاسلامية ، فقد كانتا آهلتين بالناس على اختلاف نحلهم وأجناسهم وعناصرهم . وتختلفان عن بغداد بمن اقام فى ضواحيهما من جالية العرب ، أهل البادية ، من القبائل التى نزحت هناك بعد الاسلام كما تقدم . وما زالت البصرة والكوفة مجتمع أهل الادب والعلم والشعر حتى عمرت بغداد ، فأصبحت بما استبحر من عمرانها هى وحدها أم المدائن الاسلامية وبؤرة العلم ومجتمع العلماء . ثم شاركتها فى ذلك القاهرة وقرطبة ودمشق والقيروان وغيرها

وناهيك بثروة بغداد وحضارتها وتبسط أهلها فى العيش وركونهم الى الرخاء وتدفق الاموال من بيت المال على أهل الدولة ومن يلتف حولهم من الاعوان أو أهل المهن أو الادب أو الطرب

الخلفاء والعلم والادب

ويمتاز العصر العباسى الاول بأن من تولى فيه عرش بغداد كان من الخلفاء العلماء ، فرغبوا فى العلم واجلال العلماء والادباء وسهلوا نزوحهم اليهم وأجروا الارزاق عليهم وبالغوا فى اكرامهم وقربوهم وجالسوهم وآكلوهم وحادثوهم وعولوا على آرائهم . فلم يبق ذو قريحة أو علم أو أدب الا يمم دار السلام ونال جائزة او هدية أو راتبا

ولا يزهو العلم الا فى ظل أمير يتعهده ويأخذ بأيدى أهله ، والناس كما يكون ملوكهم . وخلفاء العصر العباسى الاول من أكثر الملوك رغبة فى العلم .. يروى ان المنصور لما مات ابنه جعفر وانصرف الى قصره بعد دفنه ، قال للربيع وزيره : « انظر من فى أهلى ينشدنى (امن المنون وريبها تتوجع) حتى أتسلى بها عن مصيبتى » فطلب الربيع ذلك من بنى هاشم فلم يجد من يستطيعه . فقال المنصور : « والله لمصيبتى بأهل بيتى الا يكون فيهم واحد يحفظ هذا لقلة رغبتهم فى الادب ، أعظم وأشد على من مصيبتى بابنى » (١)

وكان للمنصور دفاتر علم ، وكان شديد الحرص عليها حتى أوصى ابنه المهدى بها عند وفاته (٢) . وكان المنصور من أحسن رواة الحديث وله ذوق فى الشعر ينتقد الشعراء ويعرف المنحول والمسروق (٣) ، وكذلك ابنه المهدى فقد كان ينتقد الشعراء لكثرة تشبيبهم قبل المدح ، وكان يكره الغزل (٤) . أما الرشيد فكان أكثرهم رغبة فى العلم والعلماء حافظا للشعر نقادا للشعراء ، وكان يحفظ شعر ذى الرمة حفظ الصبا (٥) ، وهو مشهور بتقديم الشعراء والادباء . وابنه المأمون أشهر من أن يذكر بعلمه وفضله ، وذكروا له مؤلفات حسنة قد ضاعت

وناهيك بأبناء الخلفاء والأمراء ، فقد اشتغل كثيرون منهم بالأدب كابراهيم بن المهدى أول نابغ من بنى العباس فى الترسل والشعر

(١) الاغانى ٦١ ج ٦ (٢) ابن الاثير ٧ ج ٦ (٣) البيان ١٥٦ ج ٢
(٤) الاغانى ٥٥ ج ٣ (٥) الاغانى ٣٩ ج ٥

والموسيقى ، وله كتاب فى الادب اسمه « أدب ابراهيم » وكتاب الطبيخ والطب وكتاب الغناء ، ضاعت كلها . واعتبر ذلك أيضا فى الامراء والوزراء كأبى دلف العجلى سيد قومه ، فقد كان أديبا والف فى سياسة الملوك والسلاح والصيد . والفتح بن خاقان وزير المتوكل كانت له خزانة علم لم ير أعظم منها كثرة وحسنا . وكان يحضر داره فصحاء الاعراب وعلماء الكوفة والبصرة . واشتغل بالادب لنفسه ، فألف كتاب اختلاف الملوك ، وكتاب الصيد والجارح ، وكتاب الروضة والزهر . وكان عبد الله بن طاهر شاعرا مترسلا بليغا ، وكذلك ابنه طاهر ، ولكل منهما مجموع رسائل

فالدولة التى يكون ملوكها وأمراؤها على هذه الصورة يجدر بها أن تزهو بالعلم والعلماء . واعتبر هذه القاعدة فى سائر عصور آداب اللغة من أول الاسلام ، فانك لا تجد نهضة الا كان للملك أو الأمير أو الرئيس تأثير كبير فيها . ذلك شأن الأمم فى الحكم المطلق ، وارادة الملك شريعة المملكة

حرية الدين

ومن مميزات هذا العصر اطلاق الفكر من قيود التقليد الا ما يمس الدولة أو الخلافة . ولذلك فقد تعددت البدع الدينية فى أيامهم من المجوس وغيرهم ، غير الفرق الاسلامية وتعددها . وكان اكثر الخلفاء تسامحا فى الدين المأمون ، فكان هو نفسه شيعيا وكان وزيره يحيى بن اكثم سنيا ووزيره احمد بن أبى دؤاد معتزليا . يكفيك من تسامحه فى الدين انتصاره للمعتزلة فى القول بخلق القرآن الكريم

فكانت الافكار من حيث الدين مطلقة الحرية فى ذلك العصر لا يكره الرجل على معتقده أو مذهبه ، فربما اجتمع عدة اخوة فى بيت واحد وكل منهم على مذهب . فأولاد أبى الجعد ستة ، منهم اثنان يتشيعان واثنان مرجئان واثنان خارجيان

الوزراء الفرس والموالى

وكان للوزراء الفرس تأثير كبير فى تلك النهضة . والفرس أهل مدنية قديمة ، وكانوا يومئذ فى نهضة علمية بدأت من زمن كسرى انوشروان . وكان البرامكة على الخصوص يحبون العلم والعلماء ويبذلون الاموال فى تقريبهم واستحثاث قرائحهم ، فوقف الادباء والشعراء على أبوابهم كما وقفوا بباب الرشيد. وكانت لهم أياد بيضاء فى ترجمة العلم القديم الى العربية

ومن ثمار ذلك الانقلاب ان الموالى (المسلمين غير العرب) الذين كان الأمويون يزرون عليهم ، قربهم العباسيون وفيهم الخراسانيون الذين نصروهم فى تأييد دولتهم . وقدموا سائر الموالى واستخدموهم فى أمور الدولة . فارتفع شأن الموالى من ذلك الحين وأكثرهم من الفرس ، أشهرهم فى العصر العباسى الاول آل برمك وآل الفضل . وكان الخلفاء العباسيون يتواصون بالموالى وحسن معاملتهم والاحسان اليهم ، فنبغ فيهم طائفة

كبيرة من العلماء والادباء والشعراء ورجال العلم والعمل

ومن ثمار الحضارة فى ذلك العصر تكاثر الجوارى مما لم يسمع به من قبل حتى كان منهن فى بعض المنازل عشرات وفى البعض الآخر مئات . وبلغ عددهن عند الرشيد ٢٠٠٠ جارية وصاروا يتهادونهن كما يتهادون الحلى والجواهر (١) وتكاثر الغلمان فيه وتفننوا فى تزيينهم واستخدامهم (٢)

فالانقلاب السياسى والاجتماعى المشار اليه أحدث انقلابا فى الافكار والعقول ، وظهر اثر ذلك طبعا فى آداب اللغة كما سيجىء

اقسام آداب اللغة العربية

والعلوم أو الآداب التى سننظر فى تاريخها تدخل فى ثلاثة أبواب :

أولا — العلوم العربية الاصلية التى كانت قبل الاسلام وأهمها اللغة والشعر والخطابة

ثانيا — العلوم الاسلامية وهى قسمان :

(١) العلوم الشرعية الاسلامية التى اقتضاها الشرع الاسلامى

(٢) العلوم اللسانية ، نعنى علوم اللغة التى اقتضتها العلوم الاسلامية وبعثت على ظهورها

ثالثا — العلوم الدخيلة التى نقلت عن الأمم الاخرى

ولنبدأ بالعلوم الدخيلة التى يظهر تأثيرها فى سائر العلوم

العلوم الدخيلة

لو أردنا بسط الكلام فى هذه العلوم وأصولها وموضوعاتها وما نقل منها الى لساننا ، لضاق بنا المقام وبعدنا عن المراد من هذا الكتاب .. نعنى الكلام فيما يمكن الرجوع اليه والانتفاع به من الكتب . والعلوم الدخيلة التى نقلت يومئذ أصبح معظمها فى زوايا الاهمال بظهور العلم الطبيعى الحديث . وقد فصلنا خبرها فى الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامى ، فنكتفى هنا بفذلكة اجمالية

امتياز العرب على سواهم من الفاتحين

ومما يحسن ايراده لبيان امتياز أصحاب التمدن الاسلامى على سواهم من الأمم الفاتحة من هذا القبيل ، ان القوط أو قبائل الجرمان سطوا على مملكة الروم من الشمال كما سطا عليها العرب من الجنوب وكلاهما أهل بادية وحرب . امتلك القوط ايطاليا فى القرن الخامس فتركوا أهلها

(١) ترى تفصيل ذلك فى تاريخ التمدن الاسلامى ج ٥ - (٢) الاغانى ٢٠٨ ج ٦

الروم على ما كانوا عليه من آدابهم وعلومهم ، وظلوا هم على بداوتهم وحبهم الحرب واستخدموا الوطنيين فى تدبير حكومتهم .. كما فعل العرب فى أوائل دولتهم . لكن القوط لما تحضروا حملوا علماء الرومان على التأليف فألفوا لهم الكتب باللاتينية لا بالقوطية ، فذهبت هذه اللغة وبقيت لغة الروم بما صارت اليه من الفروع . أما العرب فانهم حالما استتبت لهم السيادة جعلوا الدواوين فى العربية وحملوا رعاياهم على مكاتبتهم بالعربية . ولما أرادوا نشر العلم كلفوا رعاياهم نقل تلك العلوم الى العربية ، فذهبت لغات الأمم التى كانت تحت سلطانهم وبقيت العربية

ماهى العلوم الدخيلة ؟

نريد بها العلوم القديمة التى كانت شائعة عند ظهور الاسلام فى الممالك التى عرفها المسلمون . وهى خلاصة أبحاث رجال العلم والفلسفة والأدب فى ممالك التمدن القديم على اختلاف الأمم والدول والاماكن والاطوار فى القرون المتوالية من أقدم أزمنة التاريخ الى أيامهم ، وفيها زبدة علوم الاشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والهنود والفرس واليونان والرومان . ولا يراد بذلك ان العرب أخذوا علم كل أمة عن أهله رأسا ، ولكنهم جاءوا والعلوم قد تقدمت بتوالى الدهور وتفاعل العناصر، واجتمع معظمها لليونان فبوبوها ورقوها وظهرت النصرانية فأثرت فيها . وبقى بعضها فى بقايا الدول القديمة كالفرس والكلدان والهنود وغيرهم ممن دانوا للمسلمين ، وانتظموا فى خدمتهم فأخذوا من هؤلاء جميعا . ولذلك كان من جملة أفضال التمدن الاسلامى على العلم ، انه جمع شتات تلك العلوم من اليونانية والفارسية والهندية والكلدانية الى العربية وزاد فيها ورقاها

فلنبحث أولا فى حال العلم والأدب فى البلاد التى عرفها المسلمون ، وهو يتناول النظر فى آداب اليونان والفرس والهنود والكلدان على ما يأذن به المقام . ثم نتقدم الى الكلام فيما نقله العرب من ذلك

آداب اللغة اليونانية

الفلسفة والفلاسفة

بينا فى الجزء الاول من هذا الكتاب اقسام الآداب اليونانية وعصورها الى عصر الفلسفة ، فنكتفى بخلاصة تاريخية عنها :

أخذ اليونان بأهداب الفلسفة والعلم على اثر الحروب اليونانية الداخلية ، (*)

(*) كلام المؤلف هنا فى نشأة الفلسفة اليونانية غير دقيق ، اذ نشأت عند اليونان قبل هذه الحروب الداخلية التى يشير اليها والتى حدثت فى القرن الرابع ق م . ونستطيع أن نقول بالاجمال انها بدأت نشاتها منذ القرن السادس ق م. فى آقليم ايونيا باسيا الصغرى . ويطلق هذا الاسم على اقليم وجزر كانت تطل على بحر ايجة حيث ظهر الفلاسفة المشهورون : طاليس وانكسمندر وانكسمينس . وقد خطت من بعدهم خطوات واسعة فى اقليم ايليا Elaa وهى

فانها توالت ٢٧ سنة وفى نهايتها دخلت اثينا فى حوزة المقدونيين ، وأصبح الاثينيون بعد العز أذلاء فســاقتهم العبرة والمذلة الى النظر فى الوجود ، فنهضوا نهضة فلسفية زعيمها وواضع أساسها سقراط . والحروب يغلب ان يعقبها نهضة أدبية أو علمية أو سياسية على ما قررناه فى غير هــذا المــكان .. وان كانوا قد تنبهوا الى شىء من ذلك قبلا

فلما أصيبت اثينا بالذل بعد تلك العظمة أصاب أهلها اضطراب وانكسار، والانسان اذا أصيب بنكبة لا حيلة له فى دفعها اشتغل عنهــا بالتعليلات الفلسفية عن الوجود وأصله ليخفف وطأة تلك المصيبة عليه . وخصوصا فى مثل ما أصيبت به اثينا بعد عزها ورفعة شأنها . وأصبح أهلها بعد سقوطها يتلفتون الى الوراء آسفين وينظرون الى الامام خائفين ، وقــد ذهبت أسباب مفاخرتهم القديمة ولم تنتظم حكومتهم الجديدة . فتنبهت أذهانهم وانصرفت قرائحهم الى النظر فى شؤون الانسان على الجمــلة وشؤونهم على الخصوص . فكانت وجهة تلك النهضة الأدب والفلسفة .

ودخل القرن الرابع قبل الميلاد والناس يتناقلون آراء بعض المتقدمين من العلماء على ما يوافق أحوالهم ، ونفوسهم تشتاق الى الزيادة

سقراط

وبينما الناس فى ذلك اذ نبغ سقراط الحكيم . ورأى ان النظر فى الفلسفة الطبيعية لا يجدى نفعا فى تلك الاحوال ، فانصرفت عنايته الى الفلسفة الادبية فدرسها جيدا وخلصها مما كان يعتورها من الرموز والغوامض وطبقها على حاجات الاثينيين يومئــذ . وقسم شرائعه الى ما يتعلق بالانســان من حيث هو انســـان ، والى ما يتعلق به من حيث هو أب ومدبر ، والى ما يتعلق به من حيث هو أحد الجماعة ، وذهب الى خلــود النفس . ويعتبره اليونانيون واضع الفلسفة الادبية العملية أو هو محول الفلسفة القديمة من الخيال الى العمل . قال شيشرون : « ان سقراط انزل الفلسفة من السماء الى الارض »

ويندر ان ينجو النوابغ وأصحاب الآراء الجديدة من حساد يتمنون الاضرار بهم أو يسعون الى ذلك . وقد كان فى تعاليم سقراط ما يخالف اعتقاد الاثينيين يومئذ ، فثاروا عليه وقتلوه

مستعمرة يونانية بجنوبى ايطاليا ، ومن أشهر فلاسفتها اكزنوفنس وبارمنيدس وزينون • ثم تحولت الى اثينا وفلاسفتها الذين ذكرهم المؤلف ، وهم كانوا تتويجا للنهضة الادبية والسياسية التى نهضتها اثينا ، وقد سبقهم السوفسطائيون المشهورون فى تاريخها ، ويصل المؤرخون بين اطوار الحياة اليونانية واطوار الشعر والفلسفة فيها . وليس هنا مجال توضيح العلل والاسباب فى ذلك . فليرجع من يريد التوسع الى قصة الفلسفة اليونانية للاستاذين احمد امين وزكى نجيب محمود وفجر الفلسفة اليونانية للدكتور احمد فؤاد الاهوانى وتاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم



سقراط　　　　افلاطون　　　　ارسطو

افلاطون

مات سقراط ولم يدون شيئا من تعاليمه فدونها تلامذته من بعده ، ولكنهم اختلفوا فى تفسير أقواله فانقسموا الى ثلاث فرق تعرف بالكرينية والكلبية والاشراقية . وهذه الاخيرة أشهرها ، وتسمى أيضا الافلاطونية نسبة الى صاحبها افلاطون المولود سنة ٤٢٨ قبل الميلاد . ومذهبه مقتبس من ثلاثة مذاهب قديمة ، فانه تبع هيرقليطس فى الطبيعيات ، وفيثاغورس فيما وراء الطبيعة والنقليات ، وتبع سقراط فى الفلسفة الادبية والاخلاق . وقال بثلاثة أصول : الاله ، والمادة ، والادراك . والآلهة عنده ثلاث طبقات : عليون ومتوسطون وسفليون ، وآمن بتناسخ الارواح . وكتب افلاطون على أسلوب المحاورات

ارسطو

انقسم تلامذة افلاطون أيضا الى فرق أهمها فرقة المشائين وصاحبها ارسطو أو ارسطاطالس الذى اجمع العلماء على انه أقدر الفلاسفة القدماء ، ويسميه العرب المعلم الاول . ولد سنة ٣٨٤ وتوفى سنة ٣٢٢ ق.م. وعنه نقل العرب أكثر كتب الفلسفة والمنطق ، اذ جمع ارسطو فى كتبه زبدة ما بلغ اليه العلماء فى عصره ببلاد اليونان من الفلسفة والعلم . أما الفلسفة فأخذها عن أستاذه افلاطون ، ويدخل فيها الابحاث المنطقية والعقلية والنفسية والسياسية . واما العلم ويراد به الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كالرياضيات والطبيعيات ونحوها ، فقد كانت من جملة ما طالعه من علوم القدماء وما اختبره بنفسه . وكان غرض ارسطو ايضاح الفلسفة بالعلم واخضاع كل بحث عقلى أو نظرى للنواميس الطبيعية . ولم يكن يهمه تزويق العبارة أو برقشة الالفاظ ، وانما كان يهمه الغرض الاصلى من الموضوع .. فكان يبذل جهده فى تجريد عبارته من الخيالات الشعرية التى مازجت فلسفة افلاطون

والكتب التى ثبتت نسبتها الى ارسطو ١٩ كتابا نقل معظمهـــا الى اللغة العربية . وقد ذكرناها مع كتب افلاطون فى تاريخ التمدن الاسلامى الجزء الثالث

الطب والنجوم

والطب أيضـــا من ثمار تلك النهضة على اثر الحرب اليونانية ، وكان اليونان قبل ذلك يعالجون مرضاهم بالـكهانة وينسبون الامراض الى أعمال الشياطين والعلاج الى أعمال الآلهة . وكان الفلاســـفة يتكلمون فى الطب باعتبار انه فرع من الطب الطبيعى ، ولم يستقل أحد منهم بالبحث فيه . وأول من رتب الطب وبوبه وبناه على أسس صحيحة ابقراط المتوفى سنة ٣٥٧ ق.م. ولذلك سموه أبا الطب . وهو من نتاج الحـــرب اليونانية ، نشأ فى أثنائها ونبغ بعد انقضائها وسافر الى سوريا ، ولعله أطلع على طب البابليين والمصريين فأضافهما الى طب اليونان وألف فيه الـكتب . وأساس معالجته الاعتماد على الطبـــيعة ، وكان يفصـــد ويحجم ويكوى ويحقن ويشخص الامراض بالسماعة ويصف المسهلات النباتية والمعدنيـــة . وله كتب فى الطب كثيرة ذكروا منها ٨٧ كتابا ، ولم يثبت له منها الا نحو العشرين ، ونقلت فى جملة ما نقله المسلمون من كتب الطب الى العربية . وما زالت كتب ابقراط معول الاطباء الى العصر الحديث ، وفيهم من شرحها أو فسرها أو ترجمها أو علق عليها

وممن اشتغل من اليونانيين فى ترقية العلوم الطبية بعـــد ابقراط ، ارسطو وغيره من الفلاسفة العظام .. فلما أنشئت مدرسة الاسكندرية على عهد البطالسة ، كان للطب شأن كبير فيها

والنجوم أو علم الفلك قديم عند سائر الأمم كما رأيت فى كلامنا عن علوم العرب قبل الاسلام . اخذ اليونان مبادىء هذا العلم عمن سبقهم من أمم التمدن القديم على يد الفينيقيين وتوسعوا فيه من عند أنفسهم . وكان النظر فيه من جملة ابحاث الفلاسفة واقـــدمهم طاليس . وقل من جـــاء بعده من فلاسفة اليونان ولم يتعرض لهذا الفن ، وأشهرهم فيه انكسيمندر وانكسيمينس وانكساغوراس . وكان للقسم الايطالى من بلاد اليونان عناية كبرى فى النجوم ، ومقدم فلاسفتهم فيه فيثاغورس الشهير المتوفى سنة ٥٠٠ ق. م. اخذ بعض هذا العلم من مصر وتوسع فيه وتبعه فى ذلك كثيرون . ولا يكاد يخلو فيلسوف يونانى من النظر فى النجوم وأحكامها مما يطول شرحه . على ان هذا العلم بلغ قمة مجده فى مدرسة الاسكندرية

ويقال نحو ذلك فى سائر العلوم الرياضية كالحساب والهندسة ، فقد اشتغل فيها الفلاسفة لـكنها لم تنضج الا فى مدرسة الاسكندرية على يد اوقليدس

وقد عقدنا فصلا عن تاريخ مكتبة الاسكندرية وهل أحرقها العرب فى الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامى ، كما عقدنا فصـــلا فى الهلال



اوقليدس



أبقراط



جالينوس

الاول من السنة العشرين ، وقد زهت الاسكندرية بالرياضيات والطب والفلسفة ونبغ فيها الرياضيون ومنهم اوقليدس وارخميدس وابولونيوس من أهل القرن الثالث قبل الميلاد وهيبارخس من أهل القرن الثانى . وفيها ظهر بطليموس القلوذى الجغرافى والرياضى فى أواسط القرن الثانى بعد الميلاد ، فوضع كتاب المجسطى وكان عليه المعول فى مدارس العالم الى عهد غير بعيد ، وألف أيضا كتاب الجغرافية الشهير . واشتغل علماء الاسكندرية خصوصا برصد الافلاك واستخراج الازياج ، وظل مرصدهم وحيدا فى العالم الى أيام الاسلام

اما الطب فكان يعلم فى مدرسة برغامس . فلما زهت مدرسة الاسكندرية اتجهت الانظار اليها ، وأساس التدريس فيها مؤلفات ابقراط ، لكنهم اشتغلوا أيضا فى التشريح وفاقوا فيه سواهم

وانقسم أطباء الاسكندرية فى الطب الى فريقين حتى ظهر جالينوس فى أواخر القرن الثانى للميلاد فانتهى الطب اليه وأصبحت كتبه معول الناس فيه . وللطب والفلسفة فى مدرسة الاسكندرية تاريخ طويل لخصناه فى الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامى

آداب اللغة الفارسية (*)

الفرس من الشعوب الآرية اخوان الهنود واليونان ، وهم أمة قديمة حاربت اليونان قبل المسيح ببضعة قرون .. فجردت على بلادهم جيشا قد يصعب على أعظم دول الارض اليوم حشده ونقله بمهماته ومؤونته من أواسط آسيا الى البحر الابيض . فكيف منذ بضعة وعشرين قرنا ..

(*) لعل خير مرجع لمعرفة هذه الاداب قبل الاسلام وبعده هو كتاب تاريخ الادب فى ايران لبراون الذى سيشير اليه المؤلف فيما بعد ، وهو فى اربعة مجلدات ، تمتد من اقدم الازمنة الى سنة ١٩٢٤ ، ويعنينا هنا الجزء الاول الذى عرض فى اسهاب للاداب الفارسية القديمة، وراجع ليفى فى كتابه Persian Litteratvra وكذلك كتاب سايكس فى تاريخ الفرس A History of Persia

فالدولة التى هذا مبلغ قوتها لا تخلو من أدب وعلم . والفرس أهل ذكاء وتعقل وفيهم استعداد فطرى لأسباب التمدن ، فلا بد من اجادتهم فى نظم الشعر على نحو ما فعل اخوانهم الهنود فى المهابهاراتة ونحوها وان كان ما وصل منه الينا قليـــلا . ناهيك بالعلوم القديمة التى هى من قبيل الطبيعيات والرياضيات كالنجوم والانواء ، فقـــد أحرزوا شيئا منهـــا وخصوصا لأنهم ورثوا البابليين والاشوريين واحتكوا باليونان وهم فى ابان تمدنهم واختلطوا بجيرانهم الهنود . وكانوا يعرفون الكتابة وينقشونها على الاحجار باللغة الفهلوية . ويؤيد ذلك ما جاء فى كتب الاخبار عن فتوح الاسكندر لبلاد فارس ، وما عثر عليـــه فى عاصمتهم اصطخر من خزائن الكتب ، وفيها ماكان قد جمعه الفرس منعلوم الهند والصين الى تلك الايام

والمشهور ان علوم الفرس لم تأخذ فى الظهور الا فى أيام سابور بن اردشير ، فبعث الى بلاد اليـــونان من جلب كتب الفلســـفة وأمر بنقلهـــا الى الفارسية ، (١) واختزنها فى مدينته وأخذ الناس فى نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى أنوشروان العادل (٥٣١ — ٥٧٨ م) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستنيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على اثر اقفـــاله الهياكل والمدارس الوثنيـــة . وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد نضجت ، ففر بعض أصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا فى العالم وجاء منهم سبعة الى انوشروان .. فأكرم وفادتهم وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة أو نقلها الى الفارسية ، فنقلوا المنطق والطب(٢) وألفوا فيهما الكتب فطالعها هو ورغب الناس فيها . وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا انوشروان انه من تلامذة افلاطون . والمظنون ان تلك الفلسفة كانت أساسا لتعاليم الصوفية التى نشأت بعد ذلك

ولم يقتصر انوشروان على نقل علوم اليونان الى لسانه ، ولـكنه نقل علوم الهنود أيضا من السنسكريتية الى الفارسية (١) وأنشأ فى جند بسابور مارستانا (مستشفى) لمعالجة المرضى وتعليم صناعة الطب استقدم اليه الاطباء من الهند وبلاد اليونان ، وكانوا يعلمون فيـــه الطبين الهندى والابقراطى فجمع بين الحسنيين

آداب اللغة السريانية (*)

كان للسريان تمدن قديم ، وانما يهمنا فى هذا المقام ما كان عندهم من

---

(١) ابو الفداء ٥٠ ج ١ — (٢) الفهرست ٢٤٢

(٣) E. Browne's Lit., Hist. of Persia, 167.

(*) انظر فى هذه الاداب كتاب « تاريخ الادب السريانى من نشأته الى الفتح الاسلامى » لمراد كامل ومحمد حمدى البكرى « طبع القاهرة ١٩٤٩ » وكتاب روبنز دوفال « الادب السريانى » الذى ذكره المؤلف فى مقدمته للجزء الاول وكتاب نولدكه عن الادب الارامى وكتاب بروكلمن « الاداب الشرقية المسيحية » « ص ١ — ٧٤ » ودائرة المعارف الاسلامية وتاريخ الفلسفة فى الاسلام لدى بور ترجمة محمد عبد الهادى أبى ريدة ص ١٩ وما بعدها

علوم الفلسفة التى اشتغلوا بنقلها . وهم فى ذلك تلامذة اليونان لأنهم تعلموا فلسفتهم وطبهم وسائر علومهم ، كما تعلمها الرومان قبلهم واقتبسها الفرس معهم وكما تعلمها المسلمون بعدهم . والسريان أهل ذكاء ونشاط فكانوا كلما اطمأنت خواطرهم من مظالم الحكام وتشويش الفاتحين انصرفوا الى الاشتغال بالعلم ، فأنشأوا المدارس للاهوت والفلسفة واللغة ونقلوا علوم اليونان الى لسانهم وشرحوا بعضها ولخصوا بعضها . ومنهم خرج أكثر الذين ترجموا العلم للعباسيين وأكثرهم من النساطرة . ونقتصر هنا على ذكر اشتغالهم فى العلم لأنفسهم

كان للسريان فيما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم بالسريانية واليونانية أشهرها مدرسة الرها ، وفيها ابتدأ السريان يشتغلون بفلسفة ارسطو فى القرن الخامس للميلاد . وبعد أن تعلموها أخذوا فى نقلها الى لسانهم فنقلوا المنطق فى أواسط القرن المذكور . ثم أتم دراسة المنطق سرجيس الرأس عينى الطبيب المشهور ، وفى المتحف البريطانى بلندن نسخ خطية من ترجمته الايساغوجى الى السريانية . وكذلك مقولات ارسطو لفرفوريوس وكتاب النفس وغيرها ، وقد نشر بعضها من عهد قريب

وفى أوائل القرن السابع للميلاد اشتهرت مدرسة قنسرين على الفرات بتعليم فلسفة اليونان باللغة اليونانية ، وتخرج فيها جماعة كبيرة من السريان وفى جملتهم الاسقف سويرس ، فقد انقطع فيها لدرس الفلسفة والرياضيات واللاهوت . ولما تمكن من تلك العلوم نقل بعضها الى السريانية ولا تزال بعض ترجماته فى الفلسفة محفوظة فى المتحف البريطانى . وقد أتمها بعده تلميذه يعقوب الرهاوى واضع علم النحو السريانى واثناسيوس ، ومن تلامذته جورجيوس المعروف بأسقف العرب (٦٨٦ م) . فقد ترجم بعض كتب ارسطو . واشتغل جماعة آخرون فى ترجمة كتب افلاطون وفيثاغورس وغيرهما مما يطول شرحه . واشتهرت هناك مدارس أخرى كمدرسة نصيبين التى كان عدد تلامذتها نحو ثمانمائة وكانت تعلم كل العلوم العقلية والنقلية

أما الطب فقد كان لهم فيه حظ وافر على اثر انشاء مارستان جند يسابور . واشتهر فيهم من اهل هذه الصناعة كثيرون منهم سرجيس الراس عينى المتقدم ذكره ، واثاتوس الآمدى ، وسمعان الطيبوتى ، والأسقف غريغوريوس ، والبطريرك ثيودوسيوس وغيرهم من الاطباء الذين أدركوا الدولة العباسية وخدموها

وقد نقل أطباء السريان كثيرا من كتب الطب من اليونانية الى السريانية حتى فى أثناء اشتغالهم بنقلها الى العربية لأنهم كانوا كثيرا ما ينقلونها الى السريانية فقط أو الى السريانية والعربية معا

آداب اللغة الهندية (*)

الهنود أمة قديمة ، والطبقة العليا منهم اخوان الفرس واليونان . وقد نظموا الملاحم ودونوا الاخبار شعرا من قديم الزمان ، ولهم آداب خاصة وتواريخ خاصة تولدت عندهم بتوالي القرون كما يستدل من مراجعة تواريخهم ودرس أحوالهم . حتى كثيرا ما كان ملوك الفرس يستعينون بأطبائهم ، كما فعل انوشروان فى مارستان جنديسابور ، وكما وقع للخلفاء العباسيين فى أوائل نهضتهم فانهم كانوا يستقدمون الاطباء من الهند ويستشيرونهم فى أمراضهم بعد أن تفرغ حيل أطباء الفرس والسريان فى معالجتهم . لأن للطب الهندى طرقا تخالف طرق الطب اليونانى أو الفارسى . وقد اشتهر منهم عدة أطباء الفوا فى الهندية ، ونقل المسلمون بعض كتبهم الى العربية ومنهم منكه وصنجهل وشاناق وغيرهم

وكانت لهم معرفة حسنة بالنجوم ومواقعها وأبراجها ولها أسماء خاصة بلسانهم ، وكان لهم فيها ثلاثة مذاهب مذهب الارجهير ومذهب الأركند ومذهب ثالث يقال له بالسنسكريتية سدهنتا Siddhânta وهو عبارة عن زيج ذكروا فيه آراءهم فى حركات الكواكب . وهو الذى وصل الى العرب ونقلوه الى لسانهم وسموه السند هند . والهنود هم الذين اخترعوا الارقام وعنهم أخذها العرب . ولهم طرق خاصة فى الحساب اكتسبها العرب عنهم وكان لهم معرفة بفن الموسيقى ولهم فيها كتب ترجم المسلمون بعضها الى العربية

نقل الكتب ونقلتها

تلك حال العلوم والآداب عند الامم المتمدنة عندما أخذ المترجمون فى نقلها الى اللغة العربية فى العصر العباسى الاول . أما الخلفاء الذين اهتموا بذلك النقل فهم : المنصور وكان أكثر اهتمامه بالنجوم والطب ، أما المهدى فقلما اشتغل بذلك . وكذلك الرشيد لم ينقل فى أيامه الا كتاب المجسطى . ثم المأمون وهو الذى اهتم بنقل كتب الفلسفة والمنطق على الخصوص وسائر العلوم على العموم (١)

أما نقلة العلم فى العصر العباسى فهم من أهل العراق والشام وفارس والهند ، رغبهم الخلفاء فى ذلك بالبذل الكثير وجعلوا لبعضهم رواتب وجوارى وبالغوا فى اكرامهم ، وأكثرهم من السريان النساطرة لأنهم أقدر على الترجمة من اليونانية وأكثر اطلاعا على كتب الفلسفة والعلم اليونانى .

(*) راجع فى هذه الاداب تاريخ علم الفلك عند العرب لنالينو ودائرة المعارف الاسلامية فى مادة حساب وهندسة وضحى الاسلام الجزء الاول لاحمد امين وكتابات البيرونى : « الآثار الباقية » و « تاريخ ما للهند من مقولة » وتاريخ الفلسفة فى الاسلام لدى بور وآداب الهند فى دوائر المعارف المختلفة

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ١٤٠ ج ٣

اشهرهم آل بختيشوع سلالة جورجيس بن بختيشوع السرياني النسطوري طبيب المنصور ، وآل حنين سلالة حنين بن اسحق العبادي شيخ المترجمين احد نصارى الحيرة وله تاريخ طويل ، وحبيش الاعسم الدمشقي ابن أخت حنين ، وقسطا بن لوقا البعلبكي من نصارى الشام ، وآل ماسرجويه اليهودي السرياني وآل الكرخي ، وآل ثابت الحراني من الصابئة والحجاج ابن مطر وابن ناعمة الحمصي ويوحنا بن ماسويه واسطفان بن باسيل وموسى بن خالد وسرجيس الراسي ويوحنا بن بختيشوع من غير آل بختيشوع المتقدم ذكرهم ، والبطريق ويحيى بن البطريق وأبو عثمان الدمشقي وأبو بشر متى بن يونس ويحيى بن عدى . هؤلاء أشهر نقلة العلم من اليونانية أو السريانية الى العربية وبعضهم تجاوز العصر العباسي الاول

وأما النقلة من الالسنة الاخرى ، فمنهم من نقل من الفارسية الى العربية كابن المقفع وآل نوبخت كبيرهم نوبخت وابنه الفضل بن نوبخت نقل من الفارسية الى العربية في النجوم وغيرها . ومنهم موسى ويوسف ابنا خالد وكانا يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة وينقلان له من الفارسية الى العربية ، وعلى بن زياد التميمي ويكنى أبا الحسن نقل من الفارسية الى العربية كتاب زيج الشهريار ، والحسن بن سهل وكان من المنجمين ، والبلاذري أحمد بن يحيى ، وجبلة بن سالم كاتب هشام . واسحق بن يزيد نقل سيرة الفرس المعروفة باختيار نامه . ومنهم محمد بن الجهم البرمكي ، وهشام بن القاسم ، وموسى بن عيسى الكردي ، وعمر ابن الفرخان ، وغيرهم

ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية) منكة الهندي ، كان في جملة أصحاب اسحق بن سليمان بن على الهاشمي ينقل من اللغة الهندية الى العربية . وابن دهن الهندي وكان اليه مارستان البرامكة ، نقل من الهندية الى العربية (١)

ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (الكلدانية) الى العربية ابن وحشية ، نقل كتبا كثيرة أهمها كتاب الفلاحة النبطية

وهناك طبقة من النقلة اشتغلوا بنقل العلم من عند انفسهم اشهرهم بنو شاكر أو بنو موسى لأنهم أولاد موسى بن شاكر ، وهم محمد واحمد والحسن وعرف أولادهم بعدهم ببني المنجم . كان موسى يصحب المأمون ، والمأمون يرعى حقه في أولاده هؤلاء . واشتغلوا في الهندسة والنجوم والطبيعيات والميكانيكيات وغيرها ، وأتعبوا انفسهم في جمع الكتب القديمة من بلاد الروم واحضروا النقلة بالبذل في نقلها . وممن بذلوا المال في نقل العلم غير الخلفاء : محمد بن عبد الملك الزيات ، وعلى بن يحيى المعروف بابن المنجم ، ومحمد بن موسى بن عبد الملك ، وابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب وغيرهم

---

(١) الفهرست ٢٤٥

الكتب التى نقلت

أما الكتب التى نقلت فى ذلك العصر فعددها بضع مئات أكثرها من اليونانية ، منها ٨ فى الفلسفة والادب لافلاطون و ١٩ كتابا فى الفلسفة والمنطق والادب لارسطو و ١٠ فى الطب لابقراط و ٤٨ فى الطب لجالينوس ، وبضعة وعشرون كتابا فى الرياضيات والنجوم لاقليدس وارخميدس وأبلونيوس ومنالاوس وبطليموس وابرخس وذيوفنطس وغيرهم

وأما منقولات اللغات الاخرى ، فمنها نحو عشرين كتابا نقلت عن الفارسية فى التاريخ والادب .. ونحو ٣٠ كتابا من اللغة السنسكريتية ، وأكثرها فى الرياضيات والطب والنجوم والادب .. ونحو عشرين كتابا عن اللغة السريانية أو النبطية ، أكثرها فى السحر والطلسمات الا كتاب الفلاحة النبطية فى الزراعة . وهناك بضعة كتب نقلت عن اللاتينية والعبرانية

الخلاصة

وجملة القول ان المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ما كان معروفا من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والادبيات عند سائر الأمم المتمدنة فى ذلك العهد . ولم يتركوا لسانا من ألسن الأمم المعروفة اذ ذاك لم ينقلوا منه شيئا ، وان كان أكثر نقلهم عن اليونانية والفارسية والهندية .. فأخذوا من كل أمة أحسن ما عندها ، فكان اعتمادهم فى الفلسفة والطب والهندسة والموسيقى والمنطق والنجوم على اليونان . وفى النجوم والسير والآداب والحكم والتاريخ والموسيقى على الفرس . وفى الطب (الهندى) والعقاقير والحساب والنجوم والموسيقى والاقاصيص على الهنود . وفى الفلاحة والزراعة والتنجيم والسحر والطلاسم على الانباط أو الكلدان . وفى الكيمياء والتشريح على المصريين .. فكأنهم ورثوا أهم علوم الاشوريين والبابليين والمصريين والفرس والهنود واليونان ، وقد مزجوا ذلك كله واستخرجوا منه علوم التمدن الاسلامى (الدخيلة)

ومما نلاحظه من أمر ذلك النقل ان العرب ، مع كثرة ما نقلوه عن اليونان ، لم يتعرضوا لشىء من كتبهم التاريخية أو الادبية أو الشعر مع انهم نقلوا ما يقابلها عند الفرس والهنود .. فقد نقلوا جملة صالحة من تواريخ الفرس وأخبار ملوكهم وترجموا الشاهنامة . ولكنهم لم ينقلوا تاريخ هيرودوتس ولاجغرافية استرابون ولا الياذة هوميروس ولا اوديسته . والسبب فى ذلك ان أكثر ما بعث المسلمين على النقل رغبتهم فى الفلسفة والطب والنجوم والمنطق . واما التواريخ والآداب فقد كان التراجمة ينقلونها غالبا من عند انفسهم حبا فى اظهار مآثر أسلافهم أو جيرانهم ، فالمترجمون الفرس نقلوا شيئا من تواريخ الفرس وآدابهم .. وكذلك فعل التراجمة السريان بآداب أجدادهم ، وكذلك التراجمة الهنود . فلو كان بين أولئك المترجمين واحد او غير واحد من اليونان ، لنقلوا كثيرا من

تواريخ أمتهم وأشعارها . ولا ريب ان من جملة ما منعهم من نقل الالياذة الى العربية ذكر الآلهة والاصنام فيها . ولـكن فى الشاهنامة أيضا كثيرا من ذلك ، فلم يمنعهم من نقلها لـكن الترجمة ضاعت (*)

ويلاحظ أيضا ان العرب نقلوا من علوم تلك الأمم فى قرن وبعض القرن ما لم يستطع الرومان بعضه فى عدة قرون ، وذلك شأن المسلمين فى أكثر أسباب تمدنهم العجيب

ولا يستخف بما اقتضاه ذلك النقل عن أشهر أمم الارض فى ذلك العصر من التأثير فى الآداب الاجتماعية والآراء والافكار . وخصوصا ما نقل عن الفارسية لأن معظمه فى الأدب والتاريخ .. كما أثر فى آدابنا الاجتماعية ما نقلناه فى نهضتنا هذه عن الافرنج . فضلا عن دخول الفرس فى كل باب من أبواب الدولة .. فدخل الآداب العربية والافكار العربية كثير من آداب الفرس الساسانيين وأفكارهم ، اقتبسها العرب من الـكتب التى نقلت عنهم ولم يبق منها الا الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ونتف متفرقة فى بعض الـكتب . وقد درس هـذا الموضـوع المستشرق اينوسترانسيف الروسى ، ووضع فيه كتابا طبع فى بطرسبرج سنة ١٩٠٩ (١)

وعلى هذه المنقولات بنى المسلمون ما ألفوه فى هـذه العلوم فى أثناء تمدنهم غير ما اختبروه وأضافوه اليها من عند أنفسهم . وأكثر منقولاتهم ومؤلفاتهم ضاعت ولم يبق منها الا بعضها ، وعلى هذا البعض كان معول الاوربيين فى نهضتهم الاخيرة لانشـاء تمدنهم الحديث بما نقلوه منها الى السنتهم كما سنبينه فى مكانه

الباقى من الترجمات الى الان

اما الباقى من الترجمات المتقدم ذكرها الى الآن ، فلا يتجاوز بضع عشرات مشتتة فى مكاتب أوربا .. اليك بعضها على سبيل المثال :

ـ كتاب المجسطى لبطليموس ترجمة الحجاج بن يوسف بن مطر ، منه نسخة خطية فى مكتبة ليدن

ـ كتاب السياسة فى تدبير الرياسة ترجمة يوحنا بن البطريق ، منه نسخ فى مكاتب برلين ومنشن وغيرها

ـ ولقسطا بن لوقا البعلبكى عدة آثار من نقله وتاليفه ، منها رسائل فى الطب والاخبـار ذكرها بروكلمن فى كتابه آداب اللغة العربية وأشـار الى أماكن وجودها (صفحة ٢٠٤ ج ١)

ـ ولحنين بن اسحق بقايا حسنة من منقولاته أشهرها المدخل فى الطب

(*) نشر عبد الوهاب عزام هذه الترجمة منذ سنة ١٩٣٢ مع مقدمة عن الملحمة والادب الفارسى

(١) المشرق ٣٩٢ سنة ١٣

فى مكتبة الاسكوريال ، ومسائل فى الطب للمتعلمين فى مكتبة برلين ، واجتماعات الفلاسفة فى بيوت الحكماء فى مكتبة منشن ، وكتاب النواميس وغيرها

– ولابنه اسحق بن حنين كتاب فى منطق ارسطو

– وليعقوب بن اسحق الكندى فيلسوف العرب بقايا من مؤلفاته سيأتى ذكرها فى ترجمته فى الدور العباسى الثانى

***

وسنأتى على مشاهير النابغين فى العلوم الدخيلة فيما يلى من هذا الكتاب ولاسيما الذين اشتغلوا بغيرها . وانما اجملنا الكلام هنا وتجاوزنا فى اجماله العصر العباسى الاول رغبة فى الاختصار ، للسبب الذى قدمناه من تركيز العناية فيما نرجو نفعه للقراء فعلا . ولنعد الى الكلام فى العلوم العربية الاصلية

العلوم العربية الأصلية

فى العصر العباسى الاول

١ ــ اللغة

أصاب اللغة فى هذا الدور تغيير كثير فى الفاظها بما نقل اليها من العلوم الدخيلة ، وما اقتضاه التمدن من الالفاظ الادارية ، وما استلزمه التوسع فى العلوم الاسلامية وغيرها من الاوضاع والمصطلحات العلميـة والفلسفية والادارية لتأدية ما حدث من المعانى الجديدة مما لم يكن له مثيل فى لسان العرب ، كما هو شأننا اليوم فى نقل العلم الحديث الى لساننا . وكانوا يومئذ أحوج الى اقتباس الالفاظ الاعجمية وتنويع المعانى العربية . ولم تقتصر تلك النهضة على اقتباس الالفاظ الاعجمية وتبـديلها ، ولكنها أحدثت تنويعا فى معانى الالفاظ العربية واليك أمثلة من ذلك :

الالفاظ العلمية العربية

أهمها الالفـاظ الطبيـة ، ولم يكن منها فى الجاهلية الا مفردات كالحجامة والكى ونحوها .. فحدث منهـا ما يدل على فنون الطب : كالكحالة ، والصيدلة ، والتشريح ، والجراحة ، والتوليد . ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن : كأسماء الرطوبات ، والامزجة ، والاخلاط من الحار والبارد والجاف واليابس والسوداء والصفراء والبلغم والنبض والتخمة والهضم والبحران والمشاركات

وأسماء الادوية : كالمسخنات ، والمبردات ، والمرطبات ، والمجففات ، والمسهلات ، والنطولات ، والمخدرات ، والاستفراغات ، والسعوطات ، والادهان ، والمراهم ، والاطلية .

وافعال تلك الادوية مثـل : ملطف ، ومحلل ، ومنضج ، ومخشن وهاضم ، وكاسر الرياح ، ومخمر ، ومحكك ، ومقرح ، واكال ، ولاذع ، ومفتت ، ومعفن ، وكاو ، ومبرد ، ومقو ، ومخدر ، ومرطب ، وعاصر ، وقابض ، ومسهل ، ومدر ، ومعرق ، ومزلق ، ومملس ، وترياق ، وغير ذلك

ومن الالفاظ الجراحيـة : الفسخ ، والهتك ، والوثى ، والرض ، والخلع ، والفتق ، وتفرق الاتصال ، ومفارقة الوضع ، والجبار وغيره

ناهيك بأسماء الامراض أو أعراضـها : كالصـداع ، والـكابوس ، والصرع ، والتشنج ، واللقوة ، والرعشة ، والاختلاج ، والسرطان ، والسلاق ، والبشترة ، والشرناق ، والحـانوق ، والذبحة ، والربو ، وذات الجنب ، وذات الرئة ، والجهر، والضمور، والخفقان ، والفشيان ، واليرقان ، والاستسقاء ، والدبيلة ، والاسهال ، والزحير ، والسحج ، والسدد ، والهيضة ، والبواسير ، ونحو ذلك مما لا يمكن حصره

ومن اوصـاف الامراض انواع الحميـات : كالمزمنـة ، والحادة ، والمختلطة ، والغب ، والمطبقة ، والربع ، والدق ، وغيرها.. غير الالفاظ التشريحية : كأسماء الاوعوية الدموية ، ورطوبات العين ، وسائر الاعضاء الباطنية التى لم يكن العرب يعرفونها

ويليها الالفاظ الفلسفية ونحوها من مصطلحات الفلسفة والمنطق وماتفرع منها كعلم الـكلام والتصوف والفقه ونحوه . وهى كثيرة تفوق الحصر كقولهم : الـكون ، والوجود ، والقدم ، والحدوث ، والاثبات ، والنفى ، والحركة ، والسكون، والمماسة ، والمباينة ، والوجود، والعدم ، والطفرة ، والاجسام ، والاعراض ، والتعديل ، من اصطلاحات علم الكلام. والهاجس ، والمريد ، والسالك ، والمسافر ، والشطح ، والقطب ، والهيبة ، والانس ، والبقاء ، والعناء ، والشاهد، والفترة ، والمجاهدة ، من اصطلاحات التصوف

وقد تكاثرت الاصطلاحات الـكلامية والصوفية والفقهية والاصولية حتى صارت تعد بالالوف ، فاضطروا الى وضع المعجمات الخاصة لتفسيرها وشرح ما اكتسبته من المعانى المختلفة باختلاف تلك العلوم . ومن أشهر تلك المعجمـات كتاب « التعريفـات » للجرجانى فى نيف ومائة صفحة و « كشاف اصـطلاحات الفنون » للتهانوى فى نحو ألفى صفحة كبيرة و « كليات أبى البقاء » فى اربعمائة صفحة و « اصطلاحات الصوفية » الواردة فى الفتوحات المكية وغيرها . فاذا ذكروا لفظا أوردوا معنـاه اللغوى ، ثم معناه الاصطلاحى فى الفقـه أو الـكلام أو التصـوف أو الاصول مع ما يناسب ذلك من المعانى الرياضية أو الطبيعية أو النحوية . وقد يغفلون المعنى اللغوى على الاطلاق

الالفاظ العلمية الاعجمية

ونريد بها ما اضطر المترجمون الى نقله من لغته بلفظه ومعناه . وأكثر ما يكون ذلك فى أسماء العقاقير والامراض والادوات والمصنوعات مما لم يكن له نظـير فى بلادهم : كالافسـنتين ، والبقـدونس ، والزيزفون ، والسقمونيا ، والقنطاريون ، والمصطكى ، من اللغة اليونانية.. والبابونج ، والبورق ، والبنج ، وخيار شمبر ، والزاتينج ، والزرجون ، والزرنيخ ، والزاج ، والسرقين ، والاسـفيداج ، والشـاهترج ، والشـيرج ، والمرداسنج ، من اللغة الفارسية

ومن أسماء الامراض ونحوها من الاسـتعمالات الطبيـة : القولنج ،

والترياق ، والـكيموس ، والـكيلوس ، وقيفال ، ولومان ، وملنخوليا ، من اليونانية .. وسرسام ، ومارستان ، من الفارسية

ومن المصـــنوعات والادوات : الاصـــطرلاب ، والقيراط ، والانبيق ، والصـــابون ، من اليونانيـــة .. والبركار ، والبوتقـــة ، والجنزار ، والدسكرة ، والاسطوانة ، من الفارسية

ومن الاصـــطلاحات الفلسفيـــة ونحوها : الهيولى ، والاســـطقس ، والفلسـفة ، والطلسم ، والمغنطيس ، والقاموس ، والقانون ، من اليونانية .. غير ما اقتبسوه من اللغة الهندية ، وأكثره من أسماء العقاقير ونحوها

فترى مما تقدم ان أهل تلك النهضة لم يكونوا يستنكفون من اقتباس الالفاظ الاعجمية ولم يتعبوا انفسهم فى وضع الفاظ عربية لتأدية المعانى التى نقلوها عن الاعاجم ، بل كانوا كثيرا ما يستخدمون للمعنى الواحـــد لفظين من لغتين اعجميـــتين . فالسرسام مثلا اسم فارسى لورم حجاب الدماغ استعمله العرب للدلالة على هذا المرض ، ولما ترجموا الطب من لغة اليونان استخدموا اسمه اليونانى وهو « قرانيطس » . ولو استنكفوا من استخدام الالفاظ الاعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعا

التراكيب الاعجمية فى اللغة العربية

قياسا على ما نشاهده من تطرق العجمة الى اسلوب كتبة أهل هـــذا العصر فيما ينقلونه من الافكار الاعجمية ، نعتقد ان اسلافنا فى النهضة العباسية دخل اسلوبهم شىء من ذلك .. وان كنا لا نستطيع تتبعه الى اصوله تماما لتباعد عهده واختلاطه . على اننا اذا فحصنا لغة ذلك العصر

وقابلنـــا بين عبارة كتب الطب والفلسـفة وعبارة كتب الادب رأينا الفرق بينهما واضحا . واذا دققنا النظر فى سبب ذلك ، رأينا عبارة أصحاب الفلسـفة تمتاز بأمور هى سبب ضعفها وركاكتها أهمها :

(١) استخدام فعل الكون بكثرة على نحومايستعمله أهل اللغات الافرنجية

(٢) كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم

(٣) الاكثار من استعمال الفعل المجهول

(٤) استعمال ضمير الغائب « هو » بين المبتدأ والخبر حيث يمكن الاستغناء عنه

(٥) ادخال الالف والنون قبل ياء المتكلم فى بعض الصـــفات كقولهم : روحانى ونفسانى ونحو ذلك ، مما هو مألوف فى اللغات الآرية ولا يستحسن فى اللسان العربى

ومن التعبيرات التى اقتبسها العرب من اللغة اليونانية مما لم يكن لهم مندوحة عنها ولا بأس بها :

(١) تركيب الالفاظ مع لا النافية وادخال ال التعريف عليها كقولهم : اللانهاية ، واللا أدرية ، واللا ضرورة
(٢) صوغ الاسم من الحروف أو الضمير مثل قولهم : الكيفية ، والكمية ، والهوية ، والماهية
(٣) نقل الالفاظ الوصفية الى الاسمية كقولهم : المائية ، والمنضجة ، والخاصة

ومن هذا القبيل اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل قولهم : « صاحب الشرطة » و « صاحب الستار » وهو تعبير فارسى . غير ما أصاب اللغة من التغيير فى الفاظها على الاجمال على اثر نموها وبما طرأ على الآداب الاجتماعية من التغيير فضلا عن التجارة والصناعة ، وما اقتضاه ذلك من تنوع الالفاظ العربية أو اقتباس الألفاظ الاعجمية ، غير العادات والاخلاق ونحوها ، وغير ما اقتضاه ناموس الارتقاء من النمو والتجدد والتنوع والتفرع . وقد عقدنا فصلا ضافيا فى هذا الباب فى كتابنا تاريخ اللغة العربية تجاوزنا فيه هذا الدور الى ما يليه من الادوار العباسية ، وفصلا فى الالفاظ النصرانية واليهودية والتراكيب السريانية والعبرانية التى دخلت هذه اللغة فى أثناء التمدن الاسلامى (*)

مراجع هذا الموضوع

ومن الكتب التى يمكن الرجوع اليها فى هذا الموضوع غير كتاب تاريخ اللغة العربية المتقدم ذكره « كتاب التعريفات » للجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ هـ ويشتمل على المصطلحات الفقهية والنحوية وغيرها مرتبة على حروف المعجم ، وهو مطبوع فى باريس سنة ١٨٤٥ وفى مصر . و « درة الغواص » للحريرى طبع فى مصر وغيرها . و « شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ وطبع بمصر سنة ١٢٨٢ . و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوى سنة ١١٥٨ هـ طبع فى كلكتة سنة ١٨٦١ . و « المعرب من الكلام الاعجمى » لأبى منصور الجواليقى المتوفى سنة ٥٣٩ هـ طبع فى ليبسك سنة ١٨٦٧ . وكتاب « المعرب والدخيل » لأحد أبناء القرن الحادى عشر للهجرة ، منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية . و « المغرب فى ترتيب المعرب » لأبى الفتح المطرزى منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية . غير المعاجم اللغوية وكتب اللغة

(*) انظر فى ذلك ايضا كتاب « التطور النحوى للغة العربية » لبرجشتراسر « طبعة سنة ١٩٢٩ » ص ١٤٢ وما بعدها

الشعر

فى العصر العباسى الاول

الانتقال الاجتماعى

انتقل الشعر فى الدولة العباسية انتقالا كبيرا مثل انتقال الأمة العربية من البداوة الى الحضارة ، ومن شظف العيش الى الرخاء ، ومن الملابس الخشنة الى الناعمة .. فتحضر كثيرون من الشعراء وشاركوا أهل الحضارة بأخلاقهم وشعورهم . وبعد أن كانوا يقيمون فى المضارب لا تقع عين احدهم الا على صحراء قاحلة تسفى الرياح رمالها يبيت فيها حذرا خائفا من غارات الاعداء ودبابات الصحراء .. لاعشير له الا جواده أوناقته ، أصبح وقد ركن الى الرخاء يقيم فى القصور تكتنفها الحدائق .. فيها من كل فاكهة زوجان ، تجرى فيها المياه مدبرة فى الاحواض والاقنية ، تحف بها الازهار بأزهى الالوان وتسرح فى اكنافها الاطيار الداجنة من جميل الريش ورخيم الصوت . وبعد أن كان يرتدى العباءة من شعر الجمل وينتعل الحفاء أو يحتذى النعال من الخوص أو الحبال ، لبس الحرير والوشى وانتعل الخف والجورب ولبس الحرير ، واستبدل المضارب ، وفرشها الرمال ، بقاعات فرشها البسط والسجاد وعلى جدرانها الستائر من الخز والديباج بمسامير الفضة عليها طراز الذهب . وقد ضعفت انفة البداوة وحل عقال الحشمة ، وترك الناس وشأنهم ينغمسون فيما يشاءون وقد تدفقت عليهم الاموال بلا حساب وتكاثر الذهب بين أيديهم ، فانتشر التهتك وذهبت الغيرة بشيوع التسرى وانتشار المسكر . وللشعراء الحظ الاوفر من ذلك لترددهم على مجالس الغناء واختلافهم الى الخلفاء والوزراء والامراء من أهل البذخ والترف والرخاء ، فانطبعت فى مخيلاتهم صور لم يألفها أهل البادية

فلا غرو اذا اختلف الشعر فى هذا العصر عما كان عليه فى الدولة الاموية لرغبة الامويين فى البداوة والاخذ بناصر العرب والازراء على سواهم ، فكان أكثر شعرائهم من أهل البادية يفدون عليهم من البصرة والكوفة أو الحجاز أو نجد ويندر فيهم المتحضرون . أما الدولة العباسية فأصحابها كانوا يرمون الى غرض يخالف ذلك .. كان العباسيون يرون تقديم غير العرب

ويودون التخلص من العرب والاستغناء عن جزيرة العرب (*)

فاختلاف طبائع الناس فى الدولة العباسية عما كانوا عليه فى العصر الاموى طبيعى ، وفى جملتهم الشعراء . واليك أهم مميزات الشعر والشعراء فى العصر العباسى الاول

مميزات الشعر

فى العصر العباسى الاول

يختلف الشعر العربى فى هذا العصر عنه فى العصر الاموى مثل اختلاف العصرين فى الاحوال السياسية والاجتماعية والادبية لأن الشعر مرآة أخلاق الأمة وآدابها وسائر أحوالها ، وخصائص الشعر فى هذا العصر ترجع الى ما يأتى :

١ ـ طريقة النظم (**)

يشتمل الشعر على الخيال الشعرى وهو المعنى ، وعلى القالب الذى يسبك فيه ذلك المعنى وهو الكلام المقفى الموزون أو النظم . وأهم ما يلاحظ فى النظم ثلاثة أمور :

(١) طريقته وهى الخطة التى يجرى عليها الشعراء فى تنسيق المعانى

(٢) الاسلوب وهو العبارة التى يختارونها للتعبير

(٣) اللفظ

ومن القواعد الاساسية فى تاريخ الشعر ان يتبع فى اسلوبه ولفظه وطريقته حال الأمة التى تقوله ، فيتنوع شعرها بتنوع نظام اجتماعها وسائر احوالها . ولكن العرب ظلوا الى عهد غير بعيد يقلدون طريقة الجاهليين فيما ينظمونه ، فيستهلون قصائدهم بذكر الرحيل والاطلال

(*) هذه مبالغة ، فقد كان العباسيون فى القرن الثانى للهجرة يستعينون بالعرب كما كانوا يستعينون بالفرس ، ومن وزرائهم المشهورين الفضل بن الربيع وهو عربى الاصل ومثله ابن ابى دؤاد . حقا انهم استعانوا بالفرس استعانة واسعة ، ولكن لا الى حد الاستغناء عن العرب وجزيرة العرب ، فقد كانوا عربا هاشميين ، وكانوا يعدون ذلك من اكبر مناقبهم ، واذا رجعنا الى قوادهم وولاتهم وجدنا كثيرين منهم عربا خلصا . فالعرب كانوا ممثلين فى الجيش والدولة طوال العصر العباسى الاول ، كما كانوا ايضا ممثلين فى الشعر والادب والحياة العقلية . وكل مايمكن أن يقال فى هذا الصدد ان كفة الفرس لعوامل سياسية كانت ترجح كفة العرب ، ومع ذلك كانوا اذا أوغلوا فى تعصبهم عليهم تخلص منهم الخلفاء على نحو ماتخلص المنصور من ابى مسلم الخراسانى والرشيد من البرامكة

(**) لم يتعرض المؤلف هنا لما طرأ على اوزان الشعر العربى فى العصر العباسى الاول من تجديدات ، ومن المعروف ان العباسيين استحدثوا فى هذا العصر بعض اوزان جديدة مثل المقتضب والمضارع والمتدارك . وجددوا فى القافية فاستحدثوا النوعين المعروفين باسم المزدوج والمسمط ، ويتالف الاول من شطرين على قافيه ثم من شطرين اخرين وهكذا ، ويتالف الثانى من بيت مصرع تليه أربعة أقسمة اخرى على غير قافيته ، والمظنون ان المواليا وهى من فنون الشعر الشعبى بدأت فى هذا العصر ، وراجع فى ذلك الفصل الثانى من كتابنا « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى »

والابل وغيرها من خصائص الجاهلية.. حتى الالفاظ فانهم كثيرا مايقلدونهم فيها ، وفيها الوحشى الذى لايلائم المدنية لأن وحشى الكلام لوحشى الناس

والسبب فى تمسكهم بالقديم رسوخ الاعتقاد بأفضلية آداب الجاهلية وشعراء الجاهلية ، اذ كان اليها مرجعهم فى صدر الاسلام لتحقيق الالفاظ والتراكيب . ثم عظم الامويون مناقب الجاهلية وطباع البداوة لرغبتهم فى تأييد العرب ودولة العرب ، فرسخ فى اذهان الناس ان مناقب الجاهلية افضل ما يتبع . فلما تغلب العباسيون بأنصارهم الفرس وغلب العرب على أمرهم وعلت كلمة الفرس ، أخذ ذلك الاعتقاد فى الزوال

اما من حيث الاسلوب ، فان الشعر الجاهلى عريق فى البلاغة مع سلامته من الركاكة والعجمة . واما الخيال الشعرى فيرى بعض العلماء ان العقل البشرى سائر نحو الارتقاء فى كل سبيل الا من حيث الخيال الشعرى فانه لايزال فى مكانه .. هذا هوميروس لايزال نابغة الشعراء وقد مر عليه نحو ٣٠٠٠ سنة والناس يتقدمون فى كل شىء

وانظر الى امرىء القيس والنابغة وزهير وغيرهم من الجاهليين ، فانهم لايزالون يعدون من نوابغ الشعراء الى الآن . على ان للشعر العربى شأناً خاصا من حيث الاسلوب ، فان كلام الاسلاميين يعد على العموم أعلى طبقة من كلام الجاهليين فى منثورهم ومنظومهم .. نعنى الشعراء والخطباء والمترسلين فى صدر الاسلام الى أوائل الدولة العباسية (١) ، فضلا عن تأثير الاحوال الاجتماعية على الخيال الشعرى ولا سيما فى الانتقال من البداوة الى الحضارة ، ومجارى الطبيعة كالقضاء المبرم لايدفعها دافع . لكن تعظيم الامويين للعرب جعل الجاهليين مثالا يقتدى بهم فى الشعر .. فكان الادباء يتحاشون نقد ذلك الاعتقاد فى الدولة الاموية . ومع ارتقاء الاسلوب واتساع الخيال ظلوا يقلدون طريقة الجاهليين فى النظم

فلما انتقل الامر الى بنى العباس ، هان عليهم الانتقاد وأخذوا يفكرون فى تقبيح تلك الطريقة . وأول من تجرأ على نقدها من الادباء ابن قتيبة فى أواسط القرن الثالث للهجرة فى كتابه الشعر والشعراء (٢) ، وسنعود الى ذلك فى تاريخ نقد الشعر

على ان الشعراء تنبهوا الى هذا الامر فى صدر الدولة العباسية ، فأخذوا فى انتقاد طريقة الجاهليين ، ولم يجدوا من يأخذ بناصرهم لغلبة التقليد على طباعهم .. لكنهم حاولوا الخروج من تلك القيود على الاقل من العصر العباسى الاول ، عصر حرية القول . وأصبح حديث الشعراء فى مجلسهم انتقاد تلك الطريقة ، وأقدم ما بلغنا من هذا القبيل اجتماع مطيع ابن اياس بفتى من أهل الكوفة ففاوضه فى ذلك ، فقال :

لأحسنُ من بيدٍ يحارُ بها القَطَا ومن جبلى طيءٍ ووصفكما سَلْعا
تلاحظُ عينىْ عاشقين كلاهما له مقلةٌ فى وجه صاحبه تَرْعَى(٣)

---

(١) ابن خلدون ٥٠٨ ج ١ (٢) الشعر والشعراء ٥ (٣) الاغانى ١٠٣ ج ١٢

وكان ذلك لسان حال اكثر الشعراء وان لم ينظموه . وممن جاهر به منهم أبونواس ومن أقواله التى يستدل بها على انكاره طريقة القدماء قوله :

لا تَبْكِ ليلى ولا تطربْ إلى هِنْدِ
واشربْ على الورد من حمراءَ كالوَرْدِ

ومن هذا القبيل قوله :

صفةُ الطلول بلاغةُ القَدْمِ فاجعل صفاتك لابنة الكَرْمِ (١)

ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخمر ، واخذ عليه المواثيق الا يذكرها فى شعره ، وكأنه كلفه الرجوع عنها الى النظم على طريقة الجاهليين ، قال :

أعِرْ شعركَ الأطلالَ والمنزل القَفْرا
فقد طالما أزْرَى به نَعْتُكَ الخمرا
دعانى إلى نعت الطلول مسلَّطٌ
تضيق ذراعى أن أردَّ له أمرا
فسمعاً أمير المؤمنين وطاعةً
وإن كنتَ قد جشَّمتنى مركباً وعْرا

فجاهر بأن وصفه الاطلال والقفر انما هو من خشية الامام ، والا فهو عنده فراغ وجهل . واقتدى به أبو العتاهية ومن جاء بعده ، ولكن بين الشعراء من يقلد الجاهليين حتى الآن

واثر فى اسلوب الشعر ومعناه فى هذا العصر ما نقل الى العربية أوحفظ فيها من آداب الفرس واخبارهم ، فاكتسب الشعر العربى خيالا لطيفا وزادت فيه معان جديدة ، على نحو ماكان من تأثير آداب اليونان القدماء فى أخلاق الرومان . ويشبه ذلك تأثير التمدن الحديث فى آدابنا ومجارى افكارنا

٢ ــ المعانى الجديدة باتساع الخيال

كان الاعتقاد فى شعراء الجاهلية انهم لم يتركوا معنى من معانى الشعر لم يطرقوه . والواقع انهم طرقوا أكثر المعانى التى تخطر لابن البادية ، ولكن الحضارة لها معان خاصة ، أو هى توسع الخيال وتفتق القرائح لانتشار الناس فى الارض . فاذا تأملت ما فى اشعار الصدر الاول الاسلامى من الزيادات على معانى القدماء والمخضرمين ، ثم ما فى طبقة جرير والفرزدق واصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة التى لا يقع مثلها للقدماء الا نادرا ، ثم قرأت بشار بن برد وابا نواس واصحابه لترى ما زادوه من المعانى وما زاده الذين جاءوا بعدهم .. علمت ان الشعر سار على

(١) العمدة ١٥٥ ج ١

سنة الارتقاء مثل سائر أحوال الحياة . ومن امثلة المعانى التى حدثت فى العصر العباسى الاول قول بشار بن برد الاعجمي :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا (١)
قالوا بمن لاترى تهذى فقلت لهم الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

وقول أبى نواس :

فكأنى وما أزين منها قعدى يزين التحكيما
كل عن حمله السلاح إلى الحر ب فأوصى المطيق ألا يقيما

والقعدة فرقة من الخوارج الذين كانوا يرون تكفير على لقبوله التحكيم ، وقوله أيضا :

بنت على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتها بنجوم
فلو رد فى كسرى بن ساسان روحه إذا لاصطفانى دون كل نديم

وقال ايضا فى صفة النساء الخمارات ويروى لابن المعتز :

وتحت زنانير شددن عقودها
زنانير أعكان معاقدها السرر (*)

فهذا تشبيه لم يسبق اليه ، وقال ايضا :

لست أدرى أطال ليلى أم لا كيف يدرى بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعى النجوم كنت مخلا

ومما زاد من المعانى فى هذا العصر قول أبى تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ماكان يعرف طيب عرف العود

وقوله :

بنى مالك قد نبهت خامل الثرى قبور لكم مستشرفات المعالم
غوامض قيد الكف من متناول وفيها علا لا يرتقى بالسلالم

غير ما أخذوه من المعانى القديمة أو توسعوا فيه ، ولاسيما النسيب والغزل .

---

(١) العمدة ١٨٨ ج ٢
(*) أعكان : طيات

٣ ـ المعانى الجديدة بالاقتباس

تلك معان شعرية اقتضاها توسع الخيال بالحضارة . وهناك معان حدثت بدخول العلوم القديمة الى اللغة العربية ، فاستعار الخطباء والكتاب والشعراء تعابير فلسفية فيها الفاظ علمية قد تقدم ذكر أمثلة منها كالتناهي والتوليد والتجزء والمعاد . ومنها قول أبى نواس :

وذات خد مورّد ... قوهيّة المتجرّد (*)
تأمّلُ العينُ منها ... محاسناً ليس تَنْفَدْ
فبعضها قد تناهى ... وبعضها يتولّدْ
والحسنُ فى كل عضو ... منها مُعادٌ مردّد

وقوله :

يا عاقد القلب منى ... هلا تذكرت حلاّ
تركت قلبى قليلاً ... من القليل أقلاّ
يكاد لا يتجزّا ... أقل فى اللفظ من لا (١)

واستعار آخرون معاني من أخبار اليونان كاقتباس ابى العتاهية ما قاله بعض حكماء اليونان فى تأبين الاسكندر ونظمه فى رثاء ابن له ، وهو :

كفى حزناً بدفنك ثم إنى ... نفضت تُرابَ قبرك من يديا
وكانت فى حياتك لى عظاتٌ ... فأنت اليوم أوعظُ منك حيّا

ومن المعانى التى دخلت الشعر فى هذا العصر اقوال بعض الأئمة ورجال الافكار، اقتبسها الشعراء ، ونظموها كما نظم بشار الحكمة القائلة : « انظر الى ما ينفعك ودع كلام الناس ، اذ لا سبيل الى النجاة من كلام الناس » فقال :

من راقب الناسَ لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتكُ اللّهِجُ

وحضارة العباسيين أكثر عمالها من الفرس ، فدخل اللغة طائفة من المعانى الفارسية فضلا عن الالفاظ .. حتى لقد يقتبس الشعراء عبارات فارسية يدخلونها فى أشعارهم كقول العمانى من قصيدة مدح بها الرشيد: (**)

مَنْ يَلْقَهَ من بطلٍ مُسْرَنْدى ... فى زَعْفَةٍ محكمةٍ بالسَّرْدِ
تجول بين رأسه والكَرْدِ

(*) قوهية المتجرد : بيضاء الجسد
(١) البيان والتبيين ٦١ ج ١
(**) الغريب فى أبيات العمانى : المسرندى: الغالب ، الزعفة : الورع ، السرد : سمر الزرد ، الهزبر الورد : الاسد القوى ، آب سرد : ماء بارد

والكرد العنق . وقوله :

لما هوى بين غياض الأسد وصار فى كف الهزبر الورد

آلى يذوق الدهر آب سرد

واقتبسوا أيضا ألفاظا سريانية من لغة نبط العراق ، كقول ابراهيم الموصلى المغنى فى وصف خمار نبطى .. وكأنه ينقل كلامه بلفظه اذ يقول :

فقال « أزل بشينا » حين ودعنى

وقد لعمرك زلنا عنه بالشين (*)

ومن المعانى الجديدة وصف ما استحدث من ثمار تلك المدنية من أسماء الآنية والابنية والقصور والرياش وسائر أسباب الحضارة ، ولا سيما الغلمان والخمر كما سيجىء

٤ ـ المبالغة فى المدح

لم يخل الشعر من المدح فى عصر من العصور ، لكنه كان فى الجاهلية اقرب الى الواقع وابعد عن المبالغة ، ثم أخذ يزداد مبالغة بازدياد الحضارة والركون الى الرخاء واضطرار الشعراء الى التزلف والتملق ، ولاسيما بعد الاختلاط بالفرس . فبعد أن كان زهير بن أبى سلمى يقول فى مدح كريم حازم :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله

صار منصور النمرى يقول فى الرشيد :

إنّ المكارمَ والمعروف أودية أحلّك الله منها حيث تجتمع

إذا رفعت امرأً فالله رافعه ومن وضعتَ من الأقوام متّضعُ

من لم يكن بأمين الله معتصما فليس بالصلوات الخمس ينتفع

إن أخلف الغيث لم تخلف أنامله أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

وقول رجل من ولد زهير بن أبى سلمى فى مدحه : « فكأنه بعد الرسول رسول »

وقول العكوك فى مدح أبى دلف :

أنت الذى تنزل الأيامَ منزلها وتنقل الدهر من حالٍ إلى حال

وما مددتَ مدى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قضيتَ بأرزاقٍ وآجال

(*) ازل بشين : كلمة سريانية معناها امض بسلام

على أن المبالغة زادت بعد هذا العصر من كل وجه بزيادة اسباب الزلفى والانغماس فى الرخاء كما ستراه.

٥ ـ وصف الخمر والغلمان

ذكرنا من مميزات الشعر فى العصر الاموى أن الشعراء وصفوا الخمر على اثر انغماسهم فى المسكر والقصف. ولكن وصفها لم يكثر الا فى العصر العباسى الاول الذى نحن بصدده . واشهر من نظم فى وصفها من شعرائه أبونواس ، فان له فى ذلك بضعة آلاف بيت فى مئات من القصائد والمقاطيع تجدها فى ديوانه . ولذلك عدوا ابا نواس امام الوصافين للخمر

اما الغلمان فقد تقدمت الاشارة الى تعشقهم فى هذا العصر ، ولم يبق شاعر من شعرائه المقيمين فى بغداد لم يشتهر بغلام يعشقه ويتغزل به . وأقدم من فعل ذلك منهم حماد عجرد ثم حسين بن الضحاك ، واقتدى به أبو نواس ، وكان معاصرا له ، كما اقتدى به فى وصف الخمر لـكنه فاقه فى كليهما . وقد زادهما تمكنا من هذه الرذيلة تقربهما من محمد الامين ، وهو كثير الاقتناء للغلمان فكانوا فتنة لشعرائه . ولحسين المذكور أقوال كثيرة فى وصف الغلمان نشرها صاحب الاغانى فى ترجمته (١٧٠ ج ٦)

اما أبو نواس ففى ديوانه باب خاص بوصف الغلمان يسمونه « غزل المذكر » فيه نحو الف بيت اكتفينا بالاشارة اليها تنزيها للقـــارىء عن مطالعتها . وقد اغضينا لذلك عن حوادث كثيرة تتعلق بغزل المذكر وتدل على ما بلغ اليه القوم من المجون . وسيد هـــذه الرذائل المسكر ، وعلة انتشاره تساهل بعض الفقهاء بتحليل شرب النبيذ لأنه غير الخمر الوارد النهى عنها . لـكنه قد يسكر أو يتحول اذا طال مكثه الى خمر مسكرة . كما يحللون بعض الالعاب اليوم لأنها غير مبنية على المصادفة فقط فلا تعد من ألعاب القمار . ولكنهم قد يقامرون بها أو هى تجرهم الى المقامرة الفاحشة . واصبح التغزل بالغلمان بعد هذا العصر بابا من أبواب الشعر

٦ ـ الشعر المجونى

ان استـــبحار عمران الدولة بعث كبراءها على الاستكثار من اسباب اللهو ، ولاسيما الخمور والجوارى والغلمان مع ميلهم الى سماع الأدب والشعر .. فتولدت طبقـــة من الشعراء اكثروا من المجون فى منظومهم وعرفوا بالشعراء المجان وامامهم أبو نواس . وقد تهتكوا فى مجونهم وتفننوا فيه وهم يمثلون الآداب الاجتماعية فى تلك الطبقة من النـــاس فى ذلك العصر ، والشعراء عنوان آداب الأمة أو مثال يدل عليها

٧ ـ وصف الرياض والازهار

توسعوا فى هـــذا العصر فى وصف الرياض والازهار .. ومن وصـــافها أبو نواس ، كقوله :

يومٌ تقاصر واستتبَّ نعيمُه في ظلِّ ملتفِّ الحدائق أخضرا
وإذا الرياحُ تنسَّمت في روضةٍ نثرتْ به مسكاً عليك وعنبرا

ولم يخل الشعر الجاهلى والأموى من وصفها ، ولاسيما فى أقوال الشعراء الذين خالطوا الحضارة ورأوا بساتين الحيرة أو غوطة الشام أو غيرهما من مدن العراق أو الشام كأعشى بكر القائل :

ماروضةٌ من رياض الحَزْن مُعْشِبةٌ
خضراءُ جاد عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ
يضاحك الشمسَ فيها كوكبٌ شَرِقٌ
مُؤَزَّرٌ بعتميم النبت مكتهلُ
يوماً بأطيبَ منها نشرَ رائحةٍ
ولا بأحسن منها إذ دَنَا الأُصُلُ

على ان أهل هذا العصر فاقوهم فيه كأبى نواس وأبى تمام ، وفاقهما فيه أهل العصور التالية

الشعراء

فى العصر العباسى الاول

رأيت فى الكلام على شعراء الجاهلية انهم كانوا ينظمون لقبائلهم أو لأنفسهم فخرا أو حماسة وقل فيهم المتكسبون بالشعر ، ثم تبين لك ان شعراء بنى أمية كان القصد الرئيسى من تقديمهم عند الخلفاء الاستنصار بالسنتهم على أعدائهم لتعويل تلك الدولة على العصبيات بين القبائل . ثم قامت الدولة العباسية ونصراؤها خراسانيون فكانت فى غنى عن تلك السياسة ، فلما استقرت أصولها أصبح تقريب الشعراء أكثره للتلذذ بالادب أو سماع المدح والاطراء . ويندر للخليفة أو الامير أن يقدم شاعرا لعصبية (*) أو يستنصره على عدو . فأصبح الشاعر بتوالى الاعوام كالنديم يجالس الخليفة أو الامير فى مجالس الأنس أو الادب تبعا لحال ذلك الخليفة أو الامير من حب العلم أو الخلاعة أو غيرها

١ ــ الاستجداء

وأصبح الشعراء فى هذا العصر يفدون على بغداد ، كرسى العباسيين ، من الحجاز ونجد واليمامة ومن البصرة والكوفة والشام وغيرها فى أوقات معينة أو غير معينة ، كما كانوا يفدون على دمشق ، كرسى الامويين ، وأكثرهم من أهل البادية . وكان الامويون يفضلون بقاءهم على البداوة ، فلا يرغبونهم فى الاقامة عندهم . أما العباسيون فكانوا اذا وفد الشاعر على أحدهم وأعجبه شعره استبقاه فى حاشيته . . فأصبح اكثر الشعراء يقيمون فى بغداد ، وظل بعضهم يقيمون فى بلادهم وانما يفدون فى المواسم أو غيرها فينالون الجوائز وينصرفون . . فكثر الشعراء المتحضرون وصار لهم مذهب فى الشعر يختلف من مذهب أهل البادية (١) وهم ينقطعون لمنادمة الخلفاء أوالامير أوالوزير أو الوجيه يمدحونه أو ينادمونه . وأكثرهم يختصون بمنادمة الخليفة أوالوزراء

(*) يفهم من كلام المؤلف أن العصبية زالت أو كادت فى العصر العباسى ، وهو مبالغ فى هذا الحكم ، فأما من جهة العصبية القبلية فقد بقيت لها ظلال كثيرة نجدها عند أمثال دعبل الخزاعى ممن كانوا ينتصرون لليمانية على المضرية ، واما من جهة العصبية السياسية فقد فتح العباسيون فيها بابا جديدا ، هو الانتصار لهم ضد العلويين ، ومن شعرائهم المشهورين فى هذا الباب مروان بن أبى حفصة ومنصور النمرى ، وكان للعلويين انصارهم مثل دعبل والسيد الحميرى وابن الرومى . وبجانب ذلك فتح باب الشعوبية على مصراعيه ، فكان الموالى مثل بشار وابى نواس يفتخرون بأجناسهم ، فرس وغير فرس ، على العرب

(١) الاغانى ٣٥ ج ٢٠

ولاسيما البرامكة. وفيهم من انقطع لمنادمة الامراء من بنى هاشم كابراهيم ابن المهدى ومحمد بن سليمان ، أو بعض رجال الدولة كأبى دلف وابن طاهر

فلم يكن ينبغ شاعر من قبيلة أو بلد الا وفد على الخلفاء أو غيرهم بقصيدة مدح ، يلتمس العطاء . ويندر فيهم من ينظم الشعر ولا يلتمس به جائزة أو كسبا . فاذا تحضر صار نديما أو كالنديم . فقل الشعراء الفرسان وأصحاب السيادة وكانوا كثيرين فى العصر الجاهلى ، ولم يبق منهم فى العصر الاموى الا القليلون ، وهم فى هذا العصر أقل كثيرا

٢ ـ التهتك والخلاعة

ومع رغبة الخلفاء والامراء والوزراء فى الادب والعلم ، فانهم سايروا الحضارة فكانوا يعقدون مجالس الانس والشراب يحضرها الشعراء والمغنون .. فكثر فى شعرائهم أهل الخلاعة والمجون والتهتك ، ولم يكن من هؤلاء فى العصر الاموى الا القليل ، وأقل منهم من كان فى العصر الجاهلى . ومن أقبح أسباب التهتك فى ذلك العصر تسرى الغلمان كما تقدم . ونظرا لكثرة تردد الشعراء على مجالس الانس والطرب أصبحت تلك العادة اكثر شيوعا فيهم من سائر الطبقات ، فلم يخل من هذه الفاحشة منهم غير الذين ظلوا على بداوتهم بعيدين عن مفاسد المدنية

أما المتهتكون فبلغ من مجونهم أن يشترك بضعة رجال منهم فى عشق غلام (١) وقد يتوسط الشاعر فى المصالحة بين عاشقين لاصلاح ذات البين . ويفعلون أقبح من ذلك مما يخجل القلم من ذكره (٢) غير مجالسهم فى أماكن اللهو على موائد الشرب التى يخالطها تهتك وخلاعة ، كما كانوا يفعلون فى منزل اسماعيل القراطيسى الكوفى ، وكان يجتمع عنده أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وحسين الخليع يتذاكرون الشعر وينظمون

واذا اعملت الفكرة فيما لحق بعض الخلفاء والامراء من الفساد ، رأيت اصله فى الاكثر راجعا الى من يتولى تربيتهم أو من يعاشرهم من الخاصة أو الشعراء .. فجعفر بن المنصور أفسده مطيع بن اياس (٣) ، ومحمد الامين ساعد على افساده حسين بن الضحاك وأبو نواس

٣ ـ الشعراء الموالى

وكان الشعر العربى فى الجاهلية منحصرا فى العرب ، لم يكن فيهم من غير العرب الا عبد بنى الحسحاس .. ثم تكاثر الشعراء الموالى فى العصر الاموى ، لكنهم لم يزيدوا على عشرين فى المائة . أما فى العصر العباسى ، فزادوا على ستين فى المائة . وبعد ان كان اكثر وفودهم من البادية ، صاروا يفدون أيضا من البصرة والكوفة وغيرهما من المدائن . واكثر فحول الشعراء فى هذا العصر من الموالى : كأبى نواس ، وأبى العتاهية ،

---

(١) الاغانى ١٠٥ ج ١٢ (٢) الاغانى ١٩٨ ج ٩ (٣) الاغانى ٨٥ ج ١١

وبشار بن برد ، وسلم الخاسر ، ومروان بن أبى حفصة .. فامتـــاز أولئك الموالى الاعاجم على أسيادهم العرب ، كما امتاز هوراس وفرجيل من كبراء شعراء الرومان ، وأولهما ابن مولى والآخر ابن حطاب (١)

٤ ـ الشكوك فى الدين والزندقة

ذكرنا ما كان من الحركة الفكرية فى هذا العصر على اثر الانقلاب السياسى وتجمع الحقائق العلمية والفلسفية والطبية واللاهوتية والرياضية والفلكية والادبية وتزاحمها فى أذهان الناس ، وقد ظهرت طائفة جاهروا بالزندقة . وفيهم جماعة كبيرة من الادباء والشعراء أشهرهم : حماد عجرد ، وحفص ابن أبى وردة ، وابن المقفع ، ويونس بن أبى فروة ، وعلى بن الخليل ، وحماد الراوية ، وابن الزبرقان ، وبشار بن برد ، وصالح بن عبد القدوس ، وابان اللاحقى ، وعمارة بن حمزة ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ . وكانوا يجتمعون على الشراب يتنادمون ويقولون الشعر ولايكادون يفترقون ، ويهجو بعضهم بعضا هزلا وجدا (٢) وكثيرا ما كانوا يشتركون فى أموالهم وأحوالهم كما يفعل الاشتراكيون اليوم . فكان مطيع بن اياس ، ويحيى بن زياد الحارثى ، وابن المقفع ، ووالبة بن الحباب ، يتنادمون ولا يفترقون ولايستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك وكانوا جميعا يرمون بالزندقة

وكان أولئك المتفلسفون ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود (*) فلا يرون فيها حسنا ولا يعترفون لأحد بفضيلة على شـــاكلة من يعبر عنهم الغربيون بكلمة Pessimists وذكروا ان مطيع بن اياس مر بيحيى بن زياد وحماد الراوية وهما يتحادثان ، فقال لهما : « فيم أنتما ؟ » قالا : « فى قذف المحصنات » قال : « أو فى الارض محصنة تقذفانها ؟ » ويدل هذا من جهة أخرى على رأيهم فى المرأة

٥ ـ اطلاق حرية الاقلام والالسنة

والفضل فى اطلاق الاقلام والالسنة فى أواخر ذلك العصر للمأمون الخليفة العالم الفيلسوف ، فكانت حرية القول فى أيامه أشبه بحرية الصحافة فى البلاد المتمدنة اليوم . ومن أشهر الادلة على ذلك خبره مع دعبل الشاعر ، وكان متشيعا للعلويين كثير الهجو لبنى العباس ، وله فيهم قصائد ، هجوها شديد ، واعداؤه يحرضون المأمون على قتله ، ومن جملتهم أبو سعد المخزومى فقد كان مغاضبا لدعبل فى أول أمره ، وكان يدخل على المأمون فينشده هجاء دعبل له وللخلفاء ويحرضه عليه .. فلم يجد عند المأمون ما أراده فيه . وكان المأمون يقول : « الحق فى يدك والباطل فى يد غيرك والقول لك

---

(١) Litt. Auc. 184 (٢) الاغانى ١٤٩ ج ١٦ و ٨١ و ١٠٠ ج ١٢

(*) يبالغ المؤلف اذ يعد هؤلاء الشعراء متفلسفة ، وهم انما كانوا أصحاب لهو وعبث ، وهو يبالغ أيضا اذ يقول انهم كانوا ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود ، فمما لاشك فيه أن كثرتهم كانت تنظر اليها من وجهها الابيض المرح القائم على الفرحة بالحياة وما فيها من متاع ولذة حسية

ممكن فقل ما يكذبه ، فاما القتل فانى لست استعمله الا فيمن عظم ذنبه »

ودخل أبو سعد مرة على المـأمون وأنشده قول دعبل :

ويسومنى المأمونُ خطةَ عاجزٍ أو ما رأى بالأمس رأسَ محمد

وأردفها بقصيدة رد بها على دعبل ، ثم قال : « أتأذن لى يا أمير المؤمنين ان اجيئك برأسه ؟ » قال : « لا .. هذا رجل فخر علينا ، فافخر انت عليه ، فأما قتله بلا حجة فلا » وهل يقول اعدل من ذلك وزير من ارقى وزراء الأمم الدستورية المتمدنة اليوم فى صحافى طعن فى أمير أو ملك ؟ فلا غرو اذا اطلقت حرية الدين فى عهده

ومن هذا القبيل اطلاق حرية القول فى انتقاد العنصر العربى ، وكان العرب فى العصر الاموى مقدمين على سائر العناصر . ولم يكن هؤلاء يستنكفون من تفضيلهم ، بل كانوا يعتقدون فضلهم فى اقامة الدين وانهم مادته وأصله . ولا كانوا يأنفون من ان يسموا العرب أسيادهم ويعترفوا بفضلهم عليهم فى العقل والحزم . على ان اكثرهم كانوا يفعلون ذلك خوفا من الامويين وارضاء للعنصر العربى ، فلما اطلقت الالسنة والاقلام فى ايام المأمون تظاهر أعداء العرب بالطعن فيهم وظهرت طائفة الشعوبية القائلة بالمساواة بين بنى الانسان . ولذلك سموهم « أهل التسوية » ، وقامت المناظرة بينهم وبين المتعصبين للعرب . وظهرت الكتب فى الطعن على العرب وفى الدفاع عنهم . وممن طعن على العرب سهل بن هرون قيم بيت الحكمة ، وأبو عبيدة الراوية ، وعلان الشعوبى . ولم يكن يجد المأمون بأسا فى هؤلاء الطاعنين ، وقد جعلهم من بطانته . وممن دافع عن العرب ابن قتيبة فألف كتابا فى «تفضيل العرب» (١)

ومما لا يحسن الاغضاء عنه فى هذا المقام ان شعراء العصر العباسى مثل شعراء العصر الاموى وشعراء معظم عصور التمدن الاسلامى الاولى اكثرهم من عرب الشام والعراق . وقد علل ذلك أبو منصور الثعالبى بقربهم من بلاد العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم اياهم

واتفق انهم كانوا يحكمون برؤساء من أهل الادب ومحبيه كعبد الملك فى زمن بنى أمية ، والرشيد والمأمون فى هذا العصر ، وغيرهم فى عصور أخرى كما سيجىء

٦ ـ منزلة الشعراء عند الخلفاء والامراء

كان الخلفاء والامراء يقربون الشعراء فى كل عصر . أما الامويون فكانوا يقربونهم فى أول الامر لاغراض سياسية ، ثم فعلوا ذلك تلذذا بالشعر وآدابه . وربما استقدموا الراوية من العراق الى الشام ليسألوه عن

(١) اقرأ تفصيل ذلك فى تاريخ التمدن الاسلامى ٥٨ و ١٣٥ ج ٣

معنى بيت أو من قاله ، كما فعل هشام بن عبد الملك فى استقدام حماد الراوية (١)

أما فى العصر العباسى فكان الغرض الغالب من تقريب الشعراء رغبة الخلفاء والامراء فى الادب. وكثيرا ماكانت تعقد مجالس الشعراء لغرض أدبى كوصف منظر أو اداة ، كما فعل الهادى اذ استقدم الشعراء اليه واقترح عليهم ان يصفوا سيفا أهداه اليه المهدى وهو سيف عمرو بن معدى كرب. فوضع السيف بين يديه ، وقال للشعراء صفوه .. فنال الجائزة ابن يامين البصرى (٢)

وكان الرشيد من اكثر الخلفاء بحثا فى الشعر وقائليه ، فقد سأل اهل مجلسه مرة عن صدر هذا البيت : « ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه » . فلم يعرفه أحد .. وكان الاصمعى مريضا لا يقدر على المجىء ، فأرسل اليه اسحق الموصلى وبعث معه ألف دينار لنفقته ، فجاء الجواب ان البيت من قصيدة لأبى النشناش النهشلى وهذا صدره :

وسائلةٍ أين الرحيلُ وسائلٍ
ومن يَسأل الصعلوكَ أين مذاهبُه (٣)

وكثيرا ما كان الرشيد يعقد المجالس للبحث فى معنى بيت . وقد سأل أهل مجلسه يوما عن معنى هذا البيت :

قتلوا ابن عفانَ الخليفةَ محرماً ورِعاً فلم أر مثله مخذولا

وكان فى المجلس الكسائى والاصمعى ، فطال الجدال بينهما والخليفة يسمع (٤). وأعطى الرشيد الفضل خاتما قيمته ١٦٠٠ دينار مكافأة على أحسن بيت قالته العرب فى الذئب (٥) والمأمون ولى ابن الجهم البرمكى ولاية من أجل بيت طلبه منه واشترط عليه ذلك (٦)

٧ ـ نفوذ الشعراء وثروتهم.

وكان الخلفاء اذا قدموا الشعراء بذلوا لهم الاموال الطائلة حتى وقع الشك فى صحة بعض ما ذكروه من الجوائز الكبرى . وقد بينا فى تاريخ التمدن الاسلامى انها صحيحة وان النقود لم يكن لها قيمة لكثرتها . وعلى كل حال فان ما خلفه بعض الشعراء من الثروة ، ولا تكسب لهم من غير الشعر ، يدل على كثرة ما كان يصل الى أيديهم من المال

ذكروا ان سلما الخاسر المتوفى سنة ١٨٦ هـ خلف ثروة مقدارها ٥٠٠٠٠ دينار و ١٥٠٠٠٠ درهم غير الضياع (٧) ومثله مروان بن أبى حفصة خلف ثروة طائلة وكانت جوائزه تبلغ ١٠٠٠٠٠ دينار مرارا (٨) وكان

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ١٢ ج ٣ (٢) المسعودى ١٨٧ ج ٢
(٣) المزهر ٨٣ ج ١ (٤) المزهر ٢٧٨ ج ١ (٥) النجوم الزاهرة ٤٦٢ ج ١
(٦) الاغانى ١٦ ج ١٣ (٧) الاغانى ٨١ ج ٢١ (٨) العمدة ١٥٠ ج ٢

أبو نواس يكتسب اكثر من ذلك لكنه كان متلافا سمحا ، وكان يتساجل في الانفاق هو والعباس بن الاحنف وصريع الغواني (مسلم بن الوليد) . وكان البحتري وهو من العصر العباسي الثاني قد فاض كسبه وكان يركب في موكب من عبيده . وأما أبو تمام فأنفق ماله في تجواله في الارض

وقد تبسط شعراء ذلك العصر في العيش وتوسعوا في مظاهر الابهة فكان لأبي تمام والبحتري قهارمة وكتاب (١) وبلغ من دالة أبي نواس على الرشيد انه كان يمر به بنو هاشم والقواد والكتاب يسلمون عليه ، وهو متكيء ممدود الرجل فلا يتحرك لأحد منهم (٢)

وكثيرا ما كان رجال الدولة يعولون على الشعراء في تبليغ بعض ما يخافون غضب الخليفة منه . كما فعلوا في تبليغ الرشيد خبر نقفور ملك الروم اذ غدر ، وهم أن يغزو بلاد الاسلام . ولم يجتريء يحيى بن خالد على ابلاغ الرشيد ذلك فأطمع بعض الشعراء بالمال حتى نظم الخبر في شعر قاله في حضرته (٣)

وكم من شعر وضع السيف في الرقاب ، كما فعل شعر سديف بالسفاح فحمله على قتل بني أمية . وكم من شعر رفع السيف عن الرقاب ، كما فعل مالك بن طوق وقد حكم عليه بالاعدام فقال للرشيد شعرا فعفا عنه (٤) وقد رفع الرشيد السيف عن ربيعة ، وأحسن اليهم بعد سماعه أبياتا قالها منصور النمري استعطفه بها ، فأمر بكف السيف عن ربيعة لأجله

٨ ـ تأثير الشعر في الهيئة الاجتماعية

قد تقدم في صدر هذا الكتاب ان فطرة العرب شعرية ونفوسهم حساسة ولغتهم أدبية ، ولذلك كانوا اكثر الناس شعرا وشعراء .. فمن لم ينظم الشعر حفظه وتناقله أو تناشده أو تذاكر فيه . وكانوا يعقدون المجالس للمناشدة في زمن الجاهلية في عكاظ وأمثالها ، ثم عقدوها في زمن الامويين بالمربد في البصرة . واما في العصر العباسي فلولا اشتغال الناس بالعلوم القديمة ونقلها وتفهمها لأصبح كل منزل من منازل أهل الادب ناديا للمذاكرة والمناشدة . ومع ذلك فان الشعر كان عندهم فكاهة المجالس ومضرب الامثال وديوان العبر ومختزن الحكمة ، حتى كانوا لكثرة محفوظهم منه يرمزون باسم الشاعر الى بيت من أبياته مشهور بمعني ويريدون ذلك المعنى .. كما اتفق للرجل الجالس على جسر بغداد والمراة التي مرت به قادمة من الرصافة فاستقبلها بقوله : « رحم الله على بن الجهم » فقالت له المراة : «رحم الله أبا العلاء المعري» وما وقفا بل سارا مشرقا ومغربا. قال الراوي : « فتبعت المراة ، وقلت لها والله ان لم تقولي لي ما أراد وما أردت لأفضحنك . قالت : « أراد بعلى بن الجهم قوله » :

---

(١) العمدة ٧ ج ١ (٢) الاغاني ١٦١ ج ٣
(٣) الاغاني ٤٥ ج ١٧ (٤) فوات الوفيات ١٤٣ ج ١٧

عيونُ المَها بين الرُّصافة والجِسْرِ
جَلَبْنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت بأبي العلاء قوله :

فيا دارَها بالخَيْفِ إنَّ مزارَها
قريبٌ ولكنْ دون ذلك أهوال (١)

***

والحادثة المذكورة جرت بعد العصر الاول الذى نحن بصدده ، لكنها يصح ان تكون مثالا عنه . لأن أهل هذا العصر بلغ من شغفهم بالشعر أنهم نقشوه على جدران منازلهم وأنديتهم وعلى فصوص خواتمهم ، وكتبوه فى صدور مجالسهم وعلى القباب والمستنظرات والابواب ، وطرزوه على الستائر والطنافس والكلل والاسرة والوسائد والمرافق والمقاعد وعلى القناني والاقداح والكاسات والارطال والجامات وسائر آنية الفضة والذهب والصيني ، ونقشوه على العيدان والمضارب والسرنايات والطبول والمعازف والدفوف ، وزينوا به الثياب ، فطرزوه على ذيول الاقمصة والاعلام وطرز الاردية والاكمام ، وعلى العصائب ومشاد الطرر والزنانير والتكك والمناديل والمذاب والمراوح حتى النعال والخفاف . وزينوا به ظاهر أبدانهم فكتبوه بالحناء على الجبين والخد والاقدام والراح . ونقشوا به التفاح والاترج وغيرهما .. فكنت حيثما توجهت رأيت الشعر منقوشا أو مطرزا أو مكتوبا أو منسوجا . وتجد أمثلة من ذلك فى كتاب الموشى الآتى ذكره

---

(١) حلبة الكميت ٩٥

طبقات الشعراء

فى العصر العباسى الاول

ان عدد الشعراء فى هذا العصر اضعاف شعراء العصر الاموى ، لأن مدة العصر العباسى اطول ، وقد اتسعت مساحة البلاد التى يقيم فيها العرب ، وكثر الشعراء من غير العرب . وكانوا فى زمن الامويين يفدون من جزيرة العرب وبعض ضواحيها فصاروا يأتون فى زمن العباسيين من اكثر المدائن الاسلامية . وبعد أن كان الشعر منحصرا تقريبا فى العرب ، شاركهم فيه الموالى وغيرهم رغم اشتغال القرائح بترجمة الكتب وانصراف طبقة من الناس اليها . ولو شئنا تعداد شعراء هذا العصر لضاق المقام بهم لأنهم كثيرون يزيدون على بضع مئات ، يورد ابن النديم أسماءهم فى الفهرست ، وقد ذكر عدد ما خلفه كل منهم من الابيات (١) واكثر ذلك ضاع الآن ومن العبث ان نأتى بأخبار كل هؤلاء الشعراء وفيهم من لا أهميـة له وليس بين أيدينا شىء من نظمه

ويقال بالاجمال ان أكثر هؤلاء الشعراء من طلاب الرزق الذين انقطعوا الى الخلفاء وتحضروا فى بغداد أو البصرة ، وبعضهم انقطعوا الى البرامكة وآخرون انحازوا للشيعة العلوية . ومنهم من اختـص ببعض الامراء والوزراء . وهناك جماعة منهم لم يتحضروا بل كانوا يقيمون فى البادية وانما يفدون على بغداد فى المواسم ، ينشدون ماينظمونه فى مدح الخليفة أو غيره ، ويعودون الى مضاربهم . ومنهم طائفة لم يفدوا على أحد ، فكانوا ينظمون الشعر لأنفسهم وهم قليلون أو ان أكثرهم ظل فى ثنايا الاهمال لبعدهم عن الدولة

الشعراء المتحضرون

وهـذه أسماء أشهر شعراء ذلك العصر الذين نزلوا المدن وتحضروا وأكثرهم من الموالى غير العرب ، وقد أقام معظمهم فى بغـداد تحت ظل الخلفاء أو وزرائهم باعتبار أغراضهم أو غرض من ينتمون اليه أو يعيشون فى ظله . وفيهم من توفى بعد سنة ٢٣٢ هـ ، ولـكننا عددناه من شـعراء هذا العصر لأنه نبغ فيه :

---

(١) الفهرست ١٥٧ وما بعدها

شعراء الخلفاء	شعراء البرامكة	شعراء سائر الأمراء
أبو دلامة	أبان بن عبد الحميد	ابراهيم بن سيابة مدح ابراهيم الموصلى
حماد عجرد	ابن مناذر	محمد بن أمية واخوه مدحا ابراهيم بن المهدى
بشار بن برد	الرقاشى	العكوك مدح ابا دلف
مروان بن أبى حفصة	مسلم بن الوليد	محمد صالح « ابن المدبر
سلم الخاسر	اشجع السلمى	مطيع بن أياس « جعفر بن المنصور
أبو نواس		أبو الشيص « عقبة بن جعفر
منصور النمرى		
أبو العتاهية		**شعراء الشيعة**
أبو تمام		السيد الحميرى
على بن الجهم		دعبل
حسين بن الضحاك		ديك الجن

شعراء لم يتكسبوا بالشعر

وهناك طائفة لم يتكسب أصحابها بالشعر ، أشهرهم :

صالح بن عبد القدوس ــ العباس بن الاحنف من عدى

محمد بن بشير مولى بنى اياس (ويدخل فى هؤلاء أيضا السيد الحميرى وديك الجن وقد ذكرا بين شعراء الخلفاء وشعراء الشيعة)

شعراء لم يتحضروا

اما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم فكانوا يفــدون على الخليفة أو الامير ، فينالون الجوائز ، ثم يعودون الى بلدهم ، فكلهم من العرب ، وهاك أشهرهم : ربيعة الرقى من الرقة ــ كلثوم بن عمرو العتابى

عمارة بن عقيل من هوازن ــ ناهض بن ثومة الــكلابى من عامر

ونبغت طائفة من الشعراء فى ذلك العصر عرفت بطبقة المترفين وابناء النعم ، منهم عبد الله بن عباس الربيعى من نسل الفضل بن الربيع . وقد يشترك بعض شعراء احدى هذه الطبقات فى خصائص طبقة اخرى ، وانما أردنا بهذا التقسيم سهولة التعليق بالذهن

هؤلاء هم أشهر الشعراء فى العصر العباسى الاول وبهم قام ذلك الانقلاب الشعرى فامتاز به شعر هذا العصر على سواه كما تقدم . واكثرهم تأثيرا فى ذلك الانقلاب اكثرهم تقربا من الخلفاء لتقدمهم فى الشاعرية ولرفعة مقامهم وقد قلدهم الناس فى أساليبهم أو استنباطهم . وفى مقدمتهم سبعة هم عمدة هذا الانقلاب هذه أسماؤهم مع سنى وفاتهم :

بشار بن برد توفى سنة ١٦٧ هـ ــ أبو تمــام توفى ســنة ٢٣٢
السيد الحميرى توفى سنة ١٧٣ هـ ــ أبو العتــاهية توفى سنة ٢١١

ابو نواس توفى سنة ١٩٨ — دعبل توفى سنة ٢٤٦
مسلم بن الوليد توفى سنة ٢٠٨

واليك تراجمهم على هذا الترتيب بما يقتضيه المقام من الايجاز . والا فان كلا منهم يحتاج فى بسط ترجمته ودرس شعره ونقده الى مجلد قائم بنفسه . فنترك ذلك الى من تفرغ للدرس والنقد من الادباء

اهم الشعراء فى العصر العباسى الاول

١ — بشار بن برد

توفى سنة ١٦٧ هـ

هو فارسى ، أصل آبائه من طخارستان ، أخذ أبوه برد فى سبى وقع فى يد المهلب بن أبى صفرة .. فكان من فىء القشيرية امرأة المهلب . فأقامته فى ضيعة لها بالبصرة مع عبيدها ثم زوجته وأهدته الى امرأة عقيلية كانت صديقة لها ، فولد له بشار . وأعتقته العقيلية ، فصار مولى . ونشأ فى البصرة ثم قدم بغداد بعد أن بناها المنصور

ولد بشار اعمى جاحظ الحدقتين يغشاهما لحم أحمر . وكان ضخما طويلا ، عظيم الخلق والوجه مجدرا . وكان أطبع شعراء ذلك العصر على الشعر ، وقد قوى العمى شاعريته لانصراف المخيلة الى التصور .. ولذلك رأيت أكثر العميان من الشعراء يفوقون معاصريهم فى سعة الخيال مثل هوميروس اليونانى وملتن الانجليزى وبشار وأبى العلاء وغيرهما عند العرب

جاء بشار فى أوائل العصر العباسى الاول فكان فى مقدمة الذين نبغوا فيه ، فهو مقدم عليهم باجماع الرواة (١) ورئيسهم بلا خلاف . قال الجاحظ « المطبوعون على الشعر بشار والسيد الحميرى وأبوالعتاهية وابن أبى عيينة ولكن بشارا أطبعهم » (٢) . وقد عاصروا أواخر الدولة الاموية وأوائل العباسية . وقال الشعر وهو ابن عشر سنين ، وادرك جريرا والفرزدق . وهجا جريرا ، فأعرض جرير عنه استخفافا . قال بشار : « ولو هاجانى لكنت أشعر الناس» فظل نحو ثمانين سنة وهو ينظم الشعر فمدح وهجا ونال الجوائز. وبلغ ما نظمه نحو ١٢٫٠٠٠ قصيدة ولذلك جاهر بين يدى أهل الادب بأن له ١٢٫٠٠٠ بيت جيد. فقالوا له : «هذا القدر لايجتمع لكل الشعراء » فقال : « لى ١٢٫٠٠٠ قصيدة الا يكون لى بيت جيد من كل قصيدة ؟ » ولم يبق من هذه القصائد الى أيام ابن النديم صاحب الفهرست الا ٤٠٫٠٠٠ بيت ، وليس منهـا الآن الا نتف متفرقة فى كتب الادب وليس لبشار ديوان شعر مجموع (*) . ويقال ان اكثر الناس شعرا فى الجاهلية والاسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد الحميرى (٣)

---

(١) الاغانى ٢٠ ج ٣
(٢) البيان والتبيين ٢٥ ج ١ (٣) الاغانى ٣ ج ٧
(*) تنشر لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الديوان ، وقد صدر منه ثلاثة أجزاء

ويمتاز بشار بأنه تصرف وتفنن فى معانى الشعر شيئا كثيرا . وراج شعره فى أيامه بالبصرة ، حتى لم يبق غزل ولا غزلة الا ويروى من شعر بشار ، ولا نائحة ولا مغنية الا تتكسب به ، ولا ذو شرف الا وهو يهابه ويخاف معرة لسانه . وبشار مثل امرىء القيس ، فهو عندهم امام الشعراء المحدثين . وقد قالوا ذلك أيضا فى أبى نواس ولكن بشارا أسبق ، وكان عند قيام الدولة العباسية منحازا للعلويين وكان ابراهيم ابن عبد الله بن الحسن ثائرا على المنصور ، فنظم بشار قصيدة حرض بها ابراهيم على الفتك بالمنصور مطلعها :

أبا جعفر ماطولُ عيش بدائم ولا سالمٌ عما قليل بسالم

ثم علم بفوز المنصور وقتله ابراهيم المذكور ، فقلب الكنية ، وأظهر انه قال القصيدة فى أبى مسلم الخراسانى ، فقال :

أبا مسلم ما طول عيش بدائم ولا سالمٌ عما قليلٍ بسالمِ

وفى هذه القصيدة أبيات حكيمة فى غاية البلاغة منها (*) :

إذ بلغ الرأىُ المشورةَ فاستعنْ
برأى نَصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ
ولا تجعل الشُّورى عليك غَضاضةً
فإن الخوافى قوةٌ للقَوادم
وما خيرُ كفٍ أمسك الغُلُّ أختها
وما خير سيفٍ لم يؤيَّد بقائم
وخَلِّ الهُوَيْنَا للضعيف ولا تكن
نَؤوماً فإن الحزم ليس بنائم
وحاربْ إذا لم تُعْطَ إلا ظُلامةً
شَبَا الحرب خيرٌ من قبول المظالمِ

ثم انتقل الى بغداد ومدح العباسيين وعاصر المهدى . ومدح خالد بن برمك جد البرامكة ، وكان كلما وفد عليه اعطاه خمسة آلاف درهم ثم زادها له . ومن قوله بيتان أمر خالد أن يكتبا فى صدر مجلسه وهما :

أخالدُ إن الحمدَ يبقى لأهله
جَمالا ولا تبقى الكنوزُ على الكَدّ

(*) الغريب فى هذه الابيات : غضاضة : منقصة ، الخوافى الريش الصغير فى جناح الطائر ، وهى ضد القوادم ، الغل : القيد والجامعة. الشبا: جمع شباة، وهى من كل شىء حدة

فأطعمْ وكُلْ من عَارةٍ مستردَّةٍ
ولا تُبقهـا إن العواريَ للرد

وأخبار بشار كثيرة بسطها صـاحب الاغانى فى ٦٠ صفحة من الجزء الثالث من كتابه . ولم يدع بشار بابا من أبواب الشعر الا طرقه وأجاد فيه ومن قوله فى الغزل :

لم يَطُلْ ليلى ولكن لم أنَمْ ونَفَى عنى الكَرَى طيفٌ ألم
وإذا قلت لهـا جودى لنـا خرجتْ بالصمت عن لا ونعمْ
نَفِّسى يا عَبْدَ عنى واعلمى أننى يا عبـد من لحمٍ ودم
إنَّ فى بردىَّ جسـما ناحلاً لو توكأتِ عليـه لانهـدم
ختم الحبُّ لهـا فى عنقى موضعَ الخـاتم من أهل الذمم

ومن قوله :

إذا كنتَ فى كل الأمور معـاتبا صديقَكَ لم تلق الذى لا تعـاتبه
فعِشْ واحداً أوصِلْ أخاك فإنه مقارفُ (*) ذنب مرةً ومجانبه
إذا لم تشرب مراراً على القَذَى ظمئتَ وأىُّ الناس تصفو مشاربه

ومن الغزل قوله :

يزهدنى فى حب عَبْدَةَ معشرٌ قلوبهمُ فيهـا مخـالفةٌ قلبى
فقلت دَعوا قلبى وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحبِّ
فما تُبصر العينان فى موضع الهوى ولا تسمع الأذْنان إلا من القلب

وكان بشار من أصحاب الفلسفة المتحيرين فى الدين وكان يعتقـد ان الانسان مسوق لا مخيّر ، يدل على ذلك قوله :

طُبِعْتُ على ما فىَّ غيرَ مخيَّرٍ هَوَايَ ولو خُيِّرْتُ كنتُ المهذَّبا
أريد فلا أعْطَى وأعْطَى ولم أرد وقَصَّر علمى أن أنال المغيَّبا
فأصرَفُ عن قصدى وعلمى مقصِّرٌ وأمسى وما أعْقَبْتُ إلا التعجبا

وقد تقدم خبر انحرافه عن بنى العباس ولم يغنه تغيير مطلع القصيدة السابقة شيئا ، فان المنصور سكت عنه وما زال يعتقد انحرافه عنهم قلبيا ، ولذلك ظل فى خاطره شىء عليه . وكان المهدى بعده يظهر له فتورا ، فغضب بشار ومدح وزيره يعقوب بن داود فلم ينفعه. فهجاه ببيتين كانا سبب موته وهما:

(*) مقارف ذنب : مرتكبه ومخالطه

بني أمية هُبّوا طال نومكمُ ... إن الخليفة يعقوبُ بن داود
ضاعتْ خلافتكم ياقوم فالتمسوا ... خليفةَ الله بين الزِّقّ والعودِ

فبعث المهدى اليه صاحب الزنادقة فضربه حتى مات ، ولم يخرج فى دفنه أحد ، لأنه مات وخصمه الخليفة

وتجد ترجمته فى الاغانى ١٩ ج ٣ و ٤٧ ج ٦ ، وابن خلكان ٨٨ ج ١ والشعر والشعراء ٤٧٦ ، والفهرست ١٥٩ (*)

٢ ــ السيد الحميرى

توفى سنة ١٧٣ هـ

اسمه يدل على انه من حمير نزل البصرة ، وكان شاعرا متقدما مطبوعا ، وقد تقدم انه هو وبشار وأبو العتاهية اكثر الناس شعرا فى الجاهلية والاسلام . وبلغ منظومه ٢٣٠٠ قصيدة ، ولم يصلنا منها ما يستحق الذكر . لأنه كان يسب الصحابة بتشيعه لعلى ، فتحومى شعره وتخوف الناس منه . اما من حيث الشاعرية فله طراز ومذهب قلما يلحق فيه . وكان اسمر اللون تام القامة أشنب ذا وفرة حسن الالفاظ جميل الخطاب ، اذا تحدث فى مجلس قوم اعطى كل رجل من المجلس نصيبه من حديثه . ويعده بعضهم من طبقة بشار وانهما اشعر المحدثين . ويمتاز عن سائرهم بأنه كان يكره الاستجداء بالشعر ، وقد نظم فى ذلك أبياتا وهى :

أيها المادحُ العبادَ ليُعطَى ... إن لله ما بأيدى العبادِ
فاسألِ الله ما طلبتَ إليهم ... وارْجُ نفعَ المقسم العوّاد
لا تَقُلْ فى الجواد ماليس فيه ... وتسمِّى البخيل باسم الجواد

فلما سمع بشار قوله ، قال : « لولا ان هذا الرجل شغل عنا بمدح بنى هاشم لشغلنا ولو شاركنا فى مذهبنا لتعبنا » (١) ومن شعره فى مدح بني هاشم لما استقر الامر لأبى العباس السفاح قوله :

دُونَكُموها يا بنى هاشم ... فجدِّدوا من عهدها الدّارِسا

(*) وانظر فى بشار طبقات الشعراء لابن المعتز (طبع دار المعارف) ص ٢١ وتاريخ بغداد ج ٧ ص ١١٢ والمختار من شعر بشار (طبع لجنة التاليف والترجمة والنشر) والموشح للمرزبانى ص ٢٤٦ ونكت الهميان للصفدى ص ١٢٥ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٩٧ وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ج ١ ص ٢٦٤ والبيان والتبيين للجاحظ فى مواضع متفرقة (انظر الفهرس فى طبعة عبد السلام هرون) . وانظر ايضا كتاب ابراهيم عبد القادر المازنى عنه وكتابا آخر فيه لطه الحاجرى فى سلسلة نوابغ الفكر العربى طبع دار المعارف وشخصية بشار لمحمد النويهى وحديث الاربعاء لطه حسين الجزء الثانى وجولد تسيهر فى كتابه « دراسات اسلامية » ج ١ ص ١٦٢ ونيكلسون فى كتابه تاريخ الادب العربى A Literary History of the Arabs (طبعة سنة ١٩٢٣) ص ٢٧٣ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٧٤ ج ١

(١) الاغانى ٦ ج ٧

دونكموها فالبسوا تاجَها　　لا تعدموا منكمْ له لابسا
لو خُيِّرَ المنبرُ فرسانَهُ　　ما اختار إلا منكمُ فارسا
قد ساسها قبلكم ساسةٌ　　لم يتركوا رَطْباً ولا يابسا
ولستُ من أن تملكوها إلى　　مهبط عيسى فيكمُ آيسا

ومن قوله فى ذم الصحابة :

قل لابن عباسٍ سميِّ محمدٍ　　لا تعطينَّ بنى عدى درهما
احرِمْ بنى تَيْمِ بن مرَّةَ إنهم　　شرُّ البرية آخراً ومُقَدما
إن تعطهم لا يشكروا لك نعمة　　ويكافئوك بأن تُذَمَّ وتشتما
وإن ائتمنتهمُ أو استعملتهم　　خانوك واتخذوا خراجك مَغْنَما
ولئن منعتهمُ لقد بدءوكمُ　　بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تُراثَ محمد أعمامَهُ　　وابنيه وابنته عديلةَ مَرْيَما

وله فى مدح العلويين ما يدل على حرية فى القول . ومن أدلة ترفعه عن الجوائز ان الرشيد أعطاه جائزة ففرقها . وتجد ترجمته وأخبـاره فى الاغانى ٢ ج ٧ ، وفوات الوفيات ١٩ ج ١ (*)

٣ — ابو نواس

توفى سنة ١٩٨ هـ

هو الحسن بن هانىء ، ولد فى الاهواز سنة ١٤٥ فى خلافة أبى جعفر المنصور .. وكانت أمه أهوازية اسمها جلبان ، وكان أبوه دمشقيا من جند مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية ، أنفذه مروان الى الاهواز فلقى جلبان فأحبها وتزوجها فولدت له أولادا منهم أبونواس وأبومعاذ . وقبل ان يتجاوز أبونواس السنة الثانية من عمره انتقل والداه الى البصرة فنشأ فيها . ولم يكن والداه فى سعة أو لعل والده مات وترك أولاده فى كفالة أمهم ، فأسلمت أبا نواس الى عطار يتخرج عنده فى مهنة العطارة .. ولكن نفسه كانت تميل الى غير هذه الصناعة . وكان اذا قرأ شعرا ارتاحت نفسه الى معانيه ، ونشأت عنده رغبة فى النظم . فاذا اجتمع بأديب أو راوية أو شاعر أو حضر مجلس أدب وسمع شعرا أحب ناظمه وتمنى أن يراه . وكان فى جملة من سمع أشعارهم وأحب الاجتماع بهم والبة بن الحباب ، وكان ظريفا غزلا وصافا للشراب . واتفق ان والبة قدم الاهواز ليمدح أبا بجير الاسدى عامل المنصور عليها ، فمر بذلك العطار فلقى أبا نواس .. وكان جميل الصورة ذكيا ،

(*) وراجع فى السيد الحميرى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٢ وحديث الاربعاء لطه حسين ودائرة المعارف الاسلامية

فتوسم فيه النباهة فجالسه وخاطبه فآنس فيه قريحة وقادة ، فقال له : « ان فيك مخايل أرى الا تضيعها وستقول الشعر ، فهل تصحبني أخرجك ؟ » ولم يكن أبو نواس يعرف مخاطبه فقال : « ومن أنت ؟ » قال : « أنا أبو اسامة والبة بن الحباب » فقال : « نعم ، انا والله فى طلبك ولقد أردت الخروج الى الكوفة بسببك لآخذ عنك وأسمع منك » فسار أبو نواس معه الى الكوفة ، ثم قدما بغداد

وكان والبة وبعض شعراء تلك الايام وندماؤه يجتمعـــون كل ليلة على الشراب وقول الشعر ، لايكادون يفترقون فيهجو بعضهم بعضـا هزلا وجدا ، ويصفون الخمر وغيرها . وكان أبو نواس يحضرهم فيسمع ويعى ويزداد كل يوم علما ودربة . وكان يختلف الى أبى زيد الانصارى فتعلم منه غريب الالفاظ ، وتردد على أبى عبيدة معمر بن المثنى فتعلم منه أيام الناس ونظر فى نحو سيبويه حتى أصبح فى الطبقة الاولى من المولدين ، وشعره عشرة أنواع أجاد فيها كلها . وأحسن علم اللغة وفروعها حتى قال فيه الجاحظ : « ما رأيت رجلا أعلم باللغة من أبى نواس ولا أفصح لهجة ، مع مجانبة الاستكراه » وقال معمر بن المثنى : « كان أبونواس للمحدثين كامرىء القيس للمتقدمين » وقد تقدم ان ذلك أولى أن يقال لبشار لأنه أسبق

ويروى عن أبى نواس انه قال : « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجـــال » وقال ابن السكيت : « اذا رويت من أشعار الجاهليين فلامرىء القيس والاعشى ، ومن الاسلاميين فلجرير والفرزدق ، ومن المحدثين فلأبى نواس ، فحسبك » وهو يعد أيضا من الشعراء المجان

وقد قدمنا فى كلامنا عن مزايا الشعر فى العصر العباسى الاول ما كان لأبى نواس من الفضل فى تغيير طريقته والتوسع فى معانيه ، فهم يعدونه امام هذه الطريقة . ولذلك فهو يمتاز بتصرفه فى الشعر . كان عندهم للشعر الفاظ محدودة وأساليب معينة فتجاوزها كما تجاوزها الاعشى قبله .. (١) ولكن تقرب أبى نواس من الخلفاء ونفوذه عندهم ساعد على نشر طريقته ، فصار الشعراء يقلدونه فيها شأنهم فى تقليد كل وجيـه نافذ الكلمة . ولذلك قالوا : « الناس على دين ملوكهم » واذا تدبرت تاريخ الاجتماع رأيت ذلك الاتجاه عاما فى سائر أحوال الحياة

ووصف شعر أبى نواس لايفى به صفحة أو بضع صفحات . وهو أول من توسع فى وصف الخمر والتغزل بالغلمان . وفى ديوانه المطبوع بمصر صفحات عدة من نظمه فى هذين البابين فضلا عن تغزله بجارية أحبها اسمها جنان . وقد أشرنا الى تهتكه فى جملة متهتكى ذلك العصر ، ولعله أكثرهم انغماسا فى اللهو على أنواعه طمعا منه فى عفو الله على حد قوله :

تكثّرْ ما استطعتَ من الخطايا فإنك بالغٌ رباً غفـــورا

(١) العمدة ٨٣ ج ١

ستبصر إن وردتَ عليه عفواً وتلقى سيّداً مَلِكاً كبيرا
تعضُّ ندامةً كفيّكَ مما تركتَ مخافةَ الله السرورا

ومن لطيف نظمه فى مدح محمد الامين قوله يمدح ناقته :

وتجشمتْ بى هولَ كل تَنَوفَةٍ هوجاءُ فيها جرأةٌ مقدامِ (*)
تَذَرُ المطيَّ وراءها فكأنها صفٌّ تقدّمهُن وهْىَ إمام
وإذا المطىُّ بنا بلغن محمداً فظهورُهن على الرجال حرام

وعابوا عليه المبالغة فى مدح الرشيد ، لقوله :

وأخفتَ أهلَ الشِّرْكِ حتى إنه لتخافك النُّطَفُ التى لم تُخْلَقِ

ومن قوله فى وصف الخمر :

وندمانٍ سقيتُ الراحَ صِرفاً وسترُ الليل منسدلُ السُّجوفِ
صَفَتْ وصفت زجاجتُها كمعنى دَقَّ فى ذهنٍ لطيفِ

وقوله :

مدامٌ تبدت من مقام مشرف تلوح لنا أنوارها ثم تختفى
ولما شربناها ودبَّ دبيبها إلى موضع الأسرار قلت لها قفى
مخافةَ أن يسطو علىَّ شعاعُها فيطلع جُلّاسى على سرىَ الخفى

وقوله :

معتقةٌ صاغَ المزاجُ لرأسها أكاليلَ درٍّ ما لناظمها سِلْكُ
جرتْ حركاتُ الدهر فوق سكونها فذابت كذوب التبر أخلصه السبك
وقد خفيتْ من لطفها فكأنها بقايا يقين كاد يُذهبه الشكّ

ومن وصفه للأقداح وما عليها من النقوش قوله : (**)

تدارُ علينا الرّاحُ فى عَسْجديّةٍ حبَتْها بألوان التصاوير فارسُ
قرارتُها كِسرَى وفى جَنَباتها مهاً تدريها بالقِسى الفوارسُ
فللخمر ما زُرَّتْ عليه جيُوبها وللماء ما دارتْ عليه القلانس

ويظهر انه كان مطلعا على أقوال الاوائل المنقولة الى العربية ، ولاسيما

(*) التنوفة : المفازة ، الهوجاء : الناقة المسرعة
(**) الغريب فى هذه الابيات : عسجدية : كأس مذهبة، المها : البقر الوحشية ، تدريها : تخاتلها ، الجيوب : جمع جيب وهو طوق القميص ، والزر : شد الازرار

علم النجوم والطبيعيات ، بدليل قوله وفيه المام بالفلك :

ألم ترَ الشمسَ حلّت الحَملا وقام وَزْنُ الزمان فاعتدلا
وغنّت الطيرُ بعد عُجْمتها واستوفت الخمرُ حولها كَمَلا

ومما يدل على معرفته علم الطبائع قوله :

قل لزهيرٍ إذا حَدا وشَدا أقلل أو أكثر فأنت مهذارُ
سَخُنْتَ من شدة البرودة حتى صرتَ عندى كأنك النار
لا يَعْجبُ السامعون من صفتى كذلك الثلجُ باردٌ حار

وفى ذلك اشارة الى نظر أهل الهند فى الطبائع ، فهم يزعمون ان الشيء اذا زاد فى البرد عاد حارا . ومن أقوالهم : « ان الصندل الابيض اذا أفرط فى حكه عاد حارا مؤذيا » ومما يدل على المامه بخرافات اليونان والفرس قوله من قصيدة يمدح بها يحيى بن خالد :

ليس زاويش (١) حين سار أمام الـ حوت والبدر إذ هوى لانصبابِ
منك أسخى بما تشحّ به الأنـ فسُ عند انتقاص دَرّ الحِلابِ
لا وبهرام تستقلّ به العقـ رب بالليل رائدا فى الحساب (*)
منك أمضى لدى الحروب ولا أهـ ول فى العين عند ضَرْب الرقاب

واختلفوا فى سنة وفاته والارجح انها سنة ١٩٨ هـ ، ولو أردنا الاتيان بأمثلة من نظمه لضاق المقام مع شيوع ديوانه . وقد جمعه غير واحد ، (٢) وهو مطبوع غير مرة فى فينا ومصر وبيروت . وفى صدر طبعة مصر سنة ١٨٩٨ فصل لجامع الديوان حمزة بن الحسن الاصبهانى فى شعر أبى نواس ونقده . والديوان نحو ٤٥٠ صفحة ، ويتضمن نحو ١٣٫٠٠٠ بيت مرتبة على ١٢ بابا :

(١) نقائضه مع الشعراء (٢) المديح
(٣) المراثى (٤) العتاب
(٥) الهجاء (٦) الزهد
(٧) الطرد (٨) الخمريات
(٩) الخمريات والمجون (١٠) غزل المؤنث
(١١) غزل المذكر (١٢) المجون . وقد أهمل الناشر باب المجون لتهتكه الزائد . وتجد أخباره فى الاغانى ٢ ج ١٨ و ١١٠ و ١٧٠ و ١٨٦ ج ٦

---

(١) يريد براويش (زيس) أحد آلهة اليونان
(*) الحوت وبهرام والعقرب من البروج
(٢) فهرست ١٣٩

و ١٤٨ ج ١٦ ، وابن خلكان ١٣٥ ج ١ ، وطبقات الادباء ٩٦ ، والشعر والشعراء ٥٠١ ، والفهرست ١٦٠ ، والعقد الفريد ٣٣٧ ج ٣ (*)

٤ – مسلم بن الوليد

توفى سنة ٢٠٩ هـ

ويعرف بصريع الفوانى ، وهو من أبناء الانصار ، كان مداحا محسنا . وجل مدائحه فى يزيد بن مزيد ، وداود بن يزيد المهلبى ، والبرامكة ، ومحمد بن منصور بن زياد كاتبهم . وولاه المأمون بريد جرجان ، فلم يزل بها حتى مات . وهو أول من الطف فى المعانى ورقق فى القول ، وعليه يعول أبو تمام فى ذلك وعلى أبى نواس ، ومن قوله فى الوداع :

وإنى وإسـماعيل يومَ وداعـه ... لكالغِمْد يوم الرَّوع زايله النَّصلُ
فان أغشَ قوما بعـده أو أزرهمُ ... فكالوحش يدنيها من الأنَس المَحْلُ

ومن بديعه الذى امتثله أبو تمام وغيره :

إذا ما نكحنا الحرب بالبيض والقَنَا ... جعلنا المنـايا عنـد ذاك طلاقَهـا

ومن مدحه قوله فى الفضل بن يحيى البرمكى :

تساقطُ يُمناه النَّـدى وشماله الـ ... رَّدى ، وعيونُ القول منطقه الفَصْلُ
عجولٌ إلى أن يُودع الحمد ماله ... يعد الندى غُنْما إذا اغتُنم البخلُ
له هضـبةٌ تأوى إلى ظلِّ برمـك ... منوط بها الآمال ، أطنابها السُّبْلُ

ومن قوله فى وصف سفينة :

أطلَّت بمجْـدافين يَعتَـورانها ... يقوِّمها كَبْحُ اللِّجام من الدُّبْرِ
كأنَّ الصَّبَا تحكى بها حين واجهتْ ... نسيم الصبا مَشْى العروس الى الخدر

ومن لطيف غزله :

إذا التقينـا منعنـا النـوم أعيننا ... ولا نلائم نوماً حـين نفتـرقُ
أقر بالذنب منى لسـت أعـرفه ... كيما أقـول كما قالت فنتفق

(*) وراجع فى أبى نواس طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٩٣ والموشح للمرزبانى ص ٢٦٣ وأخبار ابى نواس لابن منظور وأبى هفان ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٣٠ وتاريخ بغداد ج ٩ ص٤٣٦ وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٥ . وانظر بحثا فيه لعبدالرحمن صدقى بعنوان أبى نواس وبحثا له آخر فى خمرياته (طبع دار المعارف) وعدد اغسطس سنة ١٩٣٦ من مجلة الهلال وحديث الاربعاء لطه حسين وكتابا فيه لعباس العقاد وكتابا آخر لمحمد النويهى وفون كريمر فى كتابه حضارة الشرق : Culturgeschichte des Orients ج ٢ ص ٣٦٩ وما بعدها ، ونيكلسون ص ٢٩٢ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٢٥ ج ١

وله ديوان مطبوع فى ليدن سنة ١٨٧٥ . وتجد أخبـاره فى الشعر والشعراء ٥٢٨ ، وفى الأغانى ٩ ج ١٣ ، والعقد الفريد ١٤٢ ج ١ ، وفى طبعة الديوان المذكورة (*) .

٥ ـ ابو العتاهية

توفى سنة ٢١١ هـ

هو مولى ، واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان . ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ، ونشأ فى الكوفة . وكان فى أول أمره يتخنث فيحمل زاملة المخنثين . ثم اشتغل بصناعة أبيه فجعل يصطنع الجرار ويحملها فى قفص على ظهره ويدور فى الكوفة ويبيع منه . ولـكنه أحس من حداثته بقدرته على النظم . وكان الشعر يومئذ ديوان الناس وموضوع أحاديثهم وحيثما اجتمعوا تناشدوه وتذاكروا فيه

فاتفق يوما وهو يدور بقفص الجرار انه مر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال : « يافتيان اراكم تتذاكرون الشعر فأقول شيئا منه فتجيزونه .. فان فعلتم فلكم عشرة دراهم » فهزئوا منه وسخروا به ، لكنهم قالوا : « نعم » قال : « لابد ان يشترى بأحد القمارين رطب يؤكل فانه قمار حاصل » وجعل رهنه تحت يد أحدهم ، وقال أجيزوا :

ساكنى الاجداث انتم

وجعل بينه وبينهم وقتا فى ذلك الموضع ، وعين نقطة منه اذا بلغتها الشمس ولم يجيزوا البيت غرموا الخطر . فلما أعياهم ذلك جعل يهزأ بهم وتممه :

سـاكنى الأجـداث أنتم مثلنـا بالأمس كنتم

ليت شـعرى ما صنعتم أربحتم أم خسـرتم

وهى قصيـدة من شعره طويلة . فخجل الفتيان واذاعوا خبـره فى الـكوفة ، فجعل أدباؤها وطلاب الشـعر من فتيانها يأتونه الى دكانه يستنشدونه فينشدهم أشعاره ، فيأخذون ماتكسر من الخزف فيكتبونها فيه

ثم وفد على بغداد فى أول خلافة المهدى وانشده قصيدة مطلعها :

ألا ما لسـيدتى ما لهـا أدلاً فأحمـل إدلالهـا

وكان بشار بن برد حاضرا فاستخف بها حتى اذا وصل الى قوله :

أتته الخـلافة منقـادة إليـه تجرّر أذيالهـا

(*) وانظر فى مسلم طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٣٥ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٢٨ والموشح للمرزبانى ص ٢٨٩ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٩٦ ومعاهد التنصيص ج ٢ ص ١٠

فلم تك تصلحُ إلا له ... ولم يك يصلح إلا لهــا
ولو رامها أحدٌ غيرُه ... لزُلزلت الأرضُ زلزالها
ولو لم تُطِعه بناتُ القلو ... ب لما قبل اللهُ أعمالهــا

قال بشار لجار له : « أنظر ويحك هل طار الخليفة عن فرشه طربا »
وصار أبو العتاهية من المقربين . وكان المهدى يقدمه ويكرمه فأحرز نفوذا عظيما عنده ، حتى انه كثيرا ما كان يتوسط بالعفو لديه . ولما توفى المهدى خلفه الهادى وكان واجدا عليه لأنه كان يلازم أخاه الرشيد فهنأه أبوالعتاهية بقصيدة يتقرب بها اليه مطلعها :

ألا شافعٌ عنـد الخليفة يَشفَعُ ... فيدفع عنــا شرَّ ما يُتوقَّع

فأذن بادخاله . ولم تطل مدة الهادى فخلفه الرشيد ، وكان أبوالعتاهية قد عاهد نفسه الا يقول شعرا فأجبره الرشيد على القول فأطاعه فحظى عنده حظوة كبيرة ، حتى كان لايفارقه فى حضر ولا سفر ، وعين له راتبا مقداره ٥٠,٠٠٠ درهم سوى الجوائز منه ومن أمرائه ووزرائه . وكان بعض هؤلاء يجرون عليه الرواتب الشهرية أو السنوية

وكان أبو العتاهية سوداوى المزاج كثير التردد فى أمر الدين فتقلب على أطوار شتى ، شأن الذين يحلون أنفسهم من قيود الدين وينظرون فيه نظر الناقد . واستقر رأى أبى العتاهية أخيرا على التمسك بالاسلام والزهد عن الدنيا ، فأمره الرشيد أن يقول الشعر فأبى فحبسه وضربه ثم أطلقه شفقة عليه . وله غزل كثير فى عتبة جارية المهدى

وهو من مؤسسى الانقلاب الشعرى فى هذا العصر ، وقد أطلق نفسه من التقليد فى المعانى والالفاظ ، فأتى بمعان جديدة ونظم على أوزان لا تدخل فى العروض ولم يتقدمه فيها أحد (١) . ولم يتهيب مما يتهيب له كثيرون من شعرائنا خوفا من الخروج على التقليد . قعد يوما عند قصار فسمع صوت المدقة ، فحكى ذلك فى أبيات من شعره فقال :

للمَنــون دائرا ... تٌ يُدرْن صَرْفهــا
هُنَّ ينتقيننــــا ... واحدا فواحدا (*)

ومن مخترعاته فى المعانى قوله :

الناسُ فى غفــلاتهم ... ورحى المَنية تَطْحَنْ

وقوله لأحمد بن يوسف :

ألم تر أن الفقر يُرْجَى له الغنى ... وأن الغنى يُخْشَى عليه من الفقر

---

(١) الاغانى ١٢٦ ج ٣ والشعر والشعراء ٤٩٧

(*) هذان البيتان من مقلوب بحر البسيط فوزنهما فاعلن مستفعلن

وقوله فى موسى الهادى :

ولما استقلوا بأثقالهم وقد أزمعوا للذى أزمعوا
قرنت التفانى بآثارهم وأتبعتهم مقلةً تدمع

وقوله :

هب الدنيا تصير إليك عفواً أليس مصيرُ ذاك إلى زوالِ

ومن لطيف معانيه قوله :

إذا المرءُ لم يعتِق من المال نفسَه تملَّكه المالُ الذى هو مالكه
ألا إنما مالى الذى أنا منفقٌ وليس لِىَ المالُ الذى أنا تاركه

وذكروا له ارجوزة حكمية فى بضعة آلاف بيت ، منها :

حَسْبك مما تبتغيه القوتُ ما أكثرَ القوتَ لمن يموتُ
الفقرُ فيما جاوز الكفافا مَنِ اتقى الله رَجَا وخافا

ومع ذلك فالاصمعى يقول : « شعر أبى العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى »

وكان أبو العتاهية أبيض اللون اسود الشعرَ نظيف الثياب له وفرة جعدة وهيئة حسنة ولباقة وحصافة . وكان سيال القريحة سريع الخاطر لطيف المعانى سهل الالفاظ . فقد سأله بعضهم : « كيف تقول الشعر ؟ قال : « ما اردته قط الا مثل لى فأقول ما أريد وأترك ما لا اريد »

وقد نظم فى كل أبواب الشعر وامتاز منها بالزهد . ويؤخذ من سيرة حياته انه كان مترددا متقلبا ، ويغلب ذلك فى طباع الشعراء لانهم أهل خيال وأوهام وخصوصا الذين يستجدون بشعرهم فانهم يتقلبون مع الاهواء ويسعون وراء النفع حيثما كان .. على ان امتناع أبى العتاهية عن قول الغزل بعد أن أمره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ، ولكن لعل له سببا حمله على ذلك .

واما تقلبه فظاهر من تذبذبه فى الدين كما تقدم . وانه كان اذا اختص ببعض الامراء ادعى ولاء قبيلته ، فقد كان طول حياة يزيد بن منصور يدعى انه مولى لليمن وينتفى من عنزة . فلما مات يزيد رجع الى ولائه . وعاتبه بعضهم فى ذلك ، وقال له : « ألم تكن تزعم ان ولاءك لليمن ؟ » قال : « ذلك شيء احتجنا اليه فى ذلك الزمن . وما فى واحد انتميت اليه خير ، ولكن الحق أحق أن يتبع » . وكان مع ما جمعه من الاموال بخيلا ، وله حوادث كثيرة تدل على شدة بخله ذكرها صاحب الاغانى

وله ديوان مطبوع فى بيروت سنة ١٨٨٧ . وتجد اخباره فى الاغانى ١٢٦ ج ٣ و ١٨ ج ٦ و ٢٤ ج ٨ ، وابن خلكان ٧١ ج ١ وطبقات الشعراء ٤٩٧ ، والفهرست ١٦٠. ، وفى الهلال ١٣٣ سنة ١٣ (*)

٦ – أبو تمام

توفى سنة ٢٣٢ هـ

هو عربى من طى ، واسمه حبيب بن اوس الطائى . ولد فى منبج فى بلاد الشام وجاء مصر صغيرا . وكان يسقى الماء فى الجامع بالفسطاط ثم جالس الادباء واخذ عنهم وتعلم . وكان فطنا فهما يحب الشعر ، فلم يزل يعانيه حتى اجاده . وسار شعره وشاع ذكره فى بغداد حاضرة الادب فى ذلك الحين ، وخليفتها المعتصم ، وقد التفت حوله حلقة من الشعراء . فبعث فى طلب أبى تمام فنظم فيه القصائد ، فأجازه ، وقدمه على شعراء وقته . فلم يعد يقدر أحد منهم ان يأخذ درهما بالشعر فى حياته . فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه . وقد امتاز بمذهب فى المطابق سبق به الشعراء ، وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه .. فان له فضل الاكثار فيه والسلوك فى جميع طرقه (١)

وهو من المقدمين بحسن الديباجة ورقة العبارة وفى اجادة الرثاء ، (٢) ومطلع قصيدته التى رثى بها محمـــد بن حميد الطوسى لايزال الراثون والمؤبنون يتمثلون به الى اليوم وهو :

ألا فليجلّ الخَطْبُ وليفدح الأمرُ فليس لعينٍ لم يفضْ ماؤها عذر

وذكر صـــاحب الاغانى ان كثيرا من أبيات هذه القصيدة مسروق من قصيدة مكنف أبى سلمى من ولد زهير بن أبى سلمى ، هجا فيها ذفافة العبسى وذكر أبياتا منها (٣)

ومن مراثيه قوله يرثى ابنين صغيرين لعبد الله بن طاهر ماتا معا :

لهفى على تلك المخايل فيهما لو أمهلتْ حتى تكون شمائلا
لغدا سكونهما حِجىً وصباهما حلمـاً وتلك الأريحيـــة نائلا
إنّ الهلال إذا رأيتَ نموّه أيقنتَ أن سيكون بدراً كاملا

(*) وراجع فى أبى العتاهية طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٢٨ والموشح للمرزبانى ص ٢٥٤ والبيان والتبيين «انظر الفهرس» وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٥٠ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٣٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٥ ومقالة Oestrup عنه فى دائرة المعارف الاسلامية وفون كريمر فى كتابه (حضارة الشرق) ج ٢ ص ٣٧٢ وبروكلمن ج ١ ونيكلسون ص ٢٩٦

(١) الاغانى ١٠٠ ج ١٥ (٢) العمدة ١١٩ ج ٢

(٣) الاغانى ١٠٧ ج ١٥

ومن مدائحه قوله : (*)

سودُ اللباس كأنما نسجتْ لهم أيدى السَّموم مدارعا من قارِ
بكروا وأسْروا فى متونِ ضوامرٍ قيدَت لهم من مربط النجَّار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم أبداً على سَفَرٍ من الأسفار

ولابى تمام وصية فى كيفية النظم أوصى بها أبا عبادة البحترى ، بين فيها أحسن الوسائل لاجادة النظم ، قال : « تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم . واعلم ان العادة فى الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء أو حفظه فى وقت السحر ، وذلك ان النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم .. فان أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا وأكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق . واذا أخذت فى مدح سيد ذى أياد فاشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقامه وتقاص المعانى واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الزرية . وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجسام ، واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وأنت فارغ القلب . واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه ، فان الشهوة نعم المعين . وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى »

ديوان الحماسة

وله فضل على معاصريه من الشعراء ، فانه لم يكتف بما نظمه من ضروب الشعر بل جمع مختارات من أشعار عرب الجاهلية وغيرهم فى كتاب سماه الحماسة ، وتعرف بحماسة أبى تمام تمييزا لها عن حماسة البحترى .. حمله على جمعها انه نزل عند صاحب له فى همذان اسمه « ابن سلمة » فاكرمه فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج كثير قطع السابلة ، فغم أبو تمام وفرح « ابن سلمة » وقال : « وطن نفسك على البقاء ، ان الثلج لا ينحسر الا بعد زمان». واحضر له خزانة كتب فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب فى الشعر ، منها كتاب الحماسة والوحشيات وهى قصائد طوال . فبقى كتاب الحماسة فى خزائن آل سلمة يضنون به ولايكادون يبرزونه لاحد ، حتى تغيرت أحوالهم ، وورد من همذان رجل من أهل دينور يعرف بأبى العواذل فظفر به وحمله الى اصبهان . فاقبل أدباؤها عليه ورفضوا ما عداه من الكتب المصنفة فى معناه ، فاشتهر فيهم وقد شرحه كثيرون

(*) هذه الابيات من قصيدة فى مديح المعتصم ، وقد ذكر فيها أبو تمام حرقه لقائديه : بابك ومازيار اللذين كانا ثائرين عليه ، وقد صلبهما متجاورين وعليهما سواد الحرق والنار . والضوامر : الخيل . يقول أبو تمام انهما كانا معلقين ليلا ونهارا ، والى ذلك أشار بقوله فى البيت الثاني (بكروا وأسروا) . ويقول ان الضوامر التى حملتهما ليست من الخيل، وانما هى خشبات من صنع بعض النجارين

ومن أحسن الشروح شرح الخطيب التبريزى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ، وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٦ فى أربعة أجزاء كبار ، بين فيها اشتقاق أسامى شعراء الحماسة وغيرهم وتفسير كل بيت وما فيه من الغريب والاعراب وايراد الاخبار فى أماكنها . وطبعت الحماسة بلا شرح فى الهند سنة ١٨٥٦ ، ولها شرح للمرزوقى ، وآخر لابى العلاء المعرى ، وآخر لابن جنى ، منها نسخ خطية فى المكتبة الخديوية وفى غيرها (*)

وقد عنى بطبع الحماسة مع شرح التبريزى أيضا « فريتاغ » فى مجلدين مع ترجمة وشروح لاتينية . ظهر المجلد الاول سنة ١٨٣٨ ، والثانى سنة ١٨٥١ فى بون . وقد ترجمها الى الالمانية فريدريك روكرت وطبعت مع الاصل فى مجلدين فى ستتغارت سنة ١٨٤٦ . ولابى تمام حماسة أخرى هى كتاب الوحشيات منها نسخة فى جملة كتب خطية نادرة استنسخها زكى باشا سكرتير مجلس النظار من مكاتب أوربا لتطبع بمصر

وكان أبو تمام أسمر طويلا فصيحا حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة . وله ديوان شرحه كثيرون شروحا حسنة . منها شرح للصولى المتوفى سنة ٣٣٥ هـ ، منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية . وقد طبع الديوان فى مصر وفى بيروت سنة ١٣٢٣

وتجد أخبار أبى تمام فى الاغانى ٩٩ ج ١٥ ، وابن خلكان ١٢١ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢١٣ ، والفهرست ١٦٥ (**)

٧ — دعبل الخزاعى

توفى سنة ٢٤٦ هـ

هو عربى من اليمن ، شديد التعصب للقحطانية على النزارية ، لايخشى بذلك لوما ولايخاف تهديدا . اسمه دعبل بن على بن رزين من خزاعة . أصله من الكوفة ، وجاء بغداد بطلب من الرشيد . وهو شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه الخلفاء ولا وزراؤهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسن اليه أو لم يحسن ، ولا أفلت منه كبير ولا صغير . فكان الناس يخافونه ويتقونه ، حتى المأمون فانه هجاه هجاء شديدا واحتمل ذلك منه . ومن شديد هجائه الذى يحتاج الى جراة قوله للمأمون :

(*) نشر شرح المرزوقى فى لجنة التاليف والترجمة والنشر فى أربعة مجلدات كبار

(**) وراجع فى أبى تمام طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨٣ والموشح للمرزبانى ص ٣٠٣ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٤٨ وكتاب اخبار أبى تمام للصولى طبع القاهرة وكتاب هبة الايام فيما يتعلق بأبى تمام للبديعى والموازنة بين الطائيين : ابى تمام والبحترى للآمدى وشذرات الذهب ج ٢ ص ٧٢ وحسن المحاضرة للسيوطى ج ١ ص ٢٦٧ (طبع القاهرة سنة ١٣٢١ هـ) ومروج الذهب للمسعودى (طبع باريس) ج ٧ ص ١٤٧ وخزانة الادب للبغدادى ج ١ ص ١٧٢ ومقدمة الحماسة ، والجزء الثانى (طبع فريتاغ) . وأنظر كتابنا : الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، الفصل الخامس من الكتاب الاول ، وكتاب من حديث الشعر والنثر لطه حسين ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٨٤ ج ١ ونيكلسون ص ١٢٩

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إني من القـــــوم الذين سُـيوفهم قتلتْ أخاكَ وشرَّفتْكَ بِمَقْعدِ
شادوا بذكركَ بعد طـول خموله واستنقذوكَ من الحضيضِ الأوْهَدِ

يشير الى طاهر بن الحسين الخزاعى ، وما كان من قتله الامين حتى تولى المـأمون . ومن قوله فى هجاء المعتصم :

ملوكُ بني العباس في الكتْبِ سبعةٌ ولم تأتنـا عن ثامنٍ لهمُ كُتْبُ
كذلكَ أهلُ الكهف في الكهف سبعةٌ خيـارٌ إذا عُدُّوا وثامنهم كلْبُ
وإني لأعْلِي كلْبهم عنكَ رفعـةً لأنكَ ذو ذنبٍ وليس له ذنبُ
لقد ضاع مُلكُ الناسِ إذ ساس ملكهم وصيفٌ وأشناسٌ وقد عظم الكربُ (*)

وهجا أيضا ابراهيم بن المهدى وغيره حتى آل طاهر مع انه كان ميالا اليهم . وكان مسلم بن الوليد المتقدم ذكره شاخ ، ودعبل شـاب وهو يعترف بأستاذيته فجفاه مسلم ، فهجاه دعبل بقصـيدة فيهـا عتاب شديد (١) ختمه بقوله :

فَهبْكَ يميني اسـتأكلتْ فقطعتهـا
وصبَّرْتُ قلبي بعـدها فتشـجَّعا

وجرى له مع المطلب بن عبد الله أحد أمراء مصر حديث غاظ دعبلا ، فهجا المطلب بقصيدة قال فيها :

تعلَّقَ مصرُ بكَ المخـــزياتِ وتبصُقُ في وجهك المَوْصِلُ
وعاديتَ قوماً فمـــا ضرهم وشرَّفْتَ قـوماً فلـم يَنْبُلوا
شعاركَ في الحرب يوم الوَغَى إذا انهـزموا : عَجِّلوا عَجِّلوا
فأنت إذا ما التقــوا آخـرٌ وأنت إذا انهـزموا أوَّلُ

وله فى مقابل ذلك مدائح فى غاية البلاغة . وأكثر مدائحه فى أهل البيت لانه كان شديد التعصب لعلى وأهله .. على انه كثيرا ما كان يتخذ هجاءه للارهاب ، فيضطر الناس الى استرضائه ليكف عن هجائهم أو ليمدحهم . ومن قوله فى مدح المطلب المذكور :

أبعدَ مصرٍ وبعـد مطَّلبٍ ترجـو الغنى إن ذا من العجبِ
إن كاثرونا جئنـــا بأسرته أو واحـدونا جئنـا بمطَّلبِ

(*) وصيف وأشناس من قادة المعتصم الترك

(١) الاغانى ٤٨ ج ١٨

ومن اشهر قصائده قوله يمدح اهل البيت ويهجو الرشيد بعد موته : (*)

وليس حيٌّ من الأحيـاء نعلمـهُ ... من ذي يمانٍ ومن بكْرٍ ومن مُضَرِ

الا وهـم شركاءٌ في دمائهمُ ... كما تشـارك أيْسـارٌ على جُزُرِ

قتلٌ وأسرٌ وتحـريق ومنْهَبَةٌ ... فعلَ الغُزَاة بأرض الروم والخَزَرِ

أرى أمية معذورين إن قتلوا ... ولا أرى لبنى العبـاس من عُذُرِ

أرْبَعْ بطوس على القبر الزكيِّ إذا ... ماكنت تَرْبَعُ من دين على وَطَرِ

قبران فى طوس خيرُ النـاس كلهمُ ... وقبـر شرهم ، هـذا من العبرِ

ما ينفع الرِّجْس من قرب الزكي ولا ... على الزكي بقرب الرِّجْس من ضررِ

هيهات كل امرىءٍ رهنٌ بماكسبت ... له يداه ، فخـذ ما شئت أو فذَرِ

ومن أدلة اقتداره على انتقاء الالفاظ قوله فى رثاء محمد بن يزيد الخزاعى :

كانت خزاعةُ ملءَ الأرض ما اتسعتْ ... فقصَّ مَرُّ الليـالى من حواشيها

هذا أبو القـاسم الثَّاوى ببلْقعةٍ ... تَسفِى الرياحُ عليه من سَوَافيها

هبَّت وقد علمتْ أن لا هبوب به ... وقد تكون حَسِـيرا إذ يباريهـا

أضحى قِرًى للمنـايا إذ نزلن به ... وكان فى سـالف الأيام يَقْريهـا

ومن شعره فى الغزل قوله :

لا تعجبى يا سَلْمَ من رجـلٍ ... ضحك المشيبُ برأسـه فبكى

لا تأخـذوا بظُلامتى أحـداً ... قلبى وطَرْفى فى دمى اشـتركا

فأنت ترى شاعرية هذا الرجل لـكن ذكره خمل بسبب هجوه الخلفاء ، والناس على دين ملوكهم . فلم يصل الينا من أشعاره الا شذرات مبعثرة مع أخباره فى الاغانى ٢٩ ج ١٨ ، وابن خلكان ١٧٨ ج ١ ، والشعر والسعراء ٥٣٩ ، والفهرست ١٦١ (**)

(*) الغريب فى هذه الابيات : الايسار : المجتمعون على القمار ، والجزر : جمع جزور ، وهو مايجزر وينحر من النوق ، اربع : قف ، طوس : مدينة بخراسان ، كان بها قبر الرشيد وقبر الرضا أحد ائمة أهل البيت ، الرجس : الدنس

(**) وراجع فى دعبل طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦٤ والموشح ص ٢٩٩ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٣٨٢ وتهذيب ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١١١ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٢ ومعجم الادباء لياقوت وكذلك معجم البلدان فى مادة سمنجان وتاريخ ابن الاثير ج ٧ ص ٦٠ ودائرة المعارف الاسلامية وجولدتسيهر فى كتابه دراسات اسلامية ج ١ ص ٨٣ ، ١٥٦ وبروكلمن ٧٨ ج ١

سائر الشعراء
فى العصر العباسى الاول

شعراء الخلفاء

نريد بشعراء الخلفاء الذين انقطعوا للخلفاء أو كان أكثر منظومهم فيهم أو انهم لم يختصوا بسواهم ، وهم لا يدخلون فى طبقة من الطبقات الاخرى . وقد ترجمنا لبعضهم فيمن تقدم من فحول هذا العصر ، ونأتى الآن على خلاصة أخبار الباقين مراعاة للمقام ، ونرتبهم حسب سنى وفاتهم

١ — أبو دلامة
توفى سنة ١٦١ هـ

هو زند بن الجون ، وسمى أبا دلامة ، نسبة الى ابنه دلامة . وهو كوفى المنشأ اسود اللون ، مولى لبنى أسد . وكان أبوه عبدا لرجل منهم فأعتقه أدرك أبودلامة أواخر الدولة الاموية ، ولكنه نبغ فى الدولة العباسية وانقطع الى أبى العباس السفاح والمنصور والمهدى . وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبون محاسنه ونوادره ، وفيه دعابة وظرف ، لايخلو حديثه من نكتة أو ملحة . وكان مع ذلك معدودا فى جملة المتهمين بالزندقة وفساد الدين ، وكان يشرب الخمر ولايحضر صلاة ولا فروضا . وله قصائد عدة فى مدح الخلفاء المذكورين ، منها قصيدة فى قتل أبى مسلم الخراسانى مطلعها :

أبا مسلم خوّفتنى القتلَ فانتحَى عليك بما خوفتنى الأسدُ الوَرْدُ

انشدها المنصور فى محفل من الناس ، فقال له : « احتكم » فطلب عشرة آلاف درهم فقبضها . وله فيه مدائح كثيرة ، وكلما زاده عطاء زاده مدحا حتى قال فيه :

لو كان يقعدُ فوق الشمس من كرمٍ قومٌ لقيلَ اقعدوا يا آل عبّاسِ
ثم ارتقوا فى شعاع الشمس كلكمُ الى السماء فأنتم أطهرُ الناسِ
أو قدّموا القائم المنصور رأسكمُ فالعينُ والأنفُ والأذنان فى الرّاس

ومن مداعباته ومجونه ان أبا العباس السفاح قال له : «سلنى حاجتك» ، فقال أبو دلامة : « كلب أتصيد به » فاستغرب طلبه لكنه أمر باعطائه ، فقال أبو دلامة : « ودابة أتصيد عليها » قال : « اعطوه » قال : « وغلام يصيد بالكلب ويقوده » قال : « اعطوه غلاما » قال : « وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه » قال : « اعطوه جارية » قال : « هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها » قال : « اعطوه دارا تجمعهم » قال : « فان لم تكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون ؟ » قال : « قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة » قال : « وما

الغامرة ؟ » قال : « التى لا نبات فيها » فقال : « قد اقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافى بنى أسد » فضحك وقال : « اجعلوها كلها عامرة »

ومن مجونه ان المنصور ألزمه الصلاة فى مسجده ووكل به من يلاحظه فغاظه ذلك ، فكتب الى المنصور رقعة قال فيها :

لم تعلموا أن الخليفة لَزَّنى(*) بمسجده والقصرِ ، مالى وللقَصْرِ
أصلى به الأولى مع العَصْر دائماً فويلى من الأولى وويلى من العصر
ووالله مالى نيةٌ فى صلاتهم ولا البرُّ والأحسانُ والخيرُ من أمرى
وما ضَرَّه والله يُصْلح أمره لو انَّ ذنوب العالمين على ظهرى

فضحك المنصور وأعفاه . وأخباره فى الاغانى ١٢٠ ج ٩ ، وابن خلكان ١٩٠ ج ١ ، والشعر والشعراء ٤٨٧ ، والدميرى ١٣٢ ج ١ ، والمستطرف ٤٣ ج ٢ (**)

٢ ـ حماد عجرد

توفى سنة ١٦١ هـ

هو مولى أيضا نشأ فى الكوفة ، ثم واسط ، وعاصر الدولتين ، لكنه نبغ فىالدولة العباسية بعد أن نادم الوليد بن يزيد الاموى، وجاء بغداد أيام المهدى ومعه مطيع بن اياس ويحيى بن زياد وكلهم من المتهمين فى دينهم . وحماد منالشعراء المجيدين، وكانماجنا ظريفا خليعا ، وأدرك بشاربن برد وله معه اهاج فاحشة لولا فحشها لذكرنا أمثلة منها . ولم يكن يهاب كبيرا ولا صغيرا ولا عالما كان أو خليفة . وقد عاصر الامام ابا حنيفة وكانت بينهما مودة ثم قاطعه أبو حنيفة ، وبلغ حمادا انه يتنقصه فكتب اليه :

إن كان نُسْكُكَ لا يتمُّ بغير شتمى وانتقاصى
فاقعد وقم بى كيف شئْتَ مع الأدانى والأقاصى
فلطالما زكيتنى وأنا المقيمُ على المعاصى
أيام نأخذها ونعطى فى أباريق الرصاص

واهتم أدباء ذلك العصر بالمهاجاة بين بشار وحماد كما اهتموا فى العصر الاموى بالمهاجاة بين جرير والفرزدق . وقد أجمع علماء البصرة انه ليس

(*) لزنى : الزمنى

(**) وراجع فى أبى دلامة طبقات الشعراء لابن المعتز ص٥٤ وتاريخ بغداد ج٨ ص٤٨٨ والفهرست لابن النديم ص١٤٣ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢١٠ وشذرات الذهب ج ١ ص٢٤٩ ومحاسن البيهقى (طبعة شوالى) ص ٦٤٥ والمقامة رقم ٤٠ من مقامات الحريرى مع شرح الشريشى ج ٢ ص ٢٣٦ ومعجم الادباء لياقوت فى زند بن الجون

فى هجاء حماد لبشار شيء جيد الا ٤٠ بيتا معدودة . أما بشار فله من الهجاء فيه أكثر من ألف بيت جيد ، وكل منهما هتك صاحبه بالزندقة . وكانا يجتمعان عليها ، فسقط عجرد وتهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه ، وبقى بشار على حاله لم يسقط

ومن ظريف أخباره انه هجا حفص بن ابى بردة وكان صديقه وزنديقا مثله ، وحفص أعمش أفطس أعضب مقبح الوجه .. فاجتمعوا يوما على شراب وجعلوا يتحدثون ويتناشدون ، فأخذ حفص بن أبى بردة يطعن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه فقال له حماد : (*)

لقد كان فى عَيْنْك ياحفص شاغلٌ وأنفٍ كثيلِ العَوْد عما تتبَّعُ
تتبَّع لحناً فى كلام مُرقّشٍ ووجهك مبنىٌّ على اللحن أجمعُ
فأذناك إقْواءٌ وأنفك مُكْفأٌ وعيناك ايطاءٌ فأنتَ المُرقّعُ

وقد سبق ابا نواس بالتغزل فى الغلمان . من ذلك قوله فى غلام كان يهواه اسمه أبو بشر :

أخى إن دائى ليس عندى دواؤه ولكنْ دوائى عند قلبِ أبى بشر
دوائى ودائى عند من لو رأيته يقلّب عينيه لأقصَرْتَ عن زَجرى
فأقسم لو أصبحتَ فى لوعة الهوى لأقصرت عن لومى وأطنبت فى عذرى
ولكنْ بلائى منك أنك ناصح وأنك لا تدرى بأنك لا تدرى

وكان السبب فى وفاة حماد عجرد انه شبب بزينب أخت محمد بن سليمان بن على وبلغه غضب محمد ، فهرب الى الاهواز فبعث محمد فى طلبه ، ففر الى غيرها ، ومرض فى تنقله ، حتى مات فى شيراز ، ودفن فيها

وتجد ترجمته فى الاغانى ٧٣ ج ١٣ ، وابن خلكان ١٦٥ ج ١ ، والشعر والشعراء ٤٩٠ ، والفهرست ٩١ (**)

٣ ـ مروان بن أبى حفصة

توفى سنة ١٨١ هـ

هو من الشعراء الموالى ، أصل جده من سبى اصطخر ، وكان غلاما اشتراه عثمان بن عفان ووهبه لمروان بن الحكم ، واقام بعدئذ باليمامة ، وولد له غلام سماه مروان . وقد اختلفوا فى حقيقة نسبه .. شب مروان على كره الشيعة لانه من موالى بنى امية وقد حارب معهم . وكان شجاعا مجربا

(*) الغريب فى هذه الابيات : العود : البعير ، الثيل : الغرمول . الاقواء والايطاء والاكفاء من عيوب القافية فى الشعر

(**) وانظر فى حماد طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٦٧ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ١٤٨ ومعجم الادباء فى حماد ، وكذلك حديث الاربعاء لطه حسين الجزء الثانى

فلما نبغ فى الشعر قدم بغداد ومدح المهدى ثم الرشيد ، وكان يتقرب اليه بهجاء العلويين . وهو من الفحول المقدمين ، أول من شهره ونوه به معن ابن زائدة الجواد المشهور ، اذ مدحه مروان بقصيدة نونية ، مطلعها :

مَعْنُ بن زائدةَ الذى زِيدتْ به ... شَرَفاً على شرفٍ بنو شَيْبان

ولكنه اشتهر على الخصوص بقصيدة لامية مدح بها معنا مطلعها :

بنو مَطَرٍ يومَ اللقـــاء كأنهم ... أسودٌ لها فى بطن خَفَّان أشبُلُ

فأجازه عليها بمال كثير ، فكان كلما زاده معن عطاء زاده مروان مدحا حتى غار منه المهدى وعنفه مرة ، وقد دخـــل عليه فى جملة الشعراء وانشده قصيدة فى مدحه ، فقال له المهدى : « من انت ؟ » قال : «شاعرك يا امير المؤمنين وعبدك مروان بن ابى حفصة » فقال له المهدى : « الست أنت القائل :

أقمنا باليمامة بعد مَعْنٍ ... مقاماً لا نريد به زَوالا
وقلنا أين نَرْحَلُ بعد معنٍ ... وقد ذهب النوالُ ولا نوالا

قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا .. جروا برجله » فجروه برجله حتى اخرج . فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء — وكانت الشعراء تدخل على الخلفاء فى كل عام مرة — فمثل بين يديه وانشد قصيدة فى مدحه حتى بلغ الى قوله :

هل تَطْمسون من السماء نجومها ... بأكفكم أو تسترون هلالهـــا
أو تجحدون مقالةً عن ربكم ... جبريلُ بلَّغها النبىَّ فقالهـــا
شهدتْ من الأنفال آخرُ آية ... بتراثهم فأردتم إبطالهـــا

فطرب المهدى وسأل عن القصيدة كم هى ، فقيل مائة بيت ، فأمر له عن كل بيت بألف درهم فنال ١٠٠٫٠٠٠ درهم . وهـــذه أول مرة نال فيها شاعر هذه العطية (١)

ولما تولى الرشيد جاءه مع الشعراء فأصابه معه ما اصابه مع المهدى ، اذ مدحه بقصيدة بائية أعجبته فأعطاه عن كل بيت الف درهم . ولم ينل أحد من شعراء ذلك العصر ما ناله مروان بشعره فجمع مالا كثيرا ، لـكنه كان مطبوعا على البخل ويظهر ذلك على الخصوص حين تقابل بينه وبين سلم الخاسر الآتى ذكره لان هـــذا يتمتع بماله فيأتى باب المهدى على البرذون قيمته ١٠٫٠٠٠ درهم ، ويلبس الخز والوشى ويتطيب ويتنعم فى الاكل على عكس مروان (٢)

(١) الاغانى ٤٤ ج ٩
(٢) الاغانى ٣٩ ج ٩

وتجد أخبار مروان فى الاغانى ٣٦ ج ٩ ، وابن خلكان ٨٩ ج ٢ ، و ١٠٩ ج ٢ ، والشعر والشعراء ٤٨١ ، وخزانة الادب ٤٤٧ ج ١ ، والفهرست ١٦٠ (*)

٤ ـ سلم الخاسر

توفى سنة ١٨٦ هـ

هو سلم بن عمرو ، أحد موالى ابى بكر الصديق . نشأ فى البصرة ، وكان شاعرا مطبوعا متصرفا فى فنون الشعر ، وكان متظاهرا بالخلاعة والفسوق والمجون . وزاد شاعرية وقدرة بالشعر على يد بشار لانه كان راويته وتلميذه .. اخــذ عنه واغترف من بحره ونسج على منواله ، وكثيرا ما كان يأخذ أقواله فيسلخها ويمسخها كما مسخ هذا البيت :

مَنْ راقبَ الناسَ لم يظفرْ بحاجته وفازَ بالطيباتِ الفاتكُ اللَّهِجُ

فجعله :

مَنْ راقب الناس مات غمًّا وفاز باللــذة الجَسُورُ

فبلغ بيته بشارا فغضب وأقسم الا يدخل عليه ولا يفيده ما دام حيا ، فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضى ووبخه وقنعه بمخصرة كانت بيده . وكان صديقا لابراهيم الموصلى المغني المشهور ولابى العتاهية . وكان يمدح البرامكة وخصوصا الفضل بن يحيى . وكان أول اشتهاره انه حمل قصيدة بشار الى عمر بن العلاء ، فلما أنشده اياها أمر لبشار بمائة درهم فقال سلم : « ان خادمك (يعنى نفسه) قد قال فى طريقه فيك قصيدة » قال : « ما هى ؟ » فأنشده اياها ومطلعها :

قد عَزَّنى الداءُ فمــا لى دواءْ مما ألاقى من حِسان النســاءْ

حتى تخلص الى المدح بقوله :

كم كُربة قد مسَّنى ضرُّها ناديتُ فيهــا عُمر بن العــلاءْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وهى أول عطية سنية نالها .. ثم توالت عليه الجوائز من الخلفاء والوزراء والامراء ، وكان مترفا فى المعيشــة ويلبس أحسن الملابس كما تقدم . وظل الى آخر ايامه يعترف انه جزء من محاسن بشار

وتجــد ترجمته فى الاغانى ١١٠ ج ٢١ ، وابن خلكان ١٩٨ ج ١ (**)

(*) وراجع فى مروان طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٤٢ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٤٢ والموشح للمرزبانى ص ٢٥١ وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٠١ وامالى المرتضى طبعة الحلبى (انظر الفهرس) وحديث الاربعاء لطه حسين الجزء الثانى

(**) وانظر فى سلم طبقات الشعراء لابن المعتز ص٩٩ وتاريخ بغداد ج٩ ص١٣٦ ومعجم الادباء لياقوت وامالى المرتضى (انظر الفهرس)

٥ ـ منصور النمري

هو عربي من النمر بن قاسط ، نشأ في الجزيرة بين النهرين . وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي الآتي ذكره بين الشعراء الذين لم يتحضروا وراويته . وعنه أخذ ومن بحره استقى . وقدمه العتابي الى البرامكة اذ وصفه للفضل بن يحيى وقرظه عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه . ثم وصله بالرشيد ، وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة ، حتى تهاجرا وتناقضا ، وسعى كل منهما في هلاك صاحبه

وكان مسكن النمري في الشام ، فطلب الى البرامكة ان يذكروه للرشيد فذكروه ووصفوه فاستحضره . وكان ذا حيلة سياسية فادرك ان الرشيد يسره ان يمدح بنفي الامامة عن علي والطعن عليه ، لما كان يراه من تقديم مروان بن أبي حفصة بسبب ذلك .. فسلك مذهبه ونحا نحوه ، والشعراء يومئذ انما يطلبون الكسب . لكنه لم يصرح بالهجاء والسب كما فعل مروان ، ومن قوله فيه قصيدة مطلعها (*) :

أميرَ المؤمنين اليك خُضْنَا غِمارَ الهَوْلِ من بلدٍ شَطيرِ
بِخُوص كالأهلة خافقاتٍ تَلينَ على السُّرى وعلى الهجيرِ
حملن إليك أحمالاً ثقالاً ومثلَ الصخر والدرِّ النَّثيرِ
فقد وقف المديحُ بمنتهاه وغايته وصار إلى المصيرِ

ومما قاله في تفضيله على أبناء علي بالارث قوله :

فإن شكروا فقد أنعمتَ فيهم وإلا فالنَّدامةُ للكفورِ
وإن قالوا بنو بنتٍ فحقٌّ وردُّوا ما يناسب للذكورِ
وما لبني بناتٍ من تراثٍ مع الأعمام في وَرَقِ الزَّبورِ

وكان الرشيد يفضل مروان عليه في العطاء . وقد ذكرنا الابيات التي قالها في مدح الرشيد وما فيها من المبالغة (١) وناهيك بالقصيدة التي رفعت السيف عن ربيعة (٢) وقد مدح أيضا يزيد بن مزيد بقصيدة مطلعها :

لو لم يكن لبني شيبان من حَسَبٍ سوى يزيدَ لفاقوا الناس بالحسب

وتجد أخبار منصور النمري في الاغاني ١٦ج ١٢ و ٣٢ و ١٤١ج ١٧(**)

(*) الغريب في الابيات : شطير : بعيد، الخوص : النوق ، وأراد بالبيت الثالث شعره الذي يشبه بعضه الصخر وبعضه الدر

(١) الاغاني ٢٠ ج ١٤ والعمدة ١١٠ ج ٢ (٢) الاغاني ٢٣ ج ١٢

(**) وانظر في منصور النمري طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٢ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٦٥ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٤٦ وامالي المرتضى ج ٢ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٨ وفي مواضع متفرقة (انظر الفهرس)

٦ — على بن الجهم

توفى سنة ٢٤٩ هـ

هو عربى قرشى شاعر فصيح مطبوع ، وقد خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه .. ثم أبغضه لانه كان كثير السعاية اليه بندمائه ، واذا خلا به عرفه انهم يعيبونه ويثلبونه ، فيكشف الخليفة عن ذلك فلا يجد له حقيقة .. فنفاه الى خراسان بعد أن حبسه مدة . وكان مذهبه فى الشعر مذهب مروان بن أبى حفصة فى هجاء آل أبى طالب وذمهم والاغراء بهم وهجاء الشيعة ، كقوله : (*)

ورافضةٍ تقول بشِعْب رَضْوَى إمامٌ ، خاب ذلك من إمامِ
إمامٌ مَنْ له عشرون ألفا من الأتراك مُشْرَعَةَ السِّهام

وهجا الخليفة المتوكل مرة ، فنفاه الى خراسان . وكتب الخليفة الى طاهر بن عبد الله صاحب خراسان ، أن يصلبه ، فقبض عليه وصلبه فى الشاذياخ يوما الى الليل مجردا ، فلما نزل قال فى ذلك قصيدة فخرية مطلعها :

لم ينصبوا بالشّاذ ياخ عشية الإ ثنين مسبوقا ولا مجهولا
نَصَبوا بحمد الله ملءَ قلوبهم شرفا وملء صدورهم تبجيلا

ومما قاله عن حبسه بعد الخروج منه ، وفيه أحسن ما قيل فى مدح السجن (**)

قالوا حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائرى حَبْسى وأى مهنّدٍ لا يُغْمَدُ
أو ما رأيت الليثَ يألف غِيله كبرا وأوباشُ السباعِ تردّدُ
والشمسُ لولا أنها محجوبةٌ عن ناظريك لما أضاء الفرقدُ
والبدرُ يدركه السِّرار فتنجلى أيامه وكأنه متجدّدُ
والغيث يحصُره الغمامُ فما يُرَى إلا وريِّقُهُ يروعُ ويرعدُ
والزّاعبيّةُ لا يُقيم كعوبها إلا الثِّقاف وجذوةٌ تتوقّدُ
والنارُ فى أحجارها مخبوءةٌ لا تصطلى إن لم تثرْها الأزْنُدُ

وله أقوال فى الغزل والعتاب وفى الوصف ، ومن أجمل ذلك قوله فى

(*) يشير ابن الجهم فى البيت الأول الى ما كان يعتقده بعض الشيعة من غيبة محمد بن الحنفية فى شعب رضوى . (أنظر ترجمة كثير فى الاغانى)

(**) الغريب فى الابيات: الغيل : الاجمة وبيت الاسد ، السرار ، آخر ايام الشهر ، ريق المطر : أوله ، يراح : من راح المطر اذا كان شديد الريح ، الزاعبية : الرماح ، الثقاف : الصقل

وصف حفلة بعد صيد ، أقاموا بعده يشربون على الزعفران (*)

وطئنا رياضَ الزعفران وأمسكَتْ ... علينا البُزاةُ البيض حُمْر الدَّرارجِ

ولم تَحْمِهــا الأدغال منــا وإنما ... أبحنا حماها بالكلاب النوابجِ

بمستروحات سابحاتٍ بطونهــا ... على الأرض أمثال السهام الزوالجِ

ومستشرقات بالهوادى كأنهــا ... وما عَقَفَتْ منها رؤوس الصوالجِ

ومن دالعاتٍ ألسُناً فكأنهــا ... لِحىً من رجال خاضعين كواسجِ

فَلَيَّنّا بها الغيطان فلْياً كأنها ... أناملُ إحدى الغانيات الحوالجِ

وتجد أخباره فى الاغانى ١٠٤ ج ٩ ، وابن خلكان ٣٤٩ ج ١ (**)

٧ ـ حسين بن الضحاك

توفى سنة ٢٥٠ هـ

هو من موالي باهلة ، ولد فى البصرة ، ونشأ فيها ، ونادم الخلفاء من بنى العباس ، وكان خليعا فاسدا . وكان مع ذلك حسن التصرف فى النظم ، لشعره قبول ورونق . . فهو من المتفننين ، وله معان جديدة فى الخمر ، كان أبونواس يأخذها عنه . ومع ان أبا نواس مات سنة ١٩٨ ، والضحاك مات سنة ٢٥٠ ، فقد تعاصرا لان مولدهما متقارب ، لكن ابن الضحاك عمر كثيرا .

وهو أول من نادم الامين وله فيه مدائح كثيرة ، فلما رجع المأمون من خراسان بعد مقتل أخيه واستتب الامر له طلب قوما من أهل الادب يجالسونه ، فذكروا له جماعة فيهم حسين بن الضحاك ، فقال : « أليس هو القائل فى محمد (الامين) :

هلاَّ بقيتَ لسَدِّ فاقتنــا ... أبداً وكان لغــيرك التــلفُ

فلقد خَلَفْتَ خلائفاً سَلَفوا ... ولسوف يَعْوِزُ بعــدك الخَلَفُ

لا حاجة لى فيه والله لايرانى أبدا الا فى الطريق » ولم يعاقبه على ما كان من هجائه له وتعريضه به . وانحدر الحسين الى البصرة ، فأقام بها طوال أيام المأمون

(*) الغريب فى هذه الابيات : الدرارج : جمع دراج ، وهو طائر ملون الريش ، النوابج : النوابح ، الزوالج : السريعة : الهوادى : الاعناق ، عقفت : عطفت وعوجت ، والصوالج : جمع صولجان ، دالعات : مخرجات ، كواسج : جمع كوسج وهو المرسل للحيته على ذقنه ، الحوالج : اللاتى يندفن القطن حتي تخلص البذور منه

(**) وراجع طبقات الشعراء لابن المعتز ص٣١٩ ومعجم الشعراء والموشح للمرزبانى ص٣٤٤ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٧ وكذلك ج ٧ ص ٢٤٠ فى ترجمة أبيه الجهم وابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٦٢ وابن الاثير والطبرى (أنظر فهارسهما وكذلك فهارس مروج الذهب للمسعودى طبعة باريس) . وقد نشر خليل مردم سنة ١٩٤٩ ديوانه فى دمشق

وله فى الامين مراث جيـــدة . فلما تولى المعتصم سأل عن حسين بن الضحاك ، فقيل له انه فى البصرة ، فاستقدمه فقدم ، وانشده قصيدة فيها من المديح قوله :

خَيْرُ الوفود مبشرٌ بخلافةٍ خَصَّتْ ببَهْجتهـا أبا إسْحاقِ
وافته فى الشهر الحرام سليمةً من كل مشكلةٍ وكل شقاق
أعطتــه صَفقتها الضمائرُ طاعــةً قبــل الأكفِّ بأوكــد الميثـاق
ســكن الأنام إلى إمام ســـلامةٍ عَفٍّ الضمير مهذبِ الأخلاق
فحمى رعيَّته ودافع دونهـــا وأجار مُمْلقهــا من الإملاق

وله ابيات فى التغزل بالغلمان ، اقتبس بعضها أبو نواس (١)

وتجد اخباره فى الاغانى ١٧٠ ج ٦ ، وابن خلـكان ١٥٤ ج ١ (*)

شعراء البرامكة

نريد بهم الشعراء الذين كان اكثر انقطاعهم للبرامكة ، او اختصوا بهم دون سواهم ، او كان لهم معهم شأن خاص ، وهاك أشهرهم :

١ ـ ابان بن عبد الحميد

هو من الشعراء الموالى ، واكثر شعره مزدوج ومسمط . نقل كتبا من الفارسية الى العربية . وله ذكر خاص فى آداب اللغة العربية ، لانه نظم كتاب كليلة ودمنة شعرا باشارة البرامكة، كما نظمه الفرس قبلا ليسهل حفظه على الاذهان . وقد نقله ابن المقفع نثرا . وهاك مطلع الترجمة الشعرية :

هذا كتـــاب أدبٍ ومِحْنَهْ وهو الــذى يُدْعَى كليله دمنهْ
فيه احتيالاتٌ وفيــه رشــــدُ وهو كتـــابٌ وضعته الهندُ

فاعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، واعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ، ولم يعطه جعفر شيئا ، وقال : « الا يكفيك أن احفظه فأكون راويتك ؟ »

وهذا النقل من جملة افضال البرامكة على اللغة العربية ، لكن المنظومة ضاعت ولم يبق منها الا هذان البيتان (**) . ونقله شعرا أيضا آخرون سنذكرهم عند ذكر هذا الكتاب

---

(١) الاغانى ١٧٥ ج ٦

(*) وانظر فى الحسين بن الضحاك طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦٨ ومعجم الادباء لياقوت وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٢ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٥٤

(**) فى كتاب الاوراق للصولى قطعة كبيرة من هذه المنظومة

وارتقى ابان فى أيام البرامكة حتى اسند اليه يحيى بن خالد امتحان الشعراء وترتيبهم فى الجوائز ، فامتحنهم ورتبهم وفى جملتهم أبو نواس. فلم يرض أبو نواس المرتبة التى جعله فيها ، وهجاه بقصيدة اتهمه فيها بالزندقة . واكثر أعدائه كانوا يتهمونه بذلك ، وفيهم المعذل بن غيلان فانه قال فيه :

رأيت أبانا يوم فِطْرٍ مُصلِّياً فقسَّم فكرى واستفزنىَ الطربْ
وكيف يصلى مظلم القلبِ دينُهُ على دين مانٍ إنَّ ذاك من العجب(*)

واغتنم أبان تقربه من البرامكة ووسطهم بايصاله الى الرشيد أو ايصال مديحه لعله يحظى كما حظى مروان بن أبى حفصة فلم يفعلوا . ولما عاتبهم قالوا : « ان مروان يتقرب اليهم بهجاء آل أبى طالب فهل تفعل ؟ » فقال : « لا » فقالوا : « فماذا نصنع ، لا تأتى الدنيا الا بما لا يحل » ثم غلب عليه التماس الرزق ، فقال :

نشدتُ بحق الله من كان مسلماً أعمُّ بما قد قلته العَجْمَ والعربْ
أعَمُّ رسول الله أقرب زلفةً لديه أم ابنُ العمِّ فى رتبة النسب
وأيهما أولى به وبعهده ومن ذا له حق التراث بما وَجَبْ
فان كان عباسٌ أحق بتلكمُ وكان علىٌّ بعد ذاك على سبب
فأبناء عباسٍ همُ يرثونه كما العم لابن العم فى الإرث قد حجبْ

وهى طويلة فقدموها الى الرشيد ، فأجازه عليها واتصل به من ذلك الحين . ونجد أخباره فى الاغانى ٧٣ ج ٢٠ ، والفرست ١٦٣ (**)

٢ — ابن مناذر
توفى سنة ١٩٨ هـ

هو مولى ، ويكنى أبا جعفر ، واسمه محمد بن مناذر .. شاعر فصيح مقدم فى العلم باللغة ، وامام فيها حتى أخذ عنه أكابر أهلها ، وكان فى أول أمره يتعبد ثم عدل عن ذلك ، فهجا الناس وتهتك ، وقذف أعراض أهل البصرة حتى نفى عنها الى الحجاز ، فمات هناك

وكان ينحو نحو عدى بن زيد فى شعره ويميل اليه ويقدمه . وقد مدح

(*) أنظر فى مانى والمانوية وصلتهما بزنادقة العصر العباسى كتاب فجر الاسلام لاحمد أمين ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وأنظر فى أبان طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤١ والاوراق للصولى فى (أخبار الشعراء) وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٤ وحديث الاربعاء الجزء الثانى ، وجولدتسيهر فى كتابه دراسات اسلامية ج ٢ ص ١٠١ وأنظر بحثا له فى أعمال مؤتمر المستشرقين السابع (١٨٨٨ م) قسم الابحاث السامية ص ١١٨ وما بعدها ودائرة المعارف الاسلامية

آل برمك وغيرهم . ولما نكب البرامكة وآلت الوزارة الى عدوهم الفضل ابن الربيع أصبح شعراء البرامكة فى خطر . فأراد ابن مناذر أن يتقرب الى الرشيد طلبا للرزق ، فاغتنم ذهابه الى الحج وتقدم اليه يوم التروية بقصيدة ، فلاح البشر فى وجه الرشيد ، فقال الفضل بن الربيع للرشيد : « هذا شاعر البرامكة » فعبس الرشيد ، فقال الفضل : « مره أن ينشدك قوله فيهم » فأمره ، فاعتذر فألح عليه ، فأنشد القصيدة التى مطلعها :

أتانا بنو الأملاك من آل بَرْمَكٍ فياطيب أخبارٍ ويا حسنَ منظرِ(١)

وكلها اطراء فى البرامكة ، ولما فرغ منها استدرك بقوله : « كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين لما مدحتهم » فأمر الرشيد أن يلطم فلطموه وأمر فحبسوه ، وخرج لا يلوى على شيء . فلقيه أبو نواس فدفع اليه صرة فيها ٣٠٠ دينار ، وقال له : « استعن بهذه واعذرنى » ولم يعد ابن مناذر يرى خيرا بعد البرامكة

وتجد أخباره فى الاغانى ٩ ج ١٧ ، والشعر والشعراء ٥٥٣ (*)

٣ — الرقاشى

توفى سنة ٢٠٠ هـ

هو مولى ، واسمه الفضل بن عبد الصمد الرقاشى ، من أهل البصرة . كان سهل الشعر مطبوعا ، وكان منقطعا الى آل برمك مستغنيا بهم عن سواهم . وكانوا يصولون به على الشعراء ، ويروون أولادهم أشعاره ، ويدونونها القليل والكثير منها تعصبا له ، وحفظا لخدمته ، وتنويهـا باسمه ، وتحريكا لنشاطه ، فحفظ ذلك لهم ! فلما نكبوا صار اليهم فى حبسهم ، فأقام معهم مدة أيامهم ينشدهم ، ويسامرهم حتى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر رثاءهم . من ذلك قوله لما صلب الفضل بن يحيى واجتاز به الرقاشى وهو مصلوب على الجذع ، فوقف يبكى ، ثم قال :

أما والله لولا خـوفُ واشٍ وعينٌ للخليفـة لا تنـامُ

لَطُفْنا حول جذعك واستلمنا كما للنـاس بالحجر استلامُ

فمـا أبصرتُ قبلك يا ابن يحيى حُساماً حَتْفُهُ السيف الحسـامُ

على اللـذات والدنيـا جميعا ودولةِ آل برمكٍ السـلامُ

ونجد ترجمته فى الاغانى ٣٥ ج ١٥ ، وفوات الوفيات ١٢٥ ج ٢ ، والشعر والشعراء ٥١٥ (**)

---

(١) الاغانى ٢٥ ج ١٧

(*) وراجع فى ابن مناذر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١١٩ والموشح للمرزبانى ص ٢٩٥ والبيان والتبيين للجاحظ « أنظر الفهرس وابن خلكان فى ترجمة يحيى بن خالد البرمكى

(**) وانظر فى الرقاشى طبقات الشعراء لابن المعتز ص٢٢٦ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص٣٤٥ والموشح ص ٢٩٨

٤ ـ اشجع السلمى

هو اشجع بن عمرو السلمى من قيس، ولد باليمامة ومات أبوه فجاءت به أمه البصرة فماتت هناك. ونشأ أشجع بالبصرة، وقال الشعر وأجاد وعد من الفحول، وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن . ولم يكن لقيس شاعر معدود، فلما نجم أشجع افتخرت به قيس. ثم اتصل بالبرامكة واختص بجعفر وأصفاه مدحه فأعجب به وأوصله الى الرشيد، فأعجب به فأثرى. ومن بليغ شعره قوله فى ابراهيم بن عثمان بن نهيك صاحب شرطة الرشيد وكان جبارا عبوسا :

فى سيف إبراهيمَ خوفٌ واقـعٌ بذوى النفـاق وفيه أمنٌ المسلمِ
ويبيت يَكْلأ والعيـون هواجعٌ مالَ المُضيـع ومهجةَ المستسلمِ
جَعل الخِطام بأنف كلِّ مخالفٍ حتى استقام له الذى لم يُخْطَمِ
لا يُصْلح السـلطانَ إلا شـدةٌ تغشى البرىءَ بفضل ذنب المجرمِ
ومن الولاة مقحِّمٌ لا يتقى والسيف تقطُر شـفرتاه من الدم
منعتْ مهابتُك النفوسَ حديثهـا بالأمر تكرهه وإن لم تعلـم

وتجد أشـعاره وأخباره فى الاغانى ٣٠ ج ١٧ ، والشعر والشعراء ٥٦٢ (*) . وأكثر الشعراء مدحوا البرامكة وانتفعوا بهم ، وانما أتينا على اشهرهم فى ذلك ، وبعضهم يدخل فى الابواب الاخرى

شعراء الشيعة

نريد بشعراء الشيعة الذين كانوا يتشيعون لآل على ويتعصبون لهم ولو مدحوا غيرهم ، وقد ترجمنا لاثنين منهم هما السيد الحميرى ودعبل فيما سبق من شعراء هذا العصر . واليك ترجمة ثالثهم ديك الجن :

ديك الجن

المتوفى سنة ٢٣٥ هـ

اسمه عبد السلام بن رغبان ، وأصله من أهل مؤتة (وقيل سلمية) . وقد أسلم جده فى أول الاسلام . ولد فى حمص . وديك الجن لقب له ، وكان شديد الشعوبية والعصبية على العرب يرد على الذين يحتقرون غير العرب بقوله : « ما للعرب علينا فضل ، جمعتنا واياهم ولادة ابراهيم واسلمنا كما اسلموا » وهو شاعر مجيد يذهب مذهب أبى تمام والشاميين فى شعره ، وكان مقيما فى حمص ، ولم يبرح نواحى الشام ولا وفد الى العراق

(*) وراجع فى أشجع طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥١ والموشح ص ٢٩٥ وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٥ والاوراق للصولى (أخبار الشعراء) ومعاهد التنصيص ج ٢ ص ١٣٣

ولا الى غيره منتجعا بشعره ولا متصديا لاحد ، وهذا نادر في شعراء ذلك العصر . وكان يتشيع لآل البيت وله مراث كثيرة في الحسين بن علي ، كان بعضها مشهورا عند الخاص والعام يناح به . وكان مع ذلك خليعا ماجنا منعكفا على القصف واللهو متلافا لما ورث عن آبائه وما اكتسبه بشعره من احمد وجعفر ابني علي الهاشميين . ومن أقواله في الخلاعة والغزل قصيدة مطلعها :

مولاتنـــا يا غـــلام متـــكره فباكر الكاس لي بلا نَظِرَه

وعشق جارية نصرانية من أهل حمص اسمها وردة حملها على الاسلام وتزوجها وله فيها تشبيب ، منه قوله :

انظر إلى شمس القصـــور وبدرها وإلى خُزَاماها وبهجة زهرها
لم تبك عينـــك أبيضاً في أسودٍ جمع الجمـــال كوجهها في شـــعرها
ورديَّة الوجنـــات يختبر اســـمها من ريقهـــا من لا يحيط بخُبْرها
وتمايلت فضـــحكت من أردافهـــا عجبا ولـــكني بكيت لخَصْرها
تســـقيك كأسَ مدامة من كفهـــا وردية ومدامة من ثغـــرها

ودخل بعض أقربائه بينه وبينها واتهمها بحب رجل آخر ، واحتال حتى صدق ديك الجن التهمة وهي افتراء ، وقتلها على غضب ثم عرف انها بريئة فنظم في رثائها :

يا طلعـــة طلع الحِمـــامُ عليهـــا وجَنَى لها ثمرَ الرَّدَى بيديهـــا
روَّيتُ من دمهـــا الثرى ولطـــالما روَّى الهوى شفتيَّ من شـــفتيها
قد بات سيفي في مجـــال وشاحها ومدامعي تجـــري على خدَّيْهـــا
فوحقِّ نعليهـــا وما وطيء الحصى شيءٌ أعـــزُّ عليَّ من نعليهـــــا
ما كان قتلها لأني لم أكن أبكي إذا ســـقط الذباب عليهـــا
لكن ضننتُ على العيـــون بحسنها وأنفتُ من نظـــر الحسود اليهـــا

وبعضهم ينسب هذه الابيات لغير ديك الجن . واحسن نظمه بعد ذلك فيها وكله جيد ، على انه كان مجيدا في الرثاء حتى فضـــلوه فيه على ابي تمام (١) . وتجد أخباره في الاغاني ١٤١ ج ١٢ ، وابن خلكان ٢٩٣ ج ١ والدميري ٣١٦ ج ١ (*)

شعراء سائر الامراء

وهناك طبقة من شعراء العصر العباسي الاول انقطع كل منهم الى أمير أو

(١) العمدة ١١٩ ج ٢
(*) وانظر في ديك الجن دائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

وزير او كبير ، اشهرهم على بن جبلة المعروف بالعكوك انقطع لأبى دلف ، ومطيع بن اياس انقطع لجعفر بن المنصور ، وأبو الشيص لعقبة بن جعفر ابن الاشعث . وهذه تراجمهم :

١ – مطيع بن اياس

هو عربى الأصل يرجع نسبه الى كنانة ، وقد عاصر الدولتين الأموية والعباسية . وكان ماجنا خليعا ظريفا مليح النادرة متهما بالزندقة . ولد ونشأ فى الكوفة وانقطع لجعفر بن أبى جعفر المنصور ومدح قليلين غيره . وهو من طبقة كانت فى صدر الدولة العباسية قبل أبى نواس وأبى العتاهية ادركوا المنصور ، وهو لا يقبل على الشعراء ، وكانوا ثلاثة هم : مطيع ، وحماد عجرد ، ويحيى بن زياد ، فكانوا يتذاكرون أيام بنى امية وكثرة الخير فيها وما هم فيه ببغداد من القحط أيام المنصور . وقد نظم مطيع فى ذلك شعرا منه قوله :

حَبَّذا عيشنا الذى زال عنا ... حَبَّذا ذاك حين لا حبَّذا ذا
أين هذا من ذاك سَقْياً لهذا ... ك ولسنا نقول سقياً لهذا
زاد هذا الزمان عسراً وشراً ... عندنا إذ أحلَّنا بَغْداذا
بلدةٌ تمطر الترابَ على النا ... س كما تمطر السماء الرذاذا
خَرِبتْ عاجلاً وأخرب ذو العر ... ش بأعمالِ أهلها كَلْواذا

وكانوا يتهتكون فى تعشق الغلمان ، ولعلهم أقدم من فعل ذلك من الشعراء . وفى الأغانى حديث عنهم ، نخجل من ذكره ، يدل على مقدار تهتكهم فى ذلك العصر . ولمطيع قصيدة عامرة يمدح بها معن بن زائدة مطلعها :

أهلاً وسهلاً بسيد العربِ ... ذى الغُرَرِ الواضحات والنُّجبِ
ففى نزارٍ وكهلها وأخى الـ ... جود حَوَى غايتيه من كَثَبِ

وترى أخباره فى الاغانى ٧٨ ج ١٢ و٨٥ ج ١٣ و٨٦ ج ٢١ (*)

٢ – أبو الشيص

توفى سنة ١٩٦ هـ

هو ابو جعفر محمد بن رزين من اليمنية . وهو عم دعبل الشاعر المشهور وقد تقدمت ترجمته . وكان أبو الشيص من شعراء عصره متوسط المحل

(*) وراجع فى مطيع طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٤ والحيوان للجاحظ (طبع الحلبى) ج ٤ ص ٤٤٧ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٢٦ ولسان الميزان ج ٦ ص ٥١ وأمالى المرتضى (طبع الحلبى) ج ١ ص ١٤٢ ، وابن خلكان فى ترجمة يزيد بن مزيد ، وكذلك أنظر حديث الاربعاء ، الجزء الثانى

فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد واشجع وأبى نواس ، فخمل ، وانقطع الى عقبة بن جعفر بن الاشعث الخزاعى ، وكان أميرا على الرقة فمدحه بأكثر شعره وقلما يروى له فى غيره . وكان عقبة جوادا فأغناه عن غيره ، لأنه كان يعطيه عن كل بيت ألف درهم . وكان من وصافى الخمر وله مقدرة على الغزل . وأصيب آخر عمره بالعمى فنظم الشعر فى بكاء عينيه ، فمن ذلك قوله :

يا نفسُ أبكى بأدمع هتُنِ ووَاكف كالجُمان فى سَنَنِ
على دليلى وقائدى ويدى ونور وجهى وسائس البدنِ
أبكى عليها بها مخافة أن تَقْرنني والظلامَ فى قَرَنِ

ومن أقواله فى الغزال :

وقف الهوى بى حيث أنتِ فليس لى متأخَّرٌ عنه ولا متقدَّمُ
أجد الملامة فى هواكِ لذيذة حبا لذكرك فليلُمْنى اللوَّم
أشبهتِ أعدائى فصرتُ أحبهم إذ كان حظى منك حظى منهمُ
وأهنتنى فأهنت نفسى صاغراً ما مَنْ يهون عليك ممن أكْرِمُ

وهو مما يتغنى به .. وقد سرق ابو نواس معنى البيت الاول ، فنظمه فى قوله :

فما جازه جودٌ ولا حلَّ دونهُ ولكنْ يسير الجود حيث يسير

وسرق آخرون معنى البيت الثانى ، فقال بعض المغاربة :

هُدِّدتُ بالسلطان فيك وإنما أخشى صدودك لا من السلطانِ
أجد اللذاذة فى الملام فلو درى أخَذَ الرُّشا منى الذى يلحانى

وتجد أخباره فى الاغانى ١٠٨ ج ١٥ ، وفوات الوفيات ٢٢٥ ج ٢ ، والشعر والشعراء ٥٣٥ ، والفهرست ١٦١ (*)

٣ ــ العكوك

توفى سنة ٢١٣ هـ

اسمه على بن جبلة الانبارى والعكوك لقبه ، وهو من الموالى أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد .. ولد فى الحربية منها ونشأ فيها ، وكان ضريرا منذ ولادته مثل بشار بن برد . وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله

(*) وراجع فى ابى الشيص طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٧٢ ونكت الهميان ص ٢٥٧ وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٤٠١ ومعاهد التنصيص ج ٢ ص ١٤٢ وابن خلكان فى ترجمة يزيد بن مزيد.

لطيف المعاني حسن التصرف . وقد استنفد شعره في مدح أبي دلف العجلي ، وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مضر فاستاء المأمون من ذلك ، وبلغه أبيات قالها العكوك في أبي دلف منها :

كل من في الأرض من عَرَبٍ   بين بـاديهِ إلى حَضَرِه

مستعيرٌ منك مكرمةً   يكتسبها يومَ مُفْتَخَرِه

فغضب المأمون وطلبه وسل لسانه من قفاه . ويقال بل هرب ولم يزل متواريا حتى مات . وسبب معرفة العكوك بأبي دلف طلب الرزق ، فقد بلغه أن الناس يقصدونه لجوده فقصده بقصيدة مدحه بها وهي أربعون بيتا في جملتها البيتان المتقدمان وهو أبرص أسود . وله في الغزل قوله :

بأبي من زارني مستترا   خائفاً من كل شيء جَزِعا

زائراً نمَّ عليه حسنهُ   كيف يُخْفِي الليلُ بدراً طلعا

رصد الغفلة حتى أمكنتْ   ورَعَى السامرَ حتى هجعا

ركب الأهوال في زورته   ثم ما سلَّم حتى ودَّعا

واخبار العكوك كثيرة وقد ذكرنا مدحه أبا دلف في أمثلة البالغة

وتجد أكثر أخباره في الاغاني ١٠٠ ج ١٨ ، وابن خلكان ٣٤٨ ج ١ ، والشعر والشعراء ٥٥٠ (*)

وهاك أهم الذين انقطعوا لمدح الامراء غير من تقدم ذكرهم . وبجانب اسم كل منهم المصدر الذي يرجع اليه في مطالعة أخباره :

٤ ــ ابراهيم بن سيابة ، مدح ابراهيم الموصلي المغني . أخباره بالاغاني ٦ ج ١١

٥ ــ محمد بن أمية وأخوه علي ، مدحا ابراهيم بن المهدي . أخبارهما بالاغاني ٣٢ ج ١١ و ٦٣ ج ٢٠

٦ ــ محمد بن صالح ، مدح ابن المدبر . أخباره بالاغاني ٨٨ ج ١٥ و ٢٢٠ فوات ٢

شعراء لم يتكسبوا بالشعر

كل من تقدم ذكرهم انما كانوا يرتزقون بالشعر مدحا أو هجاء أو نحو ذلك مثل سائر شعراء ذلك العصر وغيره ، وقليل فيهم من لم يتكسب بالشعر أي يجعله بابا للرزق . ومن هذا القليل في العصر العباسي الاول صالح بن عبد القدوس ، والعباس بن الاحنف ، ومحمد بن يسير الرياشي

(*) وانظر في العكوك طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٧١ ونكت الهميان ص ٢٠٩ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٥٩ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٠ وأمالي المرتضى (أنظر الفهرس)

١ ـ صالح بن عبد القدوس

توفى سنة ١٦٧

هو صالح بن عبد القدوس بن عبدالله بن عبد القدوس من حكماء الشعراء، متهم بالزندقة ، قوى الحجة له منزلة كبرى عند أهل مذهبه . نشأ فى البصرة ، وكان يقص على الناس ويعظهم . وبلغ المهدى خبر زندقته ، فبعث اليه يستقدمه من دمشق ، وكان قد رحل اليها وهو شيخ طاعن فى السن . فلما جاء بغداد ومثل بين يدى المهدى ، قال له المهدى ألست القائل :

والشيخُ لا يتركُ أخلاقه حتى يُوارى فى ثَرى رمْسه

قال : « بلى يا أمير المؤمنين » . قال : « وانت لا تترك أخلاقك حتى تموت » فأمر به فقتل وصلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ . وأكثر أشعاره فى الحكم الفلسفية . ومن أحاسن أقواله القصيدة التى منها ذلك البيت . وهو يقول فيها :

لا يبلغ الأعداءُ من جاهلٍ ما يبلغ الجاهلُ من نفسهِ
والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى فى ثَرى رَمْسه
إذا ارعوى عاد إلى جهله كذا الضَّنَى عاد إلى نكْسه
وإن من أدبته فى الصِّبا كالعود يُسقى الماءَ فى غرْسه
حتى تراه مورقاً ناضراً بعد الذى أبصرتَ من يُبْسه

وقوله :

لا يعجبنَّك من يصونُ ثيابه حَذَرَ الغبار وعِرْضهُ مبذولُ
ولربما افتقر الفتى فرأيته دَنِسَ الثياب وعِرْضه مغسولُ

وكان فيه ميل الى العزلة والانقطاع عن الناس شأن الفلاسفة ، ومن قوله :

أنستُ بوَحْدتى ولزمت بيتى فتم العزُّ لى ونَمَا السرورُ
وأدَّبنى الزمان فليت أنّى هجرتُ فلا أزَارُ ولا أزورُ
ولست بقائلٍ ما دمت حيًّا أقام الجُنْدُ أم نزل الأميرُ

وله قصيدة حكمية اخلاقية بديعة مطلعها :

المرء يجمعُ والزمان يفرّقُ ويظلُّ يرْقَعُ والخطوات تُمزِّقُ

وترى أكثر أخباره فى فوات الوفيات ١٩١ ج ١ والدميرى ٢٦ ج ١ (*)

(*) وراجع فى صالح طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٠ ونكت الهميان ص ١٧١ ومعجم الادباء وتاريخ بغداد ج ٩ ص٣٠٣ وتهذيب ابن عساكر ج ٦ ص ٣٧١ والحيوان والبيان والتبيين. (انظر الفهارس) وامالى المرتضى ج ١ ص ١٤٤ ونيكلسون ص ٣٧٢ وما بعدها ودائرة المعارف الاسلامية

٢ ـ العباس بن الاحنف

توفي سنة ١٩٣ هـ

هو عربى شريف النسب لم يتكسب بالشعر ، وانما كان ينظم ما يجيش فى خاطره ، وأكثره فى الغزل ولم يتجاوزه الى مديح أو هجاء . وله مذهب حسن ولديباجة شعره رونق ولمعانيه عذوبة ولطف . ولولا حذقه وسعة خياله لم يقدر أن يكثر من النظم فى مذهب واحد لا يتجاوزه . ويندر ذلك فى الشعراء قديما وحديثا وله ديوان طبع مع ديوان ابن مطروح بالآستانة سنة ١٢٩٨ هـ ، ولشعره الغزلى وقع فى النفس فانهم كانوا يغنون كثيرا منه كقوله :

لا جزَى الله دَمْع عينىَ خيراً وجَزى الله كلَّ خير لسانى
نمَّ دمعى فليس يكتمُ شيئاً ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثلَ الكتاب أخفاه طيٌّ فاستدلوا عليه بالعنْوان

وقوله :

لو كنتِ عاتبةً لسكَّنَ روعتى أملى رضاكِ وزرتُ غير مراقبِ
لكن مللتِ فلم تكن لى حيلةٌ صدُّ الملول خلاف صدِّ العاتب

وقوله :

أتأذنون لصبٍ فى زيارتكم فعندكم شهواتُ السمع والبصرِ
لا يضمن السوءَ ان طال الجلوس به عَفُّ الضمير ولكن فاسق النظر

وتجد أخباره وأشعاره فى الاغانى ١٥ ج ٨ ، وابن خلكان ٢٤٥ ج ١ ، والشعر والشعراء ٥٢٥ (*)

٣ ـ محمد بن يسير الرياشى

هو من الشعراء الموالى غير محمد بن بشير الخارجى . أما الرياشى فانه شاعر ظريف من أهل البصرة لم يفارقها ، ولا وفد على خليفة ولا شريف منتجعا ، ولا تجاوز بلده . وكان ماجنا هجاء خبيثا . وله فى الهجاء قصيدة وصفية هجا بها شاة دخلت بستانه وفيه بقل من غرسه فأكلته ، ثم دخلت داره فلم تجد فيها غير القراطيس وفيها شعره فأكلتها وخرجت ، فنظم فى ذلك قصيدة طويلة (١) مطلعها :

(*) وراجع طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥٤ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٢٧ والموشح ص ٢٩٠ ومعجم الادباء لياقوت ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠ وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٣٤

(١) الاغانى ١٣٠ ج ١٢

لىَ بســـــتانٌ أنيقٌ زاهر   ناضر الخضرة ريانٌ تَرِفْ

واحسن فى وصف الشاة وحركاتها ، ويتخلل ذلك مجون لطيف . واكثر قصائده على هذا الاسلوب ، منها قصيدة وصف بها فراخا (١) مطلعها :

يارُبَّ رب الرائحـــين عشيةً   بالقوم بين مِنىً وبين ثَبيرِ

وهى طويلة ، وفيها مجون .. وأكثر نظمه من هذا النوع . وتجد اخباره فى الاغانى ١٢٩ ج ١٢ (*)

شعراء لم يتحضروا

أما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم أو لم يقيموا فى بغداد ، بل كانوا يفدون على الخلفاء أو الامراء ، ثم يرجعون الى البادية فهم أقل كثيرا من الذين تحضروا ، أشهرهم :

١ ـ كلثوم بن عمرو العتابى

توفى سنة ٢٢٠ هـ

أصله من قنسرين ، مدح البرامكة وطاهر بن الحسين . وكان حسن الاعتذار فى شعره ورسائله ، وله مصنفات فى المنطق والادب واللغة ، وكان يقيم فى (راس عين) بعيدا عن دور الخلفاء والامراء . وبلغ الرشيد قصيدة قالها فأعجب بها فطلب أشخاصه اليه ، فجاء وعليه قميص غليظ وفروة وخف وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل . فلما رفع الخبر بقدومه الى الرشيد ، أمر بأن تفرش له حجرة وتقام له وظيفة ففعلوا . فكانت المائدة اذا قدمت اليه اخذ منها رقاقة وملحا ، وخلط الملح بالتراب فأكله بها . فاذا كان وقت النوم نام على الارض والخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله ، وسأل الرشيد عنه فأخبروه بأمره فأمر بطرده ، فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلى وهو فى منزله ، فسلم عليه وانتسب له ، فرحب به ، وقال له : « ارتفع » فقال : « لم آتك للجلوس » قال : « فما حاجتك ؟ » قال : « دابة أبلغ عليها الى رأس عين » فقال : « ياغلام اعطه الفرس الفلانى » فقال : « لا حاجة لى فى ذلك ، ولكن تأمر أن تشترى لى دابة أتبلغ عليها » فقال لغلامه : « امض معه فابتع له ما يريد » فمضى به فعدل العتابى الى سوق الحمير ، فقال الغلام : « انما أمرنى أن أبتاع لك دابة » فقال له : « انه أرسلك معى ولم يرسلنى معك فان عملت ما أريد والا انصرف » فمضى معه فاشترى حمارا بمائة وخمسين درهما وقال : « ادفع اليـــه ثمنه » فدفع اليه فركب الحمار عريا بمرشحة عليه وبرذعة وســـاقاه

---

(١) الاغانى ١٣٥ ج ١٢
(*) وانظر ترجمته فى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨٠ وكتاب الورقة (طبع دار المعارف) ص ١١٢ والشعر والشعراء والموشح للمرزبانى ص ٢٩٩

مكشوفتان ، فقال له يحيى بن سعيد : « فضحتني ، أمثلي يحمل مثلك على هذا ؟ » فضحك وقال : « ما رأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك » ومضى الى رأس عين . وكانت امرأته من باهلة فلامته وقالت : « هذا منصور النمرى (تلميذك وراويتك) قد أخذ الأموال فحلى نساءه وبنى داره واشترى ضياعا وانت ههنا كما ترى » فأنشد يقول :

تلومُ على تركِ الغِنَى باهليّـةٌ زوى الفقرُ عنها كل طرْفٍ وتالد

رأتْ حولها النسوانَ يرفلن في الثرى مقلدةً أعناقهـا بالقلائد

أسركِ أني نلتُ ما نال جعفرٌ من العيش أو ما نال يحيى بنُ خالد

وأنَّ أمير المؤمنين أغصّني مغصّهما بالمرهفات البَوارد

دعيني تجئْني ميتتي مطمئنةً ولم أتجشّم هول تلك الموارد

ويرى صاحب الاغانى اضطرابا فى هذا الخبر . على انه كان يفد على الخلفاء والامراء وينال جوائزهم . وهو أستاذ منصور النمرى . أخباره فى الاغانى ٢ ج ١٢ ، وفوات الوفيات ١٣٩ ج ٢ (*)

٢ - ربيعة الرقى

هو ربيعة بن ثابت الانصارى ، ولد فى الرقة ونشأ بها وكان شاعرا مطبوعا . وهو ضرير مثل بشار ، وكان منقطعا عن الحضارة بعيدا عن مجالسة الخلفاء فأخمل ذكره بسبب ذلك . لكنهم كانوا يستقدمونه اليهم ، وأول من فعل ذلك المهدى فمدحه ونال جوائزه . وكان ابن المعتز يرى ربيعة أشعر غزلا من أبى نواس لأن فى غزل أبى نواس بردا كثيرا ، وغزل هذا سليم عذب سهل ، ولذلك فان شهرته بلغت الى بلاط الخليفة ، وكان يمدح غير الخلفاء وينال جوائزهم ويعود الى بلده . وان قصر أحد فى عطائه هجاه ، وله فى ذلك حديث مع العباس بن محمد بن على من أمراء بنى العباس ، وذلك أن الرقى مدحه بقصيدة مطلعها :

لو قيلَ للعبـاس يا ابنَ محمدٍ قل « لا » وأنت مُخَلّدٌ ما قالهـا

ما إن أعدُّ من المكارم خَصلةً إلا وَجَدْتُكَ عَمّها أو خالها

وإذا الملوكُ تسايروا فى بلدة كانوا كواكبَها وكنتَ هلالها

إن المكارم لم تزل معقولةً حتى حللت براحتيك عِقالها

فبعث اليه العباس دينارين وهو يتوقع أن يعطيه ألفى دينار ، فأعطى

(*) وراجع فى العتابى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦١ ومعجم الشعراء ص ٣٥١ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٨٨ ومعجم الادباء فى كلثوم بن عمرو والموشح ص ٢٩٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٤٩ والبيان والتبيين والحيوان للجاحظ (انظر الفهارس)

الدينارين الى الرسول على أن يوصل اليه رقعة كتب فيها :

مدحتك مدحة السيف المحلى لتجرى في الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهبت ضياعاً كذبت عليك فيها وافتريت
فأنت المرء ليس له وفاء كأنى إذ مدحتك قد زنيت

فغضب العباس وشكاه الى الرشيد فأحضره الرشيد ، وهم بقصاصه ، فقص عليه الحديث . فلما اطلع الرشيد على الحقيقة احتقر العباس ، وكان ينوى أن يزوجه ابنته فتغير عليه وأمر للرقى بثلاثين الف درهم وبغلة ، وأوصاه الا يذكر العباس تعريضا ولا تصريحا . واتفق للرقى أيضا مثل ذلك مع معن بن زائدة ، وقد لقيه فى بعض قدماته الى العراق ، فمدحه ، فلم يهش له ، فهجاه بقصيدة مطلعها :

معن يا معن يا ابن زائدة الكلب الذى فى الذراع لا فى البنان
لا تفاخر اذا فخرت بآبا ئك وافخر بعمك الحوفزان

ومن غزله أبيات يغنى بها وهى :

وتزعم أنى قد تبدلت خلة سواها وهذا الباطل المتقول
لحى الله من باع الصديق بغيره فقالت نعم حاشاك إن تك تفعل
ستصرم إنسانا إذا ما صرمتنى بحبك فانظر بعده من تبدل

وتجد أخباره فى الاغانى ٣٨ ج ١٥ ، وخزانة الادب ٥٥ ج ٣ (*)

٣ ــ عمارة بن عقيل : هو من الشعراء البدو فى هذا العصر ، حفيد جرير الشاعر المشهور . وهو شاعر مقدم فصيح كان يسكن بادية البصرة ويزور الخلفاء العباسيين فيجزلون صلته ويمدح قوادهم فيحظى بكل فائدة . وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه . وتجد أخباره فى الاغانى ١٣٨ ج٢٠ ، وطبقات الادباء ٢٣٣

٤ ــ ناهض بن ثومة : هو من عامر ، شاعر بدوى فارس فصيح كان يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة . واخباره فى الاغانى ٣٣ ج ١٢

وهناك شعراء كثيرون لم تبلغنا اخبارهم لانهم قضوا حياتهم فى البادية ولم يفدوا على أحد . ناهيك بمن نظم الشعر من غير الشعراء وفيهم طائفة من اللغويين والنحاة والفقهاء والمحدثين ، حتى الوزراء والخلفاء والولاة والخدم والنساء وغيرهم ممن جمعت أشعارهم فى ذلك العصر ، وبقى كثير

(*) وانظر فى ترجمة ربيعة الرقى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٥٧ ونكت الهميان ص ١٥١ ومعجم الادباء لياقوت وابن خلكان فى ترجمة يزيد بن حاتم بن قبيصة وروح بن حاتم

منها الى أواسط القرن الرابع . فقد ذكر ابن النديم فى الفهرست مئات من أولئك الشعراء ، فيهم من الشعراء الكتاب بضع مئات وعدة أسر ، تسلسل الشعر فى أعقابها كآل أبى أمية ، وآل اللاحقى ، وال أبى عيينة المهلبى ، وآل المعذل ، وآل أبى العتاهية ، وطائفة من النساء

وذكر ابن النديم لبعض الشعراء مقدار ما خلفوه من الشعر بعدد الورق بتقدير الورقة صفحتين ، فى كل منهما عشرون سطراً ، فذكر نحو مائة شاعر منهم بشار له ألف ورقة ، وأبو نواس ٨٠٠ ورقة ، وابن هرمة ٥٠٠ ورقة ، وغيرهم ٣٠٠ وأقل الى ٥٠ أو ٢٠ ورقة على ما كان معروفا فى عصره بأواسط القرن الرابع · ولم يبق من ذلك الى اليوم الا القليل ، فمن أراد مراجعة قائمة ابن النديم فهى تبدأ بصفحة ١٥٩ من الفهرست

العلوم اللسانية

الادب والادباء وعلم الادب

اختلف العلماء فى تعريف الادب وتحديده . اما علم الادب فيشتمل فى اصطلاحهم على أكثر علوم العربية ، كالنحو واللغة والتصريف والعروض والقوافى وصنعة الشعر وأخبار العرب وأنسابهم . وصاحب هذه العلوم أو أحدها كانوا يسمونه « أديب » (١) . وقالوا الفرق بين الاديب والعالم ان الاديب يأخذ من كل شيء أحسنه فيألفه ، والعالم من يقصد لفن من العلم فيتقنه (٢) . ولكن التعريف الاول أقرب الى المراد ، ولذلك جعلوا الغاية من علم الادب الاجادة فى فنى المنثور والمنظوم . وقد شاعت هذه التسمية قبل أن تتميز هذه العلوم ويستقل بعضها عن بعض . وكانت فى أول أمرها مختلطة متشابهة ، ثم استقلت بالتدريج وتفرعت وصار كل منها علما ، له احكام مستقلة جريا على سنة النشوء والارتقاء .

فكان المراد بالادب فى أول الاسلام جمع أقوال العرب وأشعارهم وأخبارهم وأمثالهم للاستعانة بها على تفسير القرآن الكريم وضبط ألفاظه وتفهم أساليبه .. أخذوا بذلك من القرن الاول للهجرة . وكان ابن عباس يقول : « اذا قرأتم شيئا من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب لأن الشعر ديوان العرب » (٣)

ثم وضع أبو الاسود الدؤلى النحو لضبط المعانى كما تقدم ، فزادت الحاجة الى جمع أقوال العرب وأشعارهم للاستشهاد بها فى الاعراب والتصريف . واهتمت الدولة الاموية باحياء لغة العرب وآدابها ، وأخذ خلفاؤها فى حفظ الآداب الجاهلية ، فجعلوا يقربون الذين يحفظونها أو ينقلونها أو يروونها ويبذلون لهم العطاء

الادباء فى الدولة العباسية

وظلت الرغبة فى اللغة وأدبها متصلة بالدولة العباسية ولا سيما فى عصرها الاول ، لرغبة خلفائها الاولين ووزرائها البرامكة فى العلم والادب والشعر . ولم تكن رغبتهم مقصورة على الشعر ، ولكنهم نشطوا الادب على الاجمال واستقدموا الادباء من الكوفة والبصرة للسماع أو لتعليم أبنائهم اللغة والنحو

(١) طبقات الادباء ١١٧ (٢) معجم الادباء ١٧ ج ١ (٣) العمدة ١١ ج ٧

والشعر . فالمنصور استقدم شرقى القطامى ليعلم ابنه المهدى الادب والنسب (١) فشب المهدى على حب الادب والادباء فألف له المفضل الضبى المفضليات . وكثيرا ما كان يعقد المجالس للمناظرة بين الادباء فى النحو أو اللغة يحضرها الكسائى واليزيدى وغيرهما (٢) ثم عهد الى الكسائى بتعليم ابنه هارون (الرشيد) فى حديث لطيف يدل على عناية المهدى باللغة (٣)

فلما صارت الخلافة الى الرشيد نشأ على احترام أستاذه حتى كان يجلسه على كرسى فى حضرته ، وبأمره ألا ينزعج لنهضته (٤) وعهد اليه بتعليم ابنه الامين . وكان الرشيد شديد الرغبة فى سماع مناظرات الادباء ، فكان يعقد المجالس للمناظرة بين الاصمعى وأبى عبيدة (٥) أو يدعو أحد الرواة اذا أرق أو ضجر ليقص عليه أخبار العرب .. فاذا سره حديثه أجزل عطاءه وأبلغه الى مائة ألف درهم أو نحوها فضلا عن الهدايا وغيرها ، وقد يجادله أو ينتقده مما يشف عن علم ومعرفة (٧) . وكان الرشيد يحب أن يكون محاطا بالادباء والشعراء حتى فى دار النساء ، فكان يؤثر الجوارى المتعلمات ويعرضهن على الاصمعى أو غيره ليمتحنهن ويعلم درجة معارفهن (٨) . واعتبر ذلك أيضا فى الوزراء والامراء ، فالبرامكة تنشيطهم للأدب أشهر من أن يذكر . والفضل بن الربيع فاضل بين الاصمعى وأبى عبيدة (٩) أما الامراء فكانوا يقتدون بالخلفاء فى تقريب أهل الادب

وكان العرب فى الصدر الاول مشتغلين عن الادب بالسياسة أو الشعر أو الخطابة ، وهم فى غنى عن الاستشهاد فى ضبط كلامهم أو قراءتهم لاستغنائهم بملكتهم الفطرية عن تعلم القواعد وحفظ الالفاظ . وكان الاعاجم الذين دخلوا الاسلام من أهل فارس والعراق وخراسان بالولاء أو بالخدمة يفتقرون فى تعلم العربية الى قواعد وشواهد لأنها ليست لغتهم . وأكثرهم مع ذلك أهل فاقة يلتمسون الرزق ، فتوافدوا للاشتغال بالادب على البصرة والكوفة لأنهما على حدود البادية أو هما واسطة الاتصال بين الحضارة والبداوة . وزاد توافدهم فى الدولة العباسية لانها جعلت قصبتها فى العراق على مقربة من هذين البلدين ، وفيهما جماعة كبيرة من قبائل العرب نزلوهما فى صدر الاسلام وأنزلوا مواليهم معهم .. فنبغ من هؤلاء الموالى طائفة من الادباء كان لهم فضل كبير على آداب اللغة وأكثرهم من موالى بنى أسد النازلين بجوار الكوفة وغيرهم بجوار البصرة

فمن أولئك الادباء جماعة اشتغلوا بجمع الاشعار والاخبار والامثال ونحوها ، وسمعوا الرواة لانهم يروون ما سمعوه . وكانوا يأخذون ذلك عن عرب البادية الذين لم يخالط لسانهم العجمة ممن كانت قريش تتخير ألفاظهم وأساليبهم . وأكثر ما نقلوه عن قبائل قيس وتميم وأسد والثقات

---

(١) طبقات الادباء (٢) الاغانى ٧٦ ج ١٨ (٣) طبقات الادباء ٨٧
(٤) المزهر ٢١١ ج ٢ (٥) طبقات الادباء ١٤٥ (٦) طبقات الادباء ١٦٢
(٧) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١ (٨) طبقات الادباء ١٥٧ (٩) طبقات الادباء ١٦١

من الرواة . ثم قبيلة هذيل وبعض كنانة وبعض طيىء . ولم يأخذوا شيئا عن الحضر ولا من البدو المجاورين ، فلم يأخذوا من لخم وجذام لمجاورتهما أهل مصر ، ولا من قضاعة وغسان وأياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون العبرانيـة والسريانية ، ولا من بكر لمجـاورتهم النبط والفرس ، ولا من عبد القيس والازد وعمان لأنهم كانوا بالبحرين يخالطون الهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن ، ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب وقد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السنتهم

فأهل البصرة والكوفة هم رواة اللغة وواضعو أسـاس آدابهـا وعلومها . وكانوا يركبون فى طلب ذلك الى البادية ، يحادثون العرب ويستطلعون أخبارهم وأشعارهم ويعودون بها الى البصرة . وكان أولئك العرب فى أول الامر لا يرون بأسا من املاء ما يعرفونه ولا يطلبون عن ذلك أجرا . ثم علموا ان الرواة يرتزقون بما يأخذونه عنهم فصاروا يطلبون به مالا . ثم صار الفصحاء من العرب يتوافدون هم أنفسهم على البصرة يقيمون فيها أو فى ضواحيها ، تخفيفا لمشاق الرحلة على الرواة وتسابقا الى التكسب من املاء ما يعرفونه من اللغة أو الشعر . وربما كان الراوى لايكتفى بالاخـذ عن الوافدين فيرحل الى البادية ليأخذ عن أهلها . بدأوا بذلك من أواخر العصر الاموى وتكاثر الرواة والوافدون فى الدولة العباسية الى البصرة وبغداد . . وكان أكثر وفودهم فى العصر العباسى الاول أولا الى البصرة ، فأصبحت غاصة بالادباء والرواة والشعراء والفصحاء وغيرهم

الفصحاء الذين نقل الرواة عنهم

فمن الفصحاء الذين أخذ عنهم الرواة فى ذلك العصر أو حواليه :

١ ــ أبو البيداء الرياحى : اعرابى نزل البصرة ، وكان يعلم الصـبيان بأجرة واقام بها عمره يؤخذ عنه العلم

٢ ــ أبو مالك عمرو بن كركرة : اعرابى كان يعلم فى البادية ويورق فى الحضر ، وكان يحفظ اللغة

٣ ــ أبو عرار : اعرابى من بنى عجل ، فصيح يقرب من ابى مالك فى معرفة اللغة

٤ ــ أبو زياد الكلابى : اعرابى بدوى ، قدم بغداد أيام المهدى

٥ ــ ابو سوار الغنوى : كان فصيحا ، وأخذ عنه أبو عبيدة

٦ ــ أبو الجاموس ثور بن يزيد : أعرابى كان يفد على آل سليمان بن على ، وعنه أخذ ابن المقفع الفصاحة

٧ ــ أبو الشمخ : اعرابى بدوى ، نزل الحيرة

٨ ــ شبيل بن عرعرة الضبعى : من خطباء الخوارج وعلمـائهم ، مات بالبصرة

٩ ـ ابو عدنان : وهو أبو عبد الرحمن عيد الاعلى ، كان راوية أبى البيداء الرياحى

١٠ ـ أبو ثوابة الاسدى : اعرابى روى عنه الاموى

١١ ـ أبو خيرة نهشل بن زيد : اعرابى بدوى من بنى عدى نزل الحيرة

١٢ ـ أبو شبل العقيلى : اعرابى فصيح ، وفد على الرشيد واتصل بالبرامكة

١٣ ـ نصر بن مضر : من بنى أسد

١٤ ـ أبو محلم الشيبانى : اعرابى من أعلم الناس بالشعر واللغة ، كان يغلظ طبعه ويفخم كلامه ويعرب منطقه

١٥ ـ أبو مهدية : اعرابى صاحب غريب يروى عنه البصريون

١٦ ـ أبو مسحل : اعرابى حضر بغداد وافدا على الحسن بن سهل

١٧ ـ الوحشى العكلى : اعرابى فصيح كان يعلم فى البادية

١٨ ـ أبو ضمضم الكلابى : وفد على الحسن بن سهل

١٩ ـ البهدلى : كان راجزا فصيحا راوية وعنه أخذ الاصمعى

٢٠ ـ جهم بن خلف المازنى : عاصر خلفا والاصمعى

٢١ ـ الجرمازى : اعرابى بدوى قدم البصرة

٢٢ ـ أبو العميثل : اعرابى كان يؤدب ولد عبدالله بن طاهر فى خراسان

٢٣ ـ الفقعسى : راوية بنى أسد وصاحب مآثرها واخبارها ادرك المنصور ، ومن بعده ، وعنه أخذ العلماء مآثر بنى أسد

٢٤ ـ ابن أبى صبح : اعرابى بدوى نزل بغداد ومات بها ، أخذ عنه العلماء

٢٥ ـ ربيعة البصرى : بدوى تحضر ، وكان راوية

وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات من الفصحاء لا فائدة من ايراد أسمائهم ، (١) ولبعض من تحضر من هؤلاء الاعراب كتب ألفوها فى اللغة أكثرها فى النوادر والغريب والفروق وكتب الخيل والابل والحشرات وخلق الانسان لم يصلنا منها شىء

الرواة الذين نقلوا عنهم

أما الرواة الذين أخذوا عن أولئك الفصحاء بالبصرة أو رحلوا فى طلب اللغة الى البادية فأكثرهم من الموالى منهم :

١ ـ اللحيانى غلام الكسائى : لقى العلماء الفصحاء من الاعراب ، وعنه أخذ أبو عبيد القاسم بن سلام

(١) الفهرست ٤٧

٢ ـ الاموى : هو عبدالله بن سـعيد ليس من الاعراب ، لقى العلمـاء ودخل البادية واخذ عن الفصحاء من الاعراب

٣ ـ أبو المنهال : أحد الرواة

٤ ـ خلف الاحمر : مولى أبى موسى الاشعرى وسنعود اليه

٥ ـ اليزيديون : هم أسرة تنسب الى كبير منهـا سمى اليزيدى لانه صحب يزيد بن منصور خال المهدى ، ولهم مؤلفات كثيرة فى اللغة والشعر لم يصل الينا منها شىء ، ولكن استفاد منها الرواة الذين وصلتنا كتبهم أو أخبارهم . وأكثر من وصلنا أخبارهم الرواة المقربون من الخلفاء أو الوزراء فى بغداد كالاصمعى وأبى عبيدة وغيرهما ، وربما كان بين الذين ضاعت أخبارهم جماعة أولى بالبقاء

عمدة الرواة

أو مرجع الناس فى علوم العرب

قد رأيت كثرة المشتغلين فى علوم العرب وأخبارها بين قادم من البادية ونازل من العراق وفارس وخراسان ، يلتقون فى البصرة أو الكوفة أو الحيرة فيتبادلون أخبار العرب وآدابهم وأشعارهم على غير نظام . وقد انتهى ذلك فى العصر العباسى الاول الى ثلاثة ، هم عمدة الرواة وائمة الناس فى تلك العلوم ، وعنهم روى الرواة وأخذ الآخذون ، وهم : أبو زيد الانصارى ، وأبو عبيدة ، والاصمعى . وكلهم اخذوا عن أبى عمرو بن العلاء — أحد القراء السبعة — اللغة والنحو والشعر ، ورووا عنه القراءة . واشتهر بصدق الرواية قبل هؤلاء قتادة السدوسى ، وجاء بعدهم القاسم بن سلام . واليك تراجمهم حسب سنى الوفاة :

١ — قتادة بن دعامة

توفى سنة ١١٧ هـ

قتادة بن دعامة السدوسى الاكمه من أهل البصرة ، كان عالما كبيرا مقصدا للطلاب والباحثين ، لم يكن يمر يوم لا تأتيه راحلة من بنى أمية تنيخ ببابه لسؤال عن خبر أو نسب أو شعر . وكان يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وبلغ من اشتهاره بالعلم وصحة الرواية أن قالوا لم يأتنا من علم العرب شىء أصح مما أتانا به قتادة (١) لكنه لم يخلف أثرا . وهو من أهل العصر الاموى ، لكننا وضعناه هنا لمواصلة سياق الموضوع . وترجمته فى ابن خلكان ٤٢٧ ج ١ (*)

٢ — أبو عمرو بن العلاء

توفى سنة ١٥٤ هـ

هو زبان بن العلاء بن عمار بن عبدالله بن الحصين التميمى المازنى ، أحد القراء السبعة . وكان من أشراف العرب ووجوهها ، مدحه الفرزدق

---

(١) ابن خلكان ٤٢٧ ج ١ والمزهر ١٧١ ج ٢

(*) وراجع فى قتادة طبقات ابن سعد ص ٢ من القسم الثانى من الجزء السابع وطبقات القراء لابن الجزرى ج ٢ ص ٢٥ واللباب لابن لاثير ج ١ ص ٥٣٧ ومرآة الجنان ج ١ ص ٢٥١ ونكت الهميان ص ٢٣٠ وانباه الرواة على النحاة للقفطى (طبع دار الكتب المصرية) ج ٣ ص ٣٥ وشذرات الذهب ج ١ ص ١٥٣ وتهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٥١ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١١٥ ، ومعجم الادباء (طبع القاهرة) ج ١٧ ص ٩

وغيره ، وكان أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب ، وكانت دفاتره الى السقف ثم تنسك فأحرقها (١) . وكان له شغف بالرواية وجمع علوم العرب وأشعارهم . وعامة أخباره عن اعراب أدركوا الجاهلية ، ومع ذلك فقد قال : « ما انتهى اليكم مما قاله العرب الا أقله » (٢) وعنه أخذ أكثر نحاة ذلك العصر فضلا عن رواته وأدبائه ، لكنه لم يخلف أثرا مكتوبا . وتجد أخباره فى ابن خلكان ٣٨٦ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣١ ، وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١ ، والفهرست ٢٨ (*)

٣ — أبو عبيدة معمر بن المثنى

توفى سنة ٢٠٩ هـ

هو معمر بن المثنى التيمى مولى بنى تيم من قريش ، ولد سنة ١١٠ وهو أجمع سائر الرواة لعلوم العرب وأخبارهم وأنسابهم . كان فى البصرة ويفد على الخلفاء فى بغداد ، وله حكايات فى مجلس الرشيد مع الاصمعى للمناظرة والمناقشة . ثم انتقل الى بغداد سنة ١٨٨ ، استقدمه اليها الفضل بن الربيع فى خلافة الامين . وأخذ عنه جماعة من علمائها أشهرهم : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو عثمان المازنى ، وأبو حاتم السجستانى . وكان أبو عبيدة يقول : « ما التقى فرسان فى جاهلية أو اسلام الا عرفتهما وعرفت فارسيهما » (٣) وهو الذى روى أخبار أيام العرب التى يتناقلها المؤرخون الى الآن ، (٤) وروى أشعار كثيرين من الشعراء . وكان ابنه عبدالله يتكسب باملاء الاشعار على الطلاب ، فكان يملى شعر كثير بثلاثين دينارا . (٥) وكان أبو عبيدة شعوبيا أى متعصبا على العرب ، ويرى رأى الخوارج . ومع سعة معرفته فى اللغة كان اذا انشد بيتا لم يقم اعرابه . وكان شديد الطعن حاد اللسان ، فلم يسلم شريف من طعنه والف كتابا فى المثالب . وكان غليظ الشفة وسخا ، مدخول الدين والنسب ، لكنه كان كثير الاشتغال بالتاليف . فذكر له صاحب الفهرست مائة مؤلف وخمسة فى موضوعات شتى فى القرآن واللغة والامثال والفتوح والانساب والمثالب وبيوتات العرب وأيامهم والتراجم وغيرها ، لم يصلنا منها الا :

١ — كتاب نقائض جرير والفرزدق: منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية ، وقد طبعت النقائض فى ليدن سنة ١٩٠٥ رواية أبى عبدالله اليزيدى المتوفى سنة ٣١٠ هـ عن السكرى عن محمد بن حبيب عن أبى عبيدة ، (٦) ولم يذكره صاحب الفهرست بين كتبه

---

(١) فوات الوفيات ١٦٤ ج ١ (٢) طبقات الادباء ٣٣

(*) وانظر فى أبى عمرو كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ١٢٦ والبيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٣٢٠ وأخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٢٨ وطبقات النحويين واللغويين للزبيدى (طبع الخانجى) ص ٢٨ وكتب طبقات النحاة الاخرى مثل البغية للسيوطى وكتب طبقات القراء ودائرة المعارف الاسلامية

(٣) المزهر ٢٠٣ ج ٢ (٤) العقد الفريد ٤٧ — ٩٣ ج ٣

(٥) الاغانى ٢٨ ج ٢ (٦) الاغانى ٦٨ ج ٥

وتجد أخباره فى ابن خلكان ١٠٥ج ٢ ، وطبقات الادباء ١٣٧ ، والفهرست ٥٣ (*)

٤ ـ الاصمعى

توفى سنة ٢١٤

هو عبد الملك بن قريب من قيس ، وقد اشتهر بكنيته « الاصمعى » . ولكثرة ما يروى عنه أصبحت هذه الكنية مرادفة للفظ « الراوى » . وكان أتقن القوم وأعلمهم بالشعر واحضرهم حفظا ، تعلم نقد الشعر على خلف الاحمر ، وقد روى عنه كثيرون . وهو من أهل البصرة ، وقدم بغداد فى أيام الرشيد مع أبى عبيدة ، فقيل لأبي نواس ذلك فقال : « أما ابو عبيدة فاذا أمكنوه قرأ عليهم أخبار الاولين والآخرين ، وأما الاصمعى فبلبل يطربهم بنغماته » وكان الاصمعى شديد الحفظ ، يحفظ ...ر١٢ أرجوزة ، واذا انتقل حمل كتبه فى ١٨ صندوقا (١) . ولما تولى المأمون كان الاصمعى قد عاد الى البصرة ، فاستقدمه ، فاعتذر بضعفه وشيخوخته ، فكان يجمع المشكل من المسائل ويسيرها اليه فيجيب عنها . وأخباره كثيرة

أما مؤلفاته فقـد ذكر منها ابن النديم نيفا وأربعين كتابا فى موضوعات مختلفة ، ذهب معظمها . على ان حظه من البقاء خير من حظ أسلافه من الرواة . أما كتبه الباقية مما بلغ خبره الينا ، فبعضها شـعرية والبعض الآخر كتب لغوية فى دلالات الالفاظ . أكثرها موضوع فى مجاميع ، كل كتاب فى باب خاص من الاسماء ، بعضها لأسماء الوحوش والاخر للابل وغيرها وهى :

١ ـ الاصمعيات : هى مجموع مختارات الاصمعى للشعراء طبعت فى ليبسك سنة ١٩٠٢ (**)

٢ ـ رجز العجاج : رواية الاصمعى ، منه نسـخة خطية فى المـكتبة الخديوية

٣ ـ كتاب أسماء الوحوش طبع سنة ١٨٨٨

٤ ـ كتاب الابل طبع فى بيروت سنة ١٣٢٢

٥ ـ كتاب خلق الانسان طبع فى بيروت سنة ١٣٢٢ هـ (٢)

٦ ـ كتاب الخيل طبع فى فينا سنة ١٨٩٥ مع ترجمة نمساوية

(*) وراجع فى ترجمة ابى عبيدة اخبار النحويين البصريين ص ٦٧ وانباه الرواة ٣ ص ٢٧٦ وبغيـة الوعاة ص ٣٩٥ وتاريخ بغداد ١٣ ص ٢٥٢ وتذكرة الحفاظ للذهبى ج ١ ص ٣٣٨ وتقريب التهذيب ج ٢ ص ٢٥١ وطبقات الزبيدى ص ١٢٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٤ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٤٤ والمعـارف لابن قتيبـة ص ٢٣٦ ومعجم الادباء ١٩ ص ١٥٤ ودائرة المعارف الاسلامية

(١) المشرق ٦٣٨ سنة ١٠

(**) نشر عبد السلام هرون الاصمعيات بدار المعارف بالقاهرة

(٢) هذان الكتابان طبعا معـا باسم الكنز اللغوى

٧ — كتاب الشاء طبع سنة ١٨٩٦

٨ — كتاب الدارات طبع فى بيروت

٩ — كتاب الفرق طبع فى فينا

١٠ — كتاب النبات والشجر طبع فى بيروت

١١ — كتاب النخل والكرم طبع فى بيروت سنة ١٩٠٢

١٢ — كتاب الغريب منه نسخة خطية فى مكتبة الاسكوريال

وتجد ترجمة الاصمعى فى ابن خلكان ٢٨٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ١٥٠ ، والفهرست ٥٥ ، والدميرى ٣١٠ ج ٢ (*)

٥ — أبو زيد الانصارى

توفى سنة ٢١٥ هـ

هو أبو زيد سعيد بن أوس الانصارى من أهل البصرة ، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء . وكان عالما ثقة بالنحو واللغة ، وكان سيبويه اذا قال : « سمعت الثقة » فانه يريد أبا زيد الانصارى ، وعنه أخذ كثيرون من علماء البصرة . وكان لفرط رغبته فى استيعاب العلم يأخذ عن أهل الكوفة أيضا ، ولم يرو من البصريين عن أهل الكوفة الا أبو زيد ، (١) فقد روى عن المفضل الضبى أكثر كتابه « النوادر فى اللغة » . على ان اكثر رواياته عن العرب أنفسهم (٢) وقد غلب عليه اللغة والنوادر والغريب . وكان يمتاز عن رفيقيه أبى عبيدة والاصمعى بالثقة ، فانه كان أوثقهم كما كان الاصمعى احفظهم وأبو عبيدة اجمعهم ، (٣) وجاء أبو زيد بغداد حين قيام المهدى (٤)

وقد الف كتبا كثيرة فى علوم الادب لم يصلنا منها الا :

١ — كتاب النوادر فى اللغة : طبع فى بيروت سنة ١٨٩٤

٢ — كتاب المطر : منه نسخة خطية فى المكتبة الاهلية بباريس وطبع فى بيروت

٣ — كتاب اللبن : منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية

(*) وانظر فى الاصمعى اخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٥٨ وبغية الوعاة للسيوطى ص ٣١٣ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤١٠ وطبقات النحويين للزبيدى ص ١١٧ وانباه الرواة ج ٢ ص ١٩٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٦ والمعارف ص ٢٣٦ وتهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤١٥ والانساب للسمعانى ٥١ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٢٠٧ وروضات الجنات ص ٤٥٨ وطبقات القراء ج ١ ص ٤٧٠ واللباب لابن الاثير ج ١ ص ٥٦ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٦٤ وتاريخ أبى الفدا ج ٢ ص ٣٠ ودائرة المعارف الاسلامية

(١) طبقات الادباء ١٧٥ — (٢) المزهر ٧٥ ج ١

(٣) ابن خلكان ٢٠٨ ج ٢ — (٤) الفهرست ٥٤

وتجد أخباره فى ابن خلكان ٢٠٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ١٧٣ ، والفهرست ٥٤ (*)

٦ ـ أبو عبيد القاسم بن سلام

توفى سنة ٢٢٣ هـ

كان أبوه عبدا روميا لرجل من أهل هراة . وقد اشتغل أبوعبيد بالحديث والادب والفقه ، وكان متدينا ورعا متفننا فى أصناف علوم الاسلام والقراءات والفقه والعربية والاخبار ، حسن الرواية صحيح النقل لم يطعن أحد فى شىء من دينه . وهو يصح أن يعد من رجال الحديث لولا أن كتبه كان لها شأن لغوى . تولى القضاء فى طرسوس ١٨ سنة ، وروى عن أبى زيد والاصمعى وأبى عبيدة وابن الاعرابى والكسائى والفراء وغيرهم . وألف بضعة وعشرين كتابا فى القرآن والحديث وغريبه والفقه ، وهو أول من ألف فى غريب الحديث . وانقطع الى عبد الله بن طاهر ، وكان كلما ألف كتابا أهداه اليه فيحمل له مالا كثيرا . فلما عمل كتاب غريب الحديث استحسنه ابن طاهر ، وقال : « ان عقلا بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق الا يخرج عنا الى طلب المعاش » فأجرى له عشرة آلاف درهم فى كل شهر . وذكر له صاحب الفهرست بضعة وعشرين كتابا فى غريب الحديث ومعانى القرآن وفى الادب والشعر واللغة والنحو لم يصلنا منها الا ما يأتى :

١ ـ كتاب غريب الحديث : منه نسخة خطية فى مكتبة كوبرلى بالاستانة

٢ ـ كتاب غريب المصنف : تكلم فيه على نعوت الانسان والطعام والشراب والابنية والمراكب والسلاح والطير والحشرات والنار والشمس والقمر وغير ذلك . اشتغل فى تأليفه ٤٠ سنة ، وفيه ألف فصل و ١٢٠٠ شاهد ، منه نسخة خطية فى مكتبة اياصوفيا بالآستانة وفى المكتبة الخديوية

٣ ـ كتاب الامثال : منه نسخة خطية فى مكتبة باريس وكوبرلى بالاستانة ، وطبع مع ترجمة لاتينية فى غوتنجن سنة ١٨٣٦ وقد شرحه البكرى

٤ ـ كتاب فضائل القرآن وأدبه : فى مكتبة برلين

٥ ـ كتاب المواعظ : منه نسخة خطية فى مكتبة ليبسك

وتجد أخباره فى ابن خلكان ٤١٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ١٨٨ ، والفهرست ٧١ (**)

(*) وانظر فى أبى زيد كتب طبقات النحاة مثل أخبار النحويين البصريين ص ٥٢ وانباه الرواة ج ٢ ص ٣٠ وبغية الوعاة ص ٢٥٤ وتاريخ بغداد ٩ ص ٧٧ ومعجم الادباء لياقوت ج ١١ ص ٢١٢ والمعارف ص ٢٣٧ وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣ وخلاصة تذهيب الكمال ص ١١٥ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٤ وطبقات الزبيدى ص ١١٦ وطبقات القراء لابن الجزرى ج ١ ص ٣٠٥ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٥٨ والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢١٠

(**) وراجع فى أبى عبيد بن سلام أنباه الرواة ٣ ص ١٢ وبغية الوعاة ص ٢٧٦ ومعجم الادباء ج ١٦ ص ٢٥٤ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٨٣ وطبقات القراء ج ٢ ص ١٦ وطبقات الزبيدى ص ١٣٨ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٥٤ وروضات الجنات ص ٥٢٦ وتهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣١٥ وتذكرة الحفاظ للذهبى ج ٢ ص ٥ وكتب التاريخ فى سنة وفاته ودائرة المعارف الإسلامية

رواة الشعر

وهناك طبقة من الرواة غلبت عليهم رواية الشعر على ما سواه من علوم العربية ، فاشتغلوا بجمع شعر عرب الجاهلية وغيرهم ودونوه أوحفظوه . وهم غير الذين يختص كل راو منهم بشاعر فيكون راويتــه .. وقد علمت من كلامنا عن شعراء الجاهلية انهم كانوا كثيرين ، عددنا منهم مائة وبعض المائة ، وهم أكثر من ذلك لضياع أخبار الباقين منهم فى أثنـاء ظهور الاسلام ، بسبب كثرة من قتـــل منهم ومن رواتهم فى الحرب والغزو على عهد الرسول والراشدين

فلما احتاج المسلمون فى صدر الاسلام الى معرفة معانى الالفاظ فى التفسير والقراءة ، عمدوا الى جمع أشعار العرب وأمثالهم وأقوالهم بلا تخصيص . ثم غلب على بعضهم جمع الشـــعر ، وعلى البعض الآخر شواهد النحو ، أو الامثال ، أو رواية اللغة . فأخـــذوا يطلبـــونها فى أماكنها وينقلونها عن أصحابها أو من سمع عنهم . والمشهور أن أخبـار الجاهلية لم يدون منها شيء قبل الاســلام . ثم ظهر ان بعض ذلك كان مدونا فى صحف عند أهل الحيرة من أيام المناذرة

وأول من اشتغل بجمع الشعر بعد الاســـلام ممن بلغ الينا خبره : حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٦ ، وقد عاصر الدولتين الأموية والعباسية وعاصر أبا عمرو بن العلاء المتقدم ذكره * ثم ظهر خلف الاحمر ، والمفضل الضبى ، وغيرهما ، وهذه تراجمهم :

١ ـ حماد الراوية

توفى سنة ١٥٦ هـ

هو حماد بن ميسرة ، اصله ديلمى من موالى بنى بكر بن وائل . نشأ فى الكوفة ، وكان فى أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص .. فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله ، وكان فيه جزء من شعر الانصـــار ، فقرأه حماد فأعجب به وحفظه ، ثم طلب الادب والشعر وأيام النـــاس ولغـــات العرب بعد ذلك .. وترك ما كان عليه ، فبلغ فى العلم ما بلغ حتى عرف بحماد الراوية تمييزا له عن نفر بهذا الاسم

وكان قوى الحافظة الى درجة بعيدة ، ومن أعلم الناس بأيام العرب واشعارها وأخبارها .. لكنه اختص بجمع الشعر ، وكان ضـــعيفا فى العربية يلحن فى كلامه . وكان بنو أمية يقدمونه ويستزيرونه على البريد ،

وينال منهم الجوائز ويسألونه عن أيام العرب وأشعارها وعلومها . وسأله الوليد بن يزيد يوما : « بم استحققت أن تدعى الراوية ؟ » فقال : « بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ثم أروى لاكثر منهم ممن تعترف انك لا تعرفه ولا سمعت به ، ثم لا ينشدنى أحد شعرا قديما ولا محدثا الا ميزت القديم من المحدث » فقال له : « فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ » قال : « كثير ، ولكننى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام » قال : « سأمتحنك فى هذا » . ثم أمره بالانشاد ، فأنشده حتى ضجر الوليد ، فوكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبره الوليد بذلك فأمر له بمائة ألف درهم

وكان حماد هذا وحماد عجرد الشاعر المتقدم ذكره وحماد بن الزبرقان يتنادمون على الشراب فى الكوفة ، وكانوا متهمين بالزندقة جميعا . فلما آل الامر الى بنى العباس « كان حماد هذا قد اشتهر بالرواية فسمع به المنصور وكان حزينا على موت أخيه أبى العباس ، وأراد أن يرثيه بأبيات كان يعلم أن هفان بن همام قالها فى رثاء أبيه وقد ذهبت عن خاطر المنصور ، فبعث فى طلب حماد ليرويها له فجاءه وأنشده اياها فبكى وقال : « هكذا كان أخى رضى الله عنه (١) » . وظل حماد حيا الى أيام المهدى وكان يستدعيه اليه ، ويستنشده كما يستنشد المفضل الضبى . وكان يؤثر المفضل عليه لانه أصدق منه فيما يرويه . وكان حماد يزيد فى أشعار الناس ما ليس منها وينسبه اليهم وسيأتى خبر ذلك

وهو الذى جمع المعلقات التى بين أيدينا وجمع أشعار أكثر القبائل وأكثر شعراء بنى أمية ، وجعل شعر كل قبيلة أو شاعر فى كتاب . . فكان عنده كتاب لشعر قريش وآخر لشعر ثقيف وآخر لغيرهم (٢) ، لكنها ضاعت كلها ولم يذكر منها صاحب الفهرست شيئا وانما روى الناس عنه وصنفت الكتب بعده

وتجد أخباره فى الاغانى ١٦٤ ج ٥ ، وابن خلكان ١٦٤ ج ١ ، وطبقات الادباء ٤٣ (*)

٢ ــ المفضل الضبى

توفى سنة ١٦٨ هـ

هو المفضل بن محمد الضبى ، كان ثقة من أكابر الكوفيين أخذ عنه أبو زيد الانصارى من البصريين لثقته . وقد أدرك المهدى العباسى فقربه وأدناه ، فجمع له الاشعار المختارة التى سماها المفضليات كما جمع

---

(١) الاغانى ١٦٩ ج ٥ (٢) الاغانى ١٧٤ ج ٥

(*) وانظر فى حماد المعارف (طبعة وستنفلد) ص ١٦٩ ، ٢٦٨ والشعر والشعراء ص ١٥٧ ، ٤٨٣ وخزانة الادب ج ٤ ص ١٢٨ والفهرست ص ٩١ ودائرة المعارف الاسلامية

أبو تمام ديوان الحماسة . لكن هذا جمع الحماسة من كتب مدونة ، وأما المفضل فأخذ أكثرها عن الالسنة .. وهو غير المفضل بن سلمة اللغوى الآتى ذكره . وهذه مؤلفاته الباقية :

١ ـ المفضليات وتسمى الاختيارات : وهى عبارة عن مائة وست وعشرين قصيدة ، وقد تزيد أو تنقص حسب الروايات . طبعت فى ليبسك سنة ١٨٨٥ وفى مصر . ولها شرح خطى فى المكتبة الخديوية لابى بكر بن الانبارى

٢ ـ كتاب الامثال : طبع فى الآستانة سنة ١٨٨٢

وتجد أخباره فى طبقات الادباء ٦٧ ، والفهرست ٦٨ ، والعقد الفريد ١٣١ ج ٣ (*)

٣ ـ خلف الاحمر

توفى سنة ١٨٠ هـ

هو خلف بن حيان ، كان مولى أبى بردة وأصله من فرغانة ، لكنه حفظ كلام عرب الجاهلية وأشعارهم حتى صار يقول الشعر فيجيده ، وينحله الشعراء المتقدمين فلا يتميز من شعرهم لمشاكلة كلامه كلامهم . وكان من أهل البصرة ، وقد أخذ الاصمعى وسائر أهل البصرة عنه . وله قوة عجيبة على تمييز الاشعار وتعيين أصحابها . وهو أول من أحدث السماع بالبصرة ، وذلك أنه جاء الى حماد الراوية فسمع منه (١) . وكان ضنينا بأدبه . وهو معدود أيضا بين الشعراء . وذكر له صاحب الفهرست كتابا واحدا عن العرب وما قيل فيها من الشعر

وتجد أخباره فى طبقات الادباء ٦٩ ، والفهرست ٥٠ ، والشعر والشعراء ٤٩٦ ، والعقد الفريد ١٠٧ ج ٣ (**)

٤ ـ أبو عمرو الشيبانى

توفى سنة ٢٠٦ هـ

هو من الموالى ، واسمه اسحق بن مرار . كان يؤدب فى أحياء بنى شيبان بالكوفة فنسب اليهم . وكان راوية واسع العلم باللغة ثقة بالحديث كثير السماع . وقد جمع دواوين أشعار القبائل وعنه أخذت . وكان له بنون

(*) وراجع تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٢١ وميزان الاعتدال للذهبى ج ٢ ص ٤٩٨ والانساب للسمعانى ٣٦١ أ وبغية الدعاة ٣٩٦ وطبقات الزبيدى ص ١٣٣ وطبقات القراء ج ٢ ص ٣٠٧ واللباب فى الانساب ج ٢ ص ٨١ ولسان الميزان ج ٦ ص ٨١ والمعارف ص ٢٣٧ ومعجم الادباء ١٩ ص ١٦٤ وانباه الرواة ج ٣ ص ٢٩٨ وذيل الامالى للقالى ص ١٣١

(١) طبقات الادباء ٧٠

(**) وانظر فى خلف طبقات الزبيدى ص ١١٣ والمعارف ص ٢٣٧ والامالى للقالى ج ١ ص ١٥٦ واللآلى لابى عبيد البكرى ص ٤١٢ وبغية الوعاة ص ٢٤٢ ومعجم الادباء ج ١١ ص ٦٦ وروضات الجنات ص ٢٧٠ وتهذيب اللغة للازهرى ج ١ ص ٤ وانباه الرواة ج ١ ص ٣٤٨ والاغانى (أنظر الفهرس)

وبنو بنين يروون عنه كتبه . وذكر أحد أولاده ان أباه جمع أشعار نيف وثمانين قبيلة ، وكان كلما جمع أشعار قبيلة وأخرجها للناس كتب مصحفا وجعله فى مسجد الكوفة . وعاش أكثر من مائة سنة ، وكان يكتب بيده الى أن مات . وخلف بضعة مؤلفات فى الخيل والحديث والنوادر وخلق الانسان والحروف ذكرها صاحب الفهرست ، ولم يصلنا منها الا : كتاب الجيم فى اللغة ، منه نسخة خطية فى مكتبة الاسكوريال فى عشرة أجزاء

وتجد أخباره فى ابن خلكان ٦٥ ج ١ ، ومعجم الادباء ٢٣٣ ج ٢ ، والفهرست ٦٨ (*)

هؤلاء هم عمدة رواة الاشعار فى ذلك العصر ، وان لم يقتصروا عليها . وعنهم أخذ من ألف فى طبقات الشعراء أو دون أشعار الافراد أو القبائل ، فضلا عن أبى عبيدة والاصمعى وأبى عمرو بن العلاء المتقدم ذكرهم . وغير من اشتغل برواية الشعر بعدهم من النحاة واللغويين كمحمد بن حبيب وخالد بن كلثوم وابن الاعرابى وغيرهم . وقد يجمع أشعار الشاعر أو القبيلة غير واحد ويختلفون فى الرواية أو الاشعار أو الاخبار ، فيأتى من يجمع بين الروايات وينقح ويضبط .. كما حدث فى شعر امرىء القيس ، فقد رواه أبو عمرو بن العلاء والاصمعى وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب ثم صنعه من جميع هذه الروايات أبو سعيد السكرى ، وصنعه أيضا أبو العباس الاحول وابن السكيت

فظهر بعد هذه الطبقة من الرواة طبقة من الجامعين الذين ينظرون فى الروايات ويجمعون بينها ويعدلونها ، نخص منهم بالذكر اثنين من أهل العصر العباسى الاول هما : محمد بن سلام ، وابن أبى الخطاب القرشى

٥ ـ محمد بن سلام

توفى سنة ٢٣٢ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحى البصرى ، كان عالما بالشعر والاخبار فألف كتابا فى طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الاسلاميين .. هو أقدم ما وصل الينا من كتب الطبقات ، وظل مرجع طلاب الشعر الى عهد غير بعيد . وقد ذكره صاحب الفهرست فجعله كتابين أحدهما فى الشعراء الجاهليين والآخر فى الاسلاميين . وذكره صاحب الاغانى مرارا كثيرة واستشهد بأقواله ورجع اليه فى تعيين طبقات كثيرين من الشعراء ، وكذلك فعل القالى والزجاج فقد ذكراه فى اماليهما مرارا . وعول عليه السيوطى فى كتابه « المزهر » ونقل عنه أقوالا تدخل فى بضع صفحات . وذكره صاحب كشف الظنون فى مقدمة الذين الفوا فى طبقات

(*) وراجع فى أبى عمرو الشيبانى تاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٢٩ وبغية الوعاة ص ١٩٢ وانباه الرواة ج ١ ص ٢٢١ وتهذيب اللغة للازهرى ج ١ ص ٦ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ١٨٢ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٣٨٤ وروضات الجنات ص ١٠٠ وطبقات الزبيدى ص ١٣٤ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٥٧ والمعارف ص ٢٣٧ ومعجم الادباء ج ٦ ص ٧٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٣

الشعراء . وهو اول من فعل ذلك ثم قلده غيره . وقد ذكرنا فى الجزء الاول من هذا الكتاب انة ضاع لاننا لم نجده فى مكاتب أوربا ولا الاستانة ولا المكتبة الخديوية ولا غيرها من المكاتب الكبرى التى تيسر لنا الوقوف على فهارسها ، ثم علمنا بوجود نسخه خطية منه بين كتب وقفها المرحوم الشيخ الشنقيطى للمكتبة الخديوية ولها فهرس خاص (١) ، وتصفحناها فاذا هى منقولة بخط جميل عن نسخة فى مكتبة شيخ الاسلام فى المدينة وتدخل فى ٢١٠ صفحات (*) ، تبدأ بنقد الشعر ثم بأول من وضع النحو فى البصرة وتاريخ ذلك . ثم قسم المؤلف الشعراء الى جاهليين واسلاميين وقسم كل طائفة منهما الى عشر طبقات فى كل طبقة أربعة من الفحول يشتركون فى بعض الاحوال . وقدم الكلام فى الشعر وتاريخه وأشار الى ما أدخله الرواة من الشعر المصنوع . ثم ذكر طبقات الشعراء الجاهليين وهى :

الطبقة الاولى : امرؤ القيس والنابغة الذبيانى وزهير والاعشى

الثانية : سقط بعضها فى النسخ ، ولعل من شعرائها كعب بن زهير والحطيئة (**).

الثالثة : نابغة بنى جعدة وأبو ذؤيب الهذلى والشماخ بن ضرار ولبيد ابن ربيعة

الرابعة : طرفة بن العبد وعبيد بن الابرص وعلقمة بن عبده وعدى بن زيد

الخامسة : خداش بن زهير والاسود بن يعفر وأبو يزيد المخبل وتميم ابن أبى بن مقبل

السادسة : عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وسويد بن أبى كاهل (وسقط الرابع) (***)

السابعة : سلامة بن جندل وحصين بن الحمام والمتلمس والمسيب بن علس

الثامنة : عمرو بن قميئة والنمر بن تولب واوس بن غلفاء وعوف بن عطية

التاسعة : ضابىء بن الحارث وسويد بن كراع والحويدرة الذبيانى وسحيم عبد بنى الحسحاس

العاشرة : أمية بن حرثان وحريث بن محفص والكميت بن معروف وعمرو بن شأس

وأضاف الى ذلك أصحاب المراثى وجعلهم طبقة وهم : متمم بن نويرة والخنساء وأعشى باهلة وكعب . ثم تكلم عن شعراء القرى وهى المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين وذكر فحول كل قرية

---

(١) نبهنا الى وجودها هناك مصطفى الرافعى الشاعر فنشكره على صدق رغبته فى خدمة آداب اللغة

(*) طبعت هذه الطبقات بعناية يوسف هل سنة ١٩١٣ وطبعت اخيرا بدار المعارف طبعة محققة بقلم محمود محمد شاكر

(**) الطبقة الثانية فى طبعة دار المعارف هى أوس بن حجر وبشر بن أبى خازم وكعب بن زهير والحطيئة

(***) الرابع فى الطبعة السابقة هو عنترة . أنظر ص ١٢٨

وجعل الشعراء الاسلاميين فى عشر طبقات :

الاولى : جرير والفرزدق والراعى والاخطل وغيرهم

الثانية : البعيث والقطامى وكثير وذو الرمة

الثالثة :كعب بن جعيل وعمرو بن احمر وسحيم بن وثيل وأوس بن مغراء

الرابعة : نهشل وحميد بن ثور والاشهب وعمر بن لجأ

الخامسة : أبو زبيد الطائى والعجير السلولى وعبد الله بن همام ونفيع ابن لقيط

السادسة : ابن قيس الرقيات والاحوص وجميل ونصيب

السابعة : المتوكل الليثى ويزيد بن ربيعة وزياد الاعجم وعدى بن الرقاع

الثامنة : عقيل بن علفة المرى وبشامة بن الغدير وشبيب بن البرصاء وقراد بن حنش

التاسعة : كلهم رجاز وهم الاغلب العجلى وأبو النجم والعجاج ورؤبة ابنه

العاشرة : مزاحم بن الحارث ويزيد بن الطثرية وأبو داود الرؤاسى والقحيف

وقد قابل فى كل طبقة بين شعرائها وفاضل بينهم

وذكر صاحب الفهرست لابن سلام كتابا فى بيوتات العرب وآخر فى ملح الاشعار

وتجد أخباره فى طبقات الادباء ٢١٦ ، والفهرست ١١٣ (*)

٦ — ابن أبى الخطاب
صاحب جمهرة أشعار العرب

اسمه أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى لم نقف على ترجمته (**) ، ولكن يظهر انه نبغ فى أواسط القرن الثالث للهجرة .. وانما عمدنا الى ذكره لانه جمع خيرة اشعار الجاهلية وصدر الاسلام فى كتاب سماه « جمهرة اشعار العرب » فى سبعة مجاميع فصلناها فى كلامنا على طبقات الشعراء فى الجزء الاول ، والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٨ ، وفى صدره مقدمة انتقادية فى الشعر واللغة والمقابلة بين لغة القرآن وأقوال الشعراء ، وفى الشعر والشعراء وأقدمهم وغير ذلك فى ٣٩ صفحة كبيرة

(*) وانظر فى ترجمة ابن سلام تاريخ بغداد ج٥ ص٣٢٧ وطبقات الزبيدى ص ١٢٧ واللباب ج ١ ص ٢٣٦ ولسان الميزان ج ٥ ص ١٨٢ ومراتب النحويين لابى الطيب اللغوى (طبعة أبى الفضل ابراهيم) ص ١٠٨ وانباه الرواة ج ٣ ص ١٤٣ وبغية الوعاة ص ٤٧ والانساب للسمعانى ١٣٤ ب وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٥٧ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٨٥ ومعجم الادباء ج ٨ ص ٢٠٤

(**) لم يدرج اسم أبى الخطاب القرشى بين الرواة الاقدمين ، ويغلب على الظن أنه كان يعيش فى القرن الرابع الهجرى ، فقد ذكره ابن رشيق المتوفى بمنتصف القرن الخامس الهجرى فى كتابه « العمدة فى صناعة الشعر ونقده » . ويتضح من المقدمة التى وضعها بين يدى كتابة « الجمهرة » أن بينه وبين القرن الثانى نحو جيلين من الرواة

ما هو مدى صــدق الرواة واصطنـــاع الاشــعار (*)

ان ما بين ايدينا من اخبار العرب واشعارهم فى الجاهلية انما وصل الينا على أيدى الرواة الذين ذكرناهم ، فهم رووا تلك الاشعار والاخبار وروتها الناس عنهم ، فهل نقلوها عن ثقة ؟ وهل هم صادقون فى روايتها ؟

والجواب على ذلك ان رواياتهم على اجمالها صادقة ، وان كان ما وصل الينا من أشعار الجاهلية لايخلو من المنسوب لغير أصحابه . ولذلك سببان يتصل أحدهما بالعرب الذين تلوا تلك الاشعار على الرواة ، والثانى يتصل بالرواة أنفسهم . فالعرب لمـــا قام الاســلام شغلوا به عن مفــاخراتهم ومناشــداتهم ، فلما انقضت دولة الراشــدين وقام الامويون واقتضت سياستهم احياء عصبية الجاهلية عادت القبائل الى مفاخراتهم .. كل قبيلة تفاخر سواها بمن نبغ فيها من الشعراء وما قالوه . وكان قــد ذهب معظمه ، فأخذ أبناء الشعراء أو بعض أهلهم يزيدون فى الاشــعار التى قيلت ، ولم يكن يخفى ذلك على أهل العلم . كما اتفق لابن داود بن متمم ابن نويرة وقد قدم البصرة لما يقدم له البدوى من الجلب والميرة ، فأتاه بعض الرواة وسألوه عن شعر أبيه فلم يرو بعضه حتى أدركوا المصنوع منه (١) .

لــكن كثيرا من الاشعار تنسب لغير أصحابها اعتباطا لتشابه القافية والوزن والمعنى ، فكثير من أشعار كثير تنسب لمجنون ليلى . وكذلك سائر العشاق تتشابه أشعارهم لتشابه معانيها . فاذا اتحدت قوافيها وأوزانها اختلطت وصعب تمييزها كقصيدة ابن الحدادية اليائية التى مطلعها :

سقى الله اطــلالاً لنُعْمٍ ترادفتْ بهنَّ النوى حيث حالَلنا المطاليا

فان بعضهم يدخل أبياتا منها فى قصيدة مجنون ليلى (٢) التى مطلعها :

تذكرتُ ليلى والسنين الخواليا وأيام لا أعْدِى على الدهر عاديا

وقس على ذلك وأمثاله وهو كثير ، وقد ينسبون القصيــدة الى غير واحد . وبعض القصائد تنسب الى عشرين شاعرا أو أربعين

تعمد الانتحال

والرواة يتفاوتون ثقة .. فمنهم الثقة المحقق ، ومنهم من يتعجل فى التصديق ، وبعضهم يتقلب فى رواياته مع الاهواء ، فينظم الابيات على لسان

(*) ناقش طه حسين فى كتابه « فى الادب الجاهلى » الانتحال فى الشعر الجاهلى مناقشة واسعة . وممن كتب فى هذا الموضوع مرجليوث ، فقد نشر بمجلة الجمعية الملكية الاسيوية (عدد يوليو سنة ١٩٢٥) مقالا فى أصول الشعر العربى زعم فيه ان الشعر الجاهلى لم ينظم فى عصره ، انما نظم فى العصور التالية . وعلى النقيض منه عنى ليال فى مقدمتيه للمفضليات وديوان عبيد بن الابرص بتصحيح هذا الشعر وتوثيق نسبته الى عصره . وانظر مصادر الشعر الجاهلى (طبع دار المعارف) لناصر الدين الاسد

(١) المزهر ٨٧ ج ١ (٢) الاغانى ٨ ج ١٣

بعض الجاهليين وينسبها اليهم لمطمع مالى أوغرض آخر. واشهر من فعل ذلك حماد وخلف المتقدم ذكرهما ، وهما مرجع رواة الاشعار كما رأيت .
فكان حماد كثيرا ما يصنع الابيات أو القصيدة ينسبها الى شاعر من قوم ، يريد أن يتزلف الى رجل منهم صاحب نفوذ أوسيادة فى عصره .. كما فعل فى ولاية خالد بن عبد الله القسرى ، وكان خالد شديد العصبية لقومه من اليمنية على القيسية . فنظم حماد أبياتا نسبها الى ابن الحدادية ، يمدح بها أسد بن كرز من بجيلة قبيلة خالد القسرى المذكور وأسد بن كرز أبو جده . فأورد حماد حكاية جرت لابن الحدادية مع ناس من قومه أصابوا دما فى قوم من خزاعة فهربوا حتى نزلوا فى بجيلة على أسد بن كرز ، فآواهم وأحسن اليهم ، وذكر ان ابن الحدادية نظم فيه قصيدة يمدحه بها ، الى آخر الحديث (١) ، ولكن الرواة المحققين يقولون انها من نظم حماد للغرض الذى تقدم. وكذلك كانوا يفعلون فى وضع الانساب طمعا فى المال . قال ابن الكلبى : « أول كذبة كذبتها فى النسب ان خالد بن عبد الله سألنى عن جدته أم كريز ، وكانت أمة بغيا لبنى أسد يقال لها زينب .. فقلت له هى زينب بنت عرعرة بن خذيمة بن نصر بن قعين ، فسر بذلك ووصلنى » (٢).

وقد شهد المفضل الضبى وهو معاصر لحماد أيضا قال : « قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا » فقيل له : « وكيف ذلك أيخطىء فى روايته أم يلحن ؟ » قال : « ليته كان كذلك ، فان أهل العلم يردون من أخطأ الى الصواب ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ، ويدخله فى شعره ، ويحمل ذلك عنه فى الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد وأين ذلك »

وقد بلغ قول الضبى الخليفة المهدى فأكده له بالامتحان بين يديه ، فاعترف حماد بأبيات زادها فى اشعار زهير بن أبى سلمى . فأمر المهدى بابطال روايته لانه يدخل بأشعار الناس ما ليس منها ووصل المفضل لصدقه وصحة روايته (٣)

وخلف الاحمر كان يفعل فعل حماد ، وقد قال عن نفسه انه كان ينظم الاشعار وينحلها غير أصحابها . وانه كان يأخذ من حماد الصحيح من أشعار العرب ويعطيه المنحول فيقبله . وكان خلف شاعرا مجيدا فينظم القصائد الجيدة ويدخلها فى دواوين الشعراء ، ويقال انه صاحب القصيدة المنسوبة للشنفرى التى أولها :

أقيموا بنى أمّى صدورَ مطيّكم ... فإنى إلى أهلٍ سواكم لأميَلُ

وقال أبو حاتم كان خلف الاحمر شاعرا ، وقد وضع على عبد القيس شعرا مصنوعا عبثا منه . وأدخل أيضا على غيرهم من القبائل أبياتا وقصائد ، وكان أهل البصرة والكوفة يأخذون ذلك عنه لانه كان لتمكنه

---

(١) الاغانى ٥ ج ١٣ (٢) الاغانى ٥٨ ج ١٩. (٣) الاغانى ١٧٢ ج ٥

من الشعر والشعراء اذا نظم على ألسنة الناس أشبه كل شعر يقوله بشعر الذى يضعه له . وتنسك فى أواخر أيامه وندم على ذلك وكف عن النظم . ثم خرج يوما الى أهل الكوفة واعترف لهم بما كان يعمله وعرفهم بالاشعار التى قد أدخلها فى أشعار الناس ، فقالوا :«أنت كنت عندنا فى ذلك الوقت أوثق منك الساعة» ولم يستطيعوا اخراج ذلك من دواوينهم(١)

وممن كان يفعل فعل حماد وخلف ابن داب والشرقى بن القطامى ، سئل ابن القطامى : « ماذا كانت العرب تقول فى صلاتها على موتاها ؟ » فقال : « لا أدرى » فقيل له : « اكذب ؟ » فقال : « كانوا يقولون رويدك حتى تبغت الخلق باغتة » فشاع ذلك وتحدثوا به (٢) . حتى الرواة الثقات كالاصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد ، قد كانوا يتطاعنون ويضعف كل منهم رواية الآخرين .. ولكن المحققين ينزهون هؤلاء عن الكذب . وقد قال محمد بن سلام الجمحى : « فى الشعر موضوع مفتعل مصنوع لا خير فيه ولا حجة باعرابه » (٣)

على ان المحققين فى العصر العباسى الثانى كأبى الفرج الاصبهانى وابن قتيبة وابن عبد ربه وغيرهم ممن عانى الادب وانتقد الشعر ، بينوا أماكن الضعف فى كثير من المواضع وجعلوا للرواية شروطا (٤) فى الاسناد والاخذ والتحقيق لا محل لها هنا . وانتقد محمد بن سلام شيئا من ذلك فى مقدمة طبقاته

ولابى القاسم عمر بن حمزة البصرى المتوفى سنة (٣٧٥ هـ) كتاب فى انتقاد الرواة سماه « التنبيهات على أغاليط الرواة » ضمنه التنبيه على الاغاليط التى وقعت فى نوادر أبى زياد الكلابى ، ونوادر أبى عمرو الشيبانى ، وكتاب النبات لابى حنيفة الدينورى ، والكامل للمبرد ، والفصيح لثعلب ، والغريب للقاسم بن سلام ، واصلاح المنطق لابن السكيت وغيرهم . وفى المكتبة الخديوية نسخة خطية من هذا الكتاب

واذ فرغنا من الكلام على الرواية بأنواعها وهى أصل علم الادب ، فلننتقل الى ما يتفرع اليه الادب من العلوم وأهمها النحو واللغة .. فان أصحابهما كانوا فى الاصل من جملة الرواة ، ثم اختص بعضهم بهذا العلم والبعض الآخر بذاك

---

(١) المزهر ٢٠٣ ج ٢
(٢) المزهر ٨٥ ج ١
(٣) المزهر ٨٥ ج ١
(٤) المزهر ٧١ ج ١

النحو

فى العصر العباسى الاول

البصريون والكوفيون

النحو باعتبار ما تقدم فرع من الادب ، لكنه ولد قبله لاحتياج المسلمين الى ضبط القراءة .. فوضعه أبو الاسود الدؤلى كما تقدم فى العصر الاموى ، وقد نضج وصار علما فى أيام العباسيين على أيدى أدباء البصره والكوفة . وأهل البصرة أسبق الى ذلك وهم الذين ضبطوا النحو وألفوا فيه . ومنهم أبو الاسود واضعه ، وابن أبى اسحق الحضرمى أول من علله ، وعيسى بن‌عمر الثقفى أول من‌ألف فيه ، وهارون بن‌موسى أول من ضبطه ، وسيبويه أول من أجاد فى تأليفه . ثم قلدهم الكوفيون ، وخالفوهم فى بعض قوانينه ، وقامت المناظرة بين البلدين ، وصار لكل منهم مذهب فى النحو كما هو مشهور (*) . وأهل البصرة ارسخ قدما وأوسع علما وأولى بالثقة . ولكن السياسة اقتضت ظهور الكوفيين بعد قيام الدولة العباسية ، فقدمهم خلفاؤها لانهم كانوا من انصارهم . فكانوا يقربونهم ويفضلونهم على نحويى البصرة ويختارون منهم أساتذة لاولادهم ، فالكسائى والفراء والمفضل الضبى والشرقى بن القطامى كلهم من أهل الكوفة وقد علموا أبناء الخلفاء ، ولولا الغرض السياسى ما كان لهم ذكر . وتحامل الامين على سيبويه فى المناظرة التى عقدها بينه وبين الكسائى (**) بشأن النحلة والزنبور ، وهى أشهر من أن تذكر (١)

اول من علله

فالبصريون أصحاب الفضل فى وضع النحو وترقيته وتنسيقه ، بدأ بذلك أبو الاسود فوضع بعض قواعده وأخذ يلقيها ويعلمها لمن شاء من الادباء أو القراء .. فكان أبرع تلامذته عنبسة بن معدان المهرى ، فأقبل

(*) أنظر فى مذهبى البصريين والكوفيين كتاب الانصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، ومقدمة فيل weil له ، وهى مقدمة نفيسة ، وراجع ضحى الاسلام ، الجزء الثانى

(**) لم تكن هذه المناظرة فى مجلس الامين ، انما كانت فى مجلس يحيى بن خالد البرمكى كما سيجىء

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ٧٩ ج ٣

الناس يطلبون النحو على يده ، فتفقه عليه جماعة كان أبرعهم ميمون الاقرن (١) ، فجعل الناس يأخذون النحو عنه تلقينا بلا تعليل ولا ضبط . ويقال ان أول من علله ، أى ذكر أسباب اعرابه ، عبد الله بن أبى اسحق الحضرمى المتوفى سنة ١١٧ هـ ، والغالب فى اعتقادنا أن تعليل الاعراب لم ينضج الا بعد نقل كتب الفلسفة اليونانية الى العربية فى العصر العباسى الذى نحن بصدده

اول من ضبط قواعده والف فيه (*)

أما ضبط قواعده فأول من أقدم عليه هارون بن موسى ، وهو يهودى من أهل البصرة أسلم واشتغل بالادب وضبط النحو لكنه لم يؤلف فيه. وأول من ألف فيه عيسى بن عمر الثقفى المتوفى سنة ١٤٩ هـ ، وكان فصيحا يتقعر فى كلامه ، فيقال انه ألف كتابين أحدهما الجامع والآخر الاكمال ذكرهما الخليل فى شعره ولم يرهما أحد (٢)

وقد عانى النحو وقواعده كل من ظهر فى البصرة من الأدباء فى ذلك العصر لانه من علم الادب ، الا ان بعضهم كان يميل الى النحو أكثر من سواه وربما دخل فى جملة ما يكتبه فى الادب أو اللغة كما فعل الخليل بن احمد واضع علم العروض .. فقد أتى على أشياء من قبيل النحو فى كتاب العين الآتى ذكره . وهكذا يقال فى أمثاله الذين اشتغلوا بفنون الادب كأبى عمرو ابن العلاء . ومنهم من اختص بالنحو ونصب نفسه للافادة وان لم يؤلف فيه ، كيونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٣ وكان معاصرا لهؤلاء جميعا وأخذ عن أبى عمرو بن العلاء .. وتمكن من النحو حتى صار له فيه مذاهب وأقيسة تفرد بها . وعقد لنفسه حلقة فى البصرة يلقى فيها هذا العلم . وكان يقصده طلبة العربية وفصحاء الاعراب ، فكان يعلم النحو واللغة وهما لم يفترقا بعد . ولم يستقل النحو بنفسه استقلالا تاما حتى ألف فيه سيبويه كتابه المشهور . وهاك أشهر نحاة هذا العصر حسب سنى الوفاة :

علماء النحو فى العصر العباسى الاول

١ ـ سيبويه

توفى سنة ١٨٣ هـ

هو من الموالى ، واسمه أبو بشر عمرو بن عثمان ، مولى بنى الحارث ابن كعب . وسيبويه بالفارسية معناه رائحة التفاح . نشأ فى البصرة الآثار والفقه ، ثم طلب النحو وأخذه عن الخليل ويونس وعيسى

---

(١) طبقات الادباء ١٦

(*) أنظر فى نشاة النحو العربى وأهم من وضعوا قواعده وعلله، ضحى الاسلام

(٢) طبقات الادباء ٢٨

حتى برع فيه ، وألف كتابه الذى لم يسبقه احد الى مثله ، ونسب فيه الى كل من أساتذته أقواله واعتمد على أبى زيد الانصارى وكان يسميه الثقة .. فكان لذلك وقع جميل عند أهل البصرة وصار كتابه تحفة يتسابق الفضلاء الى التهادى به . واشتهر حتى أصبح قائلهم اذا قال : « قرأ فلان الكتاب » علم انه يعنى كتاب سيبويه . وكان أبو العباس المبرد اذا أراد احد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه ، يقول له : « هل ركبت البحر ؟ » تعظيما للكتاب واستصعابا لما فيه . وقال أبو عثمان المازنى : « من أراد أن يعمل كتابا كبيرا فى النحو بعد كتاب سيبويه فليستح» . وأخذ العلم عنه جماعة من المشاهير أشهرهم أبو الحسن الاخفش وكان أكبر سنا منه ، وقطرب وكانت له معهما ومع سواهما مناظرات

وكان أهل الكوفة فى أثناء ذلك قد عنوا بالنحو ، فأخذوه عن أهل البصرة واشتغلوا فيه .. فنبغ معاذ الهراء المتوفى سنة ١٨٧ ، وأبو جعفر الرؤاسى ابن أخى معاذ ، فوضع كتابا فى النحو ، وهو أول من فعل ذلك من الكوفيين ، والكتاب ضاع

كتاب سيبويه

أما كتاب سيبويه فانه باق ، ومنه عدة نسخ خطية فى المكتبة الخديوية وغيرها ، وقد طبع فى باريس سنة ١٨٨٣ — ١٨٨٩ بعناية المستشرق ديرنبورج فى مجلدين كبيرين ، فى ١٠٠٠ صفحة كبيرة ، علق عليها تعاليق مفيدة ومقدمة باللغة الفرنسية عن مسودات هذا الكتاب ومظانها وما قيل فيها . وطبع بمصر سنة ١٨٩٦ ، وفى كلكتا ١٨٨٧ . وقد نقله الى الالمانية الدكتور ياهن ، وطبع فى برلين سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٨ ، وفى الكتاب ٧٢٠ فصلا ، يحتوى الجزء الاول منه على الكلم وأقسامه والفاعل والمفعول فالفعل وما يعمل عمله واحكام المصدر والحال والظرف والجر والبدل والمعرفة والنكرة والصفة والمبتدأ والخبر والاسماء التى بمنزلة الفعل والاحرف المشبهة به والنداء والترخيم والنفى بلا والاستثناء وباب لكل حرف من أحرف الجر . وفى الجزء الثانى ما ينصرف وما لاينصرف والنسبة والاضافة والتثنية والتصغير والمقصور والممدود والجمع وفعلت وافعلت وما يليها من المزيدات والوقف وشروطه وما يكون عليه الكلم وما أبدل من الفارسية وغير ذلك مما يطول شرحه. وهو على غير الترتيب المألوف عندنا ، لكنه جامع كل ما يحتاج اليه طالب النحو. وفيه ٣٠٠ مثال للأبنية حتى الأدب أصل الكتب المؤلفة فى النحو كتاب سيبويه وكتاب العين للخليل .

(*) انتعرض جماعة لانتقاد كتاب سيبويه منهم المبرد (١) . وقد ألف أبو البصريين ...دى كتابا سماه كتاب الاستدراك على كتاب سيبويه ، انتقد فيه الجزء الثانية (**) لغة ، طبع فى روما سنة ١٨٩٠ بعناية الاستاذ جويدى المستشرق كما سيجىء . وقد شرح الكتاب السيرافى ، ومن هذا الشرح بضع نسخ فى

(١) تاريخ

المكتبة الخديوية احداها بخط عبد اللطيف البغدادى الرحالة الشهير

وأخبار سيبويه فى ابن خلكان ٣٨٥ ج ١ ، وطبقات الادباء ٧١ ، والفهرست ٥١ ، والدميرى ١٢٤ ج ٢ (*)

٢ – معاذ الهراء

توفى سنة ١٨٧ هـ

هو ابو مسلم عم أبى جعفر الرؤاسى من أساتذة الكسائى الآتى ذكره ، ولم يخلف مؤلفا وانما ذكرناه لانه أول من وضع التصريف

وترجمته فى ابن خلكان ٩٩ ج ٢ ، وطبقات الادباء ٦٤ ، والفهرست ٦٥ (**)

٣ – الكسائى

توفى سنة ١٨٩ هـ

هو اشهر نحاة الكوفة ، واسمه على بن حمزة ، مولى بنى أسد ، وأصله من فارس. أخذ النحو عن أبى جعفر الرؤاسى ومعاذ الهراء المتقدم ذكرهما . وخرج الى البصرة ولقى الخليل بن احمد ، فأخذ عنه وعشق النحو. وهو من القراء السبعة . واستقدمه الخلفاء العباسيون الى بغداد ليعلم أبناءهم ، وقدمه البرامكة فارتفعت منزلته وأخذ يعرض بسيبويه وكتابه حتى كانت مسألة الزنبور والنحلة . فتعصب الخليفة الامين لمعلمه الكسائى ، وجمع الرجلين فتناظرا فى حضرته ، وشهد بدوى بصحة رأى سيبويه لكن الامير تعصب لمعلمه حتى اضطر سيبويه الى الفرار فى حديث طويل (***) . والف الكسائى عدة كتب فى النحو والقراءات والادب والنوادر وغيرها لم يصلنا منها الا رسالة فى لحن العامة منها نسخة خطية فى مكتبة برلين ، وقد طبعت فى برسلاو

(*) وراجع ترجمة سيبويه فى اخبار النحويين البصريين ص ٤٨ وانباه الرواة ج٢ ص٣٤٦ وبغية الوعاة ص ٣٦٦ وطبقات الزبيدى ص ٣٨ والمعارف ص ٢٣٧ ومعجم الادباء ج١٦ ص١١٤ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ٢ ص ٢٠٦ وطبقات القراء لابن الجزرى ج ١ ص ٦٠٢ والفلاكة والمفلوكين ص ٨٣ ومرآة الجنان ج ١ ص ٣٤٨ والمزهر للسيوطى « طبعة الحلبى » الجزء الثانى فى مواضع متفرقة وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٥٢ وتهذيب اللغة للازهرى ج ١ ص ٩ وروضات الجنات ص ٥٠٣ وتاج العروس ج ١ ص ٣٠٥ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٩٥ وكتب التاريخ فى سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وانظر فى معاذ أنباه الرواة ج ٣ ص ٢٨٨ وبغية الوعاة ص ٣٩٣ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣١٦ وطبقات ابن قاضى شهبة ج٢ ص ٢٤٨ ومرآة الجنان ج ١ ص ٤٠٣ وطبقات الزبيدى ص ٨٧ والمزهر ج ٢ ص ٤٠٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ وكتب التاريخ فى سنة وفاته

(١) المزهر ٢٠٢ ج ٢

(***) انما كانت هذه المناظرة فى مجلس يحيى بن خالد البرمكى اذ اختلف سيبويه والكسائى فى قول العرب : « كنت أظن الزنبور أشد لسعا من النحلة فاذا هو هى أو فاذا هو اياها » . وأنكر سيبويه التعبير الثانى وصححه الكسائى وشهد له العرب الثقات ، فغلب على صاحبه . والمناظرة مبسوطة فى ترجمتهما بكتب طبقات النحاة وفى المغنى لابن هشام باب «اذا»

وأخباره في ابن خلكان ٣٣٠ ج ١ ، وطبقات الادباء ٨١ ، والفهرست ٢٩ و ٦٥ (*)

واشتهر من النحاة في العصر العباسي الاول آل اليزيدى وهم كثيرون ، وأبو الحسن الاخفش ، وأبو عمر الجرمى ، وغيرهم من أهل البصرة . وجماعة كبيرة من أهل الكوفة نبغوا بعد فوز الكسائي لان انتصاره كان انتصارا لبلده ، واشتهر جماعة منهم في بغداد كالفراء وابن الاعرابى وهشام بن معاوية الضرير وابن السكيت وهاك أشهرهم :

٤ ــ الفراء

المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمى ، من موالى بنى أسد فى الكوفة وأخذ عن الكسائي ، وكان اماما ثقة له شأن عظيم فى اللغة ومذهب واتباع ومريدون . قال أبو العباس : « لولا الفراء لما كانت اللغة لانه حصلها وضبطها ، ولولا الفراء لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب » وقال أبو بكر بن الانبارى : « لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية الا الكسائى والفراء ، لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس »

ومما رفع قدره وجمع الادباء حوله حظوته عند المأمون الخليفة ، فانه كان يقدمه وعهد اليه تعليم ابنيه النحو واقترح عليه أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية . وأمر أن تفرد له حجرة من الدار ووكل بها جوارى وخدما للقيام بما يحتاج اليه وسير اليه الوراقين يكتبون ما يمليه حتى صنف كتاب « الحدود » فى سنتين ، ثم خرج للناس وأملى كتاب « المعانى » فخزنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا بنسخه كل خمس أوراق بدرهم فشكاهم الناس اليه . فلما أبوا اخراج كتابه أخذ يملى كتابا آخر فى المعانى أطول وأوسع ، فخاف الوراقون فرضوا أن ينسخوا كل عشر أوراق بدرهم

وعظم قدر الفراء فى الدولة حتى تسابق تلميذاه ابنا المأمون الى تقديم نعله اليه لما نهض للخروج ، ثم اصطلحا على أن يقدم كل منهما فردة . وبلغ المأمون ذلك فاستدعاه وقال له ذلك ، فقال : « لقد أردت منعهما ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا اليها أو اكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها » (١) ففرح المأمون وقال : « لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوما »

(*) وراجع فى ترجمة الكسائى الانساب للسمعانى ٤٨٢ أ وتاريخ بغداد ج ١١ ص٤٠٣ وتهذيب اللغة للازهرى ج ١ ص ٧ وروضات الجنات ٤٧١ وأنباء الرواة ج٢ ص ٢٥٦ وبغية الوعاة ص ٣٣٦ وطبقات الزبيدى ص ٨٨ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ٢ ص ١٤٧ وطبقات القراء ج ١ ص ٥٣٥ واللباب ج ٣ ص ٤٠ ومرآة الجنان ج ١ ص ٤٢١ والمعارف ص ٢٣٧ ومعجم الادباء ١٣ ص ١٦٧ وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٢١ وكتب التاريخ فى سنة وفاته

(١) طبقات الادباء ١٣١ وابن خلكان ٢٢٨ ج ٢

ولم يكن الفراء مقتصرا فى معرفته على النحو ، فانه كان ماهرا فى النجوم والطب وأيام العرب وأخبارها . وله مؤلفات كثيرة تدخل فى ثلاثة آلاف ورقة أى ٦٠٠٠ صفحة ، كان يمليها على تلامذته بدون كتاب لانـــه كان قوى الحافظة . وكان أكثر مقامه فى بغداد يجمع طوال دهره ، فاذا كان آخر السنة خرج الى الكوفة وأقام بها ٤٠ يوما يفرق ما جمعه حتى توفى سنة ٢٠٧ هـ ، وذكر له صاحب الفهرست عدة مؤلفات فى النحو واللغة لم يصلنا منها الا :

١ ـ كتاب معانى القرآن منـــه نسخة فى كتب الشـــنقيطى بالمكتبة الخديوية (*)

٢ ـ بلغنا أن فى المكتبة الاحمدية بحلب نسخة من كتاب المذكر والمؤنث تنسب اليه

وكان له أصحاب ومريدون أشهرهم : أبو جعفر محمد بن قادم معلم المعتز ، وسلمة بن عاصم أحد علماء الكوفة الثقات ، وغيرهما . وأكثرهم ألفوا فى النحو وضاعت كتبهم

وتجد أخبار الفراء فى ابن خلــكان ٢٢٨ ج ٢ ، وطبقـــات الادباء ١٢٦ ، والفهرست ٦٦ (**)

٥ ـ ابن السكيت

توفى سنة ٢٤٤ هـ

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت آخر نحاة الكوفة فى هـــذا العصر ، أصله من الاهواز . وكان يؤدب ولد جعفر المتوكل . اخذ النحو عن أبى عمرو الشيبانى ، والفراء ، وابن الاعرابى ، الآتى ذكره بين اللغويين. ولقى الاعراب وأخذ عنهم ، وعلم عبدالله بن طاهر وغيره ، وغضب عليه المتوكل فى آخر أيامه لجرأته فى الدفاع عن على بن أبى طالب وآله .. وذلك أن المتوكل سأله يوما وهو يعلم ابنيه : « يا يعقوب ايهما احب اليك ابناى هذان أم الحسن والحسين ؟ » فأجابه : « أن قنبرا خادم على خير منك ومن ابنيك » فأمر المتوكل فسلوا لسانه من قفاه فمات ، وقد خلف بضعة وعشرين مؤلفا فى النحو واللغة والمنطق والشعر ذكرها صـــاحب الفهرست وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ ـ كتاب اصـــلاح المنطق : منه نســـخ خطية فى أكثر مكاتب أوربا والاستانة وفى المكتبة الخديوية ، وقد طبع فى مصر سنة ١٩٠٧

٢ ـ كتاب الالفاظ أو تهذيب الالفاظ : فى اللغة وليس فى النحو ، يبحث

(*) تنشر دار الكتب المصرية الان هذا الكتاب ، وقد ظهر منه الجزء الاول

(**) وانظر فى ترجمة الفراء كتب طبقات النحاة المختلفة وطبقات القراء ومعجـــم الادباء ج ٢٠ ص ٩ وشذرات الذهب لابن العماد الجزء الثانى وتهذيب التهذيب ، الجزء الحادى عشر، ودائرة المعارف الاسلامية

فى أحوال الالفاظ ومعانيها ، منه نسخة خطية فى مكتبتى باريس ولندن . وقد طبع فى بيروت بعناية الاب شيخو عن تينك النسختين سنة ١٨٩٦ مع شروح للتبريزى ، وطبعوا منه طبعة مختصرة سنة ١٨٩٧ سموها مختصر تهذيب الالفاظ.

وتجد أخباره فى ابن خلكان ٣٠٩ج ٢ ، وطبقات الادباء٣٢٨ ، والفهرست ٧٢ (*)

فالنحو نضج فى هذا العصر ووضعت فيه الكتب الوافية بخلاف الادب ، فانه كان لا يزال مشتتا مضطربا وسينضج فى العصور الاتية . وكذلك علم اللغة كما سنبينه فى مكانه

(*) وراجع فى ابن السكيت بغية الوعاة للسيوطى وطبقات الزبيدى ص ٢٢١ ومعجم الادباء ج ٢٠ ص ٥٠ وكتب التاريخ فى سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية

علم اللغة

فى العصر العباسى الاول

نريد بعلم اللغة الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث معانيها واصولها واشتقاقها ، وهو ينتهى بتأليف المعاجم اللغوية ، ولم يتم نضجها الا فى العصر العباسى الثالث كما سيجىء . لكن السبيل تمهدت لها فى هذا العصر وما يليه بما ألفه الادباء من الكتب فى ألفاظ الموضوعات الخاصة . وقد جاء ذكر بعضها فى مؤلفات الاصمعى وغيرها من كتب الادب ، ككتاب الخيل وأسماء الوحوش وكتب الشاء وخلق الانسان . وقد يتبادر الى الاذهان من قراءة أسمائها انها كتب فى علم الحيوان أو التشريح ، ولكنها كتب لغوية يحوى كل منها أسماء الحيوانات وأعضائها ، ومن الانسان أسماء أعضائه وأحواله. وكانت للعرب همة عالية فى استقصاء ذلك فى صدر دولتهم يتبارون فى التنقيب عنه من أماكنه ، اما بالسفر الى البادية أو بالسؤال ممن يفد على البصرة والكوفة من فصحاء العرب كما تقدم

وكان الامويون يستحثون الادباء على ذلك بمناقشات يثيرونها بين أيديهم فى هذه الموضوعات كما فعل عبد الملك فى مجلس من مجالسه ضم جماعة من خاصته ومسامريه فقال : « أيكم يأتينى بحروف المعجم فى بدنه وله على ما يتمناه ؟ » فقام اليه سويد بن غفلة فقال : « انا لها ياأمير المؤمنين » فقال : « ما عندك ؟ » قال : « انف . بطن . ترقوة . ثغر . جمجمة . حلق . خد . دماغ . ذكر . رقبة . زند . ساق . شفة . صدر . ضلع . طحال . ظهر . عين . غببة . فم . قفا . كتف . لسان . منخر . هامة . وجه . يد . فهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين »

فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال : « يا أمير المؤمنين انا أقولها فى جسد الانسان مرتين ، فضحك عبد الملك وقال لسويد : « اما سمعت ما قال ؟ » قال : « نعم انا أقولها ثلاثا » فقال له : « لك ما تتمنى » فقال : « أنف . أسنان . أذن . بطن . بصر . بز . ترقوة . تمرة . تينة . ثغر . ثنايا . ثدى . جمجمة . جنب . جبهة . حلق . حنك . حاجب . خد . خصر . خاصرة . دبر . دماغ . دردر . ذكر . ذقن . ذراع . رقبة . راس . ركبة . زند . زردمة . زغب . ساق . سرة . سبابة . شفة . شعر . شارب . صدر . صدغ . صلعة . ضلع . ضفيرة . ضرس . طحال . طرة . طرف . ظهر . ظفر . ظلم . عين . عنق

عاتق . غبية . غلصمة . غنة . فم . فك . فؤاد . قلب . قدم . قفا . كف . كتف . كعب . لسان . لحية . لوح . مرفق . منكب . منخر . نغنوغ . ناب . نن . هامة . هيف . هيئة . وجه . وجنة . ورك . يمين . يسار . يافوخ . ثم نهض مسرعا وقبل الارض بين يدى عبد الملك . فقال : « والله ما نزيد عليها اعطوه ما تمنى » ثم أجازه وأنعم عليه وبالغ فى الاحسان اليه

اوليات كتب اللغة

فهذا وأمثاله بعث الناس على العناية بحفظ ألفاظ اللغة ، وحمل الآخرين على التأليف فيها بشكل مجاميع كل مجموع فى موضوع .. فكتاب النخل والكرم مثلا لا يبحث فى طبائع النخل والكرم ومعالجتهما أو زراعتهما ، وانما هو يبحث فى أسماء أنواعهما وأغصانهما وما يتعلق بهما من اسم أو فعل . وهاك قطعة من أول هذا الكتاب على سبيل المثال :

« من صغار النخل الجثيث وهو أول ما يطلع من أمه ، وهو الودى والهراء والفسيل ، واذا كانت الفسيلة فى الجذع ولم تكن مستأرضة فيه فهو من خسيس النخل والعرب تسميها الراكب . فاذا قلعت الودية من أمها بكربها قيل ودية منعلة . فاذا غرسها حفر لها بئرا ففرسها ثم كبس حولها بترنوق المسيل والدمن ، فتلك البئر هى الفقير يقال : فقرنا للودية تفقيرا ، والأشاء من صغار النخل

« ومن نعوت سعفها وكربها وقلبها يقال للفسيلة اذا أخرجت قلبها قد انسفت . ويقال للسعفات اللواتى يلين القلبة « العواهن » فى لغة أهل الحجاز . أما أهل نجد فيسمونها « الخوافى » وأصول السعف الغلاظ الكرانيف الواحدة كرنافة . والعريضة التى تيبس فتصير مثل الكتف هى الكربة وشحمة النخلة هى الجمار . فاذا صار للفسيلة جذع قيل قد قعدت وفى أرض بنى فلان من القاعد كذا وكذا . والسعف هو الجريد عند أهل الحجاز واحدته جريدة وهو الخرص وجمعه خرصان والخلب الليف واحدته خلبة ... » (١)

وقس على ذلك كتب خلق الانسان والابل وغيرها . فكل منها يشتمل على أسماء وأفعال تجمعها صفة مشتركة بينها فى المعنى . فهى من قبيل المعاجم المعنوية التى تجمع مفردات اللغة فيها حسب معانيها تمييزا لها عن المعجمات اللفظية التى تجتمع فيها الالفاظ بحسب هجائها على ترتيب الابجدية . وأشهر المعجمات المعنوية فقه اللغة للثعالبى ، والمخصص لابن سيده ، وهى أتم مما فعله الاصمعى وأترابه ولكنها تشبهها من حيث المراد بها وسيأتى ذكرها فى مكانها . وعلى كتب الخيل والشاء والابل والشجر والكرم وخلق الانسان وأشباهها من كتب النوادر والامثال والاضداد

---

(١) كتاب النخل والكرم طبعة الأب شيخو

واللغات والفروق وغريب القرآن والحديث وكتب المياه والجبال ، ونحوها، عول واضعو المعجمات فى ضبط الالفاظ ومعانيها فضلا عن تحريهم للمفردات عن فصحاء الاعراب

علماء اللغة فى العصر العباسى الاول :

١ ـ الخليل بن أحمد

توفى سنة ١٨٠ هـ

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصرى الفراهيدى الازدى ، سيد أهل الادب فى تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله . وكان من تلامذة أبى عمرو بن العلاء ، وعنه أخذ سيبويه . وعامة الحكاية فى كتاب سيبويه عن الخليل ، وكلما قال سيبويه « سألته » أو « قال » من غير أن يذكر القائل فهو يعنى الخليل . وأخذ عنه أيضا النضر بن شميل ، ومؤرج السدوسى ، وعلى بن نصر ، وغيرهم .

وقد علمت انه أول من ضبط اللغة ، وهو أيضا أول من استخرج علم العروض الى الوجود ، وحصر أقسامه فى خمس دوائر يستخرج منها ١٥ بحرا . ثم زاد فيه الاخفش بحرا سماه الخبب . وقد ضبط أوزان الشعر ووقعها على المقاطع والحركات ، واستغرق فى درس ذلك حتى كان يقضى الساعات فى حجرته وهو يوقع بأصابعه ويحركها .. رووا ان ابنه دخل عليه مرة وهو فى هذه الحال فظن أنه أصيب بالجنون فقال له الخليل :

لو كنتَ تعلم ما أقول عذَرْتَنِى ... أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلتَ مقالتى فعذلتنى ... وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتكا

وكان الخليل فى فاقة وزهد لا يبالى بالدنيا ، وذكروا ان سليمان بن على وجه اليه من الاهواز لتأديب ولده ، فأخرج الخليل الى رسول سليمان خبزا يابسا وقال : « كل ، فما عندى غيره ، وما دمت أجده فلا حاجة لى الى سليمان » فقال الرسول : « فما أبلغه » فقال :

أبلغْ سليمان أنى عنه فى سَعَةٍ ... وفى غِنى غير أنى لستُ ذا مالِ
سَخَّى بنفسىَ أنى لا أرى أحداً ... يموت هَزْلا ولا يبقى على حال
والفقر فى النفس لا فى المال تعرفهُ ... ومثل ذلك الغنى فى النفس والمال
فالرزق عن قَدَرٍ لا العجز ينْقصهُ ... ولا يَزيدك فيه حولُ محتالِ

وأهم مؤلفاته كتاب العين

كتاب العين

الخليل أسبق العرب الى تدوين اللغـة وترتيب ألفاظها على حروف المعجم قبل الاصمعي وسيبويه وسواهما من الادباء والنحاة .. فله فيها كتاب سماه كتاب العين جمع فيه ما كان معروفا فى أيامه من ألفاظ اللغة وأحكامها وقواعدها وشروطها ورتب ذلك على حروف الهجاء . لكنه رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالاسنان فالشفتين ، وبدأ بحرف العين وجعل حروف العلة فى الآخر . وهاك ترتيبه (*) : ع ح هـ خ غ ق ك ش ص ض س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ى . فكان الخليل حذا بذلك حذو الهنود فى ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية ، فانهم يبدأون بأحرف الحلق وينتهون بالاحرف الشفوية (١)

وكان من عادة العرب أن يسموا الكتاب بأول لفظ من ألفاظه ، ككتاب الجيم للهروى وهو كتاب رتبه على حروف المعجم بدأ به بحرف الجيم (١) ، وكتاب الجيم لأبى عمرو الشيبانى ، ومثلهما كتاب الغين ، وكتاب الميم ، ويستفاد من ترتيب الحروف فى كتاب العين أن الجيم كانت تلفظ كالكاف الفارسية

ومن أبحاث كتاب العين احصاء ألفاظ اللغة فى أيامه ، فقـد نقل عنه السيوطى انه احصى فيه عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل ، فبلغ ١٢ر٣٠٥ر٤١٢ كلمة ، ولعله أراد ما يمكن تكوينه بتركيب أحرف الهجاء على كل شكل من الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى . ولم يذكر عدد الكلام المستعمل منها . على أن أبا بكر الزبيدى الذى اختصر كتاب العين وجه نظره الى هذه المسألة ودرسها ، فكانت نتيجة درسه أن عدد الالفاظ العربية ٦ر٦٩٩ر٤٠٠ لفظ لا يستعمل منها الا ٥ر٦٢٠ لفظا والباقى وهو ٦ر٦٩٣ر٧٨٠ لفظا مهملا . وقد قسمها من حيث عدد أحرفها على هـذه الصورة :

عدد الالفاظ		المستعمل منها	المهمل
٧٥٠	الثنائى	٤٨٩	١٦١
١٩ر٦٥٠	الثلاثى	٤ر٢٦٩	١٥ر٣٨١
٣٣ر٤٠٠	الرباعى	٨٢٠	٣٠٢ر٥٨٠
٦ر٣٧٥ر٦٠٠	الخماسى	٤٢	٦ر٣٧٥ر٥٥٨
٦ر٤٢٩ر٤٠٠		٥ر٦٢٠	٦ر٦٩٣ر٦٨٠

(*) نقل المؤلف هنا الترتيب السنسكريتى الذى يظن ان الخليل تأثر به فى تركيب معجمه اذ رتبه على حروف الحلق . غير أن هذا الترتيب يخالف من بعض الوجوه الترتيب الذى ذكره ابن منظور لكتاب العين فى مقدمته للسان العرب، ولعل الخليل أحدث فى الترتيب الذى أخذ به نحاة السنسكريتية بعض الاختلاف

(١) Williams Sankrit Grammar, 15

ومن النظر الى هذا الجدول ، يتبين لك أن الزبيدى عنى بعدد الفاظ اللغة ما عناه الخليل وان كان قد جعل عددها نصف ما قاله ذاك ، فانك تجد أكثرها مهملا .. فهو يريد بالمهمل الالفاظ التى يمكن أن تتركب من الحروف الهجائية كما تقدم لا التى تركبت واستخدمها الناس زمانا ثم أهملت لسبب من الاسباب (*)

ولم يصل الينا من كتاب العين الا قطع قليلة والا ما نقل عنه فى كتب اللغة كالمزهر للسيوطى وكتاب النحو لسيبويه . ولم ينبغ نحوى ولا لغوى ولا أديب فى عصر الخليل وما يليه الا استفاد من كتابه . ولكن الثقات الباحثين مختلفون فى حقيقة نسبته اليه ، وفى صحة ما جاء فيه من الروايات والاقوال . من ذلك ما رواه ابن النديم فى الفهرست عن ابن دريد قال : « وقع فى البصرة كتاب العين سنة ثمانى وأربعين (ومائتين) قدم به وراق من خراسان وكان فى ثمانية وأربعين جزءا ، فباعه بخمسين دينارا وكان قد سمع بهذا الكتاب وانه فى خراسان بخزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق . وقيل ان الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان ، فوجه به الى العراق من خزائن الطاهرية . ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل ولا روى فى شىء من الاخبار انه عمل هذا البته . وقيل ان الليث من ولد نصر بن سيار صحب الخليل مدة يسيرة ، وان الخليل عمله له وأخذ طريقته وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث » (١)

وذكر السيوطى آراء القوم فى أصله وحجج القادحين ، فلتراجع فى المزهر (٣٩ ج ١ وما بعدها) ولكن الغالب فى سبب تلك الحملة على الخليل انهم حسدوه لما واتاه من السبق الى ذلك العمل الجليل .. وكل سباق محسود . فلا خلاف فى فضله على الاطلاق ، وهب أنه لم يتم الكتاب فى حياته فله الفضل فى تبويبه والشروع فيه

واكثر ما جاء فى الكتاب من قواعد النحو على مذهب الكوفيين مع ان الخليل بصرى .. فخالف ما جاء فى كتاب سيبويه مما رواه سيبويه عنه . وقد جعلوا هذا حجة للطعن فى الكتاب ، وانه ليس للخليل . ويرى الاكثرون انه له ، وذلك لم يمنع انتقاده والاستدراك عليه . وقد ألف فى انتقاده جماعة منهم المفضل بن سلمة ، وعبدالله بن محمد الكرمانى ، وابن دريد ، وغيرهم . وقد اختصره أبو بكر الزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩ هـ اختصارا لطيفا ، وشاع مختصره وأقبل عليه الناس وتحدثوا به فاستعملوه وفضلوه على الكتاب نفسه لكونه حذف ما أورده المؤلف من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلة . وفضلوه أيضا على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة يومئذ لاجل صغر حجمه . وألحق به بعضهم ما زاده أبو على القالى فى البارع على كتاب العين فكثرت الفائدة . على أن بعضهم انتقد على الزبيدى حذفه الشواهد

(*) واضح من هذا الجدول الذى ساقه المؤلف عن الزبيدى أن به ضربا من الاختلال ، اذ لا يعقل أن يكون المستعمل من العربية نحو خمسة آلاف لفظة ، بينما المعروف أن القاموس المحيط يشتمل على نحو ٦٠ ألف مادة ، وفى كل مادة من المزيدات والمشتقات نحو عشرين لفظة

(١) الفهرست ٤٢

وبالجملة فان كتاب العين تحفة من تحف الادب ، وللخليل فضل كبير في وضعه . وللأسف ضاع ، وقد كان موجودا حتى القرن الرابع عشر للميلاد . ولا يبعد أن يعثر الباحثون على نسخة منه في بعض المكتبات الخاصة

أما مختصره للزبيدى ، فمنه نسخة خطية فى مكتبة برلين ، وأخرى فى الاسكوريال باسبانيا ، وكذلك في مدريد ، وفى مكتبة كوبرلى بالاستانة

وذكر له ابن النديم من المؤلفات أيضا كتاب النغم ، وكتاب العروض ، وكتاب الشواهد ، وكتاب النقط والشكل ، وكتاب الايقاع . وفى المكاتب الكبرى فى أوربا مما ينسب الى الخليل :

١ ــ كتاب فى معنى الحروف ــ فى مكتبة ليدن ومكتبة برلين
٢ ــ شرح حروف الخليل ــ فى مكتبة برلين قطعة منه
٣ ــ جملة آلات العرب ــ فى مكتبة أيا صوفيا بالاستانة
٤ ــ قطعة من كلام عن أصل الفعل ــ فى مكتبة اكسفورد (بودليان)

وتجد ترجمته فى ابن خلكان ١٧٢ج ١ ، وطبقات الادباء ٥٤ ، والفهرست ٤٢ ، وابن خلدون ٤٨٢ ج ١ (*)

٢ ــ مؤرج السدوسى

توفى سنة ١٩٥ هـ

هو أبو فيد مؤرج بن عمر السدوسى ، كان من أكابر أهل اللغة وأخذ عن أبى زيد الانصارى وصحب الخليل بن أحمد وكان من كبار أصحابه . أصله من البادية ، قدم البصرة ولا معرفة له بالقياس فى العربية . وأول ما تعلم ذلك فى حلقة أبى زيد ، وكان يحفظ ثلثى اللغة وكان شاعرا . وصحب المأمون من العراق الى خراسان ، وسكن مدينة مرو مدة ثم قدم الى نيسابور وأقام فيها وكتب عنه مشايخها

وله من المؤلفات كتاب الانواء ، وكتاب غريب القرآن ، وكتاب جماهير القبائل ، وكتاب المعانى ، وغيرها لم يصلنا منها شيء

وتجد أخباره فى ابن خلكان ١٣٠ ج ٢ ، وطبقات الادباء ١٧٩ (**)

(*) وراجع فى ترجمة الخليل أخبار النحويين البصريين ص ٣٨ والانساب ٤٢١ أ وتهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ١٧٧ وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٦٣ وتهذيب اللغة للازهرى ج ١ ص ٤ وروضات الجنات ص ٢٧٢ وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٧٥ وطبقات الزبيدى ص ٢٣ وانباه الرواة ج ١ ص ٢٤١ والفلاكة والمفلوكين ص ٦٩ وطبقات الشعراء لابن الجزرى ج ١ ص ٢٧٥ واللباب ج ٢ ص ٢٠١ ومرآة الجنان ج ١ ص ٣٦٢ والمعارف ص ٢٣٦ ومعجم الادباء ج ١١ ص ٧٢ والمزهر للسيوطى ج ٢ ص ٤٠١ ومراتب النحويين ص ٤٣ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٣٣٥ وشرح مقامات الحريرى للشريشى ج ٢ ص ٢٤٦ وكتب التاريخ فى سنة وفاته وتهذيب الاسماء للنووى « طبعة وستنفلد » ص ٢٣٠ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٩١ ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وانظر فى ترجمة مؤرج اخبار النحويين البصريين ص ٥٢ وبغية الوعاة ص ٤٠٠ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٨ وطبقات الزبيدى ص ٤٧ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ٢ ص ٢٦١ ومراتب النحويين ص ١٠٧ والمعارف ص ٢٣٦ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ١٩٦ وانباه الرواة ج ٣ ص ٣٢٧

٣ ــ النضر بن شميل

توفى سنة ٢٠٣ هـ

هو أبو الحسن النضر بن شميل التميمي البصرى ، من تلامذة الخليل .. أخذ عنه وعن فصحاء العرب كأبى خيرة الاعرابى وأبى الدقيش ، واقام فى البادية أربعين سنة فى هذا السبيل . وعنه أخذ أبو عبيد القاسم بن سلام الآتى ذكره . وبعد أن أقام فى البصرة مدة ضاق به الرزق ، فنزح عنها الى خراسان فأصاب بها مالا عظيما . وكانت اقامته فى مرو ، وله مع المأمون فى أثناء اقامته هناك حكايات ونوادر لانه كان يجالسه ، وله عدة كتب ذهب خبرها ، عدا كتاب غريب الحديث ، أخذ الثعالبى عنه

واخباره فى ابن خلكان ١٦١ ج ٢ ، وطبقات الادباء ١١٠ ، وفهرست ٥٢ (*)

٤ ــ قطرب

توفى سنة ٢٠٦ هـ

هو أبو على محمد بن المستنير البصرى من الموالى ، كان من كبار علماء اللغة .. أخذ عن سيبويه وجماعة من أهل البصرة ، وكان يذهب مذهب المعتزلة وله عدة مؤلفات منها :

١ ــ كتاب الاضداد : مرتب على الابجدية منه نسخة خطية فى مكتبة برلين

٢ ــ ما خالف فيه الانسان البهيمة : طبع فى فينا سنة ١٨٨٨ م

٣ ــ كتاب الأزمنة : فى المتحف البريطانى

٤ ــ مثلث قطرب : هو منظومة فى بضعة وستين بيتا تحتوى على الالفاظ التى يختلف معناها باختلاف حركاتها مثل سهام وسهام وسهام ، ولكل منها معنى وهو أول من فعل ذلك . ومنه نسخ فى مكاتب لندن وباريس والاسكوريال والمكتبة الخديوية . وقد طبع فى مابرج سنة ١٨٥٧ مع ترجمة لاتينية . وله شروح منها شرح ابراهيم اللخمى وغيره . ومن هذه الشروح نسخ فى أكثر مكاتب أوربا الكبرى (**)

(*) وراجع فى ترجمة النضر طبقات النحويين للزبيدى ص ٢٩ ومراتب النحويين ص ١٠٧ والمعارف ص ٢٣٦ وبغية الوعاة ص ٤٠٤ وانباه الرواة ج ٣ ص ٣٤٨ والفلاكة والمفلوكين ص ٦٤ وطبقات القراء ج ١ ص ٢٤١ وطبقات ابن قاضى شهبة ج٢ ص ٢٧٢ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٧ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤٣٧ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٣٤٤ والمزهر ج ٢ ص ٤٠٥ وكتب التاريخ فى سنة وفاته

(**) انظر فى ترجمة قطرب اخبار النحويين البصريين ص ٤٩ وطبقات الزبيدى ص ٦٩ ومراتب النحويين ص ١٠٨ وبغية الوعاة ص ١٠٤ وانباه الرواة ج٣ ص ٢١٩ وتاريخ بغداد ج٣ ص ٢٩٨ وتهذيب اللغة للازهرى ج ١ ص ١٤ وروضات الجنات ص ٥٩٥ وشذرات الذهب ج٢ ص ١٥ وطبقات ابن قاضى شهبة ج١ ص ١٢٦ ولسان الميزان ج ٥ ص ٣٧٨ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٠٠ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ٥٢ وكتب التاريخ فى سنة وفاته

٥ ــ ابن الاعرابى

المتوفى سنة ٢٣١ هـ

هو أبو عبدالله محمد بن زياد من موالى بنى هاشم ، وكان من أكابر أئمة اللغة بالكوفة . ولم يكن فى الكوفيين أشبه برواية البصريين من روايته ، وكان ربيبا للمفضل الضبى وسمع منه الدواوين وصححها . وكان أحفظ الناس للغات والانساب ، وطريقته طريقة الفقهاء والعلماء ، وله من الكتب الباقية الى الان :

١ ــ كتاب أسماء البئر وصفاتها : منه نسخة فى المكتبة الخديوية ، وقد نشرته مجلة المقتبس (مجلد ٦ ج ١) فى سبع صفحات بتصحيح السيد محمود شكرى الالوسى

٢ كتاب أسماء الخيل وأنسابها : منه نسخة خطية بين كتب الشنقيطى بالمكتبة الخديوية

واخباره فى ابن خلكان ٤٩٢ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٠٧ ، والفهرست ٦٩ (*)

(*) وراجع ترجمة ابن الاعرابى فى طبقات الزبيدى ص ١٣٥ ومراتب النحويين ص ١٤٩ وبغية الوعاة ص ٤٢ وانباه الرواة ٣ ص ١٢٨ وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٨٢ وتهذيب اللغة للازهرى ج ١ ص ٩ وروضات الجنات ص ٥٩٦ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٧٠ ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٠٦ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ٢ ص ٥٠ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ١٨٩ والمزهر ج ٢ ص ٤١١ ، ٤٦٤ وكتب التاريخ فى سنة وفاته

الإنشاء والمنشئون

الانشاء من فنون الادب ، وقد تقدم تاريخه في الجاهلية وعصر صـــدر الاسلام والامويين • ورأيت أنه اختلف في هذه العصور باختلاف أحوالهـا من المدنية أو الجاهلية ، ومن الحضارة أو البداوة • والعرب على اقتدار عليه مثل اقتدارهم على الشعر ، واللغة أكبر مساعد على ذلك •

كان الانشاء فى صدر الاسلام مقصورا على مكاتبة الخلفـــاء وأمرائهم وقوادهم ، أو مع سواهم فى طلب حرب أو صلح أو حث أو تحريض • فلما صار الاسلام دولة ، تفرعت الكتابة الى أقسام اقتضاها تعـــدد مصالح الدولة وتفرع احتياجاتها •• فصارت الكتابة خمســـة أنواع ذكرناها فى الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامى • وأهمها بالنظر الى الانشـــاء والبلاغة ، كتابة الرسائل •• وصاحبها يســـمى كاتب السر ، وهو يد الخليفة ومستودع أسراره • وقد نبغت طائفة من كتاب الرسائل فى الدولة الاموية ، آخرهم وأبلغهم عبد الحميد كما تقدم

فلما صارت الدولة الى العباسيين على أثر ذلك الانقلاب الذى تبدلت فيه رجال الدولة ، وانتقل كرسى الخلافة وتنوعت أغراض الخلفاء ــ كمـا بينا ذلك فى مكانه ــ أصاب الانشاء تغيير يلائم ذلك الانقلاب • وأهم ظواهره الاستبحار فى المدنية والاغراق فى الحضارة بالنظر الى الدولة الاموية • وظهر أثر ذلك على أقلام المنشئين ، كما ظهر فى قرائح الشعراء

اول ثمار الرخاء

فالانشاء فى صدر الدولة العباسية أخذ فى النزوع الى ثمار الرخاء والترف ، وأهمها التطويل والاطناب • وزادهم الاختلاط بالفرس وما ترجم من آدابهم تانقا فى العبارة ، ونزوعا عن أسلوب البلغاء فى صدر الاســلام وفى العصر الاموى وأخذوا يضمنون رسائلهم الاشـــعار والامثال • وخالط ذلك فى العصر العباسى الأول شىء من الاطراء والتفخيم ، وخصـــوصا فيما كانوا يكتبونه الى الامراء يستعطفونهم أو يطلبون نوالهم ، كما فعـــل ابراهيم بن سيابة فى رسالة كتبها الى يحيى بن خالد بن برمك توخى فيها التسجيع فضلا عن الاطراء فقال فى مطلعها (*) :

(*) الغريب فى القطعة التالية :
الأصيد : السيد ، الوارى الزند : الكريم ، الحلاحل : ذو المروءة

« للأصيد الجواد ، الوارى الزناد ، الماجد الأجداد ، الوزير الفاضل ، الأشم الباذل ، الشباب الحُلاحِل ، من المستكين المستجير ، اليائس الضّرير ، فإنى أحمد الله ذا العزة القدير ، إليك وإلى الصغير والكبير ، بالرحمة العامة ، والبركة التامة .. أما بعد ، فاغنم واسلم ، واعلم إن كنت لاتعلم ، أن من يَرْحم يُرْحَم ، ومن يَحرم يُحرم ، ومن يُحسن يغنم ، ومن يصنع المعروف لايعدم . وقد سبق إلى تغضُّبك على ، واطراحك لى وغفلتك عنى بما لا أقوم له ولا أقعد ، ولا أنتبه ولا أرقد ، فلست بحىٍّ صحيح ، ولا بميت مستريح ، فررت بعد الله منك إليك ، وتحملت بك عليك » .. إلى آخر الرسالة

وهى كما ترى أشبه بما صار اليه الانشاء فى أواسط الدولة العباسية . ولولا ثقتنا بصدق راويها وهو الجاحظ (١) مع قرب عهده من ذلك العصر لشككنا فى صحتها . فالظاهر أن ابن سيابة بالغ فى تنميق عبارته حتى خرج عن الاسلوب المألوف فى عصره ، فأعظم الناس اقتداره وعملوا على حفظ أقواله فقد ذكر الجاحظ أن البغداديين ، حتى عامتهم ، كانوا يحفظون هذه الرسالة فى تلك الايام . ولا يصح أن تعد مثالا لاسلوب ذلك العصر ، وانما امام الانشاء فيه ابن المقفع وأسلوبه مشهور وسنعود الى ذلك ..

وتنوعت أساليب الانشاء ومذاهب المنشئين فى الدولة العباسية بتنوع العلوم ، فأصبح للفقيه أسلوب وألفاظ وتراكيب .. ومثل ذلك الجندى أو المحدث أو الفيلسوف أو الطبيب ، لتعود كل منهم على مصطلحات علمه وفنه ، كما هو شأننا لهذا العهد ، فان للصحافى أسلوبا خاصا ومثله للمؤلف والروائى والعالم والمحامى وغيرهم ، تظهر فيه صبغة المهنة الخاصة بكل منهم . ولكن هذه الاساليب كانت ولا تزال تتشابه وتتقارب لاضطرار أصحابها الى تقليد أساليب القرآن وألفاظ العرب العرباء

التوقيعات

وظل الميل الى الايجاز متغلبا فى نفوس الادباء ولا سيما فى التوقيع ، ويراد به ما يعلقه الخليفة على القصص أو الرقاع (العرضحالات) . وكان الخلفاء فى صدر الاسلام هم الذين يوقعون بأنفسهم أو يأمرون كتابهم بتدوينه . والغالب فى توقيعهم أن يكون اقتباسا من آية أو حديثا أو حكمة مشهورة أو من الشعر الحكمى . ومن أمثلة ذلك أن سعد بن أبى وقاص عامل العراق كتب الى عمر بن الخطاب كتابا يستأذنه فيه أن يبنى دارا فوقع فى أسفل

---

(١) البيان والتبيين ١١٤ ج ٢

الكتاب : « ابن ما يكنك من الهواجر وأذى المطر » ووقع أيضا لعمرو بن العاص عامله على مصر جوابا على كتاب كتبه اليه : « كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك » . وتشكى قوم لعثمان بن عفان من مروان بن الحكم وذكروا انه أمر بضرب أعناقهم ، فوقع فى ذلك الكتاب : « فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون » وأرسله اليه

وقس على ذلك توقيعات بنى العباس ، فقد وقع السفاح الى قوم من أهل الانبار شكوا اليه أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت فى بناء ، أمر به ولم يعطوا أثمانها ، فوقع : « هذا بناء أسس على غير تقوى » وأمر باعطائهم الاثمان . وشكا أهل الكوفة الى أبى جعفر المنصور سوء معاملة عاملهم ، فوقع على كتابهم : « كما تكونون يؤمر عليكم » ووقع على قصة رجل شكا عيلة : « سل الله من رزقه » . وجاء من عامله على حمص كتاب فيه خطأ فوقع فى أسفله : « استبدل بكاتبك والا استبدل بك » . وكتب صاحب أرمينيا الى المهدى يشكو سوء طاعة رعاياه ، فوقع فى الكتاب : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وشكا بعضهم اليه اهمال عامله على خراسان ، فوقع على شكواهم : « أنا ساهر وانت نائم » وأرسله اليه . ومن توقيعات هرون الرشيد الى عامله فى خراسان : « داو جرحك لا يتسع » والى عامله على مصر : « احذر أن تخرب خزانتى وخزانة أخى يوسف ، فيأتيك منه ما لا قبل لك به ، ومن الله أكثر منه » . وكتب ابن هشام الى المأمون يتظلم من أمر فوقع على كتابه : « من علامة الشريف أن يظلم من فوقه ويظلمه من دونه ، فأى الرجلين أنت ؟ »

ولم تكن التوقيعات خاصة بالخلفاء . فمن توقيعات الامراء والوزراء توقيع جعفر البرمكى لمحبوس : « ولكل أجل كتاب » ووقع فى كتاب جاءه فى شكوى بعض عماله : « لقد كثر شاكوك ، وقل شاكروك ، فاما اعتدلت واما اعتزلت »

الانشاء المرسل أو اسلوب المؤلفين

هذا كله من انشاء الرسائل فى المخاطبات والمكاتبات . ولكن هناك ضربا من الانشاء نضج فى العصر العباسى الاول ، نعنى الانشاء المرسل فى تأليف الكتب أو كتابة المقالات الطويلة فى الوصف أو الموعظة أو الفلسفة ، وهو غير أسلوب المراسلات .. فان هذا أقرب الى الخطابة أو الشعر منه الى الاسلوب المتناسق الذى يقتضيه الاسترسال فى وصف موضوع طويل متسلسل

ولم ينضج الاسلوب المرسل الا فى العصر العباسى الاول لاضطرار الناس الى التأليف من عند أنفسهم ، بأن يدونوا أفكارهم أو ينقلوا أفكار سواهم من اللغات الاخرى . وأشهر من فعل ذلك فى العصر المذكور عبدالله ابن المقفع فى نقل كتاب كليلة ودمنة وغيره من الفارسية القديمة (الفهلوية) الى العربية

وكان ابن المقفع عريقا فى الفارسية عالما بآدابها متمكنا من أساليبها لأنها لغته ولغة آبائه . وكان يعرف اللغة اليونانية جيدا . وقد نشأ فى النصف الاول من القرن الثانى للهجرة وهى حافلة بالادباء والشعراء ، فبرع فى اللغة العربية وآدابها ، وكان سليم الذوق ذا قريحة انشائية . ولما نقل كتاب كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية ، جاءت عبارته شاملة للبلاغة والسهولة . وقد تحداها من جاء بعده لانه أقدم من حفظ انشاؤه فى الموضوعات الادبية باللغة العربية

وكتاب كليلة ودمنة أقدم ما وصل الينا من الانشاء المرسل من قلم رجل واحد ، هو من أدباء الفرس . ونظرا لما يمتاز به الكتاب المذكور من السهولة والرشاقة عن سائر ما كتب فى عصره أو ما بعده من كتب الادب ، يغلب على ظننا انه اكتسب ذلك من تأثير أساليب اللغات الاخرى التى كان يعرفها ابن المقفع مع اقتدار خاص فيه على مثل ذلك الاسلوب . وقد قل من جاء بمثله بعده ولم يأت أحد بأحسن منه فى بابه مع ما بلغ اليه العلم من الرقى فى العصر العباسى وما نبغ فيه من علية الكتاب المشاهير ، مما يدلك على أن الانشاء قريحة خاصة مثل قريحة الشعر

ويقسم المنشئون فى العصر العباسى الاول الى طبقتين : منشئو الرسائل ، ومؤلفو الكتب

منشئو الرسائل (*)

والمنشئون للرسائل كثيرون مثل كثرة الشعراء للأسباب التى قدمناها . ومنهم طائفة حسنة من كبار الرجال حتى الخلفاء والأمراء والوزراء والشعراء . واشتهر بانشاء الرسائل فى هذا العصر من الأمراء والوزراء ونحوهم ابراهيم بن المهدى أخو الرشيد وله رسائل وشعر جيد . ومنهم أبو دلف والفتح بن خاقان وآل طاهر ، وخصوصا طاهر بن الحسين

١ ـ طاهر بن الحسين

وهو رئيس هذه الأسرة توفى سنة ٢٠٧ هـ ، وكان من نوابغ المنشئين ، وله مجموع مراسلات ، ضاع خبرها الا رسالة بليغة كتبها لابنه عبد الله ، لما ولاه المأمون الرقة ومصر ومابينهما ، أوصاه فيها بجميع مايحتاج اليه فى دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسية ومكارم الأخلاق . وهى منشورة فى مقدمة ابن خلدون بباب : « أن العمران لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره » تدخل فى ثمانى صفحات

وتجد ترجمة طاهر فى ابن خلكان ٢٣٥ ج ١

(*) لم يفصل المؤلف الحديث فى كتاب الرسائل الديوانية أثناء العصر العباسى الاول ويمكن الرجوع اليهم فى كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى ، وانظر تطور الاساليب النثرية لانيس المقدسى ، ومن خير الكتب التى تتضمن رسائل هذه الفترة كتاب جمهرة رسائل العرب لاحمد زكى صفوت

٢ ـ عمرو بن مسعدة

ومنهم عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول المتوفى سنة ٢١٧ هـ وزير المأمون، كان كاتبا بليغا جزل العبارة وجيزها سديد المقاصد والمعانى . وكان يوقع بين يدى جعفر بن يحيى البرمكى فى أيام الرشيد . وقد أثرى فى خدمة المأمون حتى قيل انه خلف بعد موته ٨٠٠٠٠٠٠٠ درهم ، فقيل ذلك للمأمون ، فقال : « هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا ، فبارك الله لولده فيما خلف ، وأحسن لهم النظر فيما ترك »

وتجد مثالا من انشائه فى ترجمته فى ابن خلكان ٣٩٠ ج ١

ومنهم ابن الليث كاتب يحيى بن خالد . وذكر ابن النديم أسماء جماعة خلفوا رسائل مجموعة فى كتاب منهم : غيلان جمعت رسائله فى ألف ورقة ، وخالد بن ربيعة الافريقى نشأ فى الدواوين ورسائله ٢٠٠ ورقة . وغيرهم كثيرون لا فائدة من ذكرهم لأن آثارهم ضاعت . ثم ان كتاب ديوان الرسائل أكثرهم فى صدر الدولة العباسية من المنشئين البلغاء ، كابن عبد الملك الزيات الوزير ، وأبى على البصير وأحمد بن يوسف كاتب المأمون ، وحميد بن مهران كاتب البرامكة ، وابن يزداد وزير المأمون ، وموسى بن عبد الملك ، وميمون بن ابراهيم ، وغيرهم (١)

الكتاب المؤلفون

١ ـ عبد الله بن المقفع

توفى سنة ١٤٣ هـ

هو امام هذه الطبقة وقد تقدم ذكره ، وكان فى بادىء أمره مجوسيا فأسلم على يد عيسى بن على عم السفاح ثم اختص بالمنصور ، وكتب له حتى قتل (*) وهو فى مقتبل العمر لم يتجاوز ٣٦ سنة ، لكنه خلف آثارا حفظت ذكره قرونا ولا تزال .. اهمها :

كتاب كليلة ودمنة (**)

هو كتاب فى اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس ، وضعه فيلسوف هندى اسمه بيدبا منذ نيف وعشرين قرنا لملك من ملوك الهند اسمه دبشليم ، ذكروا أنه تولى الهند بعد فتح الاسكندرية وطغى وبغى فأراد بيدبا اصلاحه وتدريبه ، فألف هذا الكتاب وجعل النصح فيه على ألسنة البهائم والطيور

---

(١) الفهرست ١١٥ ـ ١٢٥

(*) هذا سهو من المؤلف فان ابن المقفع لم يكتب للمنصور، انما كتب لعمه عيسى بن على، وهو الذى أسلم على يديه ، وظل فى خدمته الى أن قتله والى البصرة

(**) أنظر فى تحقيق هذا الكتاب وترجمة ابن المقفع له وأصوله السنسكريتية وما زيد عليه من فصول مقدمة عبد الوهاب عزام لكليلة ودمنة طبع دار المعارف ، وراجع دائرة المعارف الاسلامية

على عادة الهنود البراهمة فيعصورهم القديمة.. فانهم كانوا يروون الحكمة على السنة الحيوانات لاعتقادهم بتناسخ الأرواح . والمظنـون أن معظم ما يتناقله الناس من أمثال هذه الاقاصيص أصله من الهند . وقد صنف فى هذا الموضوع وعلى هذه الكيفية غير واحد من الحكماء . ويقال ان بيدبا أول فاتح لهذا الباب وكل من صنف بعـده فى نوادر الحكايات مقتبس من ضيائه ..

وترجع موضوعات النصح فى هذا الكتاب الى ما يحتاج الناس اليه فى معاملاتهم كوجوب الابتعاد عن سماع كلام الساعى والنمام ووخامة عاقبة الأشرار ومنافع الأصحاب وعدم جواز الامن من كيد العدو ومضار الاهمال والغفلة وآفة التعجيل وفائدة الحزم وعدم الاعتماد على أرباب الحقد ونحو ذلك مما يهذب النفوس ويرقى العواطف فى حكايات ، يتفرع بعضها عن بعض ..

وقد كتب أولا باللغة الهندية السنسكريتية فى ١٢ بابا ، ونقل الى لغة التيبت ، فاللغة السريانية ، ثم الى الفهلوية أى الفارسية القديمة ، وعنها نقل ابن المقفع الترجمة العربية وصدرها بمقدمة سماها « عرض الكتاب » وصف بها الكتاب وافاض فى التحريض على مطالعته . فلما اطلع العرب على فوائده أعجبوا به وأخذوا يتدارسونه ويتناقلونه ، وكأن علماء اللغـة وأدباءها حسدوا ابن المقفع على سبقه فى ترجمته فأقدم بعضهم على نقـله ثانية ، واشتغل غيره بنظمه شـعرا تسهيلا لحفظه ، وتصـدى آخرون لمعارضته كما سيجىء

على أن الترجمات ذهبت كلها الا ترجمة ابن المقفع التى هى بين أيدينا ، وقد تعدلت بتوالى الازمان بين تنقيح وتصدير وتذييل فبلغت أبوابهـا ٢١ بابا بعضها هندى الأصل والآخر فارسى والآخر عربى

فالأبواب الهندية ١٢ وهى : باب الأسد والثور، الحمامة المطوقة، البوم والغربان ، القرد والغيلم ، الناسك وابن عرس ، الجرذ والسنور ، الملك والطائرة فنزة ، الاسد وابن آوى ، اللبوة وبلاذ وإبرخت ، السائح والصائغ ، ابن الملك وأصحابه

والفارسـية ثلاثة : مقدمة برزويه ، وباب بعثة برزويه ، وباب ملك الجرذان . وهناك ستة أبواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية ، نعنى مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلى بن الشاه الفارسى، وباب عرض الكتاب لابن المقفع، وباب الفحص عن أمر دمنة، وباب الناسك والضيف ، وباب مالك الحزين والبطلة ، وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين . وبعض هذه الفصول لا يوجد الآن فى النسخ المطبوعة من الترجمة العربية

ثم فقد الأصل الهندى والترجمة الفهلوية ، ولم يبق غير العربية ، وعنها أخذت الامم هذا الكتاب ونقلته الى السنتها . فنقل الى اللغة السريانية مرة ثانية والى اليونانية والايطالية والفارسـية الحديثة والتركية والعبرانية

واللاتينية والاسبانية والملقية والانجليزية والروسية . ونقل عن بعض هذه التراجم الى لغات أخرى . وقد عقدنا لتاريخ هذا الكتاب فصلا ضافيا فى الهلال سنة ١٤ ج ٧

وطبع كتاب كليلة ودمنة فىالعربية مرارا من أواخر القرنالثامن عشرالى الآن . وبعض طبعاته مزدانة بالرسوم . وقد ضبطه بالشكل الكامل المرحوم الشيخ خليل اليازجى . وهو لايزال الى الآن من خيرة الكتب فى الانشاء ، وقد شغف العرب بمعانيه فنقلوها الى الشعر

نظم كليلة ودمنة

أقدم مننظم هذا الكتاب فىالعربية أبو سهلالفضل بن نوبختالفارسى، ممن خدم المنصور العباسي وابنه المهدى فىصدر الدولة العباسية . وكانله الفضل فى خزانة الحكمة بأيام الرشيد ، وله عدة كتب نقلها من الفارسية الى العربية ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ٢٧٤) ليس بينها نظم كليلة ودمنة . ولكن كشف الظنون ذكر ذلك فى عرض كلامه عن هذا الكتاب ، فقال : «نقله أيضا عبد الله بن هلال الأهوازى ليحيى بن خالد البرمكى فى خلافة المهدى سنة ١٦٥هـ ، ونظمه أبو سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد وزير المهدى والرشيد . فلما وقف عليه أجازه بألف دينار » وقد ذكرنا فى ترجمة أبان اللاحقى الشاعر انه نظم كليلة ودمنة شعرا

ثم نظمه على بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد . ونظم بعضه بشر بن المعتمر . وكل هذه المنظومات ضاعت . ثم نظمه ابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٤هـ فى كتاب سماه «كتاب نتائج الفطنة فىنظم كليلة ودمنة» كان منه نسخ مشتتة فى الآستانة ولندن والهند . فنشرت نسخة الهند فى بمباى سنة ١٣٠٤ هـ على الحجر . ثم طبع الكتاب طبعة أخرى عن نسخة أخرى فى بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠١ بعناية الخورى نعمة الله الأسمر . وقد نقحها ونظم منها قطعا لم ينظمها ابن الهبارية ، منها باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين (١)

ثم نظمه ابن مماتى المصرى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ وضاع نظمه . وجاء بعده عبد المؤمن بن الحسن من أهل القرن السابع للهجرة فنظمه أو شيئا منه أو كتابا علىمثاله سماه « درر الحكم فى أمثال الهنود والعجم » منها نسخ خطية فى فينا وميونيخ ، ثم نظمه جلال الدين النقاش من أهل القرن التاسع . ومن نظمه نسخة فى مكتبة الآباء اليسوعيين فى بيروت ، وأخرى فى المتحف البريطانى

وعارض كليلة ودمنةسهل بن هارون الكاتب الآتى ذكره ، فنظم كتاباعلى مثاله سماه « كتاب ثعلة وعفرة » وقد ضاع ، (٢) ومن مؤلفات ابن المقفع المنقولة عن الفارسية أيضا :

---

(١) المشرق ٩٨١ سنة ٤ (٢) الفهرست ١٢٠ والبيان ٢٤ ج ١

٢ ـ كتاب الادب الصغير : فى الاخلاق والمواعظ والفلسفة والاجتماع . طبعته جمعية العروة الوثقى فى الاسكندرية مضبوطا بالشكل الكامل بتحقيق احمد زكى (باشا) كاتب أسرار مجلس النظار ، وقد صدره بمقدمة انتقادية فى أسلوب الكتاب ونسبته الى كليلة ودمنة

٣ ـ كتاب الدرة اليتيمة ويسمى أيضا كتاب الادب الكبير (*) : هى رسائل فى النصح والارشاد . قال ابن المقفع فى الغرض منها يخاطب القارىء : « وأنا واعظك فى أشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التى لو حنكتك سن كنت خليقا أن تعلمها وان لم تخبر عنها ، ولكن أحببت أن أقدم اليك فيها قولا لتروض نفسك على محاسنها قبل أن تجرى على عادة مساويها .. فان الانسان قد تبتدر اليه فى شبيبته المساوىء وقد يغلب عليه ما يبدر اليه منها »

وقد طبعت الدرة اليتيمة مرارا فى نحو ٥٠ صفحة منها طبعة بيروت سنة ١٨٩٧ مع مقدمة وشروح للأمير شكيب ارسلان . وهى تحت الطبع الآن مضبوطة بالشكل الكامل باسم «الادب الكبير» بتحقيق زكى (باشا). ولها تتمة لابن العربى سماها : « عظمة الألباب وذخيرة الاكتساب » منها نسخة فى مكتبة باريس

٤ ـ رسالة فى الأخلاق : منها نسخة خطية فى مكتبة نور عثمانية بالآستانة

وله كتب أخرى ادبية وأخلاقية نقلها عن الفارسية منها كتاب التاج فى سيرة أنوشروان ،وكتاب سير ملوك العجم لم نقف عليها ... لكن منها نتفا نقلها ابن قتيبة فى كتاب عيون الاخبار . وتجد أخبار ابن المقفع فى ابن خلكان ١٤٩ ج ١ ، وتراجم الحكماء لابن القفطى ١٤٨ ، والفهرست ١١٨ (**)

٢ ـ سهل بن هارون

هو سهل بن هارون بن رامنوى الدستميسانى ، فارسى الاصل انتقل الى البصرة ثم أقام فى بغداد ، وكان متحققا فى خدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له . وكان حكيما فصيحا شاعرا شعوبى المذهب

(*) طبع الادب الكبير لابن المقفع باسم اليتيمة ، فظن المؤلف كما ظن كثيرون أنهما كتاب واحد ، وهما كتابان .. يدل على ذلك ما فى المنثور والمنظوم لابن طيفور من فصول نقلها عن اليتيمة ، وليست فى الادب الكبير المنشور

(**) وراجع فى ابن المقفع خزانة الادب ج٣ ص٤٥٩ والوزراء والكتاب للجهشيارى طبع الحلبى من ١٠٣ ، رسائل البلغاء لمحمد كرد على وأمراء البيان له أيضا وتطور الاساليب النثرية لانيس المقدسى وضحى الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الاول ، وكتابنا « الفن ومذاهبه فى النثر العربى» الفصل الثالث من القسم الاول ومن حديث الشعر والنثر لطه حسين وابن المقفع لعبد اللطيف حمزة وهيارت Hyart فى كتابه الادب العربى ص ٢١١ والمجلة الاسيوية ، المجموعة العاشرة ، المجلد السابع عشر (١٩١١ م) ص ٥٥٤ ودائرة المعارف الاسلامية

شديد العصبية على العرب . وله فى ذلك كتب كثيرة ورسائل فى البخل . وكان الجاحظ يفضله ويصف براعته وفصاحته ويحكى عنه . وله من الكتب ديوان الرسائل ، وكتاب ثعلة وعفرة المتقدم ذكره ، وكتاب الهذلية والمخزومى ، وكتاب النمر والثعلب ، وغيرها كثير لم نقف عليها. وأخباره فى الفهرست ١٢٠ ، والدميرى ٣٢٣ ج ١ (*)

ومنهم على بن عبيد الريحانى ، له اختصاص بالمأمون وكان يرمى بالزندقة ، وذكر له صاحب الفهرست (صفحة ١١٩) نحو خمسين مؤلفا ضاعت كلها . وللمستشرق الروسي اينوسترانسيف كلام عن مؤلفاته فى كتابه عن تأثير آداب الفرس فى اللغة العربية طبع فى بطرسبرج سنة ١٩٠٩

الموسيقى والغناء (**)

الموسيقى من الفنون الجميلة مثل الشعر ... وعند العرب استعداد فطرى لها ، لحدة احساسهم وشدة تأثرهم . وكان لهم فى جاهليتهم الحان توافق خشونتهم ، فلما ظهر الاسلام واختلطوا بالروم والفرس اقتبسوا الموسيقى عن تلك الامم قبل سائر العلوم الدخيلة لان اقتباسها لا يحتاج الى نقل أو ترجمة . وأول من فعل ذلك عبد مكى اسمه سعيد ابن مسجح ، كان حسن الصوت مغرما بالموسيقى . وكان فى مكة عند حصار الامويين لها على عهد عبد الله بن الزبير فى الثلث الاخير من القرن الاول للهجرة . واستخدم ابن الزبير رجالا من الفرس فى ترميم الكعبة ، فسمع ابن مسجح بعضهم يغنى بالفارسية فطرب والتقط النغم منه . ثم رحل الى الشام وفارس وأخذ الالحان الرومية والفارسية واستبعله منها ما استقبحه من النبرات والنغم مما لايألفه الذوق العربى ، وغنى على هذا المذهب وهو أول من فعل ذلك . وأخذ عنه من جاء بعده من مغنى المسلمين ، فنبغ منهم جماعة كبيرة . وكان الغناء يزداد اتقانا ويزداد نبوغ المغنين كلما قربت الدولة من الترف والقصف . ولذلك كثروا فى أواخر الدولة الاموية وأواسط الدولة العباسية . ومن أشهر المغنين ابن سريج والغريض ومعبد وحكم الوادى وفليح بن أبى العوراء وسياط ونشيط وعمر الوادى وابراهيم الموصلى وابنه اسحق وغيرهم . ومن المغنيات جميلة وحبابة وسلامة وعقيلة وغيرهن

ولما اشتغل المسلمون فى نقل العلوم الدخيلة كان من جملتها كتب الموسيقى لليونان والهند ، فتناولها المسلمون ودرسوها وأصبحت الموسيقى عندهم علما له أصوله . وقد جمعوا بين ألحان اليونان والهنود والفرس

(*) وانظر فى سهل معجم الادباء لياقوت ج ١١ ص ٢٦٥ وسرح العيون طبع المطبعة الوطنية ص ١٣٢ والبيان والتبيين والحيوان والبخلاء للجاحظ «أنظر الفهارس» وكتابنا « الفن ومذاهبه فى النثر العربى » الفصل الثالث من القسم الاول

(**) من خير المراجع فى هذا الموضوع كتاب فارمر عن « تاريخ الموسيقى العربية » وقد ترجمه حسين نصار ، وأرجع الى كتابينا « الشعر الغنائى فى المدينة » و « الشعر الغنائى فى مكة » ففيهما حديث واسع عن الغناء والمغنين فى العصر الاموى وتأثيرهما فى الشعر والشعراء

والعرب ، فألفوا من ذلك علما خاصا بالتمدن الاسلامى بلغ درجة حسنة من الاتقان ، فألفوا فيه المؤلفات المسهبة فضلا عما استنبطوه من الالحان أو اخترعوه من الآلات

ففى العصر العباسي الاول صار للعرب مذاهب فى الغناء خاصة بهم . وأصبح الغناء علما قائما بنفسه فعمدوا الى تدوينه . وأول من دونه يونس بن سليمان الكاتب ، أصله فارسى وصار مولى لعمرو بن الزبير . نشأ فى المدينة وكان أبوه فقيها أسلمه الى الديوان فكان من كتابه ، وأخذ الغناء عن معبد ، ولم يكن فى أصحاب معبد أحذق ولا أقوم منه . وله غناء حسن فوضع كتابا فى الاغانى وهو أول من فعل ذلك (١) وقد ضاع كتابه . وللخليل بن أحمد كتاب فى الموسيقى جمع فيه أصناف النغم وحصر به أنواع الالحان ، وحدد ذلك كله ولخصه وذكر مبالغ أقسامه ونهايات اعداده وقد ضاع هذا أيضا

وممن اشتغل بفن الموسيقى يحيى بن أبى منصور الموصلى ، فألف كتابا فى الاغانى على الحروف ، وآخر فى العود والملاهى لم نقف على خبرهما . ووضع المغنون كتبا ضبط كل منهم فيها الالحان التى حدثت فضلا عن الاصوات القديمة ، لان المغنى كان اذا برع واشتهر استنبط الحانا حتى انتهى ذلك الى اسحق بن ابراهيم الموصلى .. فأصبح هو امام المغنين ، وينسبون اليه كتابا كبيرا فى الاغانى يشك الناقدون فى نسبته اليه . وألف يحيى بن مرزوق المكى كتابا فيه ١٢,٠٠٠ صوت أهداه الى محمد ابن عبد الله بن طاهر فوصله بثلاثين ألف درهم . وشاع هذا الكتاب .

الغناء القديم والغناء الحديث

ولما زها العصر العباسي الاول فى زمن الرشيد والمأمون وأطلقت الالسنة والافكار ، أخذ المغنون يفكرون فى تعديل الالحان واستنباط أسلوب جديد . وأول من تجرأ على ذلك ابراهيم بن المهدى أخو الرشيد ، وكان من الطامعين فى الخلافة . فلما استتب الامر لابن أخيه المأمون انصرف هو الى الغناء ، كما انصرف خالد بن يزيد الاموى الى الكيمياء لما يئس من الخلافة . وكان ابراهيم من أعلم الناس بالنغم والوتر والايقاعات وأطبعهم فى الغناء وأحسنهم صوتا ، وهو يعد من الطبقة الاولى فى عصره .. لكنه كان مقصرا عن أداء الغناء القديم على طريقة الموصلى . فكان يحذف نغم الاغانى الكثيرة العمل حذفا شديدا أو يخففها على قدر طاقته ، وانما تجرأ على ذلك بما ناله من المنزلة عند الناس . فكان اذا عوتب قال : « انا ملك ، أغنى كما اشتهى » وصارت له طريقة يسمونها الغناء الحديث ، وسموا طريقة اسحق الطريقة القديمة . وانقسم المغنون فى ذلك الى قسمين ، وأصحاب فن الغناء كانوا يعدون عمل ابراهيم بن المهدى افسادا فى هذه الصناعة ، لانهم كانوا يفضلون القديم فأخذوا فى الرجوع اليه

(١) الاغانى ١١٤ ج ٤

على ان ذلك بعثهم على اعمال الفكرة والتعمق فى هذا الفن وانتهى ذلك الى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر من أهل العصر العباسى الثانى ، وكان من كبار العلماء المفكرين ولا سيما فى علوم الاوائل والموسيقى والهندسة .. فوضع كتابا فى النغم وعلل الاغانى سماه « الآداب الرفيعة » نال شهرة واسعة ونأسف لضياعه مثل ضياع أكثر ما وضعه العرب فى الموسيقى أو الغناء ، قبل كتاب الاغانى لابى الفرج الاصبهانى وسيأتى ذكره (١)

---

(١) راجع تاريخ الغناء فى الجاهلية والاسلام فى تاريخ التمدن الاسلامى ١٩٧ ج ٣ و٣٢ ج٥

العلوم الإسلامية الشرعية

فى العصر العباسى الاول

الفقه

فى هذا العصر ضبط الفقه ودونت أحكامه بعد أن أفضت الخلافة الى بنى العباس . وكان أكثر أئمة الفقه فى المدينة . وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير ، فاستفتاه أهلها فى أمر المنصور فأفتى بخلع بيعته فخلعوها ، وبايعوا محمد بن عبد الله من آل على . وعظم أمر محمد هـذا وحاربه المنصور ولم يتغلب عليه الا بعد العناء الشديد . فرجع أهل المدينة الى بيعة المنصور قهرا ، وظل مالك مع ذلك ينكر حق البيعة لبنى العباس . وعلم أمير المدينة يومئذ وهو جعفر بن سليمان عم المنصور بذلك فغضب ودعا بمالك وجرده من ثيابه وضربه بالسياط (١)

الرأى والقياس

وكانت علوم القرآن قد انتشرت فى العراق وفارس ونبغ من أبنائها من درس الفقه والفتيا ، ولكنهم ما زالوا عيالا فيهما على أهل المدينة لانهم أوثق الناس فى حفظ الحديث وقراءة القرآن . وكان الحديث قليلا فى العراق على الخصوص . والمسلمون غير العرب هناك ، أكثرهم من الفرس ، وهم أهل تمدن وعلم ، فعمدوا الى استخدام القياس العقلى فى استخراج أحكام الفقه من القرآن والحديث . فخالفوا بذلك أهل المدينة لانهم كانوا شديدى التمسك بالتقاليد ، فكان من جملة مساعى المنصور فى تصغير أمر المدينة وفقهائها وخصوصا مالكا بعد أن أفتى بخلع بيته انه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس ، وكان كبيرهم يومئذ أبا حنيفة النعمان فى الكوفة ، فاستقدمه الى بغداد وأكرمه وعزز مذهبه . وكان أبو حنيفة لا يعاب بشىء سوى قلة العربية

فلما نصر المنصور أبا حنيفة وأصحابه (*) وهم المعروفون بأهل الرأى أو

---

(١) ابن خلكان ١٦٥ ج ٢

(*) يبالغ المؤلف هنا فى تصوير هذه الخصومة بين المنصور وفقهاء المدينة وعلى رأسهم مالك، والمعروف ان الذى أمر مالكا بتاليف كتابه « الموطأ » عمدة أهل الحديث ومرجعهم الاول هو أبو جعفر المنصور ، وكان يجل مالكا ويكبره . انظر فى ذلك مقدمة حاشية الزرقانى على الموطأ . أما مسألة انقسام الفقهاء الى أهل حديث فى الحجاز وأهل رأى وقياس فى العراق فان ذلك يرجع الى ظروف البيئتين لا الى عمل خليفة أو خلفاء ، وقد بدا هذا الاختلاف بين البيئتين منذ العصر الاموى وقبل تحول الخلافة من دمشق الى بغداد

القياس، ازداد مالك تمسكا برأيه ، وتبعه فقهاء الحجاز، وهم أهل الحديث.
وانقسم الفقهاء كافة الى قسمين : أهل الحديث ، وأهل الرأى ، وزعيم أهل الحديث مالك وانصاره من أهل الحجاز وأصحاب الشافعي وأصحاب سفيان الثورى وأصحاب أحمد بن حنبل وغيرهم من أهل التقليد. وعرفوا بأصحاب الحديث لانهم بذلوا عنايتهم فى تحصيل الاحاديث ونقل الاخبار وبناء الاحكام على النصوص ولا يرجعون الى القياس الجلى أو الخفى ماوجدوا خبرا أو اثرا . ويدلك على شدة تمسكهم بذلك قول الشافعي : « اذا وجدتم لى مذهبا ووجدتم خبرا على خلاف مذهبى ، فاعلموا ان مذهبى ذلك الخبر»

وزعيم أصحاب الرأى أبو حنيفة النعمان وأصحابه فقهاء العراق ومنهم محمد بن الحسن الشيبانى ، وأبو يوسف القاضى ، وزفر بن الهذيل المتوفى سنة ١٥٨ ، واللؤلؤى ، وابن سماعة المتوفى سنة ٢٣٣ هـ ، وأبو مطيع البلخى ، وعافية القاضى وغيرهم . وقد سموا أهل الرأى لان عنايتهم كانت توجه الى تحصيل وجه من القياس ومعنى مستنبط من الاحكام وبناء الحوادث على ذلك وربما يقدمون القياس الجلى على آحاد الاخبار (١)

وجاء بعد مالك من أصحاب مذهبه محمد بن ادريس الشافعي ، فرحل الى العراق ، وخالط أصحاب أبى حنيفة ، وأخذ عنهم ، ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق ، واختص بمذهب ، خالف فيه مالكا فى كثير من مذهبه . ثم جاء بعده أحمد بن حنبل وكان من علية المحدثين وقرأ أصحابه على أصحاب الامام أبى حنيفة مع وفرة بضاعتهم من الحديث فاختصوا بمذهب آخر . ووقف التقليد فى الامصار عند هؤلاء الاربعة ، وتولدت منهم مذاهب الاسلام الاربعة : الحنفى ، والمالكى ، والشافعى ، والحنبلى

واليك خلاصة تراجمهم حسب سنى وفاتهم مع ما خلفوه من الكتب :

الائمة الاربعة

١ ـ أبو حنيفة النعمان

توفى سنة ١٥٠ هـ

هو النعمان بن ثابت ، مولى بنى تيم من أهل الكوفة . ولد سنة ٨٠ هـ وكان خزازا يبيع الخز، وكان عالما عاملا زاهدا كثير الخشوع دائم التضرع ، فاتصل خبره بالخليفة أبى جعفر المنصور فبعث اليه ، فلما جاءه أراد أن يوليه القضاء فحلف انه لايفعل ، وقال : « لن أصلح فى قضاء » . وكان حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه . وكان ربعة فى الرجال، وقيل كان طويلا تعلوه سمرة ومن أحسن الناس منطقا وأحلاهم نغمة . وكان قوى الحجة حتى قال عنه الامام مالك : « انه رجل لو كلمته فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته». وكان طلق اللسان جهورى الصوت ،

(١) الشهرستانى ١٢٢ ج ١

اذا سألته عن الفقه تفجر وسال كالوادى وسمعت له دويا وجهارة

وهو الذى بوب الفقه وفرع له فروعا ، وعمدته فيما قاله القياس . وكان بعيدا عن الغيبة لا يذكر أحدا بسوء ، ولو كان عدوا له . وكان واسع العلم فى كل العلوم الاسلامية الى ذلك العهد الا انهم عابوه بالعربية . وكان مذهبه فى النحو كوفيا لانه من أهل الكوفة . وذكر المسعودى انه مات وهو ساجد فى صلاته ومن مؤلفاته الباقية :

١ ـ الفقه الاكبر : منه نسخ خطية فى اكثر مكاتب أوربا وفى المكتبة الخديوية ، وقد طبع فى لكناو الهند مع ترجمة هندستانية . وهو من قبيل أصول الدين ، وفيه دفاع ضد المرجئة . وله شروح ومختصرات فى المكتبة الخديوية وغيرها . طبع بمصر وعليه شرح ملا على القارى . وأكد لنا غولتزير أن نسبة هذا الكتاب الى أبى حنيفة خطأ

٢ ـ مسند أبى حنيفة : جمعه تلامذته ، ومنه عدة نسخ خطية بالمكتبة الخديوية

٣ ـ وصيته لاصحابه : فى الاصول منها نسخ خطية فى غوطا وباريس ، وعليها شروح فى مكاتب غوطا واياصوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية والاسكوريال

٤ ـ وصيته لابنه : منها نسخة فى باريس

٥ ـ المخارج فى الحيل : فى الفقه رواها تلميذه أبو يوسف ، منها نسخة خطية فى المكتبة الخديوية

تجد أخباره فى ابن خلكان ١٦٣ ج ٢ ، والفهرست ٢٠١ وغيرهما (*)

٢ ـ مالك بن أنس
توفى سنة ١٧٩ هـ

هو أبو عبد الله مالك بن أنس الاصبحى امام دار الهجرة وصاحب المذهب المالكى ، ولد سنة ٩٥ هـ . أخذ الفقه عن ربيعة الرأى فقيه أهل المدينة المتوفى سنة ١٣٦ هـ بالهاشمية . وكان مالك بن انس ورعا تقيا ، اذا أراد أن يحدث توضأ ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، وتمكن فى جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث . وكان يأتى المسجد ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ، ويعود المرضى ، ويقضى الحقوق . وهناك يجتمع اليه أصحابه ويأخذون عنه الفقه والفتوى وهم الذين نشروا مذهبه وكتبوا فيه . وعنه أخذ الامام الشافعى . وكان مالك بن انس

(*) وراجع فى ترجمة أبى حنيفة تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٤٣ وتذكرة الحفاظ للذهبى ج١ ص ١٦٠ ومناقب الامام الاعظم أبى حنيفة للموفق المكى وفجر الاسلام وضحى الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الثانى ، وتاريخ التشريع الاسلامى لمحمد الخضرى وبحثا لابى زهرة فيه وبحثا آخر فيه لمحمد يوسف موسى واخر لعبد الحليم الجندى وتاريخ الفقه الاسلامى لمحمد يوسف موسى الجزء الثالث ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

شديد البياض مع ميل الى الشقرة ، طويلا عظيم الهامة ، أصـــلع يلبس الثياب العدنية الجياد ، ويكره حلق الشارب ويعيبه ، وله من الـكتب :

١ ــ كتاب الموطأ : أساس المذهب المالكي وهو كالحديث رواه عنه تلامذة كثيرون ، ومنه نسخ خطية فى أكثر مكاتب أوربا . وقد طبع فى دلهى بالهند سنة ١٢١٦ هـ ، وفى لاهون بالهند سنة ١٨٨٩ م ، وله شروح للبطليوسى ولابن العربى والقرطبى والزرقانى. وقد طبع هذا الاخير بمصر سنة ١٢٨٠هـ وغيرها فى أربعة مجلدات . وقد رواه الشيبانى المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، ورد فيه على ما يخالف مذهب مالك ، وطبع فى لكناو الهند سنة ١٢٩٧ ، وفى لودهيانا الهند سنة ١٨٩٢ . وله شروح أخرى لا فائدة من ذكرها

٢ ــ رسالة فى الوعظ : بشأن الرشيد ويحيى البرمكى ، منها نسخة فى الاسكوريال وطبعت فى بولاق سنة ١٣١١

٣ ــ كتاب المسائل على لسان تلميذه ابن عبد الحكم منها نســـخة فى غوطا وترجمته فى ابن خلكان ٤٣٩ ج ١ ، والفهرست ١٩٨ (*)

٣ ــ الامام الشـــافعى

توفى سنة ٢٠٤ هـ

هو الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى ، وينتهى نسبه الى هاشم بن عبد المطلب بن مناف القرشى . ولد بغزة من بلاد الشام سنة ١٥٠ هـ وتوفى فى مصر سنة ٢٠٤ هـ فى زمن المـأمون بن الرشيد . ودفن فى القرافة بمصر ومقامه مشهور . وقدم بغداد سنة ١٨٥ ، وبعد سنتين خرج الى مكة ثم عاد الى بغداد بعد سنة فأقام بها شهرا ، ثم قدم مصر فأقام فيها ، وما زال بها الى أن توفاه الله . وكان الامام الشافعى كثير المناقب ، جم المفاخر ، حاز من العلوم الاسلامية أقصاها وأدناها من العلم بالـكتاب والسنة وكلام الصحابة وآثارهم واختـــلاف أقاويل العلمـــاء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والشعر حتى أقر له بالسبق الاصمعى الراوى الشهير ، وأحمد بن حنبل الامام . وقال أبوعبيد : « مارأيت رجلا قط أكمل من الشافعى » وسأل عبد الله بن أحمد بن حنبل والده عنه فقال : « يابنى ، كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافيـــة للبدن » وهو أول من تكلم فى أصول الفقه ، وهو الذى استنبطه . وقد ذكر له الفهرست نيفا ومائة مؤلف ، لم يصل الينا منها الا :

١ ــ كتاب الام : رواه عنه الربيع بن سليمان ، فانه يبدأ هكذا : أخبرنا أبوعلى الحسين بن حبيب بن عبد الملك فى دمشق سنة ٣٣٧ ، قال أخبرنا

(*) وانظر فى مالك كتاب المعارف لابن قتيبة «طبعة وستنفلد» ص٢٥٠و٢٩٠ والانساب للسمعانى ٤١ ا وحاشية الزرقانى على الموطأ والمدارك للقاضى عياض والديبـــاج المذهب لابن فرحون وفجر الاسلام وضحى الاسلام وبحثا فيه لابى زهرة وتاريخ التشريع الاسلامى لمحمـــد الخضرى ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ١٧٥ ج ١ وملحق أ ص ٢٩٧

الربيع بن سليمان قال أخبرنا محمد بن ادريس الخ » وهو كتاب ضخم ، منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية ، وطبع بمصر فى سبعة مجلدات

٢ ــ السنن المأثورة : فى مكتبة كوبرلى بالآستانة

٣ ــ أصول الفقه : هي رسالة فى الاصول طبعت بمصر

٤ ــ مسند الشافعى ، فى الحديث : منه نسخة خطية فى بنى جامع وكوبرلى ، وقد رواه النيسابورى وشرحه ابن الاثير

٥ ــ قصيدة تنسب اليه : فى ليدن

وترجمته فى ابن خلكان ٤٤٧ ج ١ ، والدميرى ٢٥ ج ١ ، وسير الملوك ١٥٠ ، والفهرست ٢٠٩ (*)

الامام أحمد بن حنبل

توفى سنة ٢٤١ هـ

هو الامام أبوعبدالله احمد بن حنبل، يتصل نسبه بشيبان من ربيعة ، ولد فى بغداد سنة ١٦٤ هـ ، وكان من أصحاب الامام الشافعى، وشهد له الشافعى عند خروجه الى مصر بقوله : «خرجت من بغداد وماخلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل». وظهر فى أيامه القائلون بخلق القرآن فدعى للقول بقولهم فلم يجب ، فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع. وكان حسن الوجه ربعة ، يخضب بالحناء خضبا ليس بالقانى ، فى لحيته شعيرات سود.. ودفن فى بغداد بمقبرة باب حرب. وهو صاحب المذهب الحنبلى، وأهم مؤلفاته الباقية:

١ ــ المسند فى الحديث : رواه ابنه عبد الله وهو موجود خطأ فى أكثر مكاتب أوربا والآستانة والمكتبة الخديوية . وقد طبع بمصر وهو مرتب حسب الرواة ، فيقسم الى مسانيد أولها مسند أبى بكر فعمر فعثمان الى غيرهم من الصحابة

٢ ــ كتاب السنة موصل المعتقد الى الجنة : مكتبة برلين

٣ ــ كتاب الزهد : فى برلين

وترجمته فى ابن خلكان ١٧ ج ١ ، والفهرست ٢٢٩ (**)

(*) وراجع في الشافعى الانساب للسمعانى ، الورقة ٣٢٣ وطبقات القراء ج ٢ ص ٩٥ وطبقات المفسرين ٢٢٧ ومعجم الادباء ١٧ ص ٢٨٧ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبحثا فيه لابى زهرة وفجر الاسلام وضحى الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الثانى ، وتاريخ التشريع الاسلامى للخضرى ، والفقه الاسلامى لمحمد يوسف موسى ، وبروكلمن ١٧٨ ج ١ وملحق ١ ص ٣٠٣

(**) وانظر فى أحمد بن حنبل تاريخ بغداد ج ٤ ص ٤١٢ ومختصر طبقات الحنابلة لابن ابى يعلى ص ٣ ومختصر تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٢٨ ومناقب أحمد لابن الجوزى وصفة الصفوة له أيضا ج ٢ ص ١٩٠ وتذكرة الحفاظ للذهبى ج ٢ ص ١٧ وطبقات الشافعية للسبكى ج ١ ص ١٩٩ وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٧٢ وشذرات الذهب لابن العماد ج ٢ ص ٩٦ ، وتاريخ الطبرى وابن الاثير « أنظر فهرسيهما » . وله ترجمة مطولة فى تاريخ الاسلام للذهبى نقلها الشيخ أحمد شاكر فى مقدمته للمسند « طبع دار المعارف » وراجع بروكلمان ١٨١ ج ١ وملحق ١ ص ٣٠٩

ونبغ طائفة من تلامذة أولئك الائمة وأصحابهم وقد ذكرنا بعضهم ، وليس منهم فى هذا العصر من خلف آثارا تستحق الذكر الا ثلاثة : اثنان من أصحاب أبى حنيفة ، والثالث من أصحاب مالك ، وهم :

١ ـ القاضى أبو يوسف

توفى سنة ١٨٢ هـ

هو القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصارى . ولد سنة ١١٣ هـ ، وهو من أهل الكوفة ، وكان صاحبا للامام أبى حنيفة وقد أخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وكان فقيها عالما أخذ عن كثيرين من الفقهاء ، ولكن غلب عليه مذهب أبى حنيفة وان يكن خالفه فى بعض المواضع . وذاع صيته حتى تولى القضاء فى بغداد على عهد ثلاثة من خلفاء بنى العباس : المهدى ، والهادى ، والرشيد . وهو أول من دعى بقاضى القضاة ، وميز العلماء بلباس خاص . وكانوا لا يميزهم شىء من ذلك عن سائر العامة . وقد ذكر أبو أحمد الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد أن أبا يوسف تكلم عن نفسه قائلا : « كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال ، فجاءنى أبى يوما وأنا عند أبى حنيفة فانصرفت معه فقال : يا بنى لا تمد رجلك مع أبى حنيفة ، فان أبا حنيفة خبزه مشوى وانت تحتاج الى المعاش » فقصرت فى كثير من الطلب وآثرت طاعة أبى ، فتفقدنى أبو حنيفة وسأل عنى فجعلت أتعهد مجلسه . فكلما كان أول يوم أتيته بعد تأخرى عنه قال لى : ما شغلك عنا ؟ قلت : الشغل بالمعاش وطاعة والدى فجلست ، فلما انصرف الناس دفع الى صرة وقال : استمتع بها ، فنظرت فاذا فيها مائة درهم ، وقال لى : الزم الحلقة واذا فرغت هذه فأعلمنى ، فلزمت الحلقة . فلما مضت مدة يسيرة دفع الى مائة أخرى ، ثم كان يتعهدنى وما اعلمته بخلة قط ولا أخبرته بنفاد شىء وكأنه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت » أهـ . والباقى من مؤلفاته : كتاب الخراج ، وفيه مقدمة يخاطب بها الرشيد ، رواه تلميذه الشيبانى . منه نسخ خطية فى برلين وباريس وأياصوفيا ونور عثمانية وكوبرلى وطبع بمصر سنة ١٣٠٢ هـ . وترجمته فى ابن خلكان ٣٠٣ ج ٢ ، والدميرى ١٢٩ ج ١ (*)

٢ ـ محمد بن الحسن الشيبانى

توفى سنة ١٨٩ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيبانى بالولاء الفقيه الحنفى ، ولد سنة ١٣٥ هـ وهو ابن خالة الفراء النحوى المشهور . وكان مولده فى واسط بالعراق ، وأصله من قرية عند باب دمشق فى وسط

(*) وراجع فى أبى يوسف الفهرست لابن النديم وابن قطلوبغا طبعة فلوجل رقم ٢٤٩ وضحى الاسلام الجزء الثانى والفقه الاسلامى لمحمد يوسف موسى ودائرة المعارف الاسلامية ١٧١ ج ١

غوطتها . ونشأ بالكوفة ، وحضر مجلس أبى حنيفة وتفقه على أبى يوسف المتقدم ذكره ، وألف كتبا كثيرة فى الفقه وغيره ، وهو الذى نشر مذهب أبى حنيفة . وكان فصيح اللسان حتى قالوا انه « اذا تكلم خيل الى سامعه أن القرآن نزل بلغته » وقد عاصر الامام الشافعى ، وجرت بينهما أحاديث ومجالس بحضرة الخليفة هرون الرشيد . وقال الامام الشافعى : «مارأيت أحدا يسأل عن مسألة فيها نظر الا تبينت الكراهة فى وجهه ، الا محمد ابن الحسن » وخلف مؤلفات جمة أشهرها :

١ ــ كتاب المبسوط : وهو كتاب الاصل فى الفروع منه نسخ خطية فى أياصوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية . وهو غير المبسوط للسرخسى

٢ ــ كتاب الزيادات : منه نسخة فى المكتبة الخديوية ونسخة مشروحة

٣ ــ الجامع الكبير : فى الفروع منه نسخة فى المكتبة الخديوية وبنى جامع ، ولها شروح وتلخيصات متفرقة فى مكاتب أوربا والآستانة والخديوية

٤ ــ الجامع الصغير : مطبوع بمصر على هامش كتاب الخراج المتقدم ذكره

٥ ــ كتاب الآثار فى المكتبة الخديوية

٦ ــ كتاب السير الكبير : وفيه أحكام الحرب ، ومنه نسخ خطية فى أكثر مكاتب أوربا وفى المكتبة الخديوية . وترجمة الشيبانى فى ابن خلكان ٤٥٣ ج ١ (*)

٣ ــ عبد الرحمن بن القاسم

توفى سنة ١٩١ هـ

هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زبيد بن الحارث العتقى ، تفقه على الامام مالك ، فصحبه عشرين سنة وانتفع به أصحاب مالك بعد موته . وقد اشتهر على الخصوص بالمدونة الكبرى فى مذهبهم ، وهى كتاب ضخم على سبيل السؤال والجواب ولها شأن كبير لدى المالكيين ، طبعت بمصر ، ولها شروح منها شرح على موادها المشكلة ، منه نسخة فى المكتبة الخديوية وغيرها . وتجد ترجمته فى ابن خلكان ٢٧٦ ج ١ (**)

ومن الفقهاء فى هذا العصر فقهاء الشيعة ، لم ينبغ منهم من يستحق الذكر . ومنهم من لا ينسب الى امام أشهرهم يحيى بن آدم بن سليمان المتوفى سنة ٢٠٣ هـ ، وله كتاب الخراج ، طبعه جونبول فى ليدن سنة ١٨٩٦

(*) وانظر فى محمد بن الحسن المعارف لابن قتيبة ص ٢٥١ وتاريخ الطبرى «طبعة دى جويه» القسم الثالث ص ٢٥٢١ والفهرست ص ٢٠٣ والانساب للسمعانى ٣٤٢ ومناقب الامام الاعظم أبى حنيفة « طبعة حيدر آباد » ج ٢ ص ١٤٦ ــ ١٦٧ وابن قطلوبغا رقم ١٥٩ ، والفقه الاسلامى لمحمد يوسف موسى ، ودائرة المعارف وما بها من مراجع

(**) وراجع فى ابن القاسم ترجمة أسد بن الفرات فى كتاب معالم الايمان لابى الناجى « طبعة تونس » ج ٢ ص ٢ ــ ١٧ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

فترى مما تقدم ان المسلمين دونوا فقههم واقروه واستنبطوا الاحكام والشرائع قبل انقضاء القرن الثانى من تأسيس دولتهم ، ولم يتفق ذلك لدولة من الدول قبلهم (*) فان الشريعة الرومانية لم يستقر أمرها وتضبط الا فى زمن يوستنيان ، وذلك بعد تأسيس الدولة الرومانية بأكثر من عشرة قرون

الحديث

لم يتضح علم الحديث ويتم تكونه الا فى آخر هذا العصر وفى العصر العباسى الثانى ، وكان فى العصر الاول مختلطا بالفقه ، وقد اشتغل الائمة الاربعة المتقدم ذكرهم بالحديث فى جملة اشتغالهم بالفقه واختلفوا فى عدد الصحيح منه . فالامام أبو حنيفة زعيم أصحاب الرأى لم يصح عنده فيما يقال الا كتبهم . فأبو حنيفة ألف كتابا فى الحديث خاصة . وأما مالك بن انس فقد دون الاحاديث فى الموطأ وقد تقدم ذكره . وكذلك الشافعى قد ذكرنا له السنن

واشتغل بالحديث فى هذا العصر جماعة كبيرة فى انحاء المملكة الاسلامية اكثرهم فى المدينة ومصر وبغداد والكوفة والبصرة ، هاك أشهرهم حسب سنى الوفاة ومكانها :

ابن جريج من الموالى	١٤٩	بغداد	الواقدى مولى	٢٠٧	بغداد
الاوزاعى عربى	١٥٧	بيروت	ابن نافع الصنعانى مولى	٢١١	اليمن
سفيان الثورى عربى	١٦١	البصرة	عبد الله بن عبد الحكم	٢٢١	مصر
زياد البكائى عربى	١٨٣	الكوفة	عبد الله بن مسلمة عربى	٢١٤	البصرة
ابن عياش عربى	١٩٣	الكوفة	كاتب الواقدى	٢٣٠	بغداد
سفيان بن عيينة مولى	١٩٨	مكة	يحيى بن معين الحافظ	٢٣٣	المدينة
السمان فارسى	٢٠٣	البصرة			

وبعض هؤلاء سيأتى ذكرهم فى الابواب الاخرى ، ويذكر ما لهم فى الحديث فى جملة مؤلفاتهم الاخرى . وانما نذكر هنا الاوزاعى ، فان له كتابا فى الحديث منه نسخة خطية فى جملة كتب الشنقيطى فى المكتبة الخديوية . ويلى هؤلاء الائمة فى الحديث أصحاب الكتب الستة ، وهى عمدة المحدثين ، وسيأتى الكلام عليها فى العصر الآتى :

التفسير والقراءة

فلما اشتغل القوم بالتفسير فى هذا العصر (**) ، ولم يدونوا ما يستحق الذكر منه . وقد ذكرنا تفسير ابن عباس فى الجزء الاول ، وهو يبدأ

(*) أنظر فى الفقه وتكونه مادة فقه فى دائرة المعارف الاسلامية وكتاب العقيدة والشريعة فى الاسلام لجولدتسيهر وتاريخ الفقه الاسلامى لمحمد يوسف موسى

(**) هذه مبالغة من المؤلف فقد عنى العلماء بالتفسير كما عنوا بالحديث والفقه ، ويوضح كتاب مذاهب التفسير الاسلامى لجولدتسيهر نشاطهم الواسع فى هذا الباب

هكذا : « أخبرنا عبد الله الثقة بن المأمون الهروى ، قال أخبرنا أبى ، قال أخبرنا أبو عبـــد الله ، قال أخبرنا أبو عبـــد الله محمود بن محمد الرازى ، قال أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروى ، قال أخبرنا على بن اسحاق السمرقندى عن محمد بن مروان عن الـكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، قال .. » وسيأتى ذكر بعض كتب التفسير فى أثناء الـكلام على الموضوعات الاخرى لاشـــتغال الادباء والمؤرخين والنســـابين به .
والتفسير لم ينضج وتظهر فيه المؤلفات الوافية الا فى العصر الآتى • ولم يحدث فى القراءة ما يستحق الذكر فى هذا العصر

التاريخ

فى العصر العبـــاسى الاول

بدأ التاريخ يتكون فى العصر الاموى كما تقدم ، لـكنهم لم يشتغلوا الا فيما دعتهم اليه دولتهم واغراضـــها من الاطراء بمشاهيرهم أو تحقيق الانساب لأجل العطاء ونحوه ، ولم يصل الينا منه شيء للذهاب ذلك فى اثناء الفتن أو لتعمد العباسيين محو آثار الامويين أو لاهمال الناس تلك الـكتب مراعاة لرأى العباسيين

على ان التـــاريخ بمعناه الحقيقى لم يتم تكونه حتى فى العصر العباسى الاول الذى نحن بصدده . انما تمهد فيه السبيل لتأليف التواريخ العامة أو الخاصة (*) . ثم ظهر التاريخ فى العصر الذى يليه بعد نقل العلم والادب عن غير العرب واستقرار الاحوال السياسية والاجتماعية .. فاهل المائة الاولى من العصر العباسى كان اشتغالهم على سبيل التـــمهيد مثل اشتغالهم فى الادب والتفسير والحديث . وفى كتب الادب كثير من مواد التاريخ عن العرب وبلادهم

على انهم لما اخذوا فى جمع القرآن وتفسيره وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق الاماكن التى نزلت فيها الآيات أو قيلت فيهـــا الاحاديث ، فعمدوا الى جمع السيرة النبوية لانها شاملة لـكل ذلك . ولمـــا اشتغل المسلمون بشئون الخراج اختلفوا فى البلاد هل فتحت عنوة أو صلحا أو امانا ، فاضطروا الى تحقيق ذلك وتدوين اخبار الفتوح

مؤرخو الفتوح

١ ـ الشيخ ابو اسماعيل الازدى

أقدم كتب الفتوح التى وصلت الينا كتاب فتوح الشـــام للشــــيخ أبى اسماعيل محمد بن عبد الله الازدى البصرى من أهل أواسط القرن الثانى للهجرة ، طبع فى كلكتة الهند سنة ١٨٥٤ ، وهو عظيم الاهميـــة ، وقد ذكرناه مفصلا فى باب الانشاء من عصر صدر الاسلام ، والـكتاب نحو ٢٦٠ صفحة غير الفهارس والمقدمات مع خلاصة ترجمته بالانجليزية

(*) أنظر فى التاريخ عند العرب وتكونه وتطوره مادة تاريخ فى دائرة المعارف الاسلامية وفصل التاريخ عند العرب فى كتاب علم التاريخ ترجمة العبادى «طبع لجنة التاليف والترجمة والنشر»

٢ ـ الواقـــدى
توفى سنة ٢٠٧ هـ

يليه الواقدى وهو مولى من موالى بنى هاشم فى المدينة ، واسمه أبوعبدالله محمد بن عمر بن واقد كاتب جليل القدر · كان عالما بالحديث والمغازى والفتوح وقد قربه المأمون وولاه القضاء بشرقى بغداد فى عسكر المهدى وتوفى هناك . وكان المأمون يرعاه ويبالغ فى اكرامه ، لكن المحققين يستضعفون حديثه ، وله مؤلفات عدة ذكر منها ابن النديم ٢٨ كتابا ، هاك ما وصلنا منها :

١ ـ كتاب المغازى : يشتمل على غزوات الرسول ، طبعه كرامر فى كلكتا سنة ١٧٥٦ فى ٤٠٠ صـــفحة ، وله خلاصـــة انجليزية طبعها ولهاوزن فى برلين سنة ١٨٨٢

٢ ـ كتاب فتوح الشام : وهو بالقصص أشبه منه بالتاريخ لما حواه من التفاصيل والمبالغات ، لـكنه مؤسس على الحقيقة . وفيه حقـائق لا توجد فى سواه من كتب الفتوح ، وقد طبع مرارا ، احداها فى الهنـد سنة ١٨٥٤ ـ ١٨٦٠ فى ثلاثة مجلدات مع ملاحظات وتعليقـــات بقلم المستشرق نساو · وطبع أيضا فى مصر سنة ١٨٨٢ وغيرها

٣ـ فتح افريقيا : طبع فى تونس سنة ١٣١٥ فى مجلدين

٤ ـ فتح العجم : طبع فى الهند سنة ١٢٨٧

٥ ـ فتح مصر والاسكندرية : طبع فى ليدن سنة ١٨٢٥

٦ ـ تفسير القرآن : منه نسخة خطية فى المتحف البريطانى

٧ ـ عدة كتب فى الفتوح تنسب اليه ، كفتح منف والجزيرة والبهنسا طبعت بمصر وغيرها . وكان له كتاب يسمى فتوح الامصار لم نقف عليه ، ولـكن المؤرخين نقلوا عنه . واكثر كتبه محشـــوة بالمبالغـــات ولا يعول عليها · وفى مجلة المشرق البيروتية مقالة انتقادية فى الواقدى ومؤلفـــاته (صفحة ٩٣٦ سنة ١٠) جزيلة الفائدة

وترجمة الواقدى فى ابن خلكان ٥٠٦ ج ١ ، والفهرست ٩٨ (*)

ومن كتب الفتح كتاب فتوح مصر وأعمالها على عهد عمر بن الخطاب لابن اسحق الاموى طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٥ هـ ، وهو كالقصة داخل فى كتاب فتوح الشام للواقدى ، وسنذكر ســـائر كتب الفتوح فى أماكنها حسب العصور

كتب الطبقات

قد رأيت فيما تقدم من كلامنا عن القرآن وقراءاته والحديث والنحو

(*) وراجع فى الواقدى كتاب المعارف ص ٢٥٨ والانساب للسمعانى ٤٧٧ب ومعجم الادباء ١٨ ص ٢٧٧ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمـــن ١٣٥ ج ١ وملحـــق ١ ص ٢٠٧ ، ٢ ص ٧٣

والادب ، ان العلماء اضطروا لتحقيق مسائل هذه العلوم الى البحث فى اسانيدها والتفريق بين ضعيفها ومتينها .. فجرهم ذلك الى النظر فى رواة تلك الاسانيد وتراجمهم وسائر أحوالهم ، حتى أصبح من شروط الاجتهاد فى الفقه معرفة الاخبار بمتونها وأسانيدها ، والاحاطة بأحوال النقلة والرواة عدولها وثقاتها ومطعونها ومردودها ، والاحاطة بالوقائع الخاصة بها .. فقسموا رواة كل فن الى طبقات ، فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات. ومنها طبقات الشعراء وطبقات الادباء وطبقات النحاة وطبقات الفقهاء وطبقات الصحابة والتابعين وطبقـــات المحدثين واللغويين والمفسرين والحفاظ والمتكلمين والنســـابين والأطباء حتى الندماء والمغنين وغيرهم ، والفوا فى كل باب غير كتاب . ولذلك كان المسلمون أكثر أمم الارض كتبا فى التراجم لافراد الرجال

واقدم كتب الطبقات التى وصلت الينا غير طبقات الشعراء لابن سلام الذى تقدم ذكره ، كتاب طبقات الصحابة لابن سعد المعروف بكاتب الواقدى

ابن ســـعد صاحب الطبقـــات

توفى سنة ٢٣٠ هـ

هو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهرى . كان من الفضلاء النبلاء كثير العلم صادقا ثقة . صحب الواقدى وكتب له فعرف به . ولم يذكر له صاحب الفهرست الا كتاب أخبار النبى لم يصل الينا . ولكننا عرفنا كتابا ينسب اليه اسمه طبقات الصحابة والتابعين أوكتاب الطبقات الكبير يدخل فى بضعة عشر مجلدا طبع فى ليدن سنة ١٣٢٠ ــ ١٣٢٥ هـ . وهو كتاب نفيس جزيل الفائدة اشترك فى الوقوف على طبعه وتصحيحه المستشرقون سخاو وهوروفتش وليبرت وسترستين وبروكلمن. ويقسم الى عدة أقسام فى ثمانية أجزاء : الجزء الاول فى السيرة النبوية (١٦١ صفحة) والثانى فى المغازى (١٣٧ صفحة) والثالث فى تراجم البدريين من الصحابة (٤٥٦ صفحة) والرابع فى تراجم الانصار والمهاجرين ممن لم يشهدوا بدرا وأسلموا قبل فتح مكة (٢٨٤ صفحة) والخامس تراجم أهل المدينة من التابعين ومن كان منهم ومن الصحابة فى مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين (٤١٢ صفحة) والسادس تراجم الصحابة من الكوفيين (٢٩١ صفحة) والسابع عن الصحابة البصريين والثامن تراجم الصحابة من النساء (٣٦٥ صفحة) فصفحات الكتاب كله نيف والفا صـــفحة كبيرة غير التعليقات والفهارس ونحوها وهى نحو الف صفحة أخرى . والطبقات تحتوى على سيرة الرسول وغزواته وتراجم نحو ٣٠٠٠ من الصـــحابة والتابعين . وروايتها فى صدرها مسلسلة من ابن سعد الى عدة رواة آخرهم شرف الدين بن محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسين الدمياطى . وأسانيد ابن سعد فى كل ترجمة على حدة . واكثر روايته عن محمد بن عمر بن واقد (الواقدى) ومحمد بن اسحق وهشام الكلبى وعبد الملك بن هشام .

وفي الكتاب فوائد كثيرة عن تاريخ الجاهلية وآدابها ، ومنه نسخ خطية في مكاتب لندن وغوطا وبرلين والآستانة وغيرها

وترجمة ابن سعد في ابن خلكان ٥٠٧ ج ١ ، والفهرست ٩٩ (*)

الانساب وكتابها

ونعد الانساب من قبيل التاريخ ، دعا الى وضعها حاجة الناس الى العطاء على الانساب حسب ديوان عمر . وقد ذكرنا في الجزء الاول ما كان منها في الجاهلية ، وفي العصر الاموى ، وقد نبغ من علماء النسب في العصر العباسى الاول الذى نحن في صدده جماعة أشهرهم :

١ - هشام الكلبى

هو أبوالمنذرهشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبى ، نشأ في الكوفة ، وكان نسابة عالما بأخبار العرب وأيامها ومثاليها ووقائعها. اخذ عن أبيه محمد ابن السائب . وكان محمد هذا من علماء الكوفة في التفسير والاخبار وأيام الناس ، معدودا بين المفسرين والنسابين . توفى بالكوفة سنة ١٤٦ هـ ولم يخلف الا كتابا في تفسير القرآن اما هشام فخلف نحو مائة كتاب ذكرها صاحب الفهرست مفصلة (صفحة ٩٦ - ٩٨) وقسمها الى أبواب بعضها في الاحلاف والبعض الآخر في المآثر والبيوتات والمنافرات والموءودات وبعضها فيأخبار الاوائل. وبعضها فيأخبارالجاهلية وغيرها فيأخبار الاسلام وأخبار البلدان وأخبار الشعر وأيام العرب وفي الاسمار والانساب . وأهم كتبه في الانساب كتاب النسب الكبير ويحتوى على أنساب أهم قبائل العرب من العدنانية والقحطانية فضلا عن الانساب المفردة لاشهر القبائل على حدة مما يضيق المقام عن وصفه ولا فائدة منه ، لان هذه الكتب ضاعت منذ أزمان ولم يبق منها الا الروايات المنقولة في كتب النسب ونحوها منسوبة اليه وقطع محفوظة في بعض المكاتب ، منها :

١ - جزء من كتاب النسب الكبير أو جمهرة الانساب منه نسخ خطية في مكاتب باريس والاسكوريال واكسفورد ولندن وغيرها

٢ - نسب فحول الخيل في الجاهلية والاسلام : منه نسخ في غوطا والاسكوريال وفينا

٣- كتاب الاصنام : أو كتاب تنكيس الاصنام نقل معظمه ياقوت في معجم البلدان ، وهو يشير هناك الى مصدره ومنه نسخة في جملة كتب زكى (باشا) في ٢٩ ورقة (**)

(*) وانظر في ابن سعد تذكرة الحفاظ للذهبى ج٢ ص ١٣ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ١٣٦ ج ١ والملحق ج ١ ص ٢٩٨

(**) نشر احمد زكى (باشا) هذا الكتاب

وتجد ترجمة هشام الكلبى فى ابن خلكان ١٩٥ ج ٢ ، وطبقات الادباء ١١٦ ، والفهرست ٩٥ (*)

ومن النسابين أيضا فى هذا العصر :

٢ ــ الهيثم بن عدى الكوفى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، ذكر له صاحب الفهرست عشرات من الكتب

٣ ــ المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥ هـ ذكر له أيضا كثيرا من المؤلفات تزيد علي ما ذكره لهشام الكلبى

٤ ــ ابن عبدة

٥ ــ علان الشعوبى وغيرهم ..

ولو جمعت كتبهم فى النسب وغيره لزادت على بضع مئات ، لم يصلنا منها غير ما يرد ذكره عرضا منقولا عنهم فى كتب الادب أو التاريخ أو الفتوح كالطبرى والبلاذرى وياقوت وأبى الفرج صاحب الاغانى وغيرهم

السيرة النبوية

وقد يسمونها « المغازى » وذكروا أسماء كثيرين اشتغلوا بجمعها فى أواخر القرن الاول وفى النصف الاول من القرن الثانى للهجرة .. لم يصح منها الا كتاب المغازى للزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ ، وقد ضاع . وكتاب المغازى لموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ هـ ، وفى مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الغزوات النبوية ، ومنها قطع منتخبة طبعت فى أوروبا سنة ١٩٠٤

سيرة ابن هشام

واما سيرة الرسول كاملة ، فأقدم من كتب فيها محمد بن اسحق وقد اعتمد على سيرته عبد الملك بن هشام فى سيرته التى اتفقوا على صحتها ، وفيها أيضا نسب الرسول وكثير من أخبار الجاهلية وأنسابهم وعاداتهم وأديانهم ونحوها ، الا أن بها بعض الشعر المنحول نقله عن ابن اسحق وقد ذكر صاحب الفهرست أنهم كانوا ينظمون الاشعار ويأتون بها اليه ويسألونه أن يدخلها فى كتابه فى السير فيفعل

عبد الملك بن هشام

هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المعافرى ، كان مشهورا بعلم النسب والنحو ، أصله من البصره واقام فى مصر والف كتبا فى الانساب ضاعت وتوفى بمصر سنة ٢١٣هـ وهو الذى روى سيرة الرسول

(*) وراجع فى هشام الكلبى معجم الادباء ج١٩ ص ٢٨٧ ، ودائرة المعارف الاسلامية فى مادة الكلبى

من المغازي والسير لابن اسحق وهذبها ولخصها ، وهي الموجودة في أيدى الناس وتعد أقدم المصادر التى بين أيدينا عن الرسول وأوثقها . وترجمته فى ابن خلكان ٢٩٠ ج ١ (*)

محمد بن اسحق

أما ابن اسحق صاحب السيرة الاصلى ، فهو أبو بكر محمد بن أسحق ابن يسار المطلبى بالولاء المدنى بالمقام . كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة ابن المطلب بن عبد مناف . سباه خالد بن الوليد فى عين التمر ، وكان ابن اسحق ثبتا فى الحديث والمغازى فسمع عن أكثر العلماء ، أتى الى المنصور وهو فى الحيرة فكتب له المغازى فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب ، وتوفى ببغداد سنة ١٥١ هـ . ومن كتبه فى المغازى أخذ عبد الملك بن هشام السيرة التى نحن بصددها . وترجمت فى ابن خلكان ٤٨٣ ج ١ (**)

وقد طبعت السيرة مرارا أضبطها طبعة غوتنجن سنة ١٨٦٠ بعناية وستنفيلد المستشرق الالمانى فى مجلدين مضبوطة بالشكل اللازم . والحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفى صدره ترجمة ابن اسحق نقلا عن ابن قتيبة وابن خلكان وابن النجار . ونقل عن كتاب عيون الاثر لابن سيد الناس اليعمرى من أهل القرن الثامن للهجرة ما قيل فى ابن اسحق ومناقبه وما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة . وقد طبعت السيرة أيضا فى بولاق فى ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ . ومنها نسخ خطية فى أكثر مكاتب أوربا . وترجمها وايل المستشرق الى الالمانية ونشرت الترجمة فى ستتجارت سنة ١٨٦٤

واما النسخة الاصلية رواية ابن اسحق ، فالمظنون أن منها نسخة فى مكتبة كوبرلى بالاستانة . ووقفنا على كتاب خاص بتراجم الرجال الذين روى محمد بن اسحق عنهم ، طبع فى ليدن سنة ١٨٩٠

الخلاصة

وبالجملة لم يبق أديب من أدباء ذلك العصر الا وأتى فى كتبه على شيء من التاريخ كما فعل الاصمعى وأصحابه . وكذلك المترجمون فانهم كتبوا كثيرا من الحوادث وذهبت كتبهم . ولبيان ذلك راجع مقدمة مروج الذهب للمسعودى ، فتجد أسماء عشرات من خيرة المؤلفين الذين استعان بهم المسعودى فى تأليف كتابه ، وأكثرهم من أبناء العصر العباسى الاول ، ولم يبق من مؤلفاتهم شيء الى اليوم . ولعلنا نقف على شيء منها بالبحث كما اتفق للدكتور كيلر الالمانى منذ عامين ، فانه عثر على الجزء السادس من

(*) وانظر فى عبد الملك بن هشام بغية الوعاة للسيوطى ص ٣١٥ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٤ بين أئمة النحو واللغة ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

(**) وراجع المعارف لابن قتيبة «طبعة وستنفلد» ص ٢٤٧ ومعجم الادباء لياقوت ج ١٧ ص ٥ ودائرة المعارف الاسلامية

كتاب تاريخ بغداد لاحمد بن أبى طاهر المعروف بطيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وسنعود اليه .. وكما وقفنا على طبقــات ابن سلام الجمحى بعد أن ظل المستشرقون دهرا يأسفون لضياعها ، والفوا فى ذلك الكتب والرسائل

نظرة عامة

انقضى العصر العباسى الاول وهو فاتحة العصور العباسية ، وفيه نضج النحو ووضع علم العروض وظهر أئمة الفقه ووضــعوا أساس المذاهب الاربعة الباقية الى الان . وتكاثر الادباء والشعراء وتميز الشعر بالحضارة وتبدلت طريقته وتلطف أسلوبه وتولدت فيه أبواب جديدة

وفيه دخل اللغة العربية طائفة من العلوم القديمة ، نعنى علوم اليونان والفرس والهند وغيرهم . وظهرت المؤلفات فيها فضلا عن الترجمات

وكان أكثر اشتغال أدباء البصرة والكوفة فى اللغة العربية وجمع الفاظها واخبار أصحابها وأمثالهم وأشعارهم وأنسابهم . وفيه وضعت الســيرة النبوية وكتب المغازى والفتوح . وأكثر المشتغلين فى هذه النهضة الموالى وأهل الذمة وبعض العرب

وهناك علوم أخرى ستولد أو تنشأ فى العصور الاتية . وبعض العلوم التى ولدت فى هذا العصر ستنضج فيما يلى ، وسيأتى الكلام على كل شىء فى مكانه

ومما يلفت الانتباه من اخبار هذا العصر كثرة ما وضع فيه من كتب الادب واللغة والنحو والنسب ومجاميع الاشعار والاخبار والامثال مما يعد بالمئات أو الالوف ولم يبق منها الا بضع عشرات . وقد تقرأ لأحدهم مئات من أسماء الكتب التى ألفها ثم لا تجد منها الا كتابا أو بضعة كتب ، كما رأيت فى أخبار المدائنى وهشام الكلبى وأبى عبيدة والاصمعى وغيرهم وبعضهم لم يبق من آثارهم شىء

على ان هذا العصر أحسن حظا من العصر الاموى الذى سبقه . وستكون العصور الاتية أحسن حظا منه

العصر العباسي الثاني

أو المائة الثانية من العصر العباسي الثاني

من سنة ٢٣٢ – ٣٣٤ هـ

تاريخه

يبدأ هذا العصر بخلافة المتوكل على الله العباسي سنة ٢٣٢ هـ ، وينتهي بظهور الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ ، وقد يسمى العصر التركي لتسلط الاتراك فيه على أمور الدولة تمييزا له عن العصر الماضي وهو فارسي لتغلب العنصر الفارسي فيه . وأما الاتراك فأول من استكثر منهم وقدمهم في الدولة المعتصم (١) ، وبدأ استبدادهم في أيام المتوكل على الله لأنه كان يكره الشيعة العلوية ، وهم من الفرس ، فاستبد بهم وزاد في رعاية الاتراك لينصروه عليهم فزاد طمعهم في الدولة . ثم أغراهم ابنه المنتصر – أو هم أغروه – على قتله فقتلوه ، وكان ذلك أول جرأتهم على الخلفاء . وولوا المنتصر بعده ولم تطل مدة حكمه أكثر من بضعة أشهر ، فمات وضميره يخزه . وتولى بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ ، ثم المعتز بالله سنة ٢٥١ هـ . وقد استفحل أمر الاتراك استفحالا عظيما . ومما يحكى عن استبدادهم بالخلفاء انه لما تولى المعتز قعد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم : « انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة » وكان في المجلس بعض الظرفاء فقال : « أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته » فقالوا له : « فكم تقول انه يعيش وكم يملك ؟ » قال : « ما أراد الاتراك » فلم يبق في المجلس الا من ضحك (٢)

وقد قتلوا المعتز هذا شر قتلة ، فانهم جروه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس بالدار ، فكان يرفع رجلا ويضع أخرى لشدة الحر وبعضهم يلطمه بيده (٣) والمستكفي سملوا عينية ثم حبسوه حتى مات في الحبس (٤) . وبلغ من فقر القاهر بالله أنهم حبسوه وهو ملتف بجبة قطن وفي رجله قبقاب خشب .. فلا غرو اذا أصبح الخلفاء آلة في يد الاتراك . واذا تنازع هؤلاء على السلطة كان الخليفة مع الغالب . وبعد أن كان القواد يحلفون للخليفة بالطاعة ، صار الخليفة يحلف لهم

---

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ١٥٥ ج ٤
(٢) الفخري ٢٢٠ (٣) ابن الاثير ٧٧ ج ٧
(٤) ابن الاثير ١٧٧ ج ٨

نفوذ الخدم فى هذا العصر

وفى هذا العصر عظم نفوذ الخدم فى الدولة العباسية ، ولم يكن لهم شأن قبله . وسبب ذلك أن الاتراك لما استبدوا وصاروا يولون الخلفاء ويعزلونهم ، كان فى جملة ما استعانوا به على الاستبداد بهم أن يحجروا عليهم قبل الخلافة ويحبسونهم فى القصور ليزيدونهم ضعفا . وكان الخلفاء من الجهة الاخرى يميلون الى حبس أولادهم وأقاربهم خوفا من تواطئهم مع بعض الاتراك على خلعهم أو قتلهم . ولا عشير لهم فى أثناء الحجر الا الخدم والخصيان فالفوا أخلاقهم . وتحققوا بالاختبار أن حياتهم تتوقف فى الاكثر على أمانة أولئك الخدم لما آنسوه من غيرتهم عليهم وخصوصا الخصيان ، اذ لا عصبية فيهم تمنعهم من التفانى فى خدمة أسيادهم ولا مطمع لهم فى الملك لأولادهم وأهلهم . فأصبح ولاة العهد اذا أفضت الخلافة اليهم بالفوا فى تقريب الخدم بالعطايا والاكرام التماسا لحمايتهم اذا أراد الاتراك الفتك بهم . فعمدوا الى الاستكثار من الخدم ، وكانوا يقدمونهم ويكرمونهم ويستشيرونهم فى أمورهم

واستكثروا منهم حتى الفوا منهم الفرق . وأول من استكثر منهم ورفع منزلتهم المقتدر بالله ، فقد تولى سنة ٢٩٥ هـ وعنده من الخدم والخصيان ١١,٠٠٠ خادم من الروم والسودان وكثير من المال والجوهر ، فتمكن من الحكم ٢٥ سنة . وكان يقدم الخدم ويستعين بهم وقد ولاهم قيادة الجند وغيرها . وفى أيامه نبغ مؤنس الخادم ، فقدمه وكان يستشيره فى أموره .. فتصرف مؤنس فى مصالح الدولة كما يشاء وتولى رياسة الجيش وامارة الامراء وبيوت الاموال ، واستبد فى كل شيء لكنه على الاجمال خدم الخليفة المقتدر خدمات ذات بال . ثم كانت بينهما وحشة تكررت حتى أدت الى حروب انتهت بقتل المقتدر

فتكاثر الفساد بسبب ذلك وعمت الرشوة والمصادرة والفتك ، فأصبح الناس يخافون على أموالهم وأرواحهم لانها طوع ارادة الخليفة أو الوزير أو القائد أو تابعة لهواهم ومطامعهم . وكانت المصادرة متبادلة بين الخليفة ووزرائه وقواده (١) ، ناهيك بالجاسوسية وسوء الاحكام . فآل ذلك الى طمع العمال والولاة فى أعمالهم ، فأخذوا يستقلون .. فتشعبت المملكة العباسية الى امارات وممالك . وانقضى العصر الذى نحن بصدده بدخول الديلم بغداد فى أيام المستكفى سنة ٣٣٤ هـ ، وانشأوا هناك دولة عرفت بدولة آل بويه وبها يبدأ العصر العباسى الثالث

والفساد الذى تقدم ذكره أثر فى آداب اللغة ، ولا سيما فى الآداب التى هى من آثار النفس أو أعمالها كالشعر والخطابة والانشاء وقل النابغون فيها كما سترى . وفيه قيدت الافكار بمطاردة المتوكل للمعتزلة والشيعة ، فضعفت الحرية وعمد الناس الى التستر فى أفكارهم خوفا على حياتهم خلافا لما كانوا عليه فى أواخر العصر الماضى .

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ١٦٧ ج ٤

مميزات هذا العصر

ويمتاز العصر العباسى الثانى بالنظر الى آداب اللغة بأمور تمت فيه ، وهى :

١ ـ استقر الخط العربى على القاعدة التى وصلت الينا ، وقد وضعها أو ضبطها ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

٢ ـ ظهر أثر الانقلاب الادبى فى ألفاظ اللغة العربية ، فتنوعت معانى بعضها حتى خرجت عما وضعت له فى المعاجم . وشق ذلك على أدباء اللغة ، فوضعوا المقالات أو الكتب فى انتقاد ذلك واصلاحه . ولكنه قلما أفاد لأن ذلك التنوع حدث بطبيعة العمران . وممن انتقده ابن قتيبة فى كتابه أدب الكاتب وسنبين ذلك فى مكانه . وراجع كتابنا « تاريخ اللغة العربية »

٣ ـ وفى هذا العصر ترجمت التوراة الى اللغة العربية ترجمة لا تزال باقية الى الان . ويغلب على الظن انها ترجمت كلها أو بعضها الى اللغة العربية قبل الاسلام (*) وشاعت بين أدباء العرب وضاعت فى صدر الاسلام . ثم ترجمت ترجمة أخرى فى زمن المأمون على يد أحمد بن عبدالله بن سلام(١) ، ورأينا بعض أدباء ذلك العصر ينقلون عنها فصولا من أخبار الخليقة (٢)، وربما ترجمها سواه أيضا . ولم يبق من تلك الترجمات شيء الى الان . وأقدم ما وصل الينا من ذلك ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومى ويقال له سعديا

سعيد الفيومى وترجمة التوراة

ولد سعيد الفيومى فى الفيوم نحو سنة ٢٨٢ هـ فى ولاية خمارويه بن أحمد بن طولون على مصر ، وكان اسرائيليا من الطائفة الربانية ، وكان بين هذه الطائفة وطائفة القرائين مناظرة وجدال . وكان سعيد من كبار رجال الدين والعلم فيهم ، فكتب كتبا كثيرة جدلية فى العبرانية ، وأخيرا ترجم كتب موسى الخمسة وسفرى أشعيا وأيوب من الاصل العبرانى للتوراة الى العربية توسيعا لدائرة أحزابه الربانيين . وقد طبعت الاسفار الخمسة من ترجمته فى الاستانة بالحروف العبرانية سنة ١٥٤٦ مع ترجمات أخرى، وعرفت هذه الطبعة باسم « تتراغلوت » . ثم ظهرت فى طبعة البوليفلوت بباريس بعد قرن . وطبعت ترجمته لأشعيا فى جينا سنة ١٧٩١ ، واما سفر ايوب فمنه نسخة خطية فى مكتبة اكسفورد . وقد طبعت على حدة مع ترجمة فرنسية بعناية ديرنبورج بباريس سنة ١٨٩٣

(*) أكبر الظن أن هذه مبالغة ، وراجع كلمة توراة فى دائرة المعارف الاسلامية

(١) الفهرست ٢٢ (٢) كتاب المعارف ٤

أشهر الشعراء

فى العصر العباسى الثانى

مميزات الشعر فى هذا العصر

١ ــ ظهرت فى هذا العصر شكوى الشعراء من ذهاب دولة الشعر وانقضاء العصر الذى كان الشعر فيه يثير النفوس ويستنهض الهمم بذهاب الخلفاء والامراء الذين كانوا يعرفون قدر الشعر ويقدمون أصحابه بالسخاء . وقد عبر ابن الرومى عن ذلك (وهو من أهل ذلك العصر) بقوله :

ذهب الذين تهزّهم مُدّاحهم هزّ الكماة عواليَ المرّان
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهمُ فالأريحية منهمُ بمكانِ (١)

٢ ــ كثر فيه ذكر المعانى الفلسفية وتعبيراتها لتفشى علوم الاقدمين بين المسلمين على أثر ترجمة الكتب فى العصر الماضى وفى هذا العصر . وظهر جماعة من الشعراء عدوا بين الفلاسفة لتغلب العلوم الطبيعية على نفوسهم . على أن الآراء الفلسفية ظهرت ناضجة فى شعراء العصر العباسى الآتى ذكره

٣ ــ ظهر فيه البديع ولم يكن منه قبلا الا نزر يسير . على أن البديع قديم فى العربية حتى فى النثر فضلا عن الشعر ، لان هذه اللغة تمتاز بقبولها للاستعارات والكنايات (٢) . ولكن المشهور ان أول من فتق البديع بشار بن برد وابن هرمة ، ثم أتبعهما مقتديا بهما كلثوم بن عمرو العتابى ومنصور النمرى ومسلم بن الوليد وأبو نواس واتبع هؤلاء أبو تمام والبحترى ، ثم ابن المعتز فانتهى البديع اليه (٣) فانه ألطف أصحابه شعرا وأكثرهم بديعا وهو من شعراء العصر العباسى الثانى

٤ ــ نبغت طبقة من الكتاب انتقدوا الشعر وروايته ، وكانوا ينقلونه فى العصر السابق بلا تمحيص . . فصاروا فى هذا العصر ينظرون فيه ويتدبرون معانيه وأساليبه بعين النقد . ولا سيما بعد اطلاعهم على ترجمة كتاب أرسطو فى نقد الشعر الذى نقله أبو بشر من السريانية الى العربية . وأكثر الذين اشتغلوا فى ذلك من الادباء . وسيأتى ذكرهم فى باب الادب . أما النقد التاريخى فلم يجرأوا عليه فى هذا العصر

٥ ــ وفى هذا العصر تقدم الشعراء خطوة أخرى فى الزهريات والتغزل بها كقول ابن المعتز يصف قضيبا من الريحان :

---

(١) يتيمة الدهر ٩ ج ١ (٢) البيان ١٧٥ ج ١ (٣) العمدة ٨٥ ج ١

قضيبٌ من الريحانِ شابه لونَه إذا ما بدا للعيــن لونَ الزمرّدِ
وشبهته لما تأملت حُسْنه عِـــذاراً تدلّى فى عوارض أمْرَدِ

وقول البحترى :

ووُرْقٌ تغنى على خُضْرٍ مهدّلةٍ تسمو بهـــا وتمس الأرضَ أحيانا
تخال طائرَها نشـــوانَ من طربٍ والغصنُ من هزّه عِطْفيه نشوانا

وقد رأيت كثرة الشعراء فى عصر بنى أمية للاغراض السـيـاسية التى اقتضاها مسلك الامويين فى السياسة بين العصبيات والاحزاب مع تغلب البداوة على انفسهم . ورايت كثرة الشعراء فى العصر العباسى الاول بانتقال الدولة من البداوة الى الحضارة مع رغبة الخلفاء ورجال الدولة فى الشعر وسائر فنون الادب ، وهو الباعث الاقوى على ظهور قرائح الشعراء فى كل عصر

أما فى العصر العباسى الثـانى الذى نحن فى صدده ، فقد ضعفت تلك الاسباب واشتغل الخلفاء بأنفسهم ورجالهم .. فلم ينبغ من فحول الشعراء فيه الا الذين قويت شاعريتهم . وهم نفر لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين ، ولشعرهم صيغة تلائم ذلك العصر ، وهم :

١ - ابن الرومى

توفى سنة ٢٨٣ هـ

هو أبو الحسن على بن العباس بن جريج أو جورجيس ، ويعرف بابن الرومى نسبة الى أصله ، وهو من موالى بنى العباس . اشتهر بالتوليد فى الشعر لانه أتى بكثير من المعانى التى لم يسبق اليها . ومن مميزاته أنه لا يترك المعنى حتى يستوفيه ويمثله للقارىء تمثيلا ، ولد فى بغداد سنة ٢٢١ هـ وتوفى سنة ٢٨٣ هـ ، وكان شديد الهجاء جريئا فيه حتى مات بسببه لانه هجا القاسم بن عبيدالله وزير المعتضد ، فدس اليه ابن فراش فأطعمه خشكنانجة مسمومة وهو فى مجلسه .. فلما أحس بالسم نهض فقال له الوزير : « الى أين ؟ » فقال : « الى الموضع الذى بعثتنى اليه » فقال له : « سلم على والدى » فقال : « ما طريقى على النار » وأتى منزله فأقام فيه أياما ومات (*) . ومن بديع شعره فى المديح قوله :

المنعمون وما مَنُّوا على أحدٍ يوم العطـــاء ولو مَنُّوا لما مَانوا
كم ضَنَّ بالمال أقوام وعنـــدهمُ وفْرٌ وأعطى العطايا وهْو يدّان

وله أيضا ، وقال ما سبقنى أحد الى هذا المعنى :

(*) أكبر الظن أن هذه القصة فى موت ابن الرومى موضوعة ، اذ الصحيح انه مات ميتة طبيعية ، بسبب أمراضه التى اصطلحت عليه

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا بَدَوْنَ نجومُ
منها معالم للهدى ومصابحٌ تجلو الدجى والأخريات نجومُ

ومن معانيه البديعة قوله :

وإذا امرؤ مدح امرءا لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدِّر فيه بعد المُستقى عند الورود لما أطال رشاءه

وكذلك قوله في ذم الخضاب ، وهو مما لم يسبق اليه :

إذا دام للمرء السَّوادُ وأخلقتْ شبيبته ظنَّ السواد خِضابا
فكيف يظن الشيخ أنَّ خضابه يُظَنُّ سواداً أو يُخَال شبابا

وله في بعض الرؤساء وقد سأله حاجة فقضاها له ، وكان لا يتوقع منه خيرا :

سألتك في أمر فجدْتَ ببَذْله على أنى ما خلت أنك تفعلُ
وألزمتنى بالبذل شكراً وإنه علىَّ من الحرمان أدهَى وأعضَلُ
لئن سرَّنى ما نلت منك فإنه لقد ساءنى إذ أنتِ ممن يؤمَّل

ومن نظمه في الحكم :

أرى فضل مال المرء داءً لعِرْضه كما أن فضل الزاد داءٌ لجسمه
فليس لداء العرض شيءٌ كَبذله وليس لداء الجسم شيء كحَسْمه

ومن بديع معانيه :

دهرٌ علا قَدْرُ الوضيع به وترى الشريف يحطُّه شَرَفُه
كالبحر يرسبُ فيه لؤلؤه سُفْلاً وتعلو فوقه جيفُه

ويمتاز ابن الرومى بتفضيله المعنى على اللفظ كالمتنبى ، فيطلب صحة المعنى ولا يبالى حيث وقع من هجنة اللفظ (١) ومع ذلك فانك تجد في نظمه سهولة ومتانة

وكان شعره غير مرتب رواه عنه المتنبى ثم جمعه أبو بكر الصولى ورتبه على الحروف . وجمعه أبو الطيب وراق ابن عبدوس وزاد في جميع النسخ نحو الف بيت ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ ورقة ، صفحاتها مزدوجة كبيرة بخط قديم كتبت فيها الابيات في نهرين كل نهر في شطرين . وأكثر شعره في على بن يحيى بن أبى منصور ، والحسن بن

(١) العمدة ٨٢ ج ١

عبيدالله بن سليمان ، وأبى القاسم التوزى الشـطرنجى ، والمعتضد ، والقاسم بن عبيدالله ، وابن المدبر ، وغيرهم ممن عاصروه . وله أهاج شديدة ومدائح بليغة ، وقد أبدع فى وصف الاخلاق والعواطف وفى العتاب، وله مراث مؤثرة بعضها فى ابنه وامه . وله قصائد طويلة بعضها يزيد على ٣٠٠ بيت ، أكثرها فى المدح . ومن هذا الديوان نسخة فى مكتبة الاسكوريال، واخرى فى مكتبة طوب قبو وفى نور عثمانية بالآستانة . ومن الغريب ان هذا الديوان النفيس لم ينشر بعد (*)

وأخبار ابن الرومى فى ابن خلكان ٣٥٠ ج ١ ، والفهرست ١٦٥ (**)

٢ ـ البحترى

توفى سنة ٢٨٤ هـ

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى ، ولد بمنبج من أعمال الشام وتخرج بها . ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله ، وخلقا كثيرا من الاكابر والرؤساء . وأقام فى بغداد دهرا طويلا ثم عاد الى الشام . وله أشعار كثيرة يذكر فيها حلب وكان يتغزل بها . وقد أدرك ابا تمام بحمص وعرض عليه شعره فى جملة من كان يأتيه لهذا الغرض . فلما سمع أبو تمام قوله أقبل عليه وترك سائر الناس ، فلما تفرقوا قال له : « انت أشعر من أنشدنى » وأوصى به أهل معرة النعمان فصار اليهم فأكرموه ووظفوا له ٤٠٠٠ درهم . واشتهر بعد ذلك حتى صار من الطبقة الاولى ، ويشبهون شعره بسلاسل الذهب لتناسبه . وصار بعضهم يفضله على أبى تمام . وسئل هو مرة : « من أشعر : أنت أم أبو تمام ؟ » فقال : « جيده خير من جيدى ، ورديئى خير من رديئه » وسئل أبو العلاء المعرى ، « أى الثلاثة أشعر : أبو تمام أم البحترى أم المتنبي ؟ » فقال : « المتنبى وأبو تمام حكيمان ، وانما الشاعر البحترى» . على انه امتاز بقوة التصوير، فانه كان يصور أخلاق الممدوح تصويرا لم يسبقه أحد الى مثله . ومن احاسن شعره فى المتوكل قصيدة مطلعها :

أخْفى هوى لكَ فى الضلوعِ وأظْهر ... وألامُ فى كمـدٍ عليك وأعْذرُ

ويقول منها (***) :

بالبرِّ صُمتَ وأنت أفضلُ صائم ... وبِسُنَّةِ الله الرضيَّةِ تُفْطِـرُ

(*) نشر كامل كيلانى ثلاثة أجزاء من هذا الديوان ، وهى مختارات مختلفة منه

(**) وراجع فى ابن الرومى الموشح للمرزبانى ص ٣٥٨ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٤٣ وزهر الاداب للحصرى ج ٢ ص ١٧١ وما بعدها والكشكول لبهاء الدين العـاملى ص ٥٨ وسر الفصاحة ص ٧٢ والعمدة لابن رشيق فى مواضع متفرقة ورسالة الغفران لابى العلاء « أنظـر الفهرس » وطبقات النحويين للزبيدى فى ترجمة الاخفش على بن سليمان ص ١٢٦ وراجع ابن الرومى لعباس العقاد ومن حديث الشعر والنثر لطه حسين والفن ومذاهبه فى الشعر العـربى ولرافون جيست بحث فيه بعنوان : Life and Works of Ibn El-Rumi وكذلك لمحمـد عبد الغنى حسن بحث فيه نشرته دار المعارف فى سلسلة نوابغ الفكر العربى

(***) الغريب فى هذه الابيات : الجحفل : الجيش الضخم ، اللجب : كثير الصياح، البيض : السيوف، تزهر : تضىء ، العجاج : الغبار ومثله العثير

فانْعَمْ بيوم الفِطْرِ عَيْنا إنه يوم أغرُّ من الزمان مشهَّرُ
أظهرت عِزَّ الملك فيه بجَحْفَلٍ لَجِبٍ يحاط الدين فيه ويُنْصَرُ
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت عُدَداً يسير بها العديد الأكثر
فالخيل تصهل والفوارس تدَّعى والبيضُ تلمع والأسنَّة تَزْهَرُ
والأرض خاشعة تميد بِثقْلها والجوُّ مُعْتكر الجوانب أغْبَرُ
والشمس طالعة توقَّد فى الضحى طوراً ويُطفئها العَجَاج الأكدر.
حتى طلعت بنور وجهك فانجلى ذاك الدجى وانجابَ ذاك العِثْيَرُ
فافتن فيك الناظرون فإصْبَعٌ يُومي إليك بها وعَيْنٌ تنظر
يجدون رؤيتك التى فازوا بها من أنعُمِ الله التى لا تُكْفَرُ
ذكروا بطلعتك النبيَّ فهللوا لما طلعتَ من الصفوف وكبَّروا
حتى انتهيتَ إلى المصلَّى لابساً نورَ الهدى يبدو عليك ويَظْهر
ومشيت مشيةَ خاشعٍ متواضع لله لا يزْهَى ولا يتكبر
فلو ان مشتاقاً تكلَّف فوق ما فى وُسْعه لمشى إليك المِنْبَرُ

وظل البحترى فى العراق فى خدمة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ، وله الحرمة التامة حتى قتلا ، فرجع الى منبج . وقد قلد أبا تمام فى البديع وكان يعده اماما له ويقدمه على نفسه كما رأيت . ثم صارت له طريقة فى الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة خاصة به ، قلدها معاصروه ومن جاء بعدهم من الشعراء وعرفت بطريقة أهل الشام ، وكان الصاحب بن عباد يعجب بها ويحرض على حفظ أشعار أصحابها ويستملى الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه منها حتى كتب دفترا ضخم الحجم فيها كان لا يفارق مجلسه ولا يملأ منه عينه غيره . وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه وفى سن قلمه ، فطورا يحاضر به فى مخاطباته ومحاوراته وتارة يحله أو يورده فى مراسلاته كما هو

وكان البحترى بخيلا وسخ الثوب ومن أبغض الناس انشادا ، يتشادق ويتزاور فى مشيه مرة جانبا ومرة القهقرى ، يهز راسه مرة وكتفه أخرى ويشير بكمه . ويقف عند كل بيت ويقول : « أحسنت والله مالكم لا تقولون أحسنت ؟ » فضجر المتوكل منه

وما زال شعر البحترى غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولى ورتبه على الحروف . وجمعه أيضا على بن حمزة الاصبهانى ورتبه على الانواع . وقد طبع فى الاستانة سنة ١٣٠٠ وفى بيروت سنة ١٩١١ مضبوطا بالشكل الكامل فى جزءين كبيرين . أكثره فى مدح المتوكل والمعتز والمستعين والمعتمد ورجال دولتهم . ولا تكاد تخلو قصيدة من استهلال بالغزل

وللبحترى حماسة مثل حماسة أبى تمام طبعت فى بيروت سنة ١٩١٠ بعناية الاب شيخو ، وقد ذيلها بالفهارس . وهى تمتاز على حماسة أبى تمام من أوجه كثيرة : منها كثرة الابواب ، لان حماسة أبى تمام مؤلفة من عشرة ابواب وحماسة البحترى من ١٧٤ بابا تتضمن معظم المعانى الشعرية . وقد رواها عن نحو ٦٠٠ شاعر أكثرهم من الجاهليين والمخضرمين . وتمتاز على الخصوص بخلوها مما تنبو عنه الاسماع من الالفاظ البذيئه حتى الغزل والنسيب فقد تحاشاهما .. كأن البحترى جمعها لشبيبة هذه الايام . واطلعنا فى المكتبة الخديوية على نسخة من الحماسة المذكورة بالتصوير فى ٤٠٠ صفحة عن نسخة خطية محفوظة فى مكتبة ليدن

وللبحترى أيضا كتاب معانى الشعر ، وألف الحسن بن بشر الآمدى المتوفى سنة ٣٧١ كتابا انتقاديا فى الموازنة بين أبى تمام والبحترى تعصب فيه على أبى تمام ، وجد فى طمس محاسنه وتزيين مرذول البحترى ، طبع فى الاستانة سنة ١٢٨٧ هـ

وأخبار البحترى فى ابن خلكان ١٧٥ ج ٢ ، والاغانى ١٦٧ ج ١٨ ، والفهرست ١٦٥ (*)

٣ ـ ابن المعتز

توفى سنة ٢٩٦ هـ

هو أبو العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل من أبناء الخلفاء العباسيين ، تحزب له جماعة من الجند والاتراك على العادة الجارية فى ذلك العهد وخلعوا المقتدر سنة ٢٩٦ ، وبايعوا لابن المعتز وسموه المرتضى بالله أقام يوما وليلة . ثم تحزب أصحاب المقتدر وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدر الى دسته . واختفى ابن المعتز فى بيت ابن الجصاص التاجر الجوهرى المشهور يومئذ . فأخذه المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم ، فقتله ودفعه الى أهله ملفوفا فى كساء . وكان ابن المعتز منحرفا عن العلويين ، وله فيهم قصيدة بائية يطعن عليهم فيها ويجعل للعباسيين الفضل عليهم بالخلافة مطلعها :

ألا من لعينٍ وتسكابها تشكّى القذاةَ وتَبْكى بها

الى أن يقول :

ونحن ورثنا ثياب النبى فلم تجذبون بأهدابها

(*) وانظر فى ترجمة البحترى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٩٤ والموشح للمرزبانى ص ٣٣٠ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٨١وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٧٦ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٦ ومعجم الادباء ج ١٩ ص٢٤٩ والموازنة بين الطائيين للامدى واعجاز القرآن للباقلانى، ودائرة المعارف الاسلامية وراجع فى شعره الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، ومن حديث الشعر والنثر لطه حسين

لكم رَحمٌ يابنى بِنْتِه ولكنْ أرى العَمَّ أولى بهـا
به نصَرَ اللهُ أهلَ الحجـاز وأبرأها بعـد أوصـابها

وعارضه صفى الدين الحلى بقصيدة من وزنها وقافيتها مطلعها :

ألا قـل لشرِّ عبـاد الإلهِ وطـاغى قُرَيشٍ وكَذَّابهـا

ومن شعره قصيدة تاريخية من نوع الشعر القصصى مدح بها الخليفة المعتضد ، ومزيته على الخصوص بما فى شعره من أنواع البديع كقوله فى وصف مليح :

وجاءنى فى قميص الليـل مستتراً يستعجل الخَطو منخوف ومن حذرِ
فقمت أفرش خَدّى فى الطريق له ذُلاً وأسحب أذيالى على الأثَرِ
ولاح ضـوءُ هلالٍ كاد يفضحنا مثل القُلامة قد قُدَّتْ من الظفرِ

ومن قوله وقد ذكره ابن خلكان :

ومُقَرْطَقٍ يسـعى إلى النُّدماء بعقيقةٍ فى دُرَّةٍ بيضـاء
والبدرُ فى أفق السماء كدرهم ملقى على ديباجة زرقاء
كم ليلة قد سرنى بمَبيته عندى بلا خوف من الرقبـاء

ومن تشابيهه قوله :

خليلىَّ قد طـاب الشراب المورَّدُ وقد عدت بعدالنُّسك والعودأحمدُ
فهاتا عُقاراً فى قميص زجاجة كيـاقوتةٍ فى دُرَّةٍ تتوقّد
يصوغ عليها الماء شُباكَ فضـةٍ له حَلَقٌ بيض تُحَلُّ وتعقـد
وقتنىَ من نار الجحيم بنفسها وذلك من إحسانها ليس يُجْحَدُ

وكان ابن المعتز شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة ، ومن مزاياه الابداع للمعانى . وكان أيضا من الادباء والعلماء تثقف على المبرد وثعلب وغيرهما . واشتغل بالعلم والادب ، فالف فيهما بضعة عشر مؤلفا وصلنا منها :

١ ــ كتاب الادب : منه نسخة خطية فى المتحف البريطانى

٢ ــ كتاب مختصر طبقات الشعراء : فى مكتبة الاسكوريال (*)

٣ ــ كتاب البديع : وهو أهم كتبه بالنظر الى اختصاصه فى هذا الفن ، منه نسخة خطية فى مكتبة الاسكوريال (**)

(*) نشرت دار المعارف هذا الكتاب وهو رقم ٢٠ من سلسلة ذخائر العرب

(**) نشر كراتشكوفسكى كتـاب البديع سنة ١٩٣٥ ــ وقد طبع فى مصر كما طبع له كتاب فصول التماثيل الآتى ذكره

٤ ـ كتاب أشعار الملوك : منه نسخة فى مكتبة المستشرق أهلوارت وباسمه فى مكتبة باريس « كتاب الشراب » شعر ونثر . وفى مكتبة برلين كتاب فصول التماثيل فى تباشير السرور ، ولم يذكره له مؤرخوه . وعنى لانغ الالماني بترجمة بعض شعره وتاريخه الى الالمانية وطبعه فى المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٨٦ ، وفعل ذلك أيضا لوث وطبعه فى ليبسك سنة ١٨٨٢

وقد جمعت أشعاره فىديوان مرتب على الانواع كالفخر والغزل وغيرهما. وكل منها مرتب على الابجدية ، منه نسخ خطية فى مكاتب باريس والقاهرة وغيرها ، وطبع بمصر سنة ١٨٩١ وله قصائد متفرقة فى مكاتب برلين وغوطا

ونجد أخباره فى ابن خلكان ٢٥٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٩٩ ، وفوات الوفيات ٢٤١ ج ١ ، والاغانى ١٤٠ ج ٩ ، والفهرسنت ١١٦ (*)

٤ ـ البسامي البغدادى

توفى سنة ٣٠٢ هـ

هو أبو الحسن على بن محمد بن نصر بن منصور ، ويعرف بابن بسام أيضا . وهو غير ابن بسام الاندلسي المتوفى سنة ٥٤٢ هـ ، وأما البسامى فأمه بنت حمدون النديم . وكان شاعرا هجاء لم يسلم من لسانه أمير ولا وزير ولا صغير ولا كبير . وقد هجا أباه واخوته وسائر أهل بيته ، فمن ذلك قوله فى أبيه :

هبك عُمِّرْتَ عمرَ عشرين نسراً أترى أنني أموت وتبقى
فلئن عشتُ بعد موتك يوما لأشقنَّ جَيْبَ مالك شَقا

وقال فى هدم المتوكل قبر الحسين :

تالله إن كانت أميّةُ قد أتَتْ قتلَ ابن بنتِ نبيِّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا فى قتله فتتبَّعوه رَميما

وليس له ديوان معروف . وله مؤلفات فى مناقضات الشعراء وأخبار الاخوص وعمر بن أبى ربيعة ، لم يصلنا خبرها

وأخباره فى ابن خلكان ٣٥٢ ج ١ ، والفهرست ١٥٠ ، وفوات الوفيات ٨٣ ج ٢ (**)

(*) وانظر فى ابن المعتز تاريخ ابن الاثير « راجع فهرسه » وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٩٥ والاوراق للصولى فى أشعار أولاد الخلفاء وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٢١ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ١٤٦ والطبرى ج ٣ ص ٢٢٨١ وما بعدها وعريب ص ٢٥ وما بعدها . وراجع أيضا من حديث الشعر والنثر وكتاب الفن ومذاهبه فى الشعر العربى

(**) وانظر فى البسامى معجم الادباء ج ١٤ص ١٣٩ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٦٣

٥ ـ الخبز أرزى

توفى سنة ٣١٧ هـ

هو أبو القاسم نصر بن احمد من أهل البصرة ، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يخبز خبز الارز بمربد البصرة ومنه اسمه . لكنه كان مطبوعا على الشعر ، وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمـون عليه لسماع شعره ويعجبون من حاله . ثم ذاع خبره وتناقل الناس اشعاره . فمن غزله قوله :

خليليّ هل أبصرتما أو سمعتما … بأكرمَ من مولى تمشّى إلى عَبْدِ

أتى زائراً من غير وَعْدٍ وقال لى … أجلّك عن تعـليق قلبك بالوَجْد

فما زال نَجْمُ الوصل بينى وبينه … يدور بأفلاك السعادة والسَّعْد

فطوراً على تقبيـلِ نرجسِ ناظرٍ … وطوراً على تعضيض تفاحة الخَدِّ

وله ايضا :

رأيت الهلال وَوجْهَ الحبيب … فكانا هلالين عنـد النَّظَرْ

فلم أدر من حـيرتى فيهما … هلالَ الدجى من هـلال البشر

ولولا التورّد فى الوجنتين … وما راعنى من سـواد الشـعر

لكنت أظن الهلال الحبيبَ … وكنت أظن الحبيبَ القمر

وذكر له ابن خلكان كثيرا من الاخبار وأمثلة من الشـعر فى ترجمتـه ١٥٣ ج ٢ ، وفى يتيمة الدهر ١٣٢ ج ٢ (*)

٦ ـ ابن العلاف

توفى سنة ٣١٨ هـ

اسمه أبو بكر الحسن بن على ، كان ضريرا من أهل النهزوان جيـد الشعر ، واشتهر بقصيدة رثى بها هرا ، والمقصود بالرثاء غلام كان له ، قتله على بن الحسين . والقصيدة من أحسن شعره مطلعها :

ياهرّ فارقتنـا ولم تعـدِ … وكنت عندى بمنزل الولدِ

فكيف ننفـك عن هواك وقـد … كنت لنـا عُدّةً من العُـدَدِ

تطرد عنـا الأذى وتحرُسنا … بالغَيْب من حيّةٍ ومن جـرذ

وتخرج الفـأر من مكامنها … ما بين مفتوحها إلى السدد

يلقـاك فى البيت منهمُ مددٌ … وأنت تلقـاهمُ بلا مَدَدِ

(*) وراجع فى الخبز أرزى معجم الادباء ج١٩ ص ٢١٨ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٩٦

وهى طويلة نشر ابن خلكان أكثرها فى صفحة ١٣٨ ج ١ ، والدميرى ٢٣٧ ج ٢

ومن نوابغ شعراء هذا العصر فضل جارية المتوكل العباسى المتوفاة سنة ٢٦٠ هـ . وكانت تهاجى الشعراء ويجتمع عندها الادباء ولها فى الخلفاء والملوك مدائح ، وكانت فى أول أمرها تتشيع وتتعصب لأهل مذهبها وتقضى حوائجهم بجاهها عند الملوك . وعشقت سعيد بن حميد وكان منحرفا عن أهل البيت فانتقلت الى مذهبه . ولها أشعار نفيسة منها أمثلة فى فوات الوفيات ١٢٦ ج ٢ والاغانى (*) ١١٤ ج ٢١

(*) انظر فى ترجمة ابن العلاف طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٥٩ وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٧٩ ونكت الهميان ص ١٣٩ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٧

الأدب والأدباء

في العصر العباسي الثاني

خطا الأدب في هذا العصر خطوة أخرى نحو النشوء والتفرع ، فبدأت علومه بالاستقلال بعضها عن بعض . وكانت في العصر الماضي مختلطة يدرس الاديب النحو واللغة والاخبار والامثال معا . وقل من تفرغ لواحد منها ، الا النحو فانه استقل في ذلك العصر كما رأيت . ففي هذا العصر أخذ علم اللغة في الاستقلال ، علماء اشتغلوا بتعريف الالفاظ واشتقاقها ومعانيها وترتيبها على الابجدية تمهيدا لوضع المعاجم التي لم تظهر ناضجة الا في العصر العباسي الثالث

فالادب هنا ينقسم الى ثلاثة اقسام : الادب كما هو ويدخل فيه الاخبار والامثال والاشعار وغيرها ، والنحو ، واللغة . فنتكلم عن كل منها على حدة

وقبل التقدم الى ذلك لا بد لنا من التنبيه الى أمرين مهمين في تاريخ آداب اللغة : الاول ان الاغراض السياسية التي ذكرناها في صدر العصر العباسي الاول من تفضيل أهل الكوفة على أهل البصرة واثارة المنافسة بين البلدين ضعفت في هذا العصر ، وفرغ البصريون والكوفيون من الغرض الذي أحيا ذينك البلدين لقربهما من البادية وسطا بين الحضارة والبداوة . واستبحر عمران بغداد وغلبت الحضارة على نفوس المسلمين ، فأخذ الادباء وطلاب العلم في الانتقال الى بغداد وخصوصا بعد أن سطا صاحب الزنج على البصرة وخربها . والامر الثاني ان نقل العلوم الى اللغة العربية أكسبها ميلا الى تأليف الكتب وغيرها ، على مثال ما شاهدوه هناك من الكتب الجامعة لموضوعات مختلفة والتوسع في الموضوع الواحد . فالكتب التي جاء ذكرها لاصحاب العصر الاول أوفاها ما كتب في الفقه والسيرة النبوية والطبقات والفتوح والنحو . أما في هذا العصر فعمدوا الى التأليف في سائر الموضوعات العلمية والادبية والفلسفية والتاريخية وغيرها ، وان لم ينضج التأليف على الاجمال الا في العصر الآتي

مميزات الادب

يمتاز الادب في هذا العصر بأشياء أهمها :

١ — انه كان في العصر الماضي مقصورا على النقل بلا تصرف ، فكان هم الاديب ان يروى ما سمعه بالاسناد الى الراوي أو سرد ما عاينه .. كما كان يفعل حماد ، والاصمعي ، وأبو عبيدة . فأصبح يتدبر تلك الروايات

ويبنى عليها أو يستنتج منها حكمة أو عظة كما فعل الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما . والسبب فى ذلك اتساع اختبارهم وتعودهم النظر والتدبر بما اطلعوا عليه من كتب الادب التى نقلت الى العربية من الفارسية والهندية وكتب المنطق وتحليل القياس ونحوهما عن اليونانية (١)

٢ ــ ان ما ألم بالأمة من تغير الحال لفساد الحكومة وتوالى النكبات على الخلفاء حول هم المفكرين الى نشر الحكم وأخبار الزهد والزهاد وأقوال الحكماء وسير رجال العدل والحزم التى يترتب عليها العظة والاعتبار ، مع الحث على الاقتداء بهم لرد الناس عن غيهم وتعزية المصابين والمظلومين فأخذوا يجمعون ذلك فى كتب الادب

٣ ــ أخذوا يجمعون شتات أخبار العرب على اختلاف موضوعاتها ومصادرها فى كتاب واحد أو بضعة كتب ، وترتيبها فى أبواب مبنية على الحكمة المستفادة منها للاسباب التى قدمناها .. كما فى الموشى والعقد الفريد

٤ ــ تغيرت وجهة الادب فى نظر الادباء ، فقد كان الغرض منه فى الاكثر طلب الرزق فى دور الخلفاء بما كان لهؤلاء من الرغبة فى الاطلاع على أخبار العرب وأشعارها وأمثالها .. فأصبح فى هذا العصر صناعة علمية فى الانشاء والتأليف ، وقل المقتصرون عليها منهم . وانصرفت القرائح فى الاكثر الى الاشتغال بالنحو واللغة ، ولم ينقطع الاشتغال بالادب بالمعنى الذى قدمناه ، وقد اخترنا بضعة منهم غلب عليهم الاشتغال بالادب ، مع اشتغالهم بفنون أخرى من التاريخ أو السياسة أو الشعر ، وهذه تراجمهم حسب سنى الوفاة :

ادباء العصر العباسي الثاني

١ ــ الجاحظ

توفى سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثى بالولاء ، من أهل البصرة ، ويعرف بالجاحظ لجحوظ عينيه . واشتهر بقبح خلقته ، وكان جده أسود اللون جمالا لعمرو بن قلع الكنانى ، وبلغ الجاحظ من الذكاء وجودة القريحة وقوة العارضة والتفكير ما جعله من كبار أئمة الادب . نشأ فى البصرة وهى آهلة بالادباء والنحاة وأصحاب اللغة ونبغ فى كل ذلك . وبلغ خبره الى المتوكل ، وكان عازما على اختيار من يؤدب ولده فاستقدمه اليه فى « سر من رأى » . فلما رآه استبشع منظره ، فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه . وله أخبار كثيرة تتعلق بقبح منظره . وأصيب فى أواخر أيامه بالفالج النصفى ، فكان يطلى نصفه الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته ، والنصف الاخر لو قرض بالمقاريض ما أحس به من شدة برده .

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص١٥٢ وما بعدها

وكان قد اشتهر وذاع صيته فى العالم الاسلامى ، فتقاطر الناس لمشاهدته والسماع منه .. فلا يمر اديب أو عالم بالبصرة الا طلب أن يرى الجاحظ ويكلمه . وكان اذا طلب أحد أن يراه يقول : « وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل » وتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥

وهو امام الادباء فى العصر العباسى الثانى ، وله أساليب ومذاهب وآراء فى الادب واللغة خاصة به ، واشتهر بطريقة فى الانشاء تنسب اليه قلده فيها الناس وعرفت باسمه . فهو قدوة المنشئين وامامهم فى هذا العصر ، كما كان ابن المقفع امامهم فى العصر الاول ، وسنعود الى ذلك

وكان الجاحظ من فضلاء المعتزلة : جماعة المفكرين فى ذلك العهد ، تلقى العلم على أبى اسحق ابراهيم بن سيار البلخى المعروف بالنظام المتكلم المشهور . وكان علم الكلام قد نشأ على أثر نقل الفلسفة والتبحر فيها . وطالع الجاحظ كثيرا من كتب الفلاسفة وانفرد عن سائر المعتزلة بمسائل تابعه بها جماعة عرفوا بالجاحظية . ومن مذهبه أن المعارف كلها ضرورية وليس فيها شىء من أفعال العباد ، وانما هى طبيعية وليس للعباد كسب سوى الارادة . وان العباد لا يخلدون فى النار . وان الله لا يدخل أحدا النار ، وانما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها . وان الله لا يريد المعاصى . ولا يريد بمعنى أنه لا يغلط ولا يصح فى حقه السهو وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام وانما الاعراض تتبدل والجوهر باق ، ونحو ذلك (١)

مؤلفاته

وخلف الجاحظ مؤلفات عدة طبع ونشر كثير منها ، وهاك أهمها :

١ ــ كتاب البيان والتبيين : فى الادب والانشاء وأبحاث فى البيان والخطابة والخطباء والسجع والشعر والشعراء والنساك والزهاد وأمثلة من خطب النبى والخلفاء . وفى اللحن واللحانين وأحاديث ونوادر وغير ذلك ، وهو أصدق مثال للانشاء فى أواسط القرن الثالث للهجرة . وقد طبع سنة ١٣٣١ وغيرها (*)

٢ ــ كتاب الحيوان : هو أقدم كتاب فى علم الحيوان بالعربية . ويختلف عن كتب الحيوان المعروفة بأنه يشتمل على وصف طبائع الحيوانات من حيث علاقتها بالناس . ويتخلل ذلك فوائد أدبية واجتماعية وتاريخية . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٦ فى ٧ مجلدات (**)

٣ ــ كتاب المحاسن والاضداد والعجائب والغرائب : فى اللغة ، طبعه المستشرق فان فلوتن فى ليدن سنة ١٨٩٧ فى ٤٠٠ صفحة ، ثم طبع بمصر سنة ١٩٠٦

٤ ــ كتاب البخلاء : فى الادب طبع غير مرة فى أوربا ومصر

(١) الشهرستانى ٤٠ ج ١
(*) وطبعة عبد السلام هرون طبعة محققة ، وهى التى نرجع اليها فى التعليقات
(**) نشرت مكتبة الحلبى هذا الكتاب بتحقيق عبد السلام هرون

٥ ـ كتاب سحر البيان : فى كوبرلى

٦ ـ كتاب فضائل الاتراك : فى أيا صوفيا ، وطبع بمصر مضبوطا بالشكل سنة ١٨٩٨

٧ ـ كتاب سلوة الحريف فى المناظرة بين الربيع والخريف : طبع بالآستانة سنة ١٣٠٢ وفى مصر ، ٤٤ صفحة

٨ ـ كتاب العرافة والزجر والفراسة : على مذاهب الفرس ، خط فى مكتبة ليدن

٩ ـ المختار من كلام الجاحظ وحكم على : بمكتبة برلين

١٠ ـ رسالة من بنى أمية : فى المكتبة الخديوية

١١ ـ ثلاث رسائل : طبعت فى ليدن ، و ١١ رسالة طبعت بمصر (*)

١٢ ـ كتاب طبقات المغنين : ذكرته مجلة المنتقد (مجلد ٢ ج ٨)

١٣ ـ كتاج التاج : فى جملة كتب زكى (باشا) ، وقد قام على طبعه

وترجمة الجاحظ فى ابن خلكان ٣٨٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٥٤ (**)

٢ ـ السكرى

توفى سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيدالله بن عبد الرحمن بن العلاء السكرى النحوى . وقد ذكرناه بين الرواة والادباء لاشتغاله بجمع الاشعار ، وكان راوية البصريين وهو الذى جمع أهم ما بين أيدينا من أشعار الجاهليين وصدر الاسلام الى أيامه عن القبائل والافراد . فمن الافراد الذين عمل السكرى أشعارهم أى جمعها فى دواوين : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والحطيئة ، ولبيد ، ودريد بن الصمة ، وعمرو بن معديكرب ، والاعشى ، والمهلهل ، ومتمم بن نويرة ، وأعشى باهلة ، وبشر بن أبى خازم ، والمتلمس ، والمسيب ، وحميد بن ثور ، وحميد الارقط ، وعدى بن زيد ، وعدى بن الرقاع ، وغيرهم مما يطول بنا بسطه . وقد ذكرهم ابن النديم فى الفهرست

(*) نشرت للجاحظ بمصر ثلاث مجموعات كبيرة من رسائله ، وهى مجموعة السياسى والمكتبة التجارية ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهى تتضمن بعض الرسائل التى ذكرها له المؤلف ، ونشرت له أيضا رسالة العثمانية بتحقيق عبد السلام هرون ، ونشر له المجمع العلمى العربى بدمشق التبصر بالتجارة بتحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، ونشر له المعهد الفرنسى بدمشق كتاب التربيع والتدوير بتحقيق شارل بلات

(**) وراجع فى ترجمة الجاحظ تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢١٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢١ والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٦٠ والملل والنحل للشهرستانى ص ٥٢ ومروج الذهب للمسعودى ج ٤ ص ١٣٦ ومعجم الادباء ج ١٦ ص ٧٤ وضحى الاسلام ، الجزء الاول ، وتاريخ الفلسفة فى الاسلام لدى بور ص ٦٢ وكتاب أرنولد Arnold فى المعتزلة ص ٣٨ وما بعدها وكارادى فو فى كتابه «مفكرو الاسلام» Les Penseurs de l'Islam ج ١ ص ٢٩٥ والفن ومذاهبه فى النثر العربى ، الفصل الثالث من الكتاب الاول ، وبحثا نشرته دار المعارف فى سلسلة نوابغ الفكر العربى وأمراء البيان لمحمد كرد على وتطور الاساليب النثرية لانيس المقدسى ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٥٢ ج ١

مطولا (صفحة ١٥٧) وذكر بجانب كل شاعر من عمل شعره غير السكرى أيضا . ومن القبائل التى جمع السكرى أشعارها : بنو ذهل ، وبنو شيبان ، وبنو ربيعة ، وبنو يربوع ، وغيرها كثير

فدواوين الشعراء الافراد لايزال بين أيدينا منها جانب ذكرناه فى مواضعه ، وان لم يذكر فى صدور الدواوين من جمعها . ومما ينسب الى السكرى شرح ديوان امرىء القيس . وقد جاء ذكر بعض دواوين الافراد التى جمعها السكرى فى كتب الادب عرضا . أما أشعار القبائل فلم يبق منها الا ديوان الهذليين ، وقد وصل الينا مقتضبا مع شرح قليل . ومنه نسخة خطية فى مكتبتى باريس وليدن . وقد طبع القسم الاول منه فى لندن سنة ١٨٥٤ فى نحو ٣٠٠ صفحة كبيرة ، تحتوى على أشعار نحو ثلاثين شـاعرا من الهذليين وأخبارهم ، وعنوان هذا الجزء « شرح أشعار الهذليين صنعه أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى رواية ابى الحسن على بن عيسى بن على النحوى عن أبى بكر أحمد بن محمد الحلوانى عنه » وفى صدر هذه الطبعة مقدمة انجليزية عن تاريخ هذا الكتاب والمفضليات والحماسة . وهناك كتاب لما بقى من أشعار الهذليين غير ما جمعه السكرى طبع فى برلين سنة ١٨٨٤ (*)

وللسكرى أيضا ، كتاب أخبار اللصوص : فيه أخبار بعض لصوص الاعراب نشرت قطعة منه فى ليدن سنة ١٨٥٩ . وكتاب شرح ديوان جران العود النميرى منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية . وكتاب النبات ضاع

وترجمة السكرى فى طبقات الادباء ٢٧٤ ، ومعجم الادباء ٦٢ ج ٣ ، والفهرست ٧٨ و ١٥٧ و ١٥٩ (**)

٣ ــ ابن قتيبة

توفى سنة ٢٧٦ هـ

هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى . ولد فى الكوفة سنة ٢١٣ ، وتثقف على أهلها ، وسكن بغداد وتولى قضاء الدينور فنسب اليها . وكان عالما فى اللغة والنحو والشرع متفننا فى العلوم صادقا فيما يرويه ، مستقل الفكر جريئا فى قول الحق . وهو أول من تجرأ على النقد الادبى ، فألف فى أكثر فنون الادب المعروفة . والباقى من مؤلفاته الى اليوم حسن وشائع ، وبعضها من أمهات كتب التاريخ والادب . وهاك ما وصل الينا خبره منها :

١ ــ عيون الاخبار : فى عشرة كتب : كتاب السلطان ، كتاب الحرب ، كتاب السؤدد ، كتاب الطبائع والاخلاق ، كتاب العلم بأخبار العلم والعلماء ، كتاب الزهد ، كتاب الاخوان ، كتاب الحوائج ، كتاب الطعام ، كتاب النساء ، طبع فى ويمار سنة ١٨٩٨ بعناية بروكلمن ، وفى مصر . ومنه نسخ خطية فى

(*) نشرت دار الكتب المصرية ديوان الهذليين نشرة كاملة كما نشرت ديوان جران العـود الآتى ذكره

(**) وانظر فى السكرى تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٩٦ وطبقات الزبيدى ص ١٢٩ ومعجم الادباء ج ٨ ص ٩٤ وأنباه الرواة ج ١ ص ٢٩١ وبغية الوعاة ص ٢١٨

مكاتب بطرسبرج والاستانة ، وهو أول كتاب من نوعه فى أمهات كتب الادب.

٢ ـ كتاب المعارف : هو من قبيل كتب التاريخ العام ومن أقدمها . فيه خلاصة تاريخ الخلق والانبياء وأنساب العرب وسيرة النبى ومغازيه وأخبار الصحابة والتابعين والقراء ورواة الشعر وصناعات الاشراف وأهل العاهات ونوادر الحوادث والاديان وأخبار ملوك العرب والعجم ، وقد طبع فى غوتنجن بعناية وستنفيلد سنة ١٨٥٠ وفى مصر سنة ١٣٠٠

٣ ـ كتاب الشعر والشعراء : ويسميه بعضهم طبقات الشعراء أو كتاب الشعراء أو أخبار الشعراء، وكلها واحد. وهو يحتوى على تراجم «المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الادب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم فى الغريب وفى النحو وفى كتاب الله » ويدخل فى ذلك أخبار أشهر شعراء الجاهلية وصدر الاسلام الى أيام المؤلف وأمثلة من أشعارهم ، وفيه نظر وانتقاد . وقد طبع فى ليدن بعناية دى غويه سنة ١٩٠٤ ، وفى مصر سنة ١٩٠٥

٤ ـ أدب الكاتب : يبحث فيما يحتاج اليه الاديب فى صناعة الكتابة من الآداب والعلوم واصلاح ما كان يقع فيه الكتاب بأيامه من الخطأ أو الوهم فى معانى الالفاظ أو الاشتقاقات والتراكيب ، مما نحن فى حاجة اليه حتى اليوم . وقد قسم ذلك الى أبواب فى اقامة الهجاء وتقويم اللسان والابنية . وقد لخص هذا الكتاب وشرح غير مرة ، ومنه نسخ خطية فى المتحف البريطانى ومكاتب فينا وبطرسبرج . وقد طبع فى ليبسك سنة ١٨٧٧ مع خلاصة انجليزية لسيرول ، وطبع أيضا فى مصر مرارا . وله شروح عدة أشهرها شرح البطليوسى المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ، طبع فى بيروت سنة ١٩٠١ ويعرف بالاقتضاب

٥ ـ الامامة والسياسة : هو تاريخ الخلافة وشروطها بالنظر الى طلابها من وفاة الرسول الى عهد الامين والمأمون . طبع بمصر سنة ١٩٠٠ ، وفى ليبسك ، ومنه نسخ خطية فى مكاتب باريس ولندن ومصر

٦ ـ كتاب الشراب أو الاشربة : فى اختلاف العلماء فيما يحل من الاشربة أو يحرم . منه نسخة خطية فى لندن وفى المكتبة الخديوية ، وطبع بمصر سنة ١٩٠٧ وفى دمشق بعناية محمد كردعلى

٧ ـ كتاب التسوية بين العرب والعجم وتفضيل العرب : هو ضد الشعوبية ، نقل منه صاحب العقد الفريد فصلا فى صفحة ٧١ج ٢ ، ونشرت له مجلة المقتبس رسالة فى الرد على الشعوبية (مجلد ٤)

٨ ـ تأويل مختلف الحديث : منه نسخ خطية فى مكتبتى برلين وليدن

٩ ـ كتاب مشكل القرآن : منه نسخ خطية فى مكتبة ليدن وكوبرلى (*)

١٠ ـ المشتبه من الحديث والقرآن : منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية

(*) طبع فى القاهرة هذا الكتاب والكتاب السابق له

١١ ــ كتاب المسائل والجوابات : أكثره فى الحديث ، منه نسخة فى مكتبة غوطا

١٢ ــ كتاب اللبأ واللبن ، طبعه اليسوعيون

وقد ذكر صاحب الفهرست كتبا أخرى لابن قتيبة أهمها كتاب « معانى الشعر الكبير » فى ١٢ كتابا (*) . وفى مكتبة أيا صوفيا بالآستانة ، نسخة من كتاب اسمه « الشعر الكبير » لابن قتيبة لعله هو أو بعضه . وكتاب « عيون الشعر » فى عشرة كتب ، وغير ذلك من كتب النحو والادب والحديث واللغة . ووقف الأب شيخو على كتاب ينسب الى ابن قتيبة لم يذكره صاحب الفهرست ولا غيره ، نعنى كتاب « الرجل والمنزل » وجده فى مكتبة الظاهر بدمشق ونشره فى السنة ١١ من المشرق . وهو من قبيل مفردات اللغة التى ذكرناها للاصمعى وأبى عبيدة . وفى كتب الشنقيطى بالمكتبة الخديوية نسخة من كتاب خطى اسمه « كتاب العرب وعلومها » لابن قتيبة

وترجمة ابن قتيبة فى ابن خلكان ٢٥١ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٧٢ ، والفهرست ٧٧ (**)

٤ ــ ابن أبى الدنيا

توفى سنة ٢٨١ هـ

هو أبو بكر عبيد الله بن محمد بن عبيد مولى قريش ، كان يؤدب المكتفى بالله . وله علم بالاخبار ، وذكر له الفهرست مؤلفات كثيرة فى الادب والاخبار لم يصلنا منها الا :

١ ــ الفرج بعد الشدة : مجموع أخبار اتفقت لأناس أصابهم فيها بعد الشدة فرج . منه نسخ فى برلين وليدن وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ ، نحا فيه منحى المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥ أول من ألف فى هذا الموضوع . ثم قلدهما سواهما حتى انتهى ذلك الى القاضى التنوخى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، فألف كتابه الفرج بعد الشدة طبع بمصر سنة ١٩٠٤ فى مجلدين وفى مقدمته تاريخ التأليف فى هذا الموضوع

٢ ــ مكارم الاخلاق

٣ ــ ذم الملاهى : من هذا الكتاب وسابقه نسختان خطيتان فى برلين

٤ ــ فضائل عشر ذى الحجة : فى لندن

٥ ــ كتاب من عاش بعد الموت : فى منشن

(*) طبع هذا الكتاب فى الهند

(**) وراجع فى ترجمة ابن قتيبة تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٧٠ وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٨٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٦٩ ولسان الميزان ج ٣ ص ٣٥٧ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٧٠ والانساب للسمعانى ٢٤٣ أ وطبقات الزبيدى ومرآة الجنان ٢ ص ١٩١ واللباب لابن الاثير ج ٢ ص ٢٤٢ وانباه الرواة ج ٢ ص ١٤٣ وبغية الوعاة ص ٢٩١ وكتب التاريخ فى سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

٦ ـ اليقين : فى كوبرلى بالآستانة
٧ ـ الشكر : فى نور عثمانية
٨ ـ قرى الضيف : فى مكتبة لاندبرج

وترجمة ابن أبى الدنيـــا فى فوات الوفيات ٢٣ ج ١ ، والفهرست ١٨٥ (*)

٥ ـ قدامة بن جعفر

توفى سنة ٣٣٧ هـ

هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادى ، كان أبوه نصرانيا وأسلم فى أيام المكتفى (سنة ٢٨٩ ـ ٢٩٥) وتولى منصبا كبيرا فى الدولة العباسية . وكان أديبا شاعرا ، ألف كتبا كثيرة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٠) لم يصلنا منها الا :

١ ـ كتاب نقد الشعر : وهو أول كتاب مستقل فى هـــذا الموضوع ، وسنعود اليه . طبع فى الاستانة سنة ١٣٠١

٢ ـ كتاب نقد النثر : ويعرف بكتاب البيان ، منه نسخة خطيـــة فى الاسكوريال (**)

٣ ـ كتاب الخراج : سيأتى ذكره فى الكلام على الجغرافية (***)

٦ ـ الوشاء

فى القرن الثالث

هو أبو الطيب محمد بن أحمد بن اسحق الاعرابى الوشاء ، احد الادباء الظرفاء فى أواخر القرن الثالث للهجرة . غلب عليه تصنيف كتب الاشعار والاخبار ، ذكر له صاحب الفرست نحو ٢٠ كتابا فى النحو والادب لم يصلنا منها الا كتابان :

١ ـ كتاب الموشى : وهو فريد فى بابه يمثل آداب ذلك العصر ، ويتخلله كثير من المواعظ والحث على المصادقة والاخلاص والتعفف . وفيه وصف الازياء التى كانت شائعة يومئذ على اختلاف الطبقـــات . وما اختير من الالفاظ للمكاتبات . وفيه فصول ضافية فيما كانوا يكتبونه من الاشعار على الثياب والاعلام والعصائب والزنانير والمناديل والستور والوسائد حتى النعال ، وعلى المجالس وأنية الشراب والعيـــــدان . فهو فريد فى بابه ،

(*) وانظر فى ترجمة ابن أبى الدنيا ومؤلفاته دائرة المعارف الاسلامية

(**) طبعت جامعة القاهرة هذا الكتاب وقد راجعه وقدم له طه حسين وعبد الحميد العبادى

(***) راجع فى ترجمة قدامة تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٠٥ ومعجم الادباء ج ١٧ ص ١٢ وكشف الظنون « طبعة ليبسك » ج ٣ ص ٦١٩ وسنة وفاته فى تاريخ ابن الجـــوزى وكتب التاريخ المختلفة

ومنه نسخة خطية فى ليدن . وقد طبع فيها سنة ١٨٨٧ ، وفى مصر سنة ١٣٢٤ ، وسموه كتاب الظرف والظرفاء

٢ ـ كتاب تفريج المهج وسبب الوصول الى الفرج : منه نسخة خطية مختصرة فى مكتبة برلين . وتجد أخبار الوشاء فى الفهرست ٨٥ ، وطبقات الادباء ٣٧٤ (*)

٧ ـ ابن عبد ربه
توفى سنة ٣٢٨ هـ

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبى ، صاحب العقد الفريد . أصله من موالى بنى أمية فى الاندلس توفى سنة ٣٢٨ وكان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس . وكان شاعرا مطبوعا . وانما اشتهر بكتابه العقد الفريد . وفى شعره ميل الى الشعر القصصى أى سرد القصة شعرا ، وهو قليل فى العربية . له فيه أرجوزة قص فيها تاريخ عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس حسب السنين . وكان معاصرا له ، وهى منشورة فى الجزء الثانى من العقد الفريد

العقد الفريد

أما العقد الفريد فانه من أجل كتب الادب وأوسعها ، أو هو كالخزانة حوت خلاصة علوم ذلك العصر .. حتى الطب والموسيقى ، فضلا عن الاخبار والانساب واللغة والامثال والشعر والعروض وقواعده . وهو فى ثلاثة مجلدات تزيد صفحاتها على ألف صفحة كبيرة وهو مقسم حسب الموضوعات وقد تأنق صاحبه فى تقسيمه وتسمية أبوابه ، فسماها بأسماء الحجارة الكريمة تطبيقا لاسم الكتاب « العقد الفريد » . ويشتمل الجزء الاول على السلطان والحروب والاجواد والاصفاد والوفود والعلم والادب والامثال والمواعظ . والثانى فى التعازى والمراثى والنسب وفضائل العرب وكلام الاعراب والاجوبة والخطب والتوقيعات وأخبار الكتبة . والثالث فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة وأيام العرب ووقائعها وفضائل الشعر وعلم الالحان والنساء والمتنبئين والبخلاء وطبائع الانسان وفى الطعام والشراب

وفى بعض هذه الابواب فصول تاريخية لا تجد مثلها فى كتب التاريخ ، فأخبار زياد والحجاج والطالبيين فيها حقائق يعز العثور عليها فى كتاب آخر . وناهيك بأيام العرب وأعاريض الشعر وما هناك من أخبار الخوارج والازارقة فضلا عن كثير من الاقوال المأثورة عن عظماء الملوك ، نقلا عن كتب ضاعت أصولها . فالعقد الفريد خزانة فوائد ، وهو من أمهات كتب الادب الموثوق بها . ويؤخذ من مطالعته انه حوى خلاصة ما فى الكتب السالفة

(*) وانظر فى الوشاء معجم الادباء ج ١٧ ص ١٣٢ والانساب ٨٤م أ وأنباه الرواة ج ٣ ص ٦١ وتاريخ بغداد ج ١ ص ٢٥٣ وبغية الوعاة ص ٧ والمنتظم « تاريخ ابن الجوزى » فى وفيات سنة ٣٢٥ والوافى بالوفيات « طبعة استانبول » ج ٢ ص ٣٢ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٢٨

يومئذ للاصمعى وأبى عبيدة والجاحظ وابن قتيبة وابن الكلبى وغيرهم غير القرآن والحديث والتوراة والانجيل . ولم يقتصر فيما جمعه على ما عرفه العرب ، بل نقل عن الكتب التى ترجمت الى العربية فى ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية وهو يشير الى ذلك فى كلامه . وقد طبع العقد الفريد مرارا ، وهو شائع . ومنه نسخ خطية فى أكثر مكاتب أوربا . وليس له سواه

وترجمة ابن عبد ربه فى ابن خلكان ٣٢ ج ١ ، ومعجم الادباء ٦٧ ج ٢ ، ويتيمة الدهر ٣٦٠ و ٤١٢ ج ١ (*)

٨ — أبو بكر الصولى

المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

هو محمد بن يحيى الصولى ، ويعرف بالشطرنجي ، ويتصل نسبه بملوك جرجان . كان عالما بفنون الادب حسن المعرفة بآداب الملوك ، حاذقا فى تصنيف الكتب ، وأمهر أهل زمانه فى لعب الشطرنج ، وكان نديما لجماعة من الخلفاء ، وجمع أشعار كثيرين كما فعل السكرى بأشعار القدماء ، وقد أشرنا الى شىء من ذلك فى أماكنه كديوان ابن المعتز وديوان أبى تمام وأبى نواس والبحترى . وألف فى أخبار الخلفاء وأشعارهم كتابا سماه « الاوراق فى أخبار آل العباس وأشعارهم » قال ابن النديم : « انه لم يتمه ، والذى خرج منه اخبار الخلفاء واشعار أولاد الخلفاء من السفاح الى أيام المعتز » . ولكن فى المكتبة الخديوية نسخة بهذا الاسم للصولى هى من قبيل أخبار الشعراء (**) رتب اسماءهم على حروف الهجاء ، وفيه أخبار كثيرة عن ابان اللاحقى شاعر البرامكة وابنائه الشعراء : كمحمد بن ابان ، وابان بن حمدان بن ابان ، وغيرهما . واخبار اشجع ابن عمرو السلمي واشعاره مرتبة فى ابواب ، واحمد بن يوسف وزير المأمون وكاتب دولة بنى العباس وتوقيعاته وكلامه فضلا عن اشعاره . وجاء فى آخر الكتاب انه شرع فى ترجمة اسحق بن ابراهيم الموصلى ، وتوفى قبل ان يتمها . وذلك يختلف عما ذكره ابن النديم

وله كتب أخرى هامة ذكرها كشف الظنون ولم نقف عليها . واخباره فى طبقات الادباء ٣٤٣ ، والفهرست ١٥٠ و ١٥٦ (***)

(*) وراجع فى ابن عبد ربه مطمح الانفس لابن خاقان « طبعة استانبول » ص ٥١ وبغية الوعاة للسيوطى ص ١٦١ وابن عبد ربه وكتابه العقد لجبرائيل جبور ، وبحثا آخر فيه لفؤاد افرام البستاني وانظر دائرة المعارف الاسلامية وكتاب تاريخ الفكر الاندلسى لبالنثيا ترجمة حسين مؤنس ص ٦٢ ، ١٦٩ وما بعدها

(**) نشرت قطع من هذا الكتاب بتحقيق دن Dunne كما نشر للصولى فى القاهرة أيضا كتاب أخبار أبى تمام وكتاب الورقة وكتاب أدب الكتاب

(***) وانظر فى ترجمة الصولى كتاب الانساب ١٣٥٧ وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٤٢٧ وروضات الجنات ص ٦٠٩ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٣٩ والفلاكة والمفلوكين ص ١٠٣ واللباب فى الانساب ج ٢ ص ٦٣ ولسان الميزان ج ٥ ص ٤٢٧ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣١٩ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ١٠٩ والنجوم الزاهرة « طبع دار الكتب » ج ٢ ص ٢٩٦ وانباه الرواة ج ٣ ص ٢٣٣ وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته

ادباء آخرون

ومن الادباء والرواة فى هذا العصر أيضا أبو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢هـ، وجحظة البرمكى (٣٢٦ هـ) وأبو بكر بن مروان الدينورى المالكى المتوفى سنة ٣١٠ .. له كتاب المجالسة وفيـــه اخبار وآداب منه نســخة فى باريس . وابراهيم ابن ابى عون الكاتب توفى سنة ٣٢٢ ، وله كتاب لب اللباب فى جوابات ذوى الالباب منه نسخة فى برلين . وابو الازهر بن مزيد النحوى (٣٢٥) له اخبار عقلاء المجانين فى الاسكوريال . (ولأبى القاســم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٦ كتاب بهذا الاسم فى مكتبة برلين) وابو بكر الخرائطى السامرى المتوفى سنة ٣٢٧ ، له كتاب اعتلال القلوب فى المكتبة الخديوية ومكارم الاخلاق فى ليدن

الانشاء فى العصر العباسى الثانى

رأيت ما كان من أسلوب الانشاء فى صدر الاســـلام وما كان فيه من البلاغة والايجاز حتى انتهى فى العصر الاموى الى عبد الحميد الكاتب ، فأطال الرسائل وادخل التحميدات فى فصول الكتب . فلما كان العصر العباسى الاول نبغ ابن المقفع . وهو امام المنشئين فى ذلك العصر كما يظهر فى ترجمة كليلة ودمنة ، وهو انشاء مرسل بلا تسجيع ولا تقطيع

اسلوب ابن المقفع

لكنه كان اذا أراد التأنق فى الانشاء فى معرض الخطابة أو التهـديد أو التنبيه ، عمد الى السجع ونوع عبارته تنويعا خاصا كما فعل فى كتبـه الاخرى ولا سيما الادب الكبير والادب الصغير . فمن ذلك قوله فى الأدب الكبير :

« اذا كان سلطانك عند جدة دولة .. فرأيت أمرا استقام بغير رأى ، وأعوانا جزوا بغير نبل ، وعملا انجح بغير حزم ، فلا يغرنك ذلك ولا تستنم اليه فان الامر الجديد مما تكون له مهابة فى انفس أقوام وحلاوة فى انفس آخرين »

وقد يتفنن فى تقطيعه كقوله : «وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم أجسادا ، وأوفر مع أجسادهم أحلاما ، وأشد قسوة وأحسن بقوتهم للأمور اتقانا ، وأطول أعمارا وأفضل بأعمارهم للأشياء اختبارا »

وفى كل حال لابد من التمييز بين انشاء الكتب وانشـــاء الرسائل أو المقالات الادبية ونحوها ، فانشاء الكتب لايزال مرسلا بلا سجع أو تقطيع مثل كتاب كليلة ودمنة . وأما الرسائل أو المقالات الادبية أو الفصول التى يصدرون بها الكتب ، فهى من قبيل الخطب . فالكاتب يتأنق فيها ويبذل جهده فى تنميقها ، كما فعل ابن المقفع فى كتابه الادب الكبير التى أتينـــا بالمثالين المذكورين منها .. فالتنويع الذى يصيب الانشاء بتوالى العصور انما يقع على هذا الانشاء فى الغالب ، وما يصدق عليه يصدق على الخطب

أسلوب الجاحظ

فلما كان العصر العباسي الثاني، نبغت طبقة من الكتاب المنشئين لايشق لهم غبار ، امامهم الجاحظ .. وضع اسلوبا فى الانشاء قلدوه فيه . وذلك انه جعل الجملة قطعا صغيرة كالشعر ، لكن بدون وزن ولا قافية ، أو هو سجع لا تشترط فيه القافية كقوله : « جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة سببا وبين الصدق نسبا ، وحبب اليك التثبت ، وزين فى عينك الانصاف ، واذاقك حلاوة التقوى ، واشعر قلبك عز الحق ، واودع صدرك برد اليقين ، وطرد عنك ذل اليأس .. ألخ »

وقد ادخل الدعاء حشوا معترضا يوجه الى المخاطب بصيغة المفرد كقوله :

« وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة ، وسقطات الخطل يوم اطالة الخطبة ، بأعظم مما يحدث عن العى من اختلال الحجة، وعن الحصر من فوات درك الحاجة ، والناس لا يعيرون الخرس ، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز ، وهم يذمون الحصر ويؤنبون العى .. ألخ »

وهذا الاسلوب فى الانشاء ينسب الى الجاحظ ، وقد توخاه معاصروه فنسجوا على منواله كابن قتيبة والمبرد وابن ثوابة وغيرهم . ومن أمثلة ذلك قول حمزة الأصفهانى جامع ديوان أبى نواس — فانه من أهل العصر الثانى وأسلوبه كأسلوب الجاحظ — قال فى مقدمة الديوان المذكور :

« سألتنى ابقاك الله وأعلى قدرك وبلغك أقصى أملك ، وزادك من أفضل ما خولك ، وأحسن ما منحك ، ولا أعدمك جميل ما عودك ، ان اصرف لك عنايتى الى عمل مجموع من شعر أبى نواس.. يشتمل على كل اشعاره ، وجل اخباره.وقد اسعفتك ايدك الله بطلبتك واجبتك الى ملتمسك..ألخ»

وهم يرون النزوع الى هذا التكرار أكثر ابلاغا للمعنى واشد تأثيرا فى النفس ، حتى رأيناهم ينتقدون ما كان شائعا من الايجاز فى صدر الاسلام كقول يزيد لما كتب الى مروان حين بلغه تلكؤه فى بيعته : « أما بعد .. فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فاعتمد على أيهما شئت » قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب : « ان هذا لو قيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب ، والصواب ان يطيل ويكرر ويعيد ويبدىء ويحذر وينذر .. »

ولا يؤخذ من ذلك ان تكون أساليب الكتاب فى ذلك العصر واحدة من كل وجه ، فان ذلك غير طبيعى . والطبيعى ان يكون لكل كاتب أسلوب يعرف به . ولكن أبناء العصر الواحد تتشابه أساليبهم ، ويغلب ان يكون أحدهم مقداما يسيرون على خطواته فيقلدونه فى أسلوبه كل منهم جهد طاقته . والجاحظ فى هذا العصر امام أهل الادب وقدوة المنشئين

كساد البضاعة

وأصاب صناعة الادب فى هذا العصر كساد كما أصاب الشعر ، للأسباب

التى قدمناها من فساد الدولة واشتغال الملوك والامراء عن التنشيط ، وانصرف الناس الى الفلسفة والطبيعيات والمنطق من العلوم الحادثة عندهم ، وشيوع الشعوبية والطعن على العرب وكفاءتهم وعلومهم .. فأصبح الادباء يشكون كساد بضاعة الادب وفساد عقيدة الناس بالفلسفة وتقاعد الادباء عن اتقان صناعة الانشاء

قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب : « رأيت كثيرا من كتاب زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة ، واستوطأوا مركب العجز ، واعفوا أنفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب الفكر ، حين نالوا الدرك بغير سبب ، وبلغوا البغية بغير آلة . ولعمرى لئن كان ذلك ، فأين همة النفس وأين الانفة من مجانسة البهائم . وأى موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه ، وارتضاه لسره فقرأ عليه يوما كتابا ..وفى الكتاب (ومطرنا مطرا كثر عنه الكلأ) فقال له الخليفة ممتحنا : (وما الكلأ ؟) فتردد فى الجواب وتعثر لسانه ثم قال : (لا أدرى) فقال له : (سل عنه) وفى مقام آخر فى مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتابا ذكر فيه (حاضر طى) فصحفه تصحيفا اضحك منه الحاضرين »

ذلك ما بعث ابن قتيبة على وضع كتابه المشار اليه ، وذكر الشروط اللازمة لطالب هذه الصناعة . ولا سيما سعة الاطلاع فى العلوم الاسلامية والادبية فضلا عن اللغوية ، كاقامة الهجاء وتقويم اللسان وضبط الابنية

ومن انتقاده فساد عقيدة الادباء فى عصره قوله :

« رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الادب ناكبين ، ومن اسمه متطيرين ولاهله كارهين . أما الناشىء منهم فراغب عن التعليم ، والشادى تارك للازدياد ، والمتأدب فى عنفوان الشباب ناس أو متناس ليدخل فى جملة المجدودين ويخرج عن جملة المحدودين ، فالعلماء مغمورون وبكثرة الجهل مقموعون ، حين خوى نجم الخير وكسدت سوق البر ، وبارت بضائع أهله ، وصار العلم عارا على صاحبه ، والفضل نقصا ، وأموال الملوك وقفا على النفوس ، والجاه الذى هو زكاة الشرف يباع بيع الخلق، وآضت المروءات فى زخارف النجد وتشييد البنيان ، ولذات النفوس فى اصطفاق المزاهر ، ومعاطاة الندمان . ونبذت الصنائع وجهل قدر المعروف ، وماتت الخواطر ، وسقطت همم النفوس ، وزهد فى لسان الصدق، فأبعد غايات كاتبنا فى كتابته أن يكون حسن الخط قويم الحروف، وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا فى مدح قينة أو وصف كأس ، وارفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب ، وينظر فى شىء من القضاء وحد المنطق ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدرى من نقله .. الخ »

وتكاثر دعاة الانشاء فى ذلك العصر عن غير معرفة ، وتوهموا انه يحلو بالاكثار من اللفظ الغريب ، فأنحى عليهم ابن قتيبة باللائمة . وأتى مثلا

على ذلك بقول يحيى بن يعمر لرجل خاصمته امرأته فقال له : «ان سألتك ثمن شكرها وشبرك انشأت تطلها وتضهلها» وكقول عيسى بن عمر ويوسف ابن عمر بن هبيرة يضربه بالسياط : « والله ان كانت الا اثيابا فى اسيفاط قبضها عشاروك » قال ابن قتيبة : « فهذا واشباهه كان يستثقل والادب غض ، والزمان زمان ، واهله يتحلون فيه بالفصاحة ، ويتنافسون فى العلم ، ويرونه تلو القدار فى درك ما يطلبون وبلوغ ما يؤملون ، فكيف به اليوم مع انقلاب الحال ؟ »

***

والمشهور ان عمدة كتب الادب والانشاء أدب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر لابى على القالى . ونزيد عليها العقد الفريد لابن عبد ربه والاغانى لابى الفرج الاصفهانى . واذا أريد الانشاء خاصة فكليلة ودمنة وسائر كتب ابن المقفع . وكلها مطبوع

ذلك كان شأن الانشاء فى العصر العباسى الثانى وأكثر أدبائه من المنشئين وسيخطو خطوة أخرى فى العصر الآتى

النحو والنحاة

فى العصر العباسى الثانى

قد تقدم ان ادباء هذا العصر يجوز عدهم من النحاة لأنهم اشتغلوا فى النحو ، وانما جعلنا أكثرهم من الادباء واللغويين لانهم اكتفوا من النحو بكتاب سيبويه ، ولم يتصدوا لتأليف كتاب يقوم مقـامه .. فانصرفت قرائحهم الى ما دعت اليه المدنية من الاشتغال بالادب واللغة ، وأصبح تأليفهم فى النحو من قبيل الكماليات وان كان قد ألف بعضهم فيه مختصرات أو فى بعض أبوابه أو تعليقا على كتاب سيبويه .. فان أصحاب هـذه المختصرات أو التعليقات وغيرهم من الادباء صرفوا عنـايتهم الى الادب واللغة

على ان بعضهم غلب عليه الاشتغال بالنحو ، فنتكلم عنهم فى هـذا الباب ونذكر ما وصل الينا من مؤلفاتهم ، وهم :

اشهر النحاة فى هذا العصر

١ ـ أبو عثمان المازنى

توفى سنة ٢٤٩ هـ

هو أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازنى من أهل البصرة.. اخذ عن أبى عبيدة والاصمعى ، واليه انتهى النحو فى عصره فكان هو شيخ أهله . وله مؤلفات كثيرة فى النحو والعروض لم يصلنا منها شىء . وهو الذى امتنع عن تعليم الذمى كتاب سيبويه مع ما بذله له من المال ، لئلا يمكنه مما حواه من الآيات . وقد عاصر الواثق بالله والمتوكل على الله وجالسهما ونال جوائزهما ، ومن جملتها جائزة على أعراب

أظلومُ إنَّ مصابكم رجـلا   أهدى السـلام تحيةً ظلمُ

فى حديث طويل . وكان المازنى معاصرا لابى عمر الجرمى المتوفى سنة ٢٢٥ هـ ، وهما عمدة النحو فى البصرة يومئذ . والمازنى أول من دون علم التصريف ، وكان قبل ذلك مندرجا فى علم النحو

وترجمته فى ابن خلكان ٩٢ ج ١٠ ، ومعجم الادباء ٣٨٠ ج ٢ ، وطبقات الادباء ٢٤٢ (*)

٢ ــ أبو العباس ثعلب

توفى سنة ٢٩١ هـ

هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوى مولى بنى شيبان ، ويعرف بثعلب ، ولد سنة ٢٠٠ هـ ، وتلقى العلم على ابن الاعرابى . وكان حجة مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم ، فضلا عن النحو واللغة . وكان امام الكوفيين والبصريين فى زمانه ، أقام فى بغداد وتوفى فيها سنة ٢٩١ هـ ، وألف فى أكثر فنون الادب نحو ٢٢ كتابا ذهب معظمها . واليك ما وصل الينا خبره منها :

١ ــ كتاب الفصيح : ويعرف بفصيح ثعلب ، اختار فيه الفصيح من كلام العرب مما يجرى فى كلام الناس ، طبع ليبسك سنة ١٨٧٦ فى نحو ٧٠ صفحة . وقد ألف انتقادا عليه أبو القاسم على بن حمزة البصرى سماه كتاب التنبيه على ما فى الفصيح من الغلط ، منه نسخة خطية فى الاسكوريال. وللشيخ أبى سهل الهروى شرح على الفصيح، سماه التلويح فى شرح الفصيح طبع بمصر سنة ١٢٨٩ ، ومعه ذيل على الفصيح لموفق الدين البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩ . وشرحه أيضا أبو العباس الترمذى شرحا سماه شرح غريب الفصيح ، منه نسخة خطية فى مكتبة نور عثمانية بالآستانة . وقد كتب الزجاج نقدا عليه منه نسخة فى كتب الشنقيطى بالمكتبة الخديوية

٢ ــ كتاب قواعد الشعر : جاء فى أوله ان قواعد الشعر أربع : أمر ونهى وخبر واستخبار ، وأتى بأمثلة عليها من أقوال الشعراء الفحول .. منه نسخة خطية فى الفاتيكان، وقد طبع فى ليدن سنة ١٨٩٠ فى ٤٢ صفحة

٣ ــ شرح ديوان زهير : منه نسخة خطية فى مكتبة الاسكوريال (**)

٤ ــ شرح ديوان الاعشى : فى تلك المكتبة أيضا (***)

٥ ــ كتاب الامالى : ذكره صاحب المزهر وخزانة الادب ، منه نسخة خطية فى مكتبة برلين . وفى المكتبة الخديوية نسخة منه باسم مجالس ثعلب فى ١٣٢ ورقة (****)

(*) وراجع فى ترجمة المازنى طبقات النحويين البصريين للسيرافى « طبعة كرنكو » ص ٧٤ والانساب ٥٠٠ ب وتاريخ بغداد ٧ ص ٩٣ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١١٣ وطبقات القراء لابن الجزرى ج ١ ص ١٧٩ والفلاكة والمفلوكين ص ٧٠ وطبقات الزبيدى ص ٥٧ ولسان الميزان ج٢ ص ٥٧ وانباه الرواة ج ١ ص ٢٤٦ وبغية الوعاة ص ٢٠٢ وطبقات ابن قاضى شهبة ج١ ص٢٨١

(**) طبعت دار الكتب هذا الشرح لديوان زهير

(***) هذا الشرح أحد الشروح التى اعتمد عليها جابر فى نشر ديوان الاعشى

(****) نشر عبد السلام هرون هذه المجالس بمكتبة دار المعارف

أخباره فى ابن خلكان ٣٠ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٩٣ ، ومعجم الادباء ١٣٣ ج ٢ ، والفهرست ٧٤ (*)

٣ ـ أبو اسحق الزجاج
توفى سنة ٣١١ هـ

هو أبو اسحق ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج .. سمى بذلك لانه كان يخرط الزجاج ، تلقى العلم على المبرد وكان يدفع له الاجر بمشقة لقلة ذات يده . ثم طلب بعضهم معلما من المبرد فدلهم عليه ، وصار مؤدبا للقاسم بن عبيد الله بن سليمان .. فكان ذلك سبب غناه . وله مؤلفات كثيرة ، هاك ما بقى منها :

١ ـ كتاب سر النحو : منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية بخط قديم جدا ، تشتمل على باب ما ينصرف وما لا ينصرف . وفى آخره ما نصه : « قرأه على أبو جعفر أحمد بن محمد مسمار فى صفر سنة ٣٥١ الخ .. » ولم يرد ذكر هذا الكتاب بين مؤلفات الزجاج فى الفهرست

٢ ـ كتاب الابانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم : منه نسخة فى غوطا

٣ ـ كتاب خلق الانسان فى اللغة : وفيه أسماء أعضاء الانسان ، ومنه نسخ خطية فى المتحف البريطانى وفى المكتبة الخديوية

٤ ـ كتاب معانى القرآن : منه نسخ فى نور عثمانية بالآستانة وفى المكتبة الخديوية . وتجد أخبار الزجاج فى ابن خلكان ١١ ج ١ ، ومعجم الادباء ٤٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٠٨ ، والفهرست ٦٠ (**)

٤ ـ ابن الانبارى

هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانبارى ، من أهل الانبار ، وهو غير كمال الدين الانبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ . كان أبوه أبو محمد الانبارى من أهل الاخبار والنحو ، فتلقى ابنه العلم عنه وعن ثعلب.

(*) وانظر ترجمة ثعلب فى تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٠٤ وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢١٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٠٧ وطبقات الزبيدى ص ٩٩ وطبقات القراء لابن الجزرى ج ١ ص ١٤٨ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٢١٩ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٢٥٢ وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٢٧٥ والنجوم الزاهرة ج ٣ص ١٣٣ وبغية الوعاة ص ١٧٢ وأنباه الرواة ج ١ ص ١٣٨ وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وراجع فى الزجاج أخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ١٠٨ والانساب ١٧٢ أ وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٨٩ وتهذيب الاسماء و اللغات ٢ ص ١٧٠ وروضات الجنات ص ٤٤ وشذرات الذهب ٢ ص ٢٥٩ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ١٦٥ واللباب ج ١ ص ٣٩٧ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٠٨ وبغية الوعاة ص ١٧٩ وطبقات الزبيدى ص ٨١ وانباه الرواة ج ١ ص ١٥٩ وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته

وكان يضرب به المثل بسرعة الخاطر وحضور البديهة . وكان قوي الذاكرة يملي علمه مما حفظه في ناحية ، وأبوه في ناحية أخرى من المسجد في بغداد. وكان ابن الانبارى يحفظ ٣٠٠٠٠٠ بيت شعر وشاهد في القرآن ، وقيل كان يحفظ ١٢٠ تفسيرا للقرآن بأسانيدها وذلك من غرائب الحفظ . والف في النحو واللغة والادب والقرآن والحديث . وكان يطيل التأليف ، فمن كتبه كتاب غريب الحديث .. قالوا انه ٤٥٠٠٠ ورقة وشرح الكافي ١٠٠٠ ورقة وقس عليهما . واليك ما وصلنا من كتبه :

١ ـ كتاب الاضداد في النحو : طبع في ليدن سنة ١٨٨١ ، وفي مصر سنة ١٩٠٧

٢ ـ كتاب الزاهر : في معاني كلمات الناس ، منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلى بالاستانة . وسيأتي ذكره في كلامنا عن الزاهر للزجاجي

٣ ـ شرح المفضليات : منه نسخ خطية في اياصوفيا وينى جامع والمكتبة الخديوية (*)

٤ ـ كتاب الايضاح في الوقف والابتداء : منه نسخة في المتحف البريطاني وكوبرلى

٥ ـ كتاب الهاءات في كتاب الله : منه نسخة في باريس

وترجمته في ابن خلكان ٥٠٣ ج ١ ، والفهرست ٧٥ (**)

٥ ـ ابن ولاد

توفي سنة ٣٣٢ هـ

هو من تلاميذ الزجاج ، واسمه أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد ، من أهل مصر ، وقد توفي فيها . وخلف كتابا في النحو اسمه المقصور والممدود ، منه نسخ خطية في برلين وباريس . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٨ ، وهو جزيل الفائدة مرتب على حروف الهجاء (***)

٦ ـ ابو جعفر النحاس

توفي سنة ٣٣٨ هـ

هو أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس من تلاميذ الزجاج ، وقد

(*) نشر ليال هذا الشرح مع مقدمة نفيسة

(**) وراجع في ترجمة ابن الانبارى الانساب ٤٩ أ وتاريخ بغداد ج ٣ ص ١٨١ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣١٥ وطبقات القراء ج ٢ ص ٣٣٠ واللباب ج ١ ص ٦٩ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٢٩٤ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ٣٠٦ وروضات الجنات ص ٦٠٨ وانباه الرواة ج ٣ ص ٢٠١ وبغية الوعاة ص ٩١ وطبقات الزبيدى ص ١١١ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ١٢٠ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٦٩ ودائرة المعارف الاسلامية في مادة الانبارى

(***) وانظر في ابن ولاد طبقات الزبيدى ص ١٤٨ ومعجم الادباء ٤ ص ٢٠١ ومرآة الجنان ٢ ص ٣١١ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٢٤٦ وانباه الرواة ج ١ ص ٩٩ وبغية الوعاة ص ١٦٩ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨

يسمى الصفار • وهو غير ابن النحاس النحوى المتوفى سنة ٦٩٨ هـ • أصله من مصر ورحل الى بغداد.. فأخذ عن المبرد والاخفش والزجاج وغيرهم، ثم عاد الى مصر فأقام بها حتى مات • وكان صاحب فضـل كثير وعلم واسع ، وخلف مؤلفات كثيرة فى اللغة والادب والقرآن لم يصلنا منها الا:

١ ـ شرح المعلقات السبع : منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية .

٢ ـ كتاب اعراب القرآن : منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية بخط جميل فى ٢٧٧ ورقة كبيرة الحجم

٣ ـ كتاب معانى القرآن : منه الجزء الاول فيها أيضا

٤ ـ ناسخ القرآن ومنسوخة : فى المتحف البريطانى

وتجد ترجمة النحاس فى معجم الادباء ٧٢ ج ٢ ، وابن خلكان ٢٩ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٦٣ (*)

٧ ـ أبو القاسم الزجاجى

توفى سنة ٣٣٩ هـ

هو عبد الرحمن بن اسحق الزجاجى من أفاضل النحاة من أهل نهاوند ، أخذ عن الزجاج فنسب اليه وتولى التعليم فى دمشق وطبرية ومات فيها . ولم يذكر له الفهرست الا كتابا فى القوافى لم نقف عليه . وقد وصل الينا مما ينسب أليه :

١ ـ كتاب الجمل فى النحو : هو أهم مؤلفاته ، منه نسخ خطية فى أكثر مكاتب اوربا (**) • وله شروح منها شرح ابن العريف ، منه نسخة فى المكتبة الخديوية ، وقد شرحه البطليوسي وانتقده هو وغيره . ومنها شرح لابن الضائع ، منه نسخة فى المكتبة الخديوية قديمة الخط

٢ ـ الزاهر : جمع فيه ألفاظ الزاهر للانبارى المتقـدم ذكره والفاخر للمفضل ابن سلمة الآتى ذكره مع تنقيح وتهذيب ، منه نسـخة خطيـة بالمكتبة الخديوية فى ١٧٩ ورقة

٣ ـ الامالى فى اللغة : طبع بمصر سنة ١٣٢٤

وترجمته فى ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٧٩ ، والفهرست ٨٠ (***)

(*) وراجع فى ترجمة أبى جعفر النحاس الانساب ١٥٥٥ وطبقات الزبيدى ص١٤٩ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٢٣٦ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣١١ وروضات الجنات ص ٦٠ وانباه الرواة ج١ ص١٠١ وبغية الوعاة ص١٥٧ وحسن المحاضرة ج١٠ ص٢٢٨ والمزهر ٢ ص٤٢٠ ، ٤٦٦ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٠٠ وتاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٢٢٢ والفلاكة والمفلوكين ص٨٠

(**) طبع هذا الكتاب طبعات مختلفة

(***) وانظر فى أبى القاسم الزجاجى الانساب ٢٧٢ أ وطبقات الزبيدى ص٨٦ واللباب ج١ ص ٤٩٧ وروضات الجنات ص ٤٢٥ وبغية الوعاة ص ٢٩٧ وانباه الرواة ج ٢ ص ١٦٠ وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته

وهناك طائفة من النحاة نبغوا فى هذا العصر أغضينا عن تراجمهم ، لانه لم يصلنا من كتبهم ما يستحق الذكر : كابن الحائك وابى عمرو الزاهد ، والحامض ، واليزيدى ، وابن السراج ، ونفطويه ، والمندرى ، والاخفش الاصغر ، وابن المرزبان ، وعمر الجرمى ، وغيرهم

مذاهب البصريين الكوفيين فى النحو

وفى هذا العصر وما بعده احتدم الجدال بين البصريين والكوفيين (*) فى قواعد النحو ، واختلفوا فى كثير من أحكامه وشروطه . وقد الف فى ذلك الاختلاف كثيرون أشهرهم : كمال الدين الانبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ ، والف كتابا فى « الانصاف فى مسائل الخلاف » ، وأبو البقاء العكبرى الف كتاب « التبيين فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » ، وقد لخص جلال الدين السيوطى ذلك عن هذين الكتابين فى الجزء الثانى من كتابه الاشباه والنظائر . وهو مطبوع فى حيدر آباد الهند سنة ١٣١٧ هـ فى أربعة مجلدات . وبلغ ما جمعه من مسائل الخلاف فيه مائة مسالة ومسألتين .. هذه أمثلة منها :

عند البصريين	عند الكوفيين
الاسم مشتق من السمو	الاسم مشتق من الوسم
الاسماء الستة معربة فى مكان واحد	معربة فى مكانين
الفعل مشتق من المصدر	المصدر مشتق من الفعل
الاسم المنتهى بتاء التأنيث كطلحة لا يجمع بالواو والنون	يجمع
فعل الامر مبنى	معرب
المبتدأ مرتفع بالابتداء	المبتدأ يرفعه الخبر
الخبر ان كان اسما مختصا لا يتضمن ضميرا	يتضمن
لا يقام مقام الفاعل الظرف والمجرور مع وجود المفعول	يقام
نعم وبئس فعلان مبنيان	اسمان
لا يبنى فعل التعجب من الالوان	يبنى من السواد والبياض
يجوز تقديم خبر ليس عليها	لا يجوز
لا يجوز تقديم الاستثناء فى أول الكلام	يجوز
يقال قبضت الخمسة عشر درهما ولا يقال الخمسة عشرة درهما	يجوز

(*) لم يحتدم هذا الجدال فى العصر العباسى الثانى وما بعده فقط ، بل لعله احتدم فى العصر العباسى الاول بأقوى مما احتدم فيما بعد ، بل لقد أخذ هذا الاحتدام يضعف منذ أواخر القرن الثالث للهجرة ، فكان ثعلب خاتمة نحاة الكوفة المهمين ، كما كان المبرد خاتمة نحاة البصرة

اللغة واللغويون

فى العصر العباسى الثانى

وقد يعد لغويو هذا العصر أيضا من النحاة أو الادباء ، لكننا أفردناهم لاشتغالهم على الاكثر باللغة .. نعنى الالفاظ من قبيل المعاجم ، أو ما هو فى سبيلها . ويقال بالاجمال ان المعاجم اللغوية لم تنضج الا فى العصر الآتى ، على أن علماء هذا العصر مهدوا السبيل لذلك أكثر ممن تقدمهم من أهل العصور السابقة . فألف بعضهم كتبا تشبه المعاجم كما سترى فى تراجمهم وآثارهم ، وهم :

١ ــ أبو عمرو الهروى

توفى سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروى ، كان ثقة عالما حافظا للغريب راوية للاشعار والاخبار . ولم يصلنا من كتبه شىء ، وانما ذكرناه لانه ألف معجما فى اللغة بدأ فيه بحرف الجيم على ترتيب الخليل لم يسبقه أحد الى مثله . ولكنه ضاع ولم يبق الا خبره ، وقد ذكره صاحب طبقات الادباء (صفحة ٢٦٠) فى ترجمة المؤلف (*)

٢ ــ أبو حاتم السجستانى

توفى سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى ، كان عالما باللغة والشعر . أخذ عن أبى زيد وأبى عبيدة والاصمعى ، ولم يكن حاذقا فى النحو .. لكنه كثير التأليف للكتب . ذكر له صاحب الفهرست ٣٢ مؤلفا ، أكثرها فى اللغة من باب المعانى المجتمعة فى أصل مشترك تدخل فى باب واحد : ككتاب الحشرات ، وكتاب خلق الانسان ، وكتب الوحوش ، والسيوف ، والابل ، والجراد ، والكرم ، ونحوها . وليست هى من قبيل وصف هذه الموجودات الطبيعى أو الطبى أو الزراعى ، وانما يراد بها الوجهة اللغوية لتمييز المسميات بأسمائها واليك ما وصل الينا من كتبه :

(*) وانظر فى ترجمة أبى عمرو الهروى معجم الادباء ج ١١ ص ٢٧٤ وتهذيب اللغة للازهرى ج ١ ص ١٢ وانباه الرواة ج ٢ ص ٧٧ وبغية الوعاة ص ٢٢٦

١ ــ كتاب المعمرين : هو من كتب التاريخ ، فيه تراجم الذين عمروا من الرجال فى الجاهلية مع طرف مما قالوه فى منتهى أعمارهم . وبلغ عددهم مائة وعشرة رجال فى جملتهم طائفة من الشعراء : كعبيد بن الابرص ، ولبيد ، وعمرو بن قميئة . وجماعة من السادة والفرسان : كاكثم بن صيفى ، وعامر بن الظرب ، ودريد بن الصمة ، وزهير بن جناب ، وغيرهم . والكتاب رواية أبى روق الهمدانى ، لم يذكره صاحب الفهرست بين مؤلفات السجستانى .. طبع ليدن سنة ١٨٩٩ بعناية المستشرق غولتزير فى ٢٨١ صفحة منها ١٠٣ صفحات للاصل والباقى للمقدمة والتعاليق . وطبع أيضا بمصر سنة ١٩٠٥

٢ ــ كتاب النخلة : طبع فى بالرمو بايطاليا سنة ١٨٣٧ ، وفى رومية سنة ١٨٩١ ، ومنه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية

وتجد ترجمة أبى حاتم السجستانى فى طبقات الادباء ٢٥١ ، والفهرست ٥٨ ، وابن خلكان ٢١٨ ج ١ (*)

٣ ــ أبو العباس المبرد

توفى سنة ٢٨٥ هـ

هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالى ، نسبة الى ثمالة قبيلة من الازد . ويعرف بالمبرد ، ولد سنة ٢١٠ هـ فى البصرة ، وانتقل الى بغداد . وكان شيخ أهل النحو والعربية . واليه انتهى علمهما بعد طبقة عمر الجرمى وابى عثمان المازنى . وأخذ النحو عنهما وعن غيرهما

وكان قوى الذاكرة كثير الحفظ معاصرا لثعلب المتقدم ذكره ، وجرت بينهما منازعات ومعارضات . وبهما ختم تاريخ الادباء (١) . وكان المبرد يحب الاجتماع بثعلب ، وهذا يكره ذلك لان المبرد كان حسن العبارة فصيح اللسان . وثعلب مذهبه مذهب المعلمين ، فاذا اجتمعا فى محفل حكم للمبرد . وكان المبرد كثير الأمالى يملى علمه على الطلبة أو على من يدونه . وقد ذكر له صاحب الفهرست ٤٤ مؤلفا فى الادب واللغة والنحو والعروض والبلاغة والقرآن وغير ذلك ، وهاك ما وصلنا منها :

١ ــ الكامل : هو كتاب فى الادب وصفه المبرد بقوله : « هذا كتاب الفناه يجمع ضروبا من الآداب بين منثور ومنظوم وشعر ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار خطبة شريفة ورسالة بليغة . والنية أن يفسر كل ما يقطع فيه من كلام غريب أو معنى مغلق » فهو يعد من كتب اللغة الممهدة للمعاجم . وفيه

(*) وراجع فى ترجمة أبى حاتم أخبار النحويين البصريين ص٩٣ والانساب ٢٩١ ب وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ٢٥٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢١ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٣٦١ وطبقات القراء ج ١ ص ٣٢٠ ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٥٦ ومعجم الادباء ج ١١ ص ٢٦٣ وطبقات الزبيدى ص ٦٤ وبغية الوعاة ص ٢٦٥ وانباه الرواة ج ٢ ص ٥٨ والفلاكة والمفلوكين ص٨٦ والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٣٢

(١) ابن خلكان ٥٩٥ ج ١

كثير من الفوائد التاريخية ، أهمها فصل فى الخوارج يحوى حقائق هامة من تاريخ بنى أمية . وقد طبع الكامل فى ليبسك سنة ١٨٦٤ م ، وفى الاستانة سنة ١٢٨٦ هـ ، وفى مصر سنة ١٣٠٨ هـ

٢ ــ كتاب المقتضب : عليه شرح لسعدالله الفارقى المتوفى سنة ٣٩١ هـ ، منه نسخة خطية فى مكتبة الاسكوريال

٣ ــ كتاب التعازى والمراثى : منه نسخة خطية فى الاسكوريال

٤ ــ رسالة فى الجواب على سؤال وجهه اليه الواثق بشأن الشعر والنثر، منه نسخة خطية فى مكتبة ميونيخ وأخرى فى برلين

وترجمته فى ابن خلكان ٤٩٥ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٧٩ ، والفهرست ٥٩ (*)

٤ ــ المفضل بن سلمة

فى أواخر القرن الثالث

هو أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم اللغوى . وكثيرا ما يقع الإلتباس بينه وبين المفضل بن محمد الضبى الاديب المتقدم ذكره . ولعل السبب فى ذلك ما يجدونه فى ترجمة ابنه محمد فى ابن خلكان اذ زاد فى نسبه هناك لفظ « الضبى » ونظن ذلك سهوا من ابن خلكان أو من النساخ . لأن نسبه فى الفهرست وفى طبقات الادباء ليس فيه لفظ « الضبى » ويؤيد ذلك أن ابن خلكان لم يترجم المفضل الضبى الاديب . ووقع فيما نقله ابن خلكان من ترجمة المفضل بن سلمة تشويش فى أسماء مؤلفاته ، فجاء اسم كتاب الفاخر « المفاخر » وكتاب البارع « التاريخ » وهو خطأ فى النسخ أو الطبع . والمفضل بن سلمة من لغويى العصر العباسى الثانى على مذهب أهل الكوفة . وقد استدرك على الخليل وخطأه فى كتابه . وذكر له صاحب الفهرست نحو عشرين مؤلفا لم يصلنا منها الا :

١ ــ كتاب الفاخر : فى اللغة وموضوعه معانى ما يجرى على السنة العامة فى أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب ، وهم لا يدرون معناه .. فيأتى بالمثل ويشرحه على نحو ما فى كتاب مجمع الامثال للميدانى ، منه نسخة فى كتب الشنقيطى بالمكتبة الخديوية فى ١٤٦ صفحة كبيرة ، ونسخة أخرى من جملة كتب زكى (باشا) فى ١٣٥ ورقة

٢ ــ كتاب العود والملاهى : فى آلات الطرب ، وهل تعاطيها يخالف

(*) وراجع فى ترجمة المبرد طبقات النحويين البصريين ص ٩٦ والانساب للسمعانى فى « الثمالى »» الورقة ١١٦ أ وتاريخ بغداد ٣ ص ٣٨٠ وسمط اللالى ٣٤٠ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٩٠ وطبقات القراء لابن الجرزى ج ٢ ص ٢٨٠ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ١٤٦ واللباب فى الانساب ج ١ ص ١٩٧ ولسان الميزان ج ٥ ص ٤٣٠ ومرآة الجنان ج ١ ص ٢١٠ والمزهر ج ٢ فى مواضع متفرقة ومعجم الادباء ج ١٩ ص ١١١ ومعجم الشعراء ص ٤٤٩ وروضات الجنات ص ٦٠٠ وطبقات الزبيدى ص ٧٠ وأنباه الرواة ج ٣ ض ٢٤١ وبغية الوعاة ص ١١٦ وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته

التقوى . وهو يرى انه جائز وأتى بأدلة على ذلك .. منه نسخة فى جملة كتب زكى (باشا)

وترجمة المفضل فى الفهرست ٧٣ ، وطبقات الادباء ٣٦٥ ، وابن خلكان ٤٦٠ ج ١ (*)

٥ — ابن دريد

توفى سنة ٣٢١ هـ

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى . ولد فى البصرة سنة ٢٢٣ ، ونشأ وتعلم فيها . وأخذ النحو عن السجستانى والرياشى وابن أخى الاصمعى . وانتقل عند ظهور الزنج الى عمان ، وأقام فيها ١٢ سنة وعاد الى البصرة . ثم رحل الى نواحى فارس ، وصحب ابنى ميكال وهما يومئذ على عمالة فارس . وألف لهما كتاب الجمهرة الآتى ذكره ، فقلداه الديوان . وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمر الا بعد توقيعه . ثم انتقل الى بغداد سنة ٣٠٨ هـ بعد عزل ابنى ميكال عن فارس . فأجرى عليه الخليفة المقتدر خمسين دينارا فى الشهر الى وفاته سنة ٣٢١

وقد نبغ ابن دريد فى اللغة ، وكان من أكابرها مقدما فيها وفى الانساب والاشعار . وكان شاعرا كثير الشعر وله المقصورة المشهورة التى مدح بها الشاه بن ميكال وولديه ، مطلعها :

أما ترى رأسيَ حاكى لونه — طرّةَ صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيضُ فى مسودّه — مثل اشتعال النار فى جزل الغضى

عدد أبياتها ٢٢٩ بيتا ، وفيها كثير من آداب العرب وأخبارهم وحكمهم وأمثالهم

وعارضه فيها جماعة من الشعراء ، وشرحها كثيرون . وله قصائد أخرى ، وانما اخترنا وضعه بين علماء اللغة لان أكثر كتبه فيها حتى قالوا انه قام بها مقام الخليل بن أحمد ، وأورد أشياء منها لم توجد فى كتب المتقدمين . وقد ذكر له صاحب الفهرست ١٩ مؤلفا ، هاك ما بلغنا خبره منها :

١ — المقصورة : أو كتاب المقصور والممدود ، قد تقدم ذكرها . طبعت مع ترجمة وشرح باللاتينية فى فرانكيرى سنة ١٧٧٣ ، وفى هردوفيكى سنة ١٧٨٦ ، وفى غيرهما . ومنها نسخ خطية وشروح فى معظم مكاتب أوربا ، أهمها شرح ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وابن هشام اللخمى السبتى . وفى المكتبة الخديوية شرح المقصورة خطا للسيد عبد القادر بن مكرم المتوفى

(*) وانظر فى المفضل بن سلمة تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٢٤ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٢٥٤ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ١٦٣ ومراتب النحويين ص ١٥٧ وانباه الرواة ج ٣ ص ٣٠٥ وبغية الوعاة ص ٣٩٦ والمزهر ج ٢ ص ٤١٣

سنة ١٠٣٣ هـ ، واسمها الآيات المقصورات . وفى مكاتب أوربا وغيرها نسخ خطية من أشعاره الاخرى

٢ ـ الجمهرة فى اللغة : وهى أهم مؤلفاته بالنظر الى اللغة لانها معجم مرتب على أحرف الهجاء ، اتبع فى ترتيبه كتاب العين للخليل . فبدأ بالثنائى ثم الثلاثى فالرباعى فملحق الرباعى فالخماسي والسداسي وملحقاتهما. وجمع الالفاظ النادرة فى باب مفرد . ورتب كل طائفة من تلك الالفاظ على أبجدية الخليل . وطريقة التفتيش فيه غير مألوفة عندنا ، فانه يأتى فى باب الثلاثى مثلا فى فصل العين بالاحرف الثلاثة التى أولها عين مثل « ع ل ن » ويأتى بمعانيها على اختلاف وضع حروفها . فيقول : « علن الامر يعلنه علنا .. واللعن أصله الابعاد .. والنعل معروف .. ونعل الفرس ما أصاب الارض من حافرة الخ» . وقد سماه الجمهرة لانه اختار فيه الجمهور من كلام العرب. ومنها نسخ خطية (*) فى مكاتب لندن وباريس وكوبرلى وينى جامع ونور عثمانية وايا صوفيا بالاستانة ، ونسخة ناقصة فى المكتبة الخديوية

٣ ـ كتاب الاشتقاق : فى أسماء القبائل والعمائر وأفخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها وفرسانها على شكل المعاجم ، وفيه فوائد لغوية . طبع فى غوتنجن سنة ١٨٥٤

٤ ـ صفة السرج واللجام : طبع فى ليدن سنة ١٨٥٩

٥ ـ كتاب الملاحن : طبع فى هيدلبرج سنة ٢٨٨٢ ، وفى مصر

٦ ـ كتاب المجتبى : فيه أقوال الرسول موجودة فى المتحف البريطانى واكسفورد

٧ ـ كتاب السحاب والغيث واخبار الرواد : طبع فى ليدن مع كتاب السرج واللجام

واخباره فى ابن خلكان ٤٩٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٢٢ ، والفهرست ٦١ (**)

٦ ـ عبد الرحمن الهمذانى

توفى سنة ٣٢٧ هـ

هو عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذانى ، كان اماما فى اللغة والنحو وكاتبا لبكر بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى ، له مؤلفات جزيلة الفائدة

(*) طبعت الجمهرة فى الهند

(**) وراجع فى ترجمة ابن دريد الانساب ٢٢٦ أ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٥ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٨٩ وطبقات الشافعية ج ٢ ص ١٤٥ وطبقات ابن قاضى شهبة ٢ ص ٣٣ واللباب ج ١ ص ٤٢٨ ولسان الميزان ج ٥ ص ١٣٢ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٢٨٢ ومعجم الادباء ١٨ ص ١٢٧ ومعجم الشعراء للمرزبانى ص ٤٦١ وميزان الاعتدال ج٢ ص ٣٦٢ والوافى بالوفيات«طبعة استانبول» ج٢ص ٣٣٩وروضات الجنات ص ٦٠٥ وانباه الرواة ج ٣ ص ٩٢ وبغية الوعاة ص ٣٠ والفلاكة والمفلوكين ص ٧٣ وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية

لم يصلنا منها الا كتاب الالفاظ الكتابية .. وهو مما يستعان به فى تنميق العبارة وضبط معناها لاحتوائه على مترادفات من الجمل الفصيحة ، كل منها مجموع فى باب خاص من قبل فقه اللغة ولكنه سابق له . وقد طبع الكتاب فى بيروت سنة ١٨٨٥ وفى غيرها (*)

***

ومن كتب اللغة فى هذا العصر كتاب المنجد لأبى الحسن الهنائى المعروف بكراع فى أوائل القرن الرابع للهجرة ، رتبه على ستة أبواب فى أعضاء البدن وأصناف الحيوان والطيور والسلاح والارض ، منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية . وكتاب المنضد له أيضا مرتب على الهجاء فى المتحف البريطانى

(*) وانظر فى الهمذانى الفهرست وانباه الرواة ج٢ ص ١٦٥ ومقدمة كتابه الالفاظ الكتابية

التاريخ والمؤرخون

فى العصر العباسى الثانى

قد رأيت فى كلامنا عن التاريخ فى العصر الماضى أن الحاجة دعت يومئذ الى وضع السيرة النبوية والانساب وأخبار الفتوح والطبقات ، وذكرنا أشهر من ألف فى ذلك . ويمتاز هذا العصر بكتابة التاريخ العام الشامل لاخبار القدماء والمحدثين مما لم يتعرض له أهل العصر الماضى . وانما عمد أهل هذا العصر الى التأليف فيه بعد أن اطلعوا على ما نقل من نوعه الى العربية من كتب الفرس (١) وبعد اتساع معارف القوم على أثر ترجمة كتب العلم القديمة عن أهم الامم · وقد تقررت أحكام الشرع ، فلم تبق حاجة الى الخوض فى الفتوح وأسبابها .. فاقتصروا على تلخيص أخبارها وتبويبها وتحقيقها وضبطها . وضعفت العصبية العربية لتسلط الاتراك وغيرهم واستقرت الانساب . فلم تبق حاجة الى الخوض فى النسب وعلومه . وشاعت عصبية الوطن بعد ذهاب عصبية النسب على أثر المنافسات بين البصرة والكوفة وبغداد والشام ، فاتجهت الافكار الى تأليف الكتب الخاصة فى أحوال المدن وأحوال الامم

وهناك ضرب من التاريخ تخلف عن علم الادب أو تفرع عنه ، نعنى أخبار العرب وأيامهم وأشعارهم وشعرائهم وسائر أحوالهم · فهذه كانت داخلة فى علم الادب لعلاقتها باللغة والشعر ، فلما اتسعت معـــارف الناس وتولدت العلوم اللسانية بالتفرع عن الادب كما تقدم .. كان من جملة فروعه ما تخلف من الاخبار التى كانوا يأتون بها لاثبات معنى كلمة أو تعبير أو شعر أو نحو ذلك . وتوسعوا فيه ، فصار تاريخا ، لكنه مقصور على أخبار العرب وبلادهم . وكتاب هذا التاريخ يجوز ادخالهم فى جملة علماء الادب كالاصمعى وأبى عبيدة ، وانما جعلناهم فى جملة المؤرخين لبيان عمل ناموس الارتقاء فى التفرع والتنوع

فالمؤرخون فى هذا العصر ينقسمون الى أربعة أقسام : (١) مؤرخو الفتوح (٢) مؤرخو أخبار العرب وأحوالهم وشعرائهم والانساب والطبقات وغيرها (٣) مؤرخو البلدان والامم أى تاريخ كل بلد أو أمة على حدة .. أو التاريخ الخاص (٤) مؤرخو التاريخ العام . واليك أشهر من ألف فى كل قسم من هذه الاقسام على هذا الترتيب حسب سنة الوفاة

اولا ــ مؤرخو الفتوح

فى هذا العصر ختم تاريخ الفتح الاسلامى لذهاب الحاجة اليه بالفراغ من

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ١٥٦ ج ٣

الفتوح الا ما كتبوه فى فتح بعض المدن أو الممالك بعد فتح بيت المقدس أو نحوه أو نقل ما مضى . وهاك اشهر مؤرخى الفتوح :

١ ـ ابن عبد الحكم

توفى سنة ٢٥٧ هـ

هو آخر من دون الفتوح الاسلامية الخاصة فى صدر الاسلام ، واسمه عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم من أهل مصر . كان أبوه المتوفى سنة ٢١٤ فقيها من أصحاب مالك وأفضت اليه رياسة المالكية ، وكان غنيا وجيها . وفى أيامه أتى الامام الشافعى الى مصر ، فدفع اليه ألف دينار ، وأخذ له من ابن عسامة التاجر الف دينار ، ومن رجلين آخرين الف دينار . وكان لعبدالله هذا ولدان : محمد صحب الامام الشافعى ، والآخر عبد الرحمن الذى نحن فى صدده . وله مؤلف واحد كبير اسمه « فتوح مصر والمغرب والاندلس » منه نسخة خطية فى مكتبة باريس . وقد نشرت منه قطعة عن فتح افريقية طبعت فى لندن سنة ١٨٥٨ مع ترجمة انكليزية . وهو تحت الطبع كله الآن بادارة لجنة تذكار جيب الانكليزية فى لندن ، (*) واخباره فى ابن خلكان ٢٤٨ ج ١ (**)

٢ ـ البلاذرى

توفى سنة ٢٧٩ هـ

اسمه أبو جعفر احمد بن يحيى بن جابر البلاذرى . وهو خاتمة مؤرخى الفتح ، ولد فى أواخر القرن الثانى للهجرة ، ونشأ فى بغداد وتقرب من المتوكل والمستعين والمعتز . وعهد اليه هذا بتثقيف ابنه عبدالله الشاعر المشهور . وكان شاعرا وكاتبا ومترجما ينقل من الفارسية الى العربية . ومن شعره بيتان مدح بهما المستعين هما :

ولو أن بُرْدَ المصطفى إذ حويته يَظُنُّ لظنَّ البرد أنك صاحبه
وقال وقد أعطيته فلبسته نَعَمْ هذه أعطافه ومناكبه

وذكر صاحب الفهرست انه وسوس فى آخر أيامه ، فأخذ الى البيمارستان لانه شرب تمر البلاذر على غير معرفة ، ومنه اسمه . ومات على الاغلب سنة ٢٧٩ أول أيام المعتضد وله مؤلفات أهمها :

١ ـ فتوح البلدان : هو أشهر كتبه ويظهر أنه مختصر من كتاب أطول منه ، كان قد أخذ فى تأليفه وسماه « كتاب البلدان الكبير » لم يتمه فاكتفى

(*) طبع هنرى ماسيه الجزء الخاص بمصر من هذا الكتاب سنة ١٩١٤ ثم طبعه تورى Torrey بجميع اجزائه فى ليدن سنة ١٩٢٢

(**) وراجع فى ابن عبد الحكم حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ فصل من كان بمصر من الفقهاء المالكية ، والولاة والقضاة للكندى طبعة جيست Guest المقدمة ص ٢٢ ودائرة المعارف الاسلامية

بهذا المختصر . ذكر فيه أخبار الفتوح الاسلامية من أيام الرسول الى آخرها بلدا بلدا ، لم يفرط فى شىء منها مع التحقيق اللازم واعتدال الخطة . وضمنه فصلا عن الفتوح أبحاثا عمرانية أو سياسية يندر العثور عليها فى كتب التاريخ كأحكام الخراج أو العطاء وأمر الخاتم والنقود والخط ونحو ذلك . وقد طبع الكتاب فى ليدن سنة ١٨٧٠ بعناية المستشرق دى غويه . ونشرته فى مصر شركة طبع الكتب العربية سنة ١٩٠١ ، وهو أجمع كتب الفتوح وأصحها

٢ ـ أنساب الاشراف : ويسمى أيضا الاخبار والانساب ، وهو مطول فى ٢٠ مجلدا لم يتم . وكان ضائعا فعثر المستشرق الالمانى اهلوارت فى مكتبة شيفر المستشرق على الجزء الحادى عشر من كتاب فى التاريخ ليس عليه اسم ، فرجح انه من أجزاء كتاب البلاذرى الذى نحن فى صدده . فطبعه فى غريزوالد سنة ١٨٨٣ على الحجر بخطه فى ٤٥٠ صفحة . وفيه كثير من اخبار بنى أمية فى زمن عبد الملك والوليد . ويدخل فى ذلك تفاصيل وقائع مصعب بن الزبير وأخيه عبدالله وأخبار الخوارج (*)

وترجمة البلاذرى فى الفهرست ١١٣ ، وفى صدر طبعة فتوح البلدان (**)

ثانيا ـ مؤرخو جزيرة العرب

يدخل فى هذا الباب من انصرف من الرواة والادباء الى التاريخ فكتب فيه. والغالب فى هؤلاء أن يكون ما يكتبونه مقصورا على أخبار العرب وأيامهم وقبائلهم وسائر أحوالهم ، ويدخل فى ذلك أيضا أنساب العرب .. لان الانساب بعد ذهاب دولة العرب وتغير وجه العطاء على القبائل ، لم يبق لها شأن سياسى حيوى . وبعد أن كان ثبوت نسب الرجل فى قبيلة يدر عليه المال ، أصبح مقصورا على التفاخر بالاجداد . فصارت الكتابة فيه من قبيل العلم ولم ينقطع له كاتب كما حدث فى أوائل الدولة ، فأصبح من جملة أخبار العرب . ويدخل فى هذا الباب أيضا أخبار القبائل وحروبها وأيامها وتراجم المشاهير من الشعراء والنحاة أو ما يتألف من ذلك كالطبقات ونحوها ، وهاك أشهرهم :

١ ـ محمد بن حبيب

توفى سنة ٢٤٥ هـ

هو ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية مولى بنى العباس . كان من علماء بغداد بالانساب والاخبار واللغة والشعر والقبائل . روى عن ابن الاعرابى وقطرب وابى عبيدة وكان مؤدبا . وقد ألف كتبا كثيرة ذكر منها ابن النديم

(*) وقد طبع أيضا الجزء الخامس من أنساب الاشراف فى القدس وتقوم الان الجامعة العربية بنشره كاملا

(**) وانظر فى البلاذرى معجم الادباء ج ٥ ص ٨٩ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٤١ ج ١

٣٣ كتابا فى الامثال والقبائل والانساب والتاريخ واللغة ، وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ ــ كتاب القبائل والايام الكبير : هو أهم كتبه ، ألفه للفتح بن خاقان ، وقد رآه ابن النديم صاحب الفهرست ، وقال فى وصفه : « رأيت النسخة بعينها عند أبى القاسم بن أبى الخطاب بن الفرات فى نحو أربعين جزءا ، فى كل جزء ٢٠٠ ورقة وأكثر . ولهذه النسخة فهرست لما تحتوى عليه من القبائل والايام بخط التسترى بن على الوراق فى نحو ١٥ ورقة » لكن هذا الكتاب فقد ، وانما ذكرناه لأهميته لعل أحدا يعرف وجود شىء منه فى بعض المكاتب

٢ ــ مختلف القبائل ومؤتلفها : أو المؤتلف والمختلف فى النسب . الغرض منه بيان أسماء القبائل المتشابهة لفظا ، المختلفة نسبا ، وضبط لفظها جيدا . وهو جزيل الفائدة مع صغره ، طبعه وستنفيلد فى غوتنجن سنة ١٨٥٠ .

٣ ــ كتاب من نسب الى أمه من الشعراء : لم يذكره صاحب الفهرست بهذا الاسم ، منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية رواية عثمان بن جنى (*)

٤ ــ كتاب المحبر : وهو يشتمل على خلاصات تاريخية عن الرسول والصحابة والخلفاء ، منه نسخة خطية فى المتحف البريطانى (**)

٥ ــ كتاب المقتالين : منه نسخة خطية فى جملة كتب زكى باشا ، ويسمى أيضا كتاب من قتل غيلة

وترجمة محمد بن حبيب فى الفهرست ١٠٦ (***)

٢ ــ الزبير بن بكار

توفي سنة ٢٥٦ هـ

هو أبو عبدالله الزبير بن بكار ، ويتصل نسبه بعبدالله بن الزبير بن العوام . كان من أعيان العلماء فى المدينة ، ولد سنة ١٧٢ هـ وتولى القضاء فى مكة ودخل بغداد مرارا آخرها سنة ٢٥٣ هـ ، وتوفى فى مكة وهو قاض عليها سنة ٢٥٦ هـ . وكان شاعرا أديبا جليل القدر ، بعث المتوكل فى طلبه لتأديب ولده . وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت وعشرة بغال يحمل عليها رحله الى سر من رأى

(*) نشر عبد السلام هرون هذه الرسالة فى سلسلة نوادر المخطوطات « المجموعة الاولى » كما نشر لابن حبيب فى المجموعة السادسة والسابعة ثلاث رسائل اخرى هى كتاب اسماء المغتالين الذى سيأتى ذكره وكنى الشعراء ، والقاب الشعراء

(**) نشر هذا الكتاب فى حيدر آباد بالهند

(***) وراجع فى ترجمة محمد بن حبيب تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٧٧ وتحفة الابيه فيمن نسب الى غير أبيه ص ١٠٨ وطبقات الزبيدى ٩٨ ، ٩٩ ، ١٣٨ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٣٢ وبغية الوعاة ص ٢٩ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ١١٢ والوافى بالوفيات « طبعة استانبول » جزء ٢ ص ٣٢٥ وانباه الرواة ج ٣ ص ١١٩ والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٢١

ذكر له صاحب الفهرست ٣٣ مؤلفا فى النسب والوفود والنوادر وأخبار الشعراء ونحو ذلك . واليك ما وصل الينا منها :

١ ـ كتاب نسب قريش وأخبارهم : منه نسخة خطية فى مكتبة اكسفورد (بودليان) وفى وبرلى بالاستانة (*)

٢ ـ الموفقيات : هى قطع تاريخية ألفها لتلميذه الموفق بن المتوكل فى ١٩ جزءا ، لم يصلنا منها الا أربعة أجزاء من ١٦ ـ ١٩ طبعها وستنفيلد فى غوتنجن سنة ١٨٧٨

وترجمة ابن بكار فى ابن خلكان ١٨٩ ج ١ والفهرست ١١٠ (**)

٣ ـ عمر بن شبة

توفى سنة ٢٦٢ هـ

هو أبو زيد عمر بن شبة ، ويقال له ابن ريطة النميرى لانه كان مولى لبنى نمير ، ولد سنة ١٧٣ هـ ونشأ فى البصرة شاعرا اخباريا راوية صادق اللهجة . وتوفى فى سر من رأى سنة ٢٦٢ هـ ، وقد ألف كتبا كثيرة ذكر منها صاحب الفهرست ٢٢ كتابا فى وصف البصرة والكوفة ومكة وأمرائها وغير ذلك .. ضاعت كلها الا كتابا عثرنا عليه فى المكتبة الخديوية مخطوطا اسمه « الجمهرة » ينسب اليه ، ولم يذكر فى مؤلفاته بهذا الاسم . وهو يشتمل على أخبار العرب العرباء وشىء من أيامهم وأشعارهم وحروبهم قبل الاسلام مع الفرس والروم ، وأكثر روايته عن ابن نافع وابن اسحق . وهو من قبيل القصص التاريخية . وسنفرد فصلا خاصا بهذا الموضوع فيما يلى من هذا الكتاب

وترجمة ابن شيبة فى ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ ، والفهرست ١١٢ (***)

ويدخل فى هذا النوع من التاريخ كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وسائر تراجم الشعراء لابن السكرى ، وكتاب المعمرين للسجستانى ، وقد ذكرت فى أماكنها

ثالثا ـ التواريخ الخاصة فى العصر العباسى الثانى

ونريد بها تواريخ البلدان والامم والقبائل والطوائف كل منها على حدة : كتاريخ دمشق ، وتاريخ بغداد ، أو قريش ، أو القبط ، أو الروم ، أو نحو ذلك . والتأليف فيها قديم عند العرب حتى قبل الاسـلام ، فقد ذكر المسعودى أن عدى بن زيد العبادى الف فى تاريخ الروم واقتبس المسعودى منه . وقد الف بعضهم فى أيام بنى أمية ، والفت طائفة فى هذا العصر ..

(*) طبع هذا الكتاب بدار المعارف

(**) وانظر فى الزبير معجم الادباء ج ٨ ص١٦١ ومقدمة نسب قريش

(***) وراجع فى عمر بن شبة بغية الوعاة للسيوطى ص ٣٦١ ومعجم الادباء ج ١٦ ص ٦٠ وكتب التاريخ فى سنة وفاته

لكن أكثر ما ألفوه ضاع كتاريخ مرو لابن سيار ، وتاريخ البصرة والكوفة لابن شبة ، وتاريخ واسط لأسلم بن سهل ، وتاريخ أصفهان ليحيى بن منده
وهاك أشهر من وصل الينا شيء من تواريخهم الخاصة الى آخر هذا العصر :

١ - الازرقى

اسمه أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الازرقى ، له كتاب أخبار أيام مكة . عنى بطبعه وستنفيلد فى ليبسك سنة ١٨٥٨ فى جلة مجموعة مؤلفة من اربعة أجزاء سماها أخبار مكة استغرق طبعها ثلاث سنوات (١٨٥٨ - ١٨٦١) أهم ما فيها كتاب الازرقى المذكور ، ومقتبسات من تاريخ مكة لمحمد الفاكهى ، ومن شفاء الغرام لتقى الدين الفاسى ، ومن كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام للنهروانى وغيرهم . وهى أحسن مجموعة فى أخبار مكة
وترجمة الازرقى فى الفهرست ١١٢ (*)

٢ - ابن طيفور

توفى سنة ٢٨٠ هـ

هو أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر واسم أبى طاهر طيفور ، أصله من أبناء خراسان من أولاد الدولة . ولد فى بغداد وكان مؤدب أطفال عاميا ، ثم اشتغل بالتاليف واشتهر به ونبغ نبوغا عظيما . ذكر له صاحب الفهرست خمسين كتابا ، لم يبق منها الا النزر اليسير ، أهمها :

١ - تاريخ بغداد : هو أقدم ما وقفنا عليه من تاريخها ، ولكن لم يصلنا منه الا الجزء السادس . استخرجه الدكتور كيلر الالمانى من مخطوطات لندن وطبعه على الحجر فى ليبسك سنة ١٩٠٨ ، وعلق عليه مع ترجمة المانية . ويحتوى على تاريخ المأمون من شخوصه الى بغداد سنة ٢٠٤ هـ الى وفاته

٢ - كتاب المنثور والمنظوم : هو اختيارات من أحسن ما نظم أو نثر فى العربية الى عصره فى بضعة عشر جزءا ، رأينا منها ثلاثة أجزاء فى المكتبة الخديوية (١١ و ١٢ و ١٣) كل منها نحو الف صفحة كبيرة ، ومنهـا بضعة أجزاء فى لندن

٣ - بلاغات النساء : طبع فى مصر ١٩٠٧

وتجد ترجمة ابن طيفور فى معجم الأدباء ١٥٢ج١ ، والفهرست ١٤٦ (**)

(*) وانظر فى الازرقى مقدمة وستنفلد ودائرة المعارف الاسلامية وما بهـا من مراجـع وبروكلمن ١٣٧ ج ١

(**) وانظر فى ابن طيفور تاريخ بغداد ج٤ ص ٢١١ ودائرة المعارف الاسلامية فى «ابن ابى طاهر طيفور» وبروكلمن ١٣٨ ج ١

أما الكتب الخاصة بتواريخ الامم ، فان أبا الحسن المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥ ألف كتبا جمة ذكر ابن النديم عشرات منها ، وقد ضاعت كما ضاع سواها من أمثالها

وكذلك سير الافراد مثل سيرة ابن طولون وابنه خمارويه لابن الداية المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، منه شذرات اقتبسها من ارخ مصر بعده كابن سعيد وغيره

رابعا ـ التاريخ العام فى العصر العباسى الثانى

يمتاز هذا العصر عما تقدمه من العصور بظهور التاريخ العام ناضجا فيه . وكانت التواريخ قبله فى موضوعات متفرقة لاغراض مختلفة .. فلما اطلع المسلمون على تواريخ الامم الاخرى أحبوا أن ينسجوا على منوالها . وزادت فى أثناء ذلك علاقات المسلمين بسواهم ، فأصبح همهم النظر فى التاريخ على الاجمال .. فأخذوا يؤلفون التواريخ العامة التى تبدأ بالخليقة وتفرق الامم ثم تواريخ تلك الامم . وأهم ما وصلنا منها فى هذا العصر خمسة كتب لخمسة من المؤرخين ، اليك تراجمهم حسب سنى وفاتهم مع وصف كتبهم :

١ ـ اليعقوبى

توفى سنة ٢٧٨ هـ

هو أحمد بن أبى يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبى ، وجده من موالى المنصور . وكان رحالة يحب الاسفار .. ساح فى بلاد الاسلام شرقا وغربا ، فكان سنة ٢٦٠ هـ فى أرمينية ورحل الى الهند وعاد الى مصر وبلاد المغرب . وألف فى سياحته هذه كتابا سماه كتاب البلدان ، وهو أقدم كتاب عربى وصل الينا فى الموضوع . ولم تذكر السنة التى توفى فيها اليعقوبى ، ولكن يؤخذ من سياق كتبه انه توفى بعد سنة ٢٧٨

وله فى التاريخ كتاب يعرف بتاريخ اليعقوبى ، نشره المستشرق هوتسما فى ليدن سنة ١٨٨٣ فى مجلدين : الاول فى التاريخ القديم على العموم من آدم فما بعده الى ظهور الاسلام . وتدخل فيه أخبار الاسرائيليين والسريان والهنود واليونان والرومان والفرس والنوبة والبجة والزنج والحميريين والغساسنة والمناذرة . والثانى فى تاريخ الاسلام ، وينتهى فى زمن المعتمد على الله سنة ٢٥٩ هـ وقد رتبه حسب الخلفاء . ومن مزاياه فضلا عن قدمه ان مؤلفه شيعى ، فيأتى بأشياء عن العباسيين يتحاشى سواه ذكرها . وللمستشرقين ابحاث انتقادية فى هذا الكتاب

وسنأتى على ذكر كتاب البلدان فى باب الجغرافية (*)

(*) وراجع فى اليعقوبى معجم الادباء ج ٥ ص ١٥٣ وكتاب الاعلام ج ١ ص ٨٦ ومادة جعرافيا فى دائرة المعارف الاسلامية ومقدمة كتابه البلدان

٢ — أبو حنيفة الدينورى

توفى سنة ٢٨٢ هـ

هو أحمد بن داود من أهل الدينور، أخذ علمه عن البصريين والكوفيين، وأكثر أخذه عن ابن السكيت . وكان متفننا فى علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند ، فهو يعد من النحاة أو اللغويين أيضا .. ولكننا جعلناه من المؤرخين لان أهم ما وصلنا من كتبه كتاب « الاخبار الطوال » فى التاريخ العام ، يشتمل على نحو ما اشتمل عليه كتاب اليعقوبى .. لكنه اختصر فى التاريخ القديم . ويمتاز بتوسعه فى تاريخ بنى أمية وخصوصا أخبار على ومعاوية والخوارج والازارقة . وينتهى التاريخ المذكور بوفاة المعتصم سنة ٢٢٧ هـ ، وقد طبع فى لندن سنة ١٨٨٨ فى ٤٠٠ صفحة بعناية المستشرق جرجيس

وله مؤلفات عدة ضاعت ، وفى جملتها كتاب فى النبات من حيث اللغة لم نقف عليه . ولكن منه قطعا فى كتاب التنبيهات على اغلاط النحاة ونقل عنه المخصص

وترجمة أبى حنيفة الدينورى فى معجم الادباء ١٢٣ ج ١ ، والفهرست ٧٨ (*)

٣ — ابن جرير الطبرى

توفى سنة ٣١٠ هـ

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى علامة وقته وامام عصره. ولد فى آمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ ، ورحل فى طلب العلم فجاء بغداد ثم شخص الى مصر والشام والعراق حتى استوعب العلوم . ثم استقر فى بغداد يقرىء الحديث والفقه حتى مات سنة ٣١٠ هـ ودفن هناك . كان على مذهب الامام الشافعى ، ثم اختار لنفسه مذهبا فى الفقه تبعه فيه جماعة من العلماء وضعوا فيه الكتب .. منهم على بن عبد العزيز الدولابى ، ومحمد بن أحمد بن أبى الثلج ، وابن العراد ، وأبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم ، وأبو بكر بن كامل وغيرهم . وكل منهم الف كتبا فى بسط مذهب ابن جرير الطبرى ودافع عنه ورد على مخالفيه

واشتهر الطبرى بقوة عارضته وفصاحة لهجته وبصبره على العمل ، حتى قالوا انه قضى أربعين سنة يكتب كل يوم ٤٠ صفحة . ولا يخلو ذلك من مبالغة لكنه يشير الى كثرة عمله ، فان كتابيه اللذين اشتهر بهما نعنى التاريخ والتفسير ذكروا ان كلا منهما كان فى أول الامر ٣٠,٠٠٠ ورقة اى

(*) وانظر فى الدينورى بقية الوعاة ص١٣٢ وخزانة الادب ج١ ص ٢٥ وسلم الوصول ص ٨٢ ونزهة الالباء فى طبقات الادباء ص ٣٠٥ وانباه الرواة ج ١ ص ٤١ ومعجم الادباء ج ٣ ص ٢٦ وكذلك Leclerc, Histoire de la Médecine Arabe « باريس » ج ١ ص ٢٩٨ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٢٣ ج ١

٦٠٫٠٠٠ صفحة .. ثم أشار عليه تلامذته باختصارهما فصارا الى ماهما عليه وقد ألف التفسير قبل التاريخ . وكل منهما مرجع الباحثين فى موضوعه لانه استوفى الكلام فيهما . وكان ثقة يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لسعة علمه فى القرآن وعلومه وبأخبار الناس وأيامهم . وكان حر الفكر صريح القول اذا اعتقد أمرا جاهر به لا يخشى فى الحق لومة لائم ، ولا سيما خصومه من العامة ومن يتزلفون اليهم أو يرتزقون بمرضاتهم ، ولا سيما الحنابلة، لانه ألف كتابا ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه ابن حنبل. فقيل له فى ذلك فقال : « لم يكن فقيها وانما كان محدثا » فعظم ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون عدا فى بغداد ، فنقموا عليه واتهموه بالالحاد وشاركهم أكثر العامة .. ولو سئلوا عن معنى الالحاد ما عرفوه . وهو لا يهمه ذلك لزهده وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها أبوه فى طبرستان . فلما توفى فى شوال سنة ٣١٠ هـ دفن فى داره لان العامة اجتمعت ومنعت دفنه نهارا . والف كتبا ذكر منها صاحب الفهرست بضعة عشر مؤلفا ، هذا ما بقى منها :

١ ـ كتاب أخبار الرسل والملوك : ويعرف بتاريخ الطبرى ، وهو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهى الى سنة ٣٠٢ هـ يدخل فى عدة مجلدات صفحاتها نحو ٧٥٠٠ صفحة ٠ وقد طبع في ليدن بعناية المستشرق دى غويه ٠ واستغرق طبعه بضع عشرة سنة من ١٨٧٩ ـ ١٨٩٢ فى ٢٣ جزءا ٠ وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ فى ١٣ مجلدا ٠ وقد اتبع فى أخباره الاسناد الى رواتها بالتسلسل لزيادة التحقيق على عادتهم فىذلك العهد . وهو عمدة المؤرخين ومرجعهم فى التحقيق حتى الآن . وتغالى القوم فى اقتناء هذا الكتاب حتى كان منه فى خزانة العزيز الفاطمى صاحب مصر ٢٠ نسخة ، منها واحدة بخط المؤلف . وكان فى دار العلم بمصر ١٢٠ نسخة منه . ولم يكن يتيسر اقتناؤه الا للملوك وأهل الثروة . ولما أظلم الشرق فى الاجيال الوسطى وخيم الجهل أحرقت المكاتب فضاعت نسخه . فلما أرادوا طبعه فى ليدن لم يجدوا منه نسخة كاملة فى مكان واحد ، فاضطروا الى جمعها من عدة أماكن . وقد ترجم هذا الكتاب الى الفارسية البلعمى . وترجمه عن ترجمة البلعمى زوتنبرج الى الفرنسية . وطبعت الترجمة فى سنة ١٨٧٤ فى أربعة مجلدات ٠ وترجم أيضا بعضه الى اللغة اللاتينية وطبع فىغريزوالد سنة ١٨٦٣ ، وترجم الى التركية وطبع فى الآستانة سنة ١٢٦٠ هـ

وقد عنى غير واحد بكتابة ذيل للتاريخ المذكور ، منهم عريب بن سعد الكاتب القرطبى الف ذيلا على الطبرى ينتهى الى سنة ٣٦٥ هـ طبع مع تاريخ الطبرى فى ليدن. ومحمد بن عبد الملك الهمدانىالمتوفى سنة ٥٢١هـ تمم حوادث التاريخ الى سنة ٤٨٧ ، سماه تكملة تاريخ الطبرى . ومنه نسخة خطية فى مكتبة باريس

٢ ـ التفسير الكبير : سيأتى ذكره فى باب التفسير

٣ ـ تهذيب الآثار فى الحديث : لم يتمه ويوجد بعضه فى مكتبة كوبرلى

٤ ـ اختلاف الفقهاء : يبحث فيما اختلف فيه الفقهاء الاربعة فى بعض الاحكام كالبيع والاعتاق والايجار والزرع والكفالة وما يتفرع عن ذلك ، طبع بمصر سنة ١٣٢٠.

وترجمة الطبرى فى ابن خلكان ٤٥٦ ج ١ ، وابن الاثير ٤٩ ج ٨ ، والفهرست ٢٣٤ (*)

٤ ـ أبو زيد البلخى

توفى سنة ٣٢٢ هـ

هو أحمد بن سهل ، ولد فى بلخ ونشأ فى العراق ، وأدرك الكندى الفيلسوف وأخذ عنه ، ثم عاد الى بلاده فخدم أمراءها . وكان مطلعا على العلوم القديمة ، ولذلك اتخذ فى مؤلفاته طريقة الفلاسفة من النقد والنظر. وكان ذلك سببا فى غضب الوجهاء عليه ، وبعد ان كانوا يسخون عليه فى العطاء قطعوه عنه واتهموه بالالحاد . ولابى زيد عشرات من المؤلفات فى موضوعات مختلفة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ٣١٨) ضاعت كلها

وله كتاب صور الاقاليم ، وهو من قبيل الجغرافية . وسنذكره بين جغرافيى العصر العباسى الثالث لانه قدوتهم فى رسم الخرائط

وترجمة أبى زيد البلخى فى معجم الادباء ١٤١ ج ١ ، والفهرست ١٣٨ (**)

٥ ـ ابن البطريق

توفى سنة ٣٢٨ هـ

هو افتيخوس سعيد بن البطريق ، ولد سنة ٢٦٣ فى الفسطاط ، واشتهر بالطب كما اشتهر بالتاريخ . وخلف من الآثار عدة مؤلفات وصلنا منها كتاب « نظم الجوهر » فى التاريخ ، الفه لاخيه عيسى فى معرفة التواريخ من عهد آدم الى سنى الهجرة وينتهى الى سنة ٣٢١هـ من الدولة العباسية . وهى السنة التى صار فيها المؤلف بطريركا على مدينة الاسكندرية على مذهب الملكية . وقد طبع كتابه هذا فى اكسفورد سنة ١٦٥٩ مع ترجمة لاتينية لادوار بوكوك المستشرق ، فى مجلدين صفحاتهما نحو ١١٠٠ صفحة . وطبعت قطع منه فى بطرسبرج سنة ١٨٨٣ وطبعه

(*) وراجع فى ترجمة الطبرى الانساب ٣٦٧ أ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٢ وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٥١ وتهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ٧٨ وروضات الجنات ص ٦٠٢ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٦٠ وطبقات الشافعية ج ٢ ص ١٣٥ وطبقات القراء لابن الجزرى ج ٢ ص ١٠٦ ، طبقات المفسرين للسيوطى ص ٣٠ واللباب لابن الاثير ج ٢ ص ٨١ ولسان الميزان ج ٥ ص ١٠٣ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٢٦١ والوافى بالوفيات «طبعة آستانبول» ج٢ ص٢٨٤ ومعجم الادباء ج١٨ ص ٤٠ وانباه الرواة ج ٣ ص ٨٩ وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

(**) وانظر فى البلخى سلم الوصول و Huart فى المجلة الاسيوية «المجموعة التاسعة» سنه ١٩٠١ المجلد ١٨ ص ١٦ ودائرة المعارف الاسلامية وكذلك أنظر فيها مادة جغرافية

اليسوعيون كاملا سنة ١٩٠٦ . وفيه كثير من أخبار النصارى وأعيادهم وذكر البطاركة وأحوالهم ومدة حياتهم وما جرى لهم . وقد ذيل هذا الكتاب يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكى بكتاب سماه « تاريخ الذيل » طبعه روزن المستشرق الروسى فى بطرسبرج سنة ١٨٨٣ مع ترجمة وتعاليق فى اللغة الروسية أضعاف الاصل العربى .. فجاء الكتاب المطبوع فى نيف وخمسمائة صفحة منها ٧٠ فقط للاصل العربى

وترجمة سعيد بن البطريق فى طبقات الاطباء ٨ ج ٢ (*)

***

وليست هذه كل كتب التاريخ الهامة التى ألفت فى هذا العصر ، فان مئات منها ضاعت وأكثرها فى أخبار الخلفاء والوزراء والنسب وأخبار المدن والدول والملوك وغير ذلك . ففى مقدمة مروج الذهب اسماء نحو مائة منها ، استعان بها المسعودى فى تأليف ذلك الكتاب . وهو لم يذكر الا الكتب التى اشتهر مؤلفوها . وقد ضاع معظمها ، وفيما ضاع منها كتب هامة تحتوى على أخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وغيره من تواريخ الامويين .. فان أخبار هذه الدولة ضاعت فى أيام بنى العباس تزلفا من الكتاب لاهل الدولة . وبعض الكتب التى ذكرها المسعودى فاتت صاحب الفهرست ، وقليل منها لايزال باقيا الى الآن كتاريخ اليعقوبى والطبرى

(*) وانظر فى سعيد بن البطريق دائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

الجغرافية والجغرافيون

فى العصر العباسى الثانى

اسباب وضع الجغرافية عند العرب

نشأ علم الجغرافية فى هذا العصر بعد نقل علوم القدماء الى العربية ، وفى جملتها كتاب بطليموس ، وعليه معولهم فى تقويم البلدان .. على ان المسلمين بدأوا فى وضع الجغرافية قبل اطلاعهم على ذلك الكتاب لاسباب غير التى دعت اليونان الى وضعها وهى :

أولا : كان المسلمون على اختلاف بلادهم يحجون الى مكة ، والحج فريضة على كل مسلم . والقدوم الى مكة يفتقر الى معرفة الطرق والمنازل

ثانيا : كان المسلمون يرحلون فى طلب العلم الى سائر الامصار الاسلامية ، والرحلة تستلزم معرفة الاماكن والمناطق

ثالثا : أبحاثهم فى تحقيق أسباب الفتح لضرب الخراج والجزية واجتناء المقاطعات ، وهذه أيضا تفتقر الى تعرف البلاد وطرقها .. فاضطر العرب الى التأليف فى البلدان قبل هذا العصر . وأول من فعل ذلك رواة الادب وأصحاب الاخبار

فلما ترجمت الجغرافية الى العربية واطلع العرب عليها ، اخذوا فى تأليف الكتب على مثالها وتوسعوا فى ذلك وزادوا عليه ما عرفوه من قبل . ولم يكتفوا بالنقل والسماع ، ولكنهم ركبوا البحار وجابوا الاقطار شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وكتبوا ما شاهدوه أو تحققوا منه وصححوا كثيرا من أخطاء بطليموس (*) . على أن علم الجغرافية عند العرب لم ينضج الا فى القرن الرابع للهجرة ، فتهافت الناس على التأليف فيه

ولكن علماء القرن الثالث (أو العصر العباسي الثانى) الذى نحن فى صدده ، مهدوا السبيل للتأليف فيه من عند أنفسهم لكثرة اسفارهم فى سبيل الرحلة أو لاشتغالهم فى احصاء خراج المملكة وفى تعيين طرق البريد ، مما يقتضي معرفة الأماكن وأبعادها وجهاتها ، ويعد ذلك من قبيل الجغرافية

وبين ما ألفوه فى هذا الموضوع ما هو عام شامل للمملكة الاسلامية

(*) انظر فى المؤلفات الجغرافية عند العرب مادة جغرافيا فى دائرة المعارف الاسلامية وفصل الجغرافيا فى كتاب الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى (ترجمة أبى زيدة ـ طبع لجنة التاليف) ج ٢

وغيرها ، ونسميه « الجغرافية العامة » . ومنه ما يختص ببقعـــة من الارض وندعوه « الجغرافية الخاصة » واليك اقدم من الف فى كليهما :

مؤلفو الجغرافية العامة ومؤلفاتهم

١ ـ ابن خرداذبة

فى أواسط القرن الثالث للهجرة

هو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة . كان خرداذبة مجوسيا وأسلم على يد البرامكة . وتولى حفيده أبو القاسم البريد والخبر بنـــواحى الجبل بفارس ونادم المعتمد وخص به . والف كتبا فى أدب السماع واللهو والملاهى والشراب وجمهرة انساب الفرس والطبيخ وغيرها ولم يصلنا الا :

ـ كتاب المسالك والممالك : ضمنه احصاء جباية المملكة العباســـية فى أواسط القرن الثالث، وقد نشرنا ذلك الاحصاء فى تاريخ التمدن الاسلامى (ص ٦٢ ج ٢) وهو احصاء رسمى عن الجباية والطرق والمسافات . وطبع الكتاب فى ليدن سنة ١٣٠٦ هـ بعنـــاية المستشرق دى غويه مع ترجمة فرنسية . وفيه فوائد كثيرة تاريخية فضلا عن تقاســيم المملكة وطول المسافات بين البلاد

وترجمته فى الفهرست ١٤٩ (*)

٢ ـ قدامة بن جعفر

وقد تقدم ذكره بين الادباء ، له كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، لم يصلنا منه الا نحو مائة صفحة فى ديوان البريد والسكك والطـرق الى نواحي المشرق والمغرب والمسافات بين البلاد فضلا عن مقادير الجباية لســنة ٢٢٥ هـ ، طبعت فى ليدن مع ترجمة فرنسية . وقد نشرناها أيضا فى تاريخ التمدن الاسلامى (ص ٥٧ ج ٢)

٣ ـ كتاب البلدان لليعقوبى

قد تقدم ذكر اليعقوبى بين المؤرخين . أما كتاب البلدان فقد جمع فيه ما عرفه بنفسه من أحوال البلدان فى عصره لانه عانى الاسفار من صفره ، وكان كلما رأى رجلا من تلك البلدان بالمشرق والمغرب سأله عن وطنـــه ومصره وأحوال أهله وأجناسهم وأكلهم وشربهم ولباســهم والابعاد بين البلاد ومبالغ الخراج وأخبار الفتح .. ويدون ما وصل اليه حتى الف

(*) مراجع فى ابن خرداذبة المكتبة الجغرافية نشر دى غوية الجزء الاول (المقدمة) والمراجع المذكورة بها والحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ١ وكذلك دائرة المعـــارف الاسلامية

كتاب البلدان . فهو من أمهات الكتب لانه غير منقول عن كتاب آخر . وقد أفاض المؤلف على الخصوص فى وصف بغداد كما كانت فى أيامه ، ووصف سامرا وتاريخها . ثم ذكر بلاد المشرق وهى فى اصطلاحهم بلاد فارس شرقى العراق الى تركستان . وانتقل الى بلاد العرب فالشام فالمغرب الى الاندلس . والكتاب طبع فى ليدن سنة ١٨٦١ هـ بعناية المستشرق جونبول . وطبع أيضا فى جملة « المكتبة الجغرافية » . والمكتبة المذكورة تشتمل على ما صدر من كتب الجغرافية العربية الى أواخر القرن الرابع فى ثمانية مجلدات وهى :

١ ـ المسالك والممالك لابن خرداذبة وكتاب الخراج لقدامة
٢ ـ كتاب البلدان لابن الفقيه
٣ ـ كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته وكتاب البلدان لليعقوبى
٤ ـ مسالك الممالك للاصطخرى
٥ ـ المسالك والممالك لابن حوقل
٦ ـ أحسن التقاسيم للمقدسى
٧ ـ كتاب التنبيه والاشراف للمسعودى
٨ ـ فهرس ابجدى عمومى

طبعت كلها فى ليدن بعناية المستشرق دى غويه . وقد ذكرنا بعضها ويأتى ذكر الباقى فى أماكنه

٤ ـ ابن الفقيه

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم الهمذانى ، ويعرف بابن الفقيه . أحد أهل الادب فى أواخر القرن الثالث للهجرة ، ولا يعرف من أمره أكثر من ذلك . ذكروا له عدة كتب وصلنا منها «كتاب البلدان» الفه بعد موت المعتضد (سنة ٢٧٩ هـ) وصف به الارض والبحار فى الصين والهند وبلاد العرب ومصر وبلاد المغرب والبربر والشام وفلسطين وما بين النهرين وبلاد الروم وافاض فى وصف البصرة والكوفة أما بغداد فلم يرد ذكرها فيه الا عرضا . يقول ابن النديم : « انه أخذه من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهانى » والجيهانى هذا وزير صاحب خراسان ، كان له كتاب المسالك والممالك ، ضاع وقام كتاب البلدان لابن الفقيه مقامه . وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٨٨٥ فى جملة المكتبة الجغرافية

وتجد ترجمة ابن الفقيه فى الفهرست ١٥٤، ومعجم الادباء ٦٣ ج٢(*)

(*) وانظر فى ابن الفقيه دائرة المعارف الاسلامية، وكتابه البلدان الذى نشر باسمه يغلب أن يكون مختصرا لكتابه الحقيقى ، صنعه على بن حسن الشيزرى المتوفى حوالى عام ٤١٣ هـ وهو الذى نشر فى المكتبة الجغرافية باسمه ، وانظر الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٢

٥ ــ ابن رسته

هو أبو علي أحمد بن عمر بن رسته ، له كتاب اسمه الاعلاق النفسية كتبه سنة ٢٩٠ هـ في أصبهان .. وهو كالموسوعة ، منه سبعة مجلدات في تقويم البلدان ، عثروا على نسخة خطية منه في المتحف البريطاني . وقد طبع مجلد منه في جملة « المكتبة الجغرافية » وهو يبحث في عجائب السموات ومركز الارض منها وحجم الارض . ثم يصفها فيبدأ بمكة والمدينة ، ويصف البحار والانهار والاقاليم السبعة وخصوصا ايران وما يليها . وفيه فصل في الأوائل الذين أحدثوا الاشياء واقتدى بهم سواهم ، وآخر في المتشابهين في أحوال شتى والمشتركين في كنية واحدة والمشهورين من ذوي العاهات . ولهذا الكتاب ترجمة المانية طبعت سنة ١٩٠٥ (*)

مؤلفو الجغرافية الخاصة ومؤلفاتهم

١ ــ ابن الحائك

توفي سنة ٣٣٤ هـ

هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني . من قبيلة همدان باليمن ، المعروف بابن الحائك المتوفى سنة ٣٣٤ بسجن صنعاء . وخلف عدة مؤلفات في الفلك والطبيعيات والجغرافية وغيرها وصلنا منها :

١ ــ كتاب صفة جزيرة العرب : فيه فوائد هامة عن وصف جزيرة العرب وجبالها ومساكنها ومدنها ولغاتها وزراعاتها ومعادنها وآثارها مما يعز العثور عليه في سواه . وقد نشر هذا الكتاب المستشرق هنري مولر في ليدن سنة ١٨٨٤ مع ملحق للشروح والتعاليق

٢ ــ كتاب الاكليل : ولابن الحائك هذا كتاب جزيل الفائدة في وصف اليمن وآثارها اسمه « الاكليل » في انساب حمير وملوكها يدخل في عدة اجزاء ، يشتمل على عشرة فنون في جملتها ابحاث في القرانات وعلم الطبيعة وأحكام النجوم وآراء الاوائل وغير ذلك .. لم يقف الباحثون الا على جزء نشره المستشرق مولر المذكور مع ترجمة المانية وتعاليق . وقد اقتبسنا كثيرا منه في كتابنا « العرب قبل الاسلام » لانه يصف قصور اليمن ومحافدها في صنعاء ومأرب مما شاهده بنفسه في مكان السد وكيفية توزيع المياه

(*) وراجع في ابن رسته مقدمة دي غويه لكتابه في المكتبة الجغرافية وكذلك بروكلمن ٢٢٧ ج ١ ودائرة المعارف الاسلامية

وترجمة ابن الحائك فى اخبار الحكماء لابن القفــطى ١١٣ ، ومعجم الادباء ٩ ج ٣ (*)

٢ ـ ابن فضلان

هو أحمد بن فضلان مولى محمد بن سليمان ، أنفذه المقتدر العباسى سنة ٣٠٩ هـ الى ملك الصقالبة بمهمة ، فكتب رحلة عرفت باسمه ذكر فيها ما شاهده منذ انفصل من بغداد الى أن عاد اليها ، وفيها وصــف البلغار وعاداتهم وغير ذلك . وهى مطبوعة فى بطرسبرج سنة ١٨٢٣ مع ترجمة روسية ، ونشرها ياقوت فى معجم البلدان فى مادة بلغار (**)

٣ ـ سلسلة تواريخ (***)

كتاب جزيل الفائدة .. هو ليس تاريخا كما يؤخذ من اسمه ، وانما هو رحلة أو رحلات فى الهند والصين وأقصى الشرق لغير واحد من تجار العرب فى القرن الثالث للهجرة . أحدهم يدعى سليمان سافر بنفســه الى الهند والصين ، ووصف ما شاهده وعلمه من أحوال التجارة وبعض أصنافها . والآخر أبو زيد حسن من أهل سيراف ، أكثر ما ذكره منقول عن تجار آخرين من العرب ارتادوا الشرق الاقصى حتى بلغوا الصين . وقد التقى أبو زيد هذا بالمسعودى المؤرخ ، وتبادلا الاخبار كما يظهر مما ذكره فى مروج الذهب من بحر الهند وعجائبه بالمقابلة على ما فى هــذه الرحلة

وبالجملة ان هذا الكتاب يبين ما بلغ اليه العرب فى تجاراتهم وأسفارهم فى القرن الثالث للهجرة . وهو مطبوع فى باريس سنة ١٨٤٥ مع ترجمة فرنسية ومقدمة انتقادية لرينو المستشرق الفرنسى

٤ ـ عجائب الهند (****)

هذا أيضا كتاب مهم لانه يشتمل على ما كان يعرفه العرب فى القــرن الثالث للهجرة وأوائل الرابع من بلاد الشرق الاقصى بين شواطىء بلاد العرب والهند والزنج الى الصين . ومؤلفه بزرك بن شهريار فارسى ، لكنه كتب تلك العجائب بالعربية .. لغة الادب والسياسة والدين عندهم فى أوائل القرن الرابع للهجرة ، نقلا عما سمعه من ملاحى البحار وأكثرهم

(*) وانظر فى ابن الحائك طبقات الامم لصاعد ص ٥٨ وطبقات ابن قاضى شــهبة ج ١ ص ٣١٩ وروضات الجنات ص ٢٣٨ وانباه الرواة ج ١ ص ٢٧٩ وبغية الوعاة ص ٢١٧

(**) وراجع فى ابن فضلان بروكلمن ٢٢٧ ج ١ ودائرة المعارف الاسلامية ، وقد نقل عنه ياقوت أيضا فى مواد : باشقرد ، وخزر ، وخوارزم ، وروس

(***) راجع فى هذه السلسلة كتابنا الرحلات المنشور فى سلسلة فنون الادب العربى « طبع دار المعارف » وكذلك أنظر كتاب حديث السندباد القديم لحسين فوزى

(****) أنظر فى هذا الكتاب أيضا : كتابنا « الرحلات » وحديث السندباد القديم

من السيرافيين الذين كانوا ينقلون التجارة بين شواطئ المحيط الهندى ٠ وقد نسب كل قول الى قائله وسماه باسمه وعين السنة التى حدثه بها أو روى وقوع الخبر فيها ٠ ويتخلل رواياته مبالغات بعيدة الحدوث فى نظر أهل هذا الزمان ، لكنه يروى ما سمعه على علاته ، وفى جملة ذلك أسماك وطيور هائلة الحجم تخالف ما عرفناه من أحكام التاريخ الطبيعى ٠ ولا يطعن ذلك فيما يحويه الكتاب من الحقائق ، لان أهل ذلك العصر معذورون فى تصديق ما يسمعونه من المبالغات ٠ ولم يكن ذلك خاصا بالعرب أو الشرقيين ، بل هو يتناول سائر الامم ٠ وعند الافرنج من أخبار أجيالهم الوسطى مالا يقل غرابة عن خرافات ألف ليلة وليلة ٠ وسنعود الى ذلك فى مكان آخر

***

أما كتاب عجائب الهند الذى نحن بصدده ، فمنه نسخة خطية فى مكتبة ايا صوفيا قديمة جدا ، وعنها نقلت نسخة طبعت فى ليدن سنة ١٨٨٦ بعناية المستشرق فان درلينت مع ترجمة فرنسية لمارسل دفيك ٠ وفى هذه الطبعة أربع صور ملونة منقولة عن مسودات مقامات الحريرى فى مكتبة المستشرق شيفر ، تمثل أسفار العرب فى البحار لذلك العهد

العلوم الإسلامية

فى العصر العباسى الثانى

قد رأيت ان الفقه توطدت قواعده فى العصر الماضى ، والعلوم الدخيلة لا تزال فى أول نقلها ولم تتمكن من نفوس الناس . أما فى هذا العصر فكانت قد انتشرت الفلسفة والطبيعيات والمنطق ، ففيرت كثيرا من الآراء وتولدت مذاهب فى الفقه لم تكن من قبل ، وتفرع مذهب الاعتزال ونشأ علم الكلام أو التوحيد (*) واليك تاريخ ذلك

علم الكلام أو التوحيد

هو حادث بعد الفقه ، وسبب وضعه انه ورد فى القرآن وصف الاله بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل . وقد فسرها صاحب الشريعة الاسلامية والصحابة والتابعون على ظاهرها . وورد فى القرآن أيضا آيات أخرى توهم التشبيه مرة فى الذات ومرة فى الصفات ، ورأى الاولون ذلك الخلاف ، فغلب فى معتقدهم تفضيل التنزيه لكثرة أدلته ووضوح دلالتها وتابعهم الاكثرون . غير أن جماعة اتبعوا ماتشابه من الآيات وتوغلوا فى التشبيه فى الذات ، فاعتقدوا فى الله صفات الآدميين كاليد والقدم والوجه عملا بظواهر وردت فى بعض الآيات ، فوقعوا فى التجسيم الصريح وخالفوا التنزيه المطلق . وأخذوا يكتبون ويقولون أقوالا كثيرة مخالفة لرأى الجمهور . . فنهض أهل السنة وهم التابعون لاقوال الصحابة وجاءوا بالادلة العقلية على هذه العقائد دفعا لتلك البدع ، وهو علم الكلام أو التوحيد . وفى أثناء ذلك نقلت كتب اليونان الى العربية ، فأحبها المسلمون وعكفوا على مطالعتها . . فانتشرت فلسفة اليونان فى الاسلام وأقبلت المعتزلة والقدرية والجهمية وغيرهم عليها ، وأكثروا من النظر فيها فتوسعوا فيما أرادوه منها من تقوية الحجة والجدل فيما كانوا فيه .

فازداد كل منهم تمسكا بمذهبه وعظمت الفتنة بسبب ذلك ، وانتشرت تلك المذاهب بين المسلمين انتشارا عظيما وهى فى ذلك العهد : مذاهب القدرية ، والجهمية ، والمعتزلة ، والكرامية ، والخوارج ، والرافضة ، والباطنية

(*) الحق ان علم الكلام وما يطوى فيه من الاعتزال نشأ فى العصر الاموى، ففيه توفى واصل ابن عطاء امام المعتزلة سنة ١٣١ للهجرة ، وازدهر هذا العلم فى العصر العباسى الاول . وانظر فى بيان ذلك الفصل الثالث من كتاب تاريخ الفلسفة في الاسلام لدى بور وفجر الاسلام وضحى الاسلام الجزء الثالث لاحمد أمين وكذلك الفصل الثالث من كتاب العقيدة والشريعة فى الاسلام لجولدتسيهر ودائرة المعارف الاسلامية

وما زالت الحال كذلك الى أن ظهر أبو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى ، فسلك طريقا وسطا بين مذهب الاعتزال ومذهب أهل السنة ، فمال اليه جماعة وعولوا على رأيه لما فيه من التسوية بين سائر الآراء ، ووافقه جماعة كبيرة من نخبة علماء تلك العصور وهم الاشعرية مما يطول بنا الكلام فيه

علمـــاء الـكلام

١ ــ الامام أبو حنيفة : أقدم من ألف فى علم الكلام ، فان كتابه الفقه الاكبر يعد من هذا القبيل . وقد تقدم ذكره فى كلامنا عن مؤلفاته فى الفقه

٢ ــ أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال المتوفى سنة ١٣١هـ :كان من الائمة البلغاء المتكلمين وكان يلثغ فى الراء ، لكنه كان لبراعته واقتداره يخلص كلامه من الراء فلا يفطن لذلك أحد . ترجمته فى ابن خلكان ١٢٧ ج ٢ (*)

٣ ــ أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٣٢هـ :كان شيخ البصريين فى الاعتزال ،وكان حسن الجدال قوى الحجة كثير الاستعمال للادلة . ومما يروى عنه من هذا القبيل انه لقى صالح بن عبد القدوس، وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه، فقال له أبو الهذيل: «لا أعرف لجزعك عليه وجها، اذا كان الانسان عندك كالزرع» قال صالح : « يا أبا الهذيل انما اجزع عليه لانه لم يقرأ كتاب الشكوك» فقال له : «كتاب الشكوك ماهو ياصالح ؟ » قال : «هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان» فقال أبو الهذيل : «فشك أنت فى موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات ، وشك أيضا فى قراءته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه » . ترجمته فى ابن خلكان ٤٨٠ج١ (**)

٤ ــ أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ : كان امام المتكلمين فى عصره ، أخذ علم الكلام عن أبى يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصرى رئيس المعتزلة بالبصرة ، وله مقالات فى مذاهب العلماء . ترجمته فى ابن خلكان ٤٨٠ ج ١ (***)

٥ ــ أبو الحسن الاشعرى المتوفى ببغداد سنة ٣٣٣ هـ : سمع زكريا الساجى وأبا خليفة الجمحى وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقرىء وعبد الرحمن بن خلف الضبى المصرى . وروى عنهم فى تفسيره كثيرا ، وتتلمذ

(*) وراجع فى واصل أمالى المرتضى « طبع الحلبى » ج ١ ص ١٦٣ وما بعدها ولسان الميزان ج ٦ ص ٢١٤ والبيان والتبيين « طبع عبد السلام هرون » ــ انظر الفهرس ــ وضحى الاسلام لاحمد أمين الجزء الثالث ودائرة المعارف الاسلامية وكتاب المعتزلة لمؤلفه ت . و . أرنولد ص١٨ والعقيدة والشريعة فى الاسلام لجولدتسيهر ص ٩٠

(**) وانظر فى أبى الهذيل كتاب الملل والنحل للشهرستانى ص ص ٣٤ وامالى المرتضى ج ١ ص ١٧٨ وظهر الاسلام الجزء الثالث وتاريخ الفلسفة فى الاســلام ص ٥٧ وأرنولد Arnold فى كتابه المعتزلة Al-Mutazilah « طبع ليبسك ١٩٠٢ » ودائرة المعارف الاسلامية

(***) وانظر فى الجبائى الفرق بين الفرق للبغدادى ص١٦٧ والمعتزلة لارنولد ص ٤٥ ودائرة المعارف الاسلامية والملل والنحل ص ٣٦ ــ ٤١ وضحى الاسلام الجزء الثالث ، ودائرة المعارف الاسلامية

لزوج أمه أبي على محمد بن عبد الوهاب الجبائي واقتدى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة . ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة ، وصعد كرسيا يوم الجمعة بجامع البصرة ونادى بأعلى صوته : « من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أعرفه بنفسي ، انا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وان الله لايرى بالابصار وان أفعال البشر هم يفعلونها ، وأنا تائب مقلع ، معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعايبهم » . وأخذ منذ ذلك الحين في الرد عليهم ، وسلك بعض طريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب القطان ، وبنى على قواعده وصنف خمسة وخمسين تصنيفا . منها كتاب اللمع ، وكتاب الموجز ، وكتاب ايضاح البرهان ، وكتاب التبيين على أصول الدين ، وكتاب الشرح والتفصيل ، وكتاب الابانة ، وكتاب تفسير القرآن . يقال انه في سبعين مجلدا ، وغيرها ، واكثرها ضاع . وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن أبي بردة على عقبه ، وكانت نفقته في السنة سبعة عشر درهما . وكانت فيه دعابة ومزح كثير . قال مسعود ابن شيبة في كتاب التعليم : كان حنفي المذهب معتزلي الكلام لانه كان ربيب أبي على الجبائي ، وهو الذي رباه وعلمه الكلام . وذكر الخطيب انه كان يجلس أيام الجمعة في حلقة أبي اسحق المروزي الفقيه في جامع المنصور ، وقال أبو بكر بن الصيرفي : « كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى اظهر الله تعالى الاشعري فحجزهم في اقماع السماسم »

العقيدة الاشعرية

وجملة عقيدته « ان الله تعالى عالم بعلم ، قادر بقدرة ، حي بحياة ، مريد بارادة ، متكلم بكلام ، سميع بسمع ، بصير ببصر ، وان صفاته ازلية قائمة بذاته تعالى ، لايقال هي هو ، ولا هي غيره ، ولا لا هي هو ولا غيره . وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات ، وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده ، وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص ، وكلامه واحد هو أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد . وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات في كلامه لا الى نفس الكلام . والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازلي ، فالمدلول وهو القرآن المقروء قديم أزلي ، والدلالة وهي العبارات وهي القراءة مخلوقة محدثة »

وترجمة الاشعري في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١ ، والمقريزي ٣٥٩ ج ٢ (*)

وهناك طائفة من المتكلمين اغضينا عن ذكرهم ، على ان بعضهم سيأتي ذكره في الابواب الاخرى

(*) وراجع في الاشعري كتاب الملل ص ٦٨ وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٦٥ والعقيدة والشريعة في الاسلام ص ٩٩ وشريتر في تاريخ الاشاعرة «أعمال المؤتمر الدولي الثامن للمستشرقين والقسم الاول ص ٧٩ وسبيتا Spitta في بحثه عن الاشعري Zur Geschichte Abu'l Hassan Al-Asch'ari ودائرة المعارف الاسلامية

الحـــديث

فى العصر العباسى الثانى

اصحاب الكتب الستة

فى هذا العصر نضج علم الحديث ووضعت فيه الكتب الستة المشهورة ، وهى عمدة المحدثين . وأصحابهـــا ثقة وهاك تراجمهم حسب سنى الوفاة :

١ ــ البخـــارى

توفى سنة ٢٦٥ هـ

هو أبوعبد الله محمد بن أبى الحسن اسماعيل البخارى ، ولد فى بخارا سنة ١٩٤هـ وتوفى فى بغداد سنة ٢٥٦هـ ، كان مغرما بطلب الحديث فرحل لسماعه الى كثير من الامصار والمدن ، وشهد له معاصروه بعلم الرواية والدراية.

وهو صاحب كتاب «جامع الصحيح» المشهور بصحيح البخارى ، أول الكتب الستة فى الحديث وأفضلها على المذهب المختار ، وفى شهرته غنى عن وصفه. طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٩هـ ، وطبع بالحروف بمصر مرارا . وله شروح كثيرة بعضها مطبوع ، منها شرح العينى طبع بمصر فى ١١ مجلدا ، وفى المكتبة الخديوية نسخ كثيرة منه مكتوبة بخطوط مختلفة فى أزمنة مختلفة

وللبخارى كتاب خلق افعال العباد مطبوع فى دلهى بالهند سنة ١٣٠٦ مع كتاب العلم الذهبى . وله كتاب الادب خط فى كتب الشنقيطى

وترجمة البخارى فى ابن خلكان ٤٥٥ ج ١ ، والفهرست ٢٣٠ (*)

٢ ــ مسلم القشـــيرى

توفى سنة ٢٦١ هـ

هو الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى . توفى سنة ٢٦١ هـ فى نيسابور ، وكان من الائمة الحفاظ وأعلام المحدثين . رحل الى الحجاز والشام ومصر لاستماع الحديث ، وألف فيه كتابا ســـماه « الجامع الصحيح » ، منه نسخ عدة خطية فى المكتبة الخديوية . وقد طبع فى الهند سنة ١٢٦٥ ، وفى مصر فى تسعة أجزاء

وترجمة مسلم فى ابن خلـكان ٩١ ج ٢ ، والفهرست ٢٣١ (**)

(*) وراجع فى البخارى طبقات الشافعية للسبكى ج ٢ ص ٢ وطبقات الحفـــاظ للذهبى ومقدمة فتح البارى على البخارى لابن حجر وكذلك مقدمة شرح القسطلانى ودائرة المعـــارف الاسلامية

(**) وانظر فى مسلم طبقات الحفاظ للذهبى ومقدمة النووى لشرحه على صحيحه وتهذيب الاسماء ص ٥٤٨ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٢٦ ودائرة المعارف الاسلاميه

٣ ــ ابن ماجــه

توفى سنة ٢٧٣ هـ

هو محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى المتوفى سنة ٢٧٣ هـ ، كان اماما فى الحديث عارفا بعلومه .. ارتحل فى طلبه الى البصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر، والف فيه كتاب «السنن» منه فى المكتبة الخديوية عدة نسخ خطية كتبت فى ازمنة مختلفة ، وطبع فى دلهى على الحجر سنة ١٢٨٢ وبمصر سنة ١٣١٣ ، ويعرف بسنن ابن ماجه

وترجمته فى ابن خلكان ٤٨٤ ج ١ (*)

٤ ــ أبو داود

توفى سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو داود سليمان بن الاشعث الازدى السجستانى المتوفى فى البصرة سنة ٢٧٥ هـ ، وكان أحد حفاظ الحديث .. ألف كتابا فى الحديث سماه « السنن » وتعرف بسنن الامام أبى داود . طبع فى مصر سنة ١٢٨٠ هـ ، وفى لكنا والهند سنة ١٨٨٨ مع فهرس ابجدى ، وفى غيرهما . وترجمته فى ابن خلكان ٢١٣ ج ١ (**)

٥ ــ الترمذى

توفى سنة ٢٧٩ هـ

هو الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الضحاك الترمذى الضرير ، له كتاب « الجامع الصحيح » منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية . وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٢ هـ ، وله شروح كثيرة . وترجمة الترمذى فى ابن خلكان ٤٨٤ ج ١ (***)

٦ ــ النســائى

توفى سنة ٣٠٣ هـ

هو أبو عبد الرحمن احمد بن على النسائى . توفى بمكة سنة ٣٠٣ هـ ، وهو صاحب كتاب السنن المعروف باسمه ، طبع بمصر فى مجلدين سنة ١٣١٢ وغيرها

(*) وراجع فى أبن ماجه دائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٦٨ ج ١

(**) وانظر فى أبى داود تهذيب الاسماء ص ٧٠٨ وطبقات الحفاظ « طبعة وستنفلد » ج٩ رقم ١١٦ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٦١ ج ١

(***) وراجع فى الترمذى الانساب ١٠٥ وطبقات الحفاظ للذهبى « طبعة وستنفلد» ج٢ ص ٥٧ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ١١٧ وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٣٨٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٧٤ ونكت الهميان ص ٢٦٤ ومفتاح السعادة لطاشكبرى زاده ج ٢ ص ١١ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨١

وترجمته فى ابن خلكان ٢١ ج ١ (*)

وهناك كتب حديث ظهرت نحو ذلك الزمن ، منهـا سنن الدارمى عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، طبع فى كنبور الهنـد سنة ١٢٩٣

التفسـير

التفسير الكبير للطبرى

ونضج فى هذا العصر أيضا علم التفسير ، فظهر فيه التفسير الكبير لابى جعفر بن جرير الطبرى ، ويسمى جامع البيان فى تفسير القرآن جمع فيه أقوال الصحابة والتابعين . ويمتاز بأن صاحبه يبين فيه ترجيح بعض الاقوال ، طبع بمصر سنة ١٩٠٤ فى ٣١ جزءا ، وهو من أجل التفاسير وله مكانة خاصة لسبقه سواه . وفيـه كثير من الفوائد التاريخيـة والادبية واللغوية فضلا عن التفسـير . وقد ترجمنـا للطبرى فى باب التاريخ .

(*) وانظر فى النسائى طبقات الحفاظ للذهبى ج٢ ص٢٦٦ وتهذيب التهذيب لابن حجـر ج ١ ص ٣٦ والانساب للسمعانى ٥٥٩ ودائرة المعارف الاسلامية

العلوم الدخيلة

فى العصر العباسى الثانى

أولا : الفلسفة والرياضيات

قد رأيت ان المشتغلين فى نقل العلم بالعصر العباسى الاول ، كان أكثرهم من غير المسلمين . فلما صارت تلك العلوم فى العربيـــة ، اشـــتغل بها المسلمون ونبغ منهم الفلاسفة والاطباء والرياضيون وغيرهم . وأقدم من اشتهر من الفلاسفة المسلمين فى هذا العصر وأكبرهم وأسبقهم يعقوب بن اسحق الـكندى يليه الفارابى :

١ ـ يعقوب الـكندى

فى أواسط القرن الثالث

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندى ، ويتصل نسبه بملوك كندة .. فهو عربى بحت ، ولذلك سموه فيلسوف العرب . وكان معاصرا للمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، وله عندهم منزلة سامية . وقد برع فى الطب والفلسفة والحساب والمنطق والالحان والهندسة وطبائع الاعداد وعلم النجوم .. نبغ وليس فى المسلمين فيلسوف غيره . وحذا فى مؤلفـاته حذو أرسطو ، وله ترجمات عدة نقلها لنفسه . وكان يعد من حذاق التراجمة ، ولم يذكر بينهم لانه لم يرتزق بالترجمة . وقد ألف الكندى فى معظم العـــلوم الدخيلة كتبا كثيرة ذكرها صاحب الفهرست ، واليك عددها باعتبار العلوم :

اسم العلم	عدد الكتب	اسم العلم	عدد الكتب
الفلسفة	٢٢	الطب	٢٢
الحساب	١١	الجدل	١٧
النجوم	١٩	السياسة	١٢
الهندسة	٢٣	الاحداث	١٤
الطبيعيات	٣٣	الاحكام	١٠
الـكريات	٨	النفس	٥
المنطق	٩	الابعاد	٨
الموسيقى	٧	تقدمة المعرفة	٥
الفلـكيات	١٦	المجموع الـكلى	٢٣١

ويؤخذ من مراجعة أسماء هذه الكتب ، ان الرجل كان كثير التضلع فى العلوم حتى انتقد أصحابها . واكثر هذه الكتب ضاع ولم يبق منها الا : (١) كتاب فى الاهيات ارسطو (٢) رسالة فى الموسيقى .. وكلاهما موجودان فى مكتبة برلين (٣) رسالة فى معرفة قوى الادوية المركبة ، فى مكتبة منشن ، ولها ترجمة لاتينية مطبوعة (٤) فى المد والجزر (٥) علة اللون اللازوردى الذى يرى فى الجو فى جهة السماء .. وكلاهما فى اكسفورد (٦) ذات الشعبتين ، آلة فلكية فى ليدن (٧) اختيارات الايام ، فى ليدن (٨) مقالة تحاويل السنين فى الاسكوريال (٩) رسالة ملك العرب وكميته ، طبعت فى ينبرج سنة ١٨٧٥ وعليها شروح ، وغيرها

وترجمة الكندى فى الفهرست ٢٥٥ ، وأخبار الحكماء لابن القفطى ٢٤٠ ، وطبقات الاطباء ٢٠٦ ج ١ (*)

٢ — الفـــارابى

توفى سنة ٣٣٩ هـ

ويلى الكندى الفارابى ، واسمه محمد بن طرخان . أصله من فاراب ، لكنه فارسى المنتسب ، نشأ فى الشام واشتغل فيها . وكان فيلسوفا متعمقا درس كل مادرسه الكندى من العلوم وفاقه فى كثير منها .. وخصوصا فى المنطق . وتعمق فى الفلسفة والتحليل وانحاء التعليم وأفاد فى وجوه الانتفاع بها . وألف كتبا فى موضوعات لم يسبقه أحد اليها ، ككتابه فى احصاء العلوم الآتى ذكره ، وكتاب « السياسة المدنيـــة » وهو من قبيل الاقتصـــاد السياسى الذى يزعم أهل التمدن الحديث انه من مخترعاتهم ، وقد كتب فيه الفارابى منذ ألف سنة . ثم كتب فيه غيرهما كما ستراه مفصلا فيما يلى . وبرع الفارابى خصوصا فى فن الموسيقى حتى أصبح لايضاهيه فيه أحد ، واخترع القانون كما سيأتى فى باب الموسيقى . وأصلح ما بقى من الترجمات غير مصلح ولخصها .. أوعز اليه بذلك منصور بن نوح السامانى فأجاب ، وسمى كتابه « التعليم الثانى » ولذلك سموه « المعلم الثانى » (١)

ومن مؤلفاته الباقية الى الآن نحو ١٢ كتابا فى المنطق متفرقة فى مكاتب أوربا ، بعضها منقول الى اللاتينية أو العبرانية ، أكثرها فى الاسكوريال . وبعض الترجمات اللاتينية مطبوع فى البندقية وغيرها . وثمانية مؤلفات فى السياسة والادب منها :

١ — كتاب مبادىء آراء أهل المدينـــة الفاضلة ، طبعها ديتريصى فى ليدن سنة ١٨٩٥

(*) وراجع فى الكندى طبقات الامم لصاعد ص ٥٩ والمسعودى ج ٢ ص ٢٤٣ وبحثا فيـــه لمصطفى عبد الرازق بمجلة كلية الاداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٣ وتاريخ الفلسفة فى الاسلام لدى بور ص ١١٤ ومقدمة أحمد فؤاد الاهوانى ومحمد عبد الهادى أبى ريدة لمجموعتى الرسائل التى نشراها له وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك لقدرى حافظ طوقان «نشر الجامعة العربية بالقاهرة » ص ١٣٧ ودائرة المعارف الاسلامية

(١) كشف الظنون ٤٤٨ ج ١

٢ — كتاب احصاء العلوم والتعريف بأغراضها المتقدم ذكره ، وهو من قبيل موسوعات العلم لانه يشتمل على عدة علوم . منه نسخة خطية فى الاسكوريال ، وله ترجمة عبرانية وأخرى لاتينية . وبهذا الكتاب عد الفارابى من مؤسسى الموسوعات العربية ، وسنعود الى ذلك . وكتاب السياسة المدنية نشره الاب شيخو فى بيروت سنة ١٩٠٢

وله تسعة كتب فى الرياضيات والنجوم والكيمياء والموسيقى ، متفرقة فى مكاتب أوربا والآستانة مع ترجماتها العبرانية أو اللاتينية . وتسعة كتب أخرى فى موضوعات مختلفة . ومثلها على ارسطو فى أبحاث مفيدة . وقد وصف هذه البقايا وذكر أماكن وجودها بروكلمن فى كتابه (١) فليراجعها من شاء

وترجمته فى ابن خلكان ٧٦ ج ٢ ، وطبقات الاطباء ١٣٤ ج ٢ ، وأخبار الحكماء ١٨٢ (*)

٣ — ابن أبى الربيع وسلوك المالك

واطلعنا على كتاب فى السياسة اسمه سلوك المالك فى تدبير الممالك تأليف « شهاب الدين احمد بن محمد بن أبى الربيع » . وقد جاء فى أوله انه ألف للخليفة المعتصم بالله العباسى (المتوفى سنة ٢٢٧) ، فاذا صح ذلك كان مؤلف هذا الكتاب أقدم من الكندى والفارابى . ولكن موضوع الكتاب وأسلوبه يدلان على انه وضع بعد ذلك التاريخ ، لانه مرتب على شكل المشجر فى أسلوب يدل على وضوح الافكار فى ذهن مؤلفه .. مما لا يتأتى الا بعد نضج العلم نضجا تاما . وزد على ذلك ان اسم شهاب الدين من الاسماء التى لم تكن معروفة فى زمن المعتصم ، وانما هو مما طرأ على الاسلام بعد رسوخ الاتراك فى الدولة . وفى كتاب الفهرست مئات من أسماء المؤلفين ، ليس فيهم واحد اسمه شهاب الدين . والفهرست كتب سنة ٣٧٧ ، أى بعد وفاة المعتصم بقرن ونصف قرن . وهذا تاريخ ابن الاثير لم يرد فيه اسم شهاب الدين قبل انقضاء القرن الخامس للهجرة . فلا يعقل أن ينفرد رجل بهذا الاسم فى أول القرن الثالث ، ولكل عصر أسماء وألقاب تابعة لاحوال اجتماعية خاصة به . ولعل الخطأ وقع فى تحريف اسم الخليفة الذى وضع الكتاب له فكان «المستعصم» توفى سنة ٦٥٦ هـ ، فقرىء «المعتصم» وكثيرا مايتفق ذلك فى قراءة الخطوط . ثم ان الفهرست لم يذكر هذا الكتاب ولا مؤلفه ، وانما ذكره كشف الظنون بدون اسم المؤلف

أما الكتاب فانه جزيل الفائدة يبحث فى السياسة والاجتماع والفلسفة

---

(١) Gesch des Ar. Lit 1, 211

(*) وراجع فى الفارابى طبقات الامم لصاعد ص ٦١ ومقدمة ديتريصى Dieterici لرسائل الفارابى « طبع ليدن سنة ١٨٩٠ م » وبحثا لمصطفى عبد الرازق فى الجزء السابع من مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق المجلد الثانى عشر ، وتاريخ الفلسفة فى الاسلام ص١٢٧ والفارابى لعباس محمود . ودائرة المعارف الاسلامية ومابها من مراجع وبحثا لابراهيم مدكور بعنوان :
La Place d'Al Farabi dans l'école Philosophique Musulmane
طبع باريس سنة ١٩٣٤

والطبيعيات والرياضيات والموسيقى . وهو مقسم الى أربعة فصول : (١) مقدمة الـكتاب (٢) أحكام الاخلاق وأقسامها (٣) أصناف السيرة العقلية وانتظامها (٤) أقسام السياسيات وأحكامها . وكل من هذه الفصول مقسم الى أبواب ، ترتبت فيها الافكار أو الاحكام بشكل جداول أو مشجرات بغاية الدقة . وقد طبع هذا الـكتاب فى القاهرة سنة ١٢٨٦ على الحجر فى ١٥٢ صفحة كبيرة ليمكن تصوير تلك المشجرات

ثانيا : الطب والاطباء

ونبغ فى هـــذا العصر أيضا طائفة من الاطباء المسلمين وغيرهم ، هاك أشهرهم حسب سنى الوفاة :

١ ـ ابن ماســـــويه

توفى سنة ٢٤٣ هـ

هو أبو زكريا يوحنـــا بن ماسويه ، كان أبوه صـــيدليا فى مارســـتان جنديسابور ، وتثقف فى بغداد على جبرائيل بن بختيشوع ، وترقى فى زمن المـأمون والواثق . وله مترجمات حسنة ومؤلفات لم يبق منها الا : (١) كتاب نوادر الطب فى ليدن والاسكوريال وغوطا ، وله ترجمة لاتينية وشروح (٢) جواهر الطب (٣) كتاب ماء الشعير فى مكتبة جزائر الغرب (٤) الادوية السهلة فى اكسفورد وغيرها

وترجمة ابن ماسويه فى أخبـــار الحكماء ٢٤٨ ، والفهرست ٢٩٥ ، وطبقات الاطباء ١٧٥ ج ١ (*)

٢ ـ ابن ســـهل

هو سابور بن سهل صاحب مارستان جنديسابور توفى سنة ٢٥٥ هـ ، وله كتاب الاقرباذين الـكبير ، كان معول الصيـــادلة فى أثنـــاء التمدن الاسلامى ، منه نسخة خطية فى منشن

وترجمته فى طبقات الاطباء ١٦١ ج ١ ، وتراجم الحكماء ١٤١

٣ ـ الرازى

توفى سنة ٣٢٠ هـ

هو أشهر من نبغ من الاطباء فى هذا العصرعلى الاطلاق ، واسمه أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ويسميه الافرنج Razès ، وكان فى صـــغره يضرب على العود . وتلقى العلم على كبر ، وأفلح واشتهر حتى تولى رئاسة أطباء

(*) وانظر فى ابن ماسويه دائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ٢٣٢ ج ١

مارستان بغداد . وظهرت مواهبه بما كان يعقده من مجالس العلم أو يؤلفه من الكتب ، وجمع فى مؤلفاته كل ما كان معروفا من العلوم الطبية فى عصره . ومن أمثالهم « ان الطب كان معدوما فأحياه جالينوس ، وكان متفرقا فجمعه الرازى ، وكان ناقصا فكمله ابن سينا »

وكان الرازى يجلس فى مجلسه ، ودونه التلاميذ ، دونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ آخرون . فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاه ، فان كان عندهم علم ، والا تعداهم الى غيرهم فان أصابوا ، والا تكلم الرازى . وكان كبير الرأس جليل الطلعة يتهيب الناس مجلسه ، لولا رطوبة كانت فى عينيه . وكان كريما متفضلا رؤوفا بالمرضى دقيق الملاحظة صحيح النظر ، ويروون عن ذكائه واصابته نوادر كثيرة لا محل لها هنا

وكان أكثر مقـــام الرازى فى الرى وغيرها من بلاد العجم ، وخدم بصناعته الاكابر من ملوكها وأمرائها ، وصنف بعض كتبه لهم ككتاب المنصورى .. ألفه للأمير منصور من آل سامان ، وكتاب الملوكى لعلى ابن صاحب طبرستان ، وسنعود اليها

وكان الرازى مولعا بالعلوم الحكمية وله فيهـــا مصـــنفات نفيسة ، وخصوصا فى علم الكيمياء وما يتعلق بها ، وله اكتشافات كيماوية أهمها زيت الزاج (حامض الكبريتيك) والكحول ، استحضر الاول باستقطاركبريتات الحديد — واسمها فى العربية الزاج الاخضر — فلما استقطرها خرج منها سائل سماه زيت الزاج . ولا تزال طريقة الرازى من طرق استحضار هذا الحامض الى اليوم . أما الكحول فاستحضره باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة . وألف الرازى فى الكيمياء كتبا كثيرة . ولم يكن يعتقد ما يعتقده أهل زمانه من امكان تحويل المعادن الى ذهب ، وانما كان يؤلف فى هــذا الفن على اعتقاد أهله التماسا للمال .. لكن ذلك الحق به الاذى ، لان منصورا السامانى المذكور طالبه باستخراج الذهب على الصفة التى ذكرها فى كتابه فلم يستطع ، فغضب عليه وأمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ، ثم جهزه وسيره الى بغداد . فكان ذلك الضرب سببا فى نزول الماء على عينيه . وجاءه قداح يقدحهما وهى عملية الكتركتا الآن ، فسأله الرازى : «كم طبقة للعين؟ » فقال : « لا أعلم » فقال : «لايقدح عينى من لايعلم ذلك» ثم قال : « قد نظرت الدنيا حتى مللت منها فلا حاجة بى الى عينين »

توفى سنة ٣٢٠ وقيل ٣١٠ وقيل ٣٦٤ هـ

وخلف الرازى أكثر من مائتى مؤلف لايزال باقيا منها الى الآن بضعة وعشرون مؤلفا يطول بنا وصفها ، وانما نذكر أهمها وهى :

١ — كتاب الحاوى : وهو أجل كتبه وأعظمها فى صناعة الطب جمع فيه ما وجده متفرقا من ذكر الامراض ومداواتها فى كتب الطب للمتقدمين ومن أتى بعدهم الى زمانه ونسب كل قول الى قائله . ومن هذا الكتاب نسخة خطية فى المتحف البريطانى ، وأخرى فى مكتبة مونيخ وفى مكاتب

اكسفورد والاسكوريال . وقد نقله الى اللاتينية فراغوت ، وطبع مرتين ، وقد اختصره غير واحد

٢ ـ كتاب الطب المنصوري : وقد ذكرنا سبب تاليفه ، ومنه نسخة في المكتبة الاهليـــة بباريس وفى مكاتب اكسفورد ودرســـدن واسكوريال وغيرها . وقد نقله الى اللغة اللاتينية الـكريمونى وطبع فيها

٣ ـ كتاب الجدرى والحصبة : وهو أول من وصف هذين الداءين حق الوصف ، وقد ترجم هذا الـكتاب الى اللاتينية وغيرها ونشر فيها

٤ ـ كتاب الفصول فى الطب : ويقال له المرشد ، نقل الى العبرانية ، ويوجد فى ليدن . ونقل الى اللاتينية وطبع فيها وقد وصفه المشرق صفحة ٥٤٢ سنة ٤

٥ ـ كتاب الكافى : ترجم الى العبرانية ، وهو موجود فى مكتبة اكسفورد

٦ ـ كتاب برء الســاعة : يوجد فى برلين وغيرها ، ونشره الدكتور كيك فى مجلة المشرق صفحة ٣٩٥ سنة ٦

٧ ـ كتاب الطب الملوكى (*) : يوجد خطا فى مكتبة ليدن

وقد ترجمنا للرازى ووصفنا كتبه الباقية في الهــلال ٣٩٧ سنة ١٨ ، وتجد ترجمته أيضا فى ابن خلـكان ٧٨ ج ٢ ، وطبقات الاطباء ٣٠٩ ج ١ ، والفهرست ٢٩٩ ، وأخبار الحكماء لابن القفطى ١٧٨ (**)

ثالثا: الزراعة

ومن العلوم التى نضجت فى هذا العصر وبقيت كتبها الى اليوم واستفاد منها أهل الاجيال المتأخرة ، علم الزراعة أو الفلاحة . وهو فى الاصــل منقول عن الـكلدانية ، نقله احمد بن على بن قيس الـكلدانى المعروف بابن وحشية سنة ٢٩١ هـ فى كتاب سماه « الفلاحة النبطية » أملاه سنة ٣١٨ هـ على على بن محمد بن الزيات ، وجعله فى خمسة أجزاء منها نسخ خطية فى برلين وليدن واكسفورد والمتحف البريطـانى وباريس والجزائر ودار الـكتب المصرية ، ومنـــه مختصر الفلاحـــة للزيتونى ، طبـــع فى بطرسبورج سنة ١٨٥٩ ، وله كتب فى النجامة منها نسخ فى مكاتب أوربا لا فائدة من ذكرها

ولقسطا بن لوقا الطبيب النصرانى البعلبكى المتوفى سنة ٣١١ هـ كتاب الفلاحة اليونانية نقله عن السريانية وقد طبع فى مصر سنة ١٢٩٣

(*) نشر كراوس هذا الكتاب مع مجموعة رسائل للرازى « طبع جامعة القاهرة ١٩٣٩ »

(**) وراجع فى الرازى طبقات الامم لصاعد وزاد المسافرين لناصر خسرو « طبع برلين » فى مواضع متفرقة وخاصة ص ٢٣١ ورسالة للبيرونى نشرها كراوس فى باريس، وفيها فهرست كتبه ، ومقالة رانكنج Ranking عن حياته ومؤلفاته ، القاها فى المؤتمر الدولى الطبى السابع عشر المنعقد فى لندن سنة ١٩١٣ ونشرت أبحاث هذا المؤتمر فى سنة ١٩١٤ وتاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٨٩ وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك لقدرى طوقان ص ١٨٧ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

العصر العباسى الثالث

أو المائة الثالثة من الدولة العباسية

من سنة ٣٣٤ هـ الى سنة ٤٤٧ هـ

يبدأ هـــذا العصر باستقرار الدولة البويهية ســـنة ٣٣٤ هـ وينتهى بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ، وقد قلنا فى كلامنا عن العصر العباسى الاول انه عصر الاسلام الذهبى .. ونعنى انه عصرها الذهبى من حيث منعة الدولة واتساع السلطان ، وفيه نقلت العلوم القديمة الى العربية . وأما عصر الاسلام الذهبى للعلم خاصة ، فهو العصر الذى نحن بصدده أو المائة الثالثة للدولة العباسية ، لانه فيه نضجت العلوم على اختلاف موضوعاتها ، وتم نموها وظهرت الـكتب الوافية فى أكثرها . ولا سيما فى اللغة وعلومها ، وفى التاريخ والجغرافية والادب والفلسـفة . ولذلك أســباب اجتماعية طبيعية سيأتى بيانها . ونقدم الـكلام فى مدائن العلم الاسلامية

تنقل العلم فى المدائن الاســـلامية

رأيت فيما تقدم ان العلوم الاسلامية نشأ معظمها فى البصرة والـكوفة ، ثم تحولت الى بغداد بعد استبحار عمرانها فى العصر العباسى الثانى .. فأصبحت بغداد فى ذلك العصر كعبة العلم يحج اليها العلماء ، كما كانت رومية فى أبان التمدن الرومانى . حتى اذا تولى المعتصم واستكثر من الاتراك وظهرت منهم الاساءة لاهل بغداد ، نفر الناس وتباعدت القلوب . ولـكن المعتصم كان على مذهب أخيه المأمون فى الاعتزال واكرام الشيعة ، فظلت بغداد على نحو ما كانت عليه فى أيام المأمون . وكان الواثق يتشبه بالمأمون فى حركاته وسكناته . وكان يعقد المجالس مثله للمباحثـــة بين الفقهاء والمتكلمين فى انواع العلوم العقلية والسمعية فى جميع الفروع

فلما توفى الواثق سنة ٢٣٣ هـ ، خلفـــه أخوه جعفر المتوكل ، وكان شديد الانحراف عن الشيعة والمعتزلة حتى أمر بهدم قبر الحسين بن على وما حوله من المنازل ومنع الناس من اتيانه. وكان كثير الاستهزاء بعلى ، يجالس من اشتهر ببغضه . وخالف ماكان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد . فأبطل القول بخلق القرآن ونهى عن الجدل والمنـــاظرة فى الآراء وعاقب عليه . وأمر بالرجوع الى التقليد ونصر السنة والجماعة ، وأمر الشيوخ والمحدثين بالتحديث . فانحط علم الكلام بعد أن بلغ أوجه فى أيام الرشيد وخلفائه ، فأخذ فى التقهقر فى أيام المتوكل لانه كان شديد

الوطأة على أصحاب الرأى وأصحاب الفلسفة وسائر العلوم الدخيلة. وأخذ منذ تولى الخلافة فى مناوأتهم ، فأهلك جماعة من العلماء وحط مراتبهم وعادى العلم وأهله (*) . ولاقى أهل الذمة منه الشدائد بتغيير زيهم وتذليلهم واهانتهم . ومن أشهر حوادث نقمته على خدمة العلم ، انه غضب على بختيشوع الطبيب وقبض ماله ونفاه الى البحرين ، وقتل ابن السكيت النحوى كما تقدم . وسخط على عمر بن مصرح الراجحى ، وكان من علية الكتاب ، وأخذ منه مالا وجواهر وأمر أن يصفع فى كل يوم

ومات المتوكل مقتولا سنة ٢٤٧ هـ ، قتله رجاله فاضطربت أحوال الخلافة واستفحل شأن الاتراك . فنفرت قلوب طلبة العلم وأكثرهم من الفرس والعرب ، فتفرقوا من بغداد رويدا رويدا الى أنحاء المملكة الاسلامية شرقا وغربا . ولذلك كان أكثر من ظهر من العلماء — بعد نضج العلم فى القرن الرابع للهجرة فما بعد — نبغوا خارج بغداد وفيهم الاطباء والفلاسفة والمنجمون والمهندسون والمتكلمون وأصحاب المنطق والفقهاء واللغويون والمحدثون والمؤرخون وغيرهم

فكان مركز الطب والطبيعيات والفلسفة عند ظهور الاسلام فى الاسكندرية ، ثم انتقل فى أيام عمر بن عبد العزيز فى آخر القرن الاول للهجرة الى انطاكية ، والعلوم الاسلامية انتقلت من البصرة والكوفة الى بغداد . وانضمت اليها العلوم الدخيلة ، فأصبحت بغداد أم المدائن فى العلم والادب والفلسفة والطب وسائر العلوم العقلية والنقلية . فلما اضطربت أحوال الخلافة فى أيام المتوكل ، ثم نشأت الدول الجديدة فى أنحاء المملكة الاسلامية بالتفرع والتشعب على مقتضى ناموس الارتقاء ، تفرق العلماء وأصبح للعلم مراكز كثيرة يفضل بعضها بعضا . وتدرج الانتقال من بغداد شرقا الى العراق العجمى فخراسان فما وراء النهر ، وغربا الى الشام ومصر فالمغرب فالاندلس

فأقبل العصر العباسى الثالث ، وقد نبغ المفكرون والمشتغلون فى العلم والادب من الشعراء والادباء والمنشئين والمؤرخين والجغرافيين واللغويين والفلاسفة فى مدائن كثيرة من المملكة الاسلامية ، من أقصى تركستان فى الشرق الى أقصى الاندلس فى الغرب . ويدخل فى ذلك ما وراء النهر وافغانستان وطبرستان وخوارزم وفارس وما بين النهرين والمغرب والاندلس ومصر والشام وغيرها

وزاد انتساب العلماء الى مواطنهم ، فكثرت أسماء البخارى والنيسابورى والرازى والبغدادى والاندلسى .. بعد ان كان أكثر انتسابهم الى أصولهم كالحميرى والمازنى والقرشى والفارسى ونحوها ، أو الى صنائعهم كالنحاس والزجاج

(*) يبالغ المؤلف فى الحملة على المتوكل ، وهو لم يكن يعادى العلم وأهله ، ولكنه تولى ، بعد محنة خلق القرآن المشهورة التى امتحن بها المأمون العلماء وآزره فيها المعتزلة ، فرأى أن يقف هذه الفتنة

أسباب النهضة فى هــذا العصر

حدثت فى العصر العباسي الاول نهضة علمية ، أعقبها فى العصر العباسي الثانى فتور على اثر البحران السياسي الذى أخذ من نفوس رجال الدولة حتى اشتغلوا بأنفسهم عن تنشيط العلم .. فكانت المائة الثانية من الدولة العباسية فترة تم فيها تكون غرس العلم ، فأقبلت المائة الثالثة وقد ظهرت ثماره ناضجة وهى النهضة الثانية فى الدولة العباسية . والعامل الرئيسى فى هذه النهضة ، ناموس النشوء الطبيعى ونصرة رجال الدولة

ناموس النشوء والارتقاء

يقضي ناموس النشوء والارتقاء على الاحياء وما يتعلق بهم بالنمو والتفرع فى آجال معينة .. فالعلوم الاسلامية ولد أكثرها فى البصرة والكوفة ونمت فى بغداد . فلما تم نموها وأدركت رشدها ، كانت الدولة قد بلغت دور التفرع فظهرت ثمار ذلك النمو فى فروع تلك الدولة أو من تغلب عليها من الدول الخارجية . وتعددت الدول التى اقتسمت السلطة على المملكة العباسية مع بقاء الخلفاء العباسيين فى العراق . وقد فصلنا ذلك فى الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامى . فنكتفى هنا بالدول التى تعاونت على النهضة العلمية فى ذلك العصر وهى :

اسم الدولة	مقرها	مدة حكمها	جنس مؤسسها
المروانية	الاندلس	من سنة ١٣٨ — ٤٢٢	عربى
السامانية	وراء النهر	من سنة ٢٦١ — ٣٨٩	فارسى
الزيارية	جرجان	من سنة ٣١٦ — ٤٣٤	فارسى
الحمدانية	بين النهرين وحلب	من سنه ٣١٧ —٣٩٤	عربى
البويهية	العراق وفارس وغيرهما	من سنة ٣٢٠ — ٤٤٧	فارسى
الغزنوية	افغانستان والهند	من سنة ٣٥١ — ٥٨٢	تركى
الفاطميه	مصر	من سنة ٣٥٧ — ٥٦٧	عربى

رغبة الامراء فى العلم

فهذه الدول تعاصرت فى العصر العباسى الثالث ، وكان لها تأثير عظيم فى احياء العلوم بمن نبغ بين ملوكها أو أمرائها أو وزرائها من محبى العلم الآخذين بناصر العلماء — والناس على دين ملوكهم — واذا أراد الله بالناس خيرا ، جعل العلم فى ملوكهم وأمرائهم والملك فى علمائهم ، لان العلم لا يورق ولا يثمر الا فى ظل ملك أو أمير يتعهده ويأخذ بأيدى أصحابه

لذلك زها الادب فى زمن عبد الملك بالعصر الاموى ، وفى زمن الرشيد والمأمون فى العصر العباسى الاول . ولمثل هذا السبب ظهرت ثماره ناضجة فى العصر الذى نحن بصدده . وهو فى هذا العصر أكثر ثمرا وأصح انتاجا

لان العاملين على تعهده تكاثروا . وبعد أن كان نصيره الخليفة أو وزيره أو بعض عماله فى بلد واحد ، أصبح نصراؤه فى هـذا العصر عدة ملوك وأمراء ووزراء فى أشهر مدن العالم الاسلامى . وقد تعاونت على استثماره قرائح العرب والفرس والترك والروم وغيرهم ممن تعرب أو انخرط فى الاسلام من أمم الشرق والغرب . وأخذ الناس يتسابقون فى خدمة العلم ، كما يتسابق ملوكهم فى نصرة العلماء . وهاك أشهر أنصار العلم فى ذلك العصر من الملوك أو الامراء أو الوزراء فى الدول التى تقدم ذكرها :

١ ـ الدولة البويهية فى العراق وفارس

رجال هذه الدولة وأنصارها الديلم من الجيلان وراء خراسان . ولكن ملوكها آل بويه من الفرس ، ويرتفع نسبهم الى ملوك الفرس القدماء .. وانما نسبوا الى الديلم لانهم سكنوا بلاد الديلم وهم من الشيعة العلوية . وكان العلويون يسعون فى نشر دعوتهم هناك منذ أيام الرشيد ، وآخر من نجح فى ذلك الحسن بن على الاطروش من نسل الحسين . فدعا الديلم الى مذهبه فى أواخر القرن الثالث فأجابوه

وجد آل بويه الاقرب الذى أسس هذه الدولة اسمه بويه ولقبه أبو شجاع ، كان له ثلاثة أولاد ، هم : على ويلقب بعماد الدولة ، وحسن ويلقب بركن الدولة ، وأحمد ويلقب بمعز الدولة . وكان بويه رقيق الحال ، فانتظم أولاده فى الجندية لانها كانت يومئذ بابا من ابواب الرزق الواسعة . وكان عماد الدولة فى خدمة مرداويج مؤسس الدولة الزيارية فارتقى عنده حتى ولاه الكرج ثم اتسعت أحواله ، فكتب الى الخليفة العباسى ــ وهو يومئذ الراضى بالله المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ــ ان يوليه على أعمال فارس بمال يحمله الى دار الخلافة على جارى عادتهم مع الدولة العباسية فى ذلك العهد . فأجابه الراضى وبعث اليه بالخلعة . وأخوه حسن ركن الدولة تملك خوارزم . وجاء الاخوان واتحدا مع أخيهما الثالث معز الدولة فى شيراز ، وساروا غربا حتى أتوا بغداد فى أيام المستكفى سنة ٣٣٤ هـ فرحب بهم وخلع عليهم ولقبهم الالقاب المذكورة . وجعل معز الدولة أمير الامراء ، فاستبدوا فى المملكة ، واستولوا على الخلافة ، وعزلوا الخلفاء وولوهم .. فرفعوا منار الشيعة واحيوا معالم التشيع وأضعفوا نفوذ الاتراك والخلافة العباسية لا تزال فى بغداد . ولما أفضت امارة الامراء الى عضد الدولة لقب بالملك ، وهو أول من خوطب بهذا اللقب فى الاسـلام

وامتدت سلطة البويهيين على العراق وفارس وخراسان الى سنة ٤٤٧ هـ ، وكانوا يحبون العلم والادب ولا يستوزرون أو يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب .. فكان أشهر أدباء ذلك العصر من وزرائهم أو عمالهم أو قضاتهم أو كتابهم ، كابن العميد ، والصاحب بن عبـاد ، وسابور بن اردشـير والمهلبى .. فضلا عن الادباء من العمال والقضاة وكتاب الدولة

على ان ملوك آل بويه أنفسهم اشتهر منهم غير واحد فى الادب والشعر ، أشهرهم فى ذلك عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٢ هـ . كان أوسعهم سلطانا ،

وأقواهم سطوة ، وكان مشاركا فى عدة فنون من الادب .. فقرب اليه العلماء والكتاب وأحسن وفادتهم واستحثهم على الاشتغال بالعلم وتأليف الكتب ، فألف له أبو اسحق الصابى كتابا فى أخبار آل بويه سماه التاجى ، وألف له أبو على الفارسى كتاب الايضاح والتكملة فى النحو . وقصده فحول الشعراء فى عصره كالمتنبى والسلامى وغيرهما ، وكان مجلسه لايخلو من الادباء والعلماء يباسطهم ويباحثهم . ومن شغفه بالشعر تمنى أن يكون المصلوب بدل ابن بقية الوزير ، لتقال فيه قصيدة محمد بن عمران الانبارى التى مطلعها :

عُلُوٌّ فى الحيـــاة وفى الممـــات لَعَمْرُكَ تلك إحدى المعجزات (١)

وكان هو نفسه ينظم الشعر الحسن ، وقد ذكر صاحب يتيمة الدهر ج ٢ أمثلة من نظمه . ومن نكاته الادبية أن أفتـــكين التركى صاحب دمشق كتب اليه : « ان الشام قد صفا وصار فى يدى وزال عنه حكم صاحب مصر ، وان قويتنى بالاموال والعدد حاربت القوم فى مســـتقرهم » فكتب عضد الدولة جوابه كلمات متشابهة فى الخط لا تقرأ الا بعد الشكل والنقط والضبط ، وهى : « غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك ، فاخش فاحش فعلك ، فعلك بهذا تهدأ » والبيمارستان فى بغداد ينسب اليه

وكان عز الدولة أبو منصور بختيـــار بن معز الدولة شاعرا (٣٥٦ — ٣٦٧ هـ) . وكذلك تاج الدولة ، وهو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم . وكان يلى الاهواز ، فأدركتـــــه حرفة الادب فأدت الى نكبته . وكذلك أبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة . وتجد أمثلة من أشعارهم فى الجزء الثانى من يتيمة الدهر للثعالبى مؤرخ أدباء ذلك العصر

على ان تأثيرهم فى هذه النهضة يتوقف فى الاكثر على أخذهم بناصر الادباء والعلماء ، وكانوا شديدى الرغبة فى ذلك .. فركن الدولة بن بويه فى الرى وهمدان وأصبهان (سنة ٣٢٠ — ٣٦٦) استوزر ابن العميد الكاتب العالم المشهور . وكان ابن العميد مقصدا للشعراء والادباء وأهل العلم كما سترى ، وبهاء الدولة بن عضد الدولة فى العراق والاهواز (سنة ٣٧٩ — ٤٠٣) استوزر سابور بن اردشير ، فانشأ هذا الوزير فى كرخ بغداد خزانة كتب وقفها على افادة الناس . قال ياقوت : « لم يكن فى الدنيا أحسن كتب منها ، كانت كلها بخطوط الائمة المعتبرة وأصولهم المحررة » وكان سابور ايضا شاعرا

ومعز الدولة بن بويه (سنة ٣٢٠ — ٣٥٦) استوزر الحسن المهلبى المتوفى سنة ٣٥٢ ، وكان المهلبى شاعرا أديبا وهو صاحب الابيات المشهورة التى أولها :

ألا موتٌ يبـــاعُ فأشتريهِ فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيــهِ

قاله وهو فى أشد الضيق قبل الوزارة ..

---

(١) ابن خلكان ٦٣ ج ٢

وأكثر وزراء هذه الدولة تأثيرا فى هذه النهضة الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة ثم وزير لفخر الدولة أخيـه • وكان شاعرا عالما كاتبا ، وسنترجم له على حدة . وكان يجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره . وكان عظيم المنزلة عند فخر الدولة لا يرد له طلبا .. فكم يكون تأثيره فى احياء معالم الادب ؟ وكان له عشرات من أهل العلم والادب يقيمون عنده وعشرات يفدون عليه . وبالجملة فان البويهيين كانوا يختارون وزراءهم وعمالهم حتى كتابهم من الادباء ، ويتعاونون على نصرة الادب

٢ ـ الدولة السامانية فى تركستان

رأس هذه الدولة سامان من اشراف بلخ ، انشأ أبناؤه دولة عظيمة فى خراسان وتركستان . وازدهرت فى أيامهم بخارا فكانت مجتمـع الادباء والعلماء والشعراء . واشتهرت نيسابور وفيهـا انشئت أقدم المدارس الاسلامية ، (١) وتوالى فى الدولة السامانية عشرة ملوك من سنة ٢٦١ ــ ٣٨٩ ، اشتهر غير واحد منهم بنصرة العلم .. فمنهم منصور بن نوح (سنة ٣٥٠ ــ ٣٦٦) كان محبا للعلم والعلماء ، فاستوزر البلعمى العالم الفـارسى ، فترجم له تاريخ الطبرى الى اللغة الفارسية كما تقدم فى ترجمة الطبرى

وخلفه ابنه نوح بن منصور (سنة ٣٦٦ ــ٣٨٧) من محبى العلم وأهله.. كان مجلسه مجتمع الشعراء ، وهو أول من اقترح نظم الشاهنامة (الياذة الفرس) فى الفارسية . اقترح ذلك على شاعره الدقيقى فنظم له بعضها ، ثم قتل فأتمها الفردوسى بعده باشارة السلطان محمود الغزنوى كما سيجىء . وكان نوح يميل الى استخدام رجال العلم ، فلما سمع بشهرة الصاحب بن عباد وزير البويهيين كتب اليه سرا يستدعيه الى بخارا ليفوض اليه وزارته وتدبير أمر مملكته . فاعتذر الصاحب عن ذلك بأنه يحتاج لنقل كتبه الى ٤٠٠ جمل ، ولعل له عذرا آخر كتمه . وكان نوح هذا شديد الحرص على الكتب راغبا فى اقتنائها ، فجمع مكتبة كبيرة جوت أهم المؤلفات فى كل علم من الادب والشعر والتاريخ والطب والفلسفة . ذكرها ابن سينا فى حديثه عن نشأته ، وقال انه استفاد منها وان منها كتبا نادرة الوجود

ومن أبناء الدولة السامانية منصور السامانى ، لم يحكم لكنه كان يحب العلماء فألف له أبو بكر الرازى كتاب المنصورى فى الطب كما تقـدم . وبالجملة كانت بخارا مثابة المجد وكعبة الملك ومجتمع أفراد الزمان من الادباء والعلماء والفضلاء

٣ ـ الدولة الزيارية فى طبرستان

كان مقر هذه الدولة فى جرجان بطبرستان ، أول ملوكها مرداويج بن زيار، تولى الملك سنة ٣١٦ هـ ، وأشهرهم بنصرة العلماء شمس المعالى قابوس

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ٢٠٠ ج ٣

ابن وشمكير (سنة ٣٦٦ – ٤٠٣) وكان شاعرا أديبا كاتبا من أبلغ كتاب العربية ، وله معرفة بالفلسفة والنجوم والنجامة . وقد الف فى العربية رسالة فى الاسطرلاب أطنب أبو اسحق الصابى فى مدحها . ومن شعره الابيات المشهورة التى مطلعها :

قل للذى بصروف الدهر عيّرنا   هل حاربَ الدهرَ إلا من له خَطَر
أما ترى البحر تعلو فوقه جِيَفٌ   وتستقر بأقصى قعره الدُّرَرُ
وفى السماء نجومٌ ما لها عَدَدٌ   وليس يُكسَفُ إلا الشمس والقمر

وذكر له صاحب يتيمة الدهر أمثلة من الانشاء البليغ ، وكان يراسل الصاحب بن عباد . ووزيره أبو العباس الغانمى يراسل أبا نصر العتبى مؤرخ السلطان محمود الغزنوى

٤ – الدولة الغزنوية بأفغانستان والهند

مقرها غزنة وملوكها من الاتراك أولهم البتجين تولى سنة ٣٥١ هـ ، لكن اشهرهم وأعظمهم السلطان محمود (سنة ٣٨٨ – ٤٢١) صاحب الفتوح العظيمة فى الهند وناشر الاسلام فيها ، وكان يلقب بيمين الدولة .. فتح بخارا وخلف الدولة السامانية فيها سنة ٣٩٨ هـ وغلب على الزياريين وغيرهم . وامتد سلطانه على أفغانستان وتركستان وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وشمالى الهند . وورث ما كان هنالك من أسباب الادب والعلم . وأصبح مجلسه آهلا بالشعراء كما كانت العادة عند ملوك ذلك العصر . فاقترح عليهم اتمام الشاهنامة التى بدأ بنظمها الدقيقى كما تقدم ، فأتمها الفردوسى وقد نظم معظمها .. ولذلك فهى تنسب اليه

وكان محمود لا يسمع بعالم أو شاعر الا استقدمه اليه ، فعلم ان فى مجلس مأمون بن مأمون أمير خوارزم جماعة من رجال العلم والفلاسفة .. فى جملتهم ابن سينا الطبيب ، والبيرونى الرياضى المؤرخ ، وأبو سهل المسيحى الفيلسوف ، وأبو الحسن الخمار الطبيب ، وأبو نصر العراق الرياضى وغيرهم . فتاقت نفسه الى احرازهم فى مجلسه ، فكتب الى مأمون كتابا أرسله مع بعض خاصته : « علمت ان فى مجلسك جماعة من العلماء المبرزين مثل فلان وفلان ، فأرسلهم الى ليتشرفوا بمجلسى ونستفيد من علمهم » . فلم يكن للأمير أن يرد الطلب ، لكنه كان حريصا على أولئك الاعلام .. فجمعهم وتلا عليهم الكتاب واعتذر بأنه لا يقوى على رد طلبه . فقبل البيرونى والخمار والعراق الذهاب طمعا فى سخاء السلطان ، وفر ابن سينا والمسيحى فى حديث طويل لا محل له هنا (١) وانما أردنا بيان رغبة السلطان محمود فى تقريب العلماء .. وان لم تكن رغبته لمجرد حب العلم ، فان التقريب لأهل العلم والادب واكرامهم كان فى نظر أهل ذلك العصر من أسباب الابهة وأدلة الحضارة

(١) Browne, Litt. His. of Persia, 11, 96

٥ ـ الدولة الحمدانية فى حلب والموصل

هى دولة عربية من قبيلة تغلب بجوار الموصل ، جدها حمدان .. كان له شأن كبير فى أخبار تلك الديار . واستولى ابنه محمد بن حمدان على ماردين ، فأخرجه منها الخليفة المعتضد . وتولى أخوه أبو الهيجاء بن حمدان أميرا على الموصل وما يليها سنة ٢٩٢ هـ واشتد ساعده . وزادت قوة الحمدانيين فى ذلك الحين ، وصاروا دولة ، حكم منها أربعة أمراء فى الموصل وخمسة فى حلب ، حتى خرجت الموصل منهم الى البويهيين سنة ٣٨٠ ، واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤

أشهرهم فى نصرة العلم والادب سيف الدولة أبو الحسن على صاحب حلب (من سنة ٣٣٣ ـ ٣٥٦) ممدوح المتنبى . وكان سيف الدولة أديبا شاعرا نقادا للشعر يحب جيده ويطرب لسماعه . وفى شعره صبغة التشبيهات المترفة كقوله (*) :

وساقٍ صَبيح للصَّبوح دعوته فقام وفى أجفانه سِنَةُ الغمْضِ
يطوف بكاساتِ العُقار كأنجمٍ فمن بين منقضٍّ علينا ومنفضّ
وقد نشرتْ أيدى الجَنوب مَطارفا على الجو دُكْنا والحواشى على الأرض
يطرّزها قوسُ السحاب بأصفرٍ على أحمرٍ فى أخضرٍ إثرَ مُبْيَضّ
كأذيال خَوْدٍ أقبلتْ فى غلائلٍ مصبَّغةٍ والبعضُ أقصرُ من بَعْضِ

وفى يتيمة الدهر طائفة حسنة من شعره وأخباره (٨ ج ١) . وكان يقرب الشعراء وأهل الادب حتى قيل انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر . وكان يجالس الشعراء وينتقد أشعارهم نقدا يدل على شاعرية وعلم ، ويبذل لهم الجوائز السنية . وأخباره مع المتنبى مشهورة ، وكذلك مع السرى الرفاء والنامى والببغاء والوأواء وتلك الطبقة

واشتهر من آل حمدان غير واحد من الشعراء ، أشعرهم أبو فراس الحمدانى المشهور ، وسيأتى ذكره .. ومنهم أبو زهير وأبو وائل وغيرهما ، كما اشتهر منصور وأحمد ابنا كيغلغ من أمراء الشام

٦ ـ الدولة المروانية بالاندلس

وكانت الاندلس فى هذا العصر فى ابان مجدها فى ظل عبد الرحمن الناصر (سنة ٣٠٠ ـ ٣٥٠) وابنه الحكم (٣٥٠ ـ ٣٦٦) وهما أشهر من أن نبين حبهما العلم والعلماء . وفى كتاب نفح الطيب للمقرى عشرات من الشعراء كانوا يحضرون مجالسهما فضلا عن علماء الفقه والادب

وكان الحكم بن الناصر مولعا باقتناء الكتب ، فجمع منها ما لم يجمعه

(*) الصحيح ان هذه الابيات من شعر ابن الرومى ، وهى فى ديوانه

أحد من الملوك قبله . وانشأ فى قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من أنحاء العالم .. كان يبعث فى شرائها رجالا من التجار ومعهم الاموال ، ويحرضهم على البذل فى سبيلها لينافس بنى العباس فى اقتناء الكتب وتقريب الكتاب. وكان أبو الفرج الاصفهانى صاحب الاغانى معاصرا له وهو أموى مثله ، فبذل له ألف دينار ذهبا على أن يرسل اليه كتاب الاغانى قبل اخراجه الى بنى العباس . وفعل نحو ذلك مع القاضى أبى بكر الابهرى المالكى فى شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وغيره . فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل فى الاسلام ، فجعلوها فى قاعات خاصة من قصر قرطبة وأقاموا عليها خازنا ومشرفا ووضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدة . وذكروا ان فهارس الدواوين وحدها كانت ٤٤ فهرسا ، فى كل فهرس عشرون ورقة (١) ولا تظننا نبالغ اذا سلمنا مع ابن خلدون والمقرى بأن مجموع ما حوته تلك المكتبة ٤٠٠,٠٠٠ مجلد ، ونبغ غير واحد من المروانية فى الشعر

ونبغ من ملوك الطوائف بعدهم جماعة أحبوا الادب ونصروا أهله ، منهم اسماعيل بن ذى النون المتوفى سنة ٤٣٥ هـ ، وكان عالما بالادب

٧ - الدولة الفاطمية بمصر

استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٧ هـ فى أواسط العصر الذى نحن بصدده ، ونبغ منهم خليفتان نشطا العلم وأهله ، هما : العزيز بالله (سنة ٣٦٥ - ٣٨٦) ، والحاكم بأمر الله (سنة ٣٨٦ - ٤١١) . فأنشآ خزائن الكتب فيها مئات الالوف من المجلدات فى العلوم على اختلاف موضوعاتها ، وأنفقا فى ذلك الاموال الطائلة . وقد وصفنا خزانة العزيز بالله وما فيها من انواع الكتب وعنايته بتعهدها والانفاق عليها فى تاريخ التمدن الاسلامى الجزء الثالث ، ووصفنا أيضا مكتبة الحاكم التى سماها دار الحكمة أو دار العلم وما أباحه من المناظرة بين المترددين اليها ومقدار ما فيها من كتب والتسهيل على الناس للمطالعة والنسخ . ولم يكن اشتغالهم قاصرا على خدمة علوم الادب والفقه ، ولكنهم خدموا علم النجوم بالمراصد التى أنشأوها كالرصد الحاكمى (المرصد) الذى بناه الحاكم على جبل المقطم ، وما زال عمدة الراصدين حتى بنى نصير الدين الطوسى مرصده فى مراغة بتركستان سنة ٦٥٧ هـ ، ونبغ من الاسرة الفاطمية غير واحد من الشعراء

الوجهاء والعلم

ورغبة السلاطين والملوك فى العلم حببه الى سائر الوجهاء وأهل الدولة ، فاشتهرت غير أسرة من بيوتات الشرف بالانتماء الى العلم منهم : آل ميكال فى خراسان وأصلهم من فارس لكنهم تعربوا وأغرموا بآداب العرب فنبغ منهم الشعراء والادباء كأبى الفضل الميكالى وأبى محمد الميكالى وغيرهما ، وآل

(١) ابن خلدون ١٤٦ ج ٤

المامونى من نسل الخليفة المأمون ، وآل الواثقى من نسل الواثق وكلاهما فى بخارا . وبالجملة فقد كانت العلوم رائجة واصحابها فى عز وثروة ، يؤلفون الكتب للملوك أو الامراء أو الوزراء وينالون عليها الجوائز السنية . وربما الف الواحد منهم كتابا للملك البويهي وكتابا للسامانى وآخر للغزنوى ، كما فعل أبو منصور الثعالبى .. فانه ألف كتابه لطائف المعارف للصاحب بن عباد ، والمبهج والتمثل والمحاضرة لشمس المعالى قابوس بن وشمكير ، وسحر البلاغة وفقه اللغة لابى الفضل الميكالى ، والنهاية فى الكناية ونثر النظم واللطائف والظرائف للمأمون صاحب خوارزم وقس على ذلك . فلا عجب اذا كثر المؤلفون وتعددت المؤلفات وحدث تغيير فى أكثر أبواب العلم كما ستراه فى مكانه

وقد رأيت مما تقدم أن أكثر الدول المعاصرة من غير العرب كالسامانية والزيارية والغزنوية والبويهية وأكثرها فارسية الاصل ، وكان الفرس قد أخذوا فى اعادة مجدهم قبل الاسلام بعد أن دانوا للعرب نحو ثلاثة قرون .. فأنشأوا الدول وهم فرس فى بلاد فارسية وأخذوا فى احياء آداب أسلافهم فنبغ فيهم الشعراء ونظموا الشاهنامة وغيرها ، ومع ذلك لم يروا بدا من التعويل على اللغة العربية وجعلها لغة العلم والسياسة والادب والدين

مزايا هذا العصر

١ - نضج العلوم وكثرة المكاتب

يمتاز هذا العصر بنضج العلم على الاجمال ، وفيه تكونت المعاجم اللغوية واستقر الانشاء على أسلوب أصبح قاعدة يقلدها أهل العصور التالية بما يعبر عنه الافرنج بقولهم « كلاسيك » ونضجت الفلسفة وتألفت جمعية أخوان الصفا ، واستقرت قواعد الطبيعيات والطب كما ظهرت فى رسائل اخوان الصفا ، وفى جملتها آراؤهم فى أصل الموجودات وتدرجها فى الخلق من البسائط الى المركبات ، نحو ما يقول اليوم أصحاب النشوء والارتقاء . واتسع خيال الشعراء وظهر الشعر الفلسفى المبنى على النظر والاختبار والتفكير فى الحكمة بالوجود ، ثم تكون الانتقاد الشعرى أو الادبى واستقرت أبواب الشعر وظهرت الروايات والقصص الحماسية الخيالية . ونما فن التاريخ والجغرافيا وتفرع منهما علم معرفة الاوائل . وظهر كتاب الفهرست لابن النديم ، وهو أهم مصادر تاريخ آداب اللغة الى ذلك العهد

وامتاز هذا العصر بكثرة المكاتب الكبرى فى مصر والعراق والاندلس وغيرها . تشتمل المكتبة منها على مئات الالوف من المجلدات ، وفتحت أبوابها لطلاب العلم والمطالعين كمكتبة العزيز الفاطمى التى تقدم ذكرها .. كانت تحتوى على نحو مليون من كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والنجامة والروحانيات وسائر العلوم القديمة . ودار الحكمة أو دار العلم للحاكم بأمر الله ، وكانت أبوابها مفتوحة للطلاب كالمدرسة الكبرى للمطالعة والنسخ .. نحو ما يراد بدار الكتب المصرية الآن ، ومكتبة الحكم

بن الناصر فى قرطبة . وقس على ذلك مكتبة سابور بن اردشير فى بغداد ومكاتب فارس وما وراء النهر وغيرها

٢ ـ ظهور الموسوعات

وفى هذا العصر اخذت الموسوعات (دوائر المعارف) فى الظهور بعد أن وضع أساسها الفارابى كما تقدم . على ان من كتب الادب ما يعد من قبيل الموسوعات لتعدد موضوعاته ، ككتاب العقد الفريد الذى ذكرناه . وأقرب منه الى هذا النوع من المؤلفات كتاب « مفاتيح العلوم » لأبى عبدالله محمد ابن أحمد بن يوسف الخوارزمى المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ألفه لأبى الحسن عبيدالله بن أحمد العتبى ، وقسمه الى مقالتين :

الاولى : تشتمل على ٥٢ فصلا تجتمع فى ستة أبواب ، وهى : الفقه ، الكلام ، النحو ، الكتابة ، الشعر والعروض ، الاخبار

والثانية : تشتمل على ٤١ فصلا فى تسعة ابواب : الفلسفة ، المنطق ، الطب ، علم العدد ، الهندسة ، النجوم ، الموسيقى ، الخيال ، الكيمياء

وقد طبع هذا الكتاب فى ليدن سنة ١٨٩٥ بعناية المستشرق فان فلوتن فى نيف وثلثمائة صفحة . وهو عبارة عن مدخل للعلوم والفنون جامع لأوائلها ، فيحتوى على الموضوعات والمصطلحات العلمية .. فهو أشبه بكتاب حدود العلوم وتعريفها ، ولذلك سماه مفاتيحها ، وهو جزيل الفائدة . وقد ألف العرب كثيرا من الموسوعات بعد هذا العصر ، سيأتى الكلام عليها فى مكانه

٣ ـ تعدد العلوم

وتعددت فروع العلم حتى زادت على ثلثمائة علم قسمها صاحب مفتاح السعادة الى ستة أبواب : العلوم الخطية ـ تسعة علوم . العلوم المتعلقة بالالفاظ أو العلوم اللسانية ، والتاريخ وغيرها ـ ٤٤ علما . العلوم الباحثة عما فى الاذهان من المنقولات ـ خمسة . العلوم المتعلقة بالاعيان ويدخل فيها الطبيعيات والرياضيات والطب والتاريخ الطبيعى والفراسة ـ ١٢٢ علما . العلوم الحكمية العلمية ـ ثمانية علوم . العلوم الشرعية كعلوم القراءة والتفسير والحديث وأصول الدين ـ يزيد عددها جميعا على نيف ومائة علم . ولولا ضيق المقام لأتينا بأسمائها ، وفى كل علم من هذه العلوم مؤلفون، ومؤلفات تعد بالمئات والالوف شاع أكثرها ، وعلينا أن نذكر ما بقى منها

٤ ـ التدبير المنزلى

وبين هذه العلوم فروع لم يصل الى مثلها أهل التمدن الحديث الا بعد أن نضج تمدنهم فى القرن الماضى . وقد عرفها العرب وألفوا فيها منذ ألف سنة أو نحوها ، كعلم « تدبير المنزل » وهو عندهم فرع من الحكمة العملية وحده « معرفة اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته وأولاده وخدامه ،

وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال » وموضوعه « أحوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام » وحاصله « انتظام أحوال الانسان فى منزله ليتمكن من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبينهم » . ومن الكتب المنزلية التى تدخل فى راحة العائلة ــ وقد ظهر كثير منها فى العصر العباسي الاول والثانى فضلا عن الثالث ــ كتب الطبخ . منها « كتاب الطبخ » لابراهيم بن المهدى وغيره لابن ماسويه ولابراهيم بن العباس الصولى ولعلى بن يحيى المنجم ولأحمد بن الطيب ولجحظة والرازى وغيرهم . ويظهر من أسماء مؤلفيها انها كانت مبنية على العلم . ومنها كتب العطريات وأشباهها ، وهى كثيرة وتدخل فى باب تدبير المنزل

٥ ــ كتاب السياسة

والفوا أيضا فى السياسة وهى من فروع الحكمة العملية ، قلدوا بها ما نقلوه عن أرسطو . والسياسة عندهم ضروب ، منها السياسة الشرعية والمدنية . وقد الف فى السياسة على اجمالها أبو زيد البلخى المؤرخ الجغرافى ــ المتقدم ذكره ــ كتابين : الكبير ، والصغير . والف فى السياسة المدنية أبو نصر الفارابى الفيلسوف كما تقدم . ومن هذا القبيل كتاب سياسة الملك للماوردى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، ومن الكتب الهامة فى هذا الموضوع كتاب « سياسة المالك فى تدبير الممالك » لابن أبى الربيع جاء فى مقدمته انه ألفه للمعتصم العباسى (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ) وقد ذكرنا فى مكان آخر من هذا الكتاب أنه متأخر عن ذلك التاريخ لاسباب بيناها هناك ووصفنا الكتاب . وهو جليل جدا لم يترك بحثا من أبحاث العمران والسياسة والاخلاق الا طرقه ورتبه وأوضح مسائله بشكل المشجرات حتى الطب والفلسفة . ومن هذا القبيل كتاب « سراج الملوك » للطرطوشي و « نهج السلوك فى سياسة الملوك » للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله قدمه لصلاح الدين الايوبى ، وقد طبع بمصر سنة ١٣٢٦

٦ ــ الاقتصاد السياسى

واشتغلوا أيضا بعلم الاقتصاد السياسى ، وهو من العلوم التى يعدها أهل زماننا من محدثات هذا التمدن .. لكنه قديم فى آداب لغتنا يتجاوز تاريخه العصر الذى نحن بصدده ، فان جماعة ألفوا فى الموضوعات التجارية الاقتصادية فى العصر العباسى الثانى ، لكن موضوعاتهم كانت خاصة فى صنف أو بضعة أصناف ، ككتاب « الجواهر وأصنافها » لمحمد بن شاذان الجوهرى الفه للمعتضد المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، وكتاب « أجناس الرقيق » لرجل من أهل مصر . وكتاب « مزاجات الجواهر وعمل الفولاذ » ونحوها مما يتوسم فيه فن الاقتصاد السياسى ، وان لم نقف على شىء من تلك الكتب لانها ضاعت . لكننا عثرنا على كتاب شامل فى هذا الموضوع ، نعنى به كتاب « الاشارة الى محاسن التجارة » للشيخ أبى الفضل جعفر بن على الدمشقى لا يعرف

زمن وفاته .. لكن يعرف من بعض القرائن أن تأليفه لا يتجاوز العصر العباسى الثالث ، والكتاب نفيس يبحث فى معرفة جيد الاعراض ورديئها وغشوش المدلسين ، وفصول فى حقيقة المال وأنواعه واستثماره والكشف عن رديئه وفاسده من الاحجار الكريمة والافاويه والانسجة والابسطة والمحصولات الموسمية والاقوات كالزيت والدقيق وفى الدواب كالخيل والبغال والماشية . وفى الكتاب فصول فى تحصيل الاموال واكتسابها بالمغالبة أو الاحتيال ، ووصايا نافعة للتجار على اختلاف طبقاتهم . والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣١٨

١١ ـ علم العمران وغيره

ومن أبحاثهم أيضا علم العمران ، والمشهور أنه من ثمار التمدن الحديث .. ولكنه ولد فى زمن العباسيين ونضج بعدهم ، وان لم تظهر فيه مؤلفات مستقلة قبل مقدمة ابن خلدون .. فان فى كتاب سياسة المالك المتقدم ذكره فصولا كثيرة من قبيل العمران غير ما فى كتب الادب والسياسة من هذا القبيل . وعلى كل حال فان الفضل فيه للغرب بما كتبه ابن خلدون وهو أستاذ العالم فى هذا العلم . وسيأتى الكلام على ذلك فى مكانه

وناهيك بعلوم الحرب وضروبها فانهم ألفوا فيها منذ أوائل دولتهم . وذكر صاحب الفهرست كتابا للهرثمى الشعرانى ألفه للمأمون ، سماه كتاب « الحيل » جعله مقالتين : الاولى ٣ أجزاء والثانية ٣٦ فصلا ، كلها فى الحروب وآلاتها . وذكر كتابا قبله لعبد الجبار بن عدى ألفه للمنصور فى آداب الحروب وصورة العسكر ، وغيرها كثير ، لكن أكثرها ضاع . وسنأتى على تفاصيل أخرى عند الكلام على كل علم فى بابه

الشعر والشعراء

فى العصر العباسى الثالث

أن ما قدمناه عن أحوال الدول والامم فى هذا العصر ظهر تأثيره فى الشعر اكثر مما فى سائر الآداب .. لان الشعر مرآة أحوال الأمة كما تبين لك مما بسطناه عن أحواله فى العصور التى تقدم ذكرها . كان الشعر فى الجاهلية ديوان العرب ومعرض آدابهم وأخلاقهم ، يمثلون فيه الشجاعة والفروسية والضيافة والانفة والوفاء لا يتكلفون ولا يبالغون . فصاروا فى أيام بنى أمية وأكثر نظمهم فى السياسة ، وظهر التشبيب بكثرة الجوارى والسرارى ، وكثر الهجو لاختلاف الاحزاب مع المحافظة على الصبغة البدوية . فلما استبحر عمران العباسيين وأوى الناس الى القصور وتنزهوا فى الحدائق وشربوا الخمر واقتنوا الغلمان ظهر أثر ذلك فى أشعارهم . ثم زادوا على ذلك شكوى الزمان فى العصر العباسى الثانى لاشتغال الخلفاء والوزراء عن الشعر والشعراء . ونحن الان فى عصر تسابق فيه ولاة الامر الى تقديم أهل الادب . فلا غرو اذا تعدد الشعراء وكثرت مدائحهم وطالت قصائدهم وتفرعت أساليب

مزايا الشعر فى هذا العصر

١ – حل القيود القديمة

ان اطلاع أهل الادب على الكتب الفلسفية والطبيعية والمنطقية بعد ترجمتها عود عقولهم على النظر الصحيح والتقرب من الحقيقة .. فخطوا خطوة أخرى فى تبديل مذهب الشعر وطريقته ، واماما هذه الطريقة المتنبى والمعرى . وقد رأيت أن شعراء العصر العباسى الاول انتقدوا طرق الجاهليين، لكنهم ظلوا يحاكونهم فى كثير منها وهم يرسفون فى القيود التى وضعوها للنظم من حيث اللفظ والمعنى .. فتخلص المتنبى والمعرى من تلك القيود وقالا الشعر كما توحيه القريحة ، فنظما فى فلسفة الوجود والحكمة فى الخلق من عند أنفسهم ولا سيما المعرى . والشعر الحقيقى هو التعبير عن الشعور بتلك الحكمة أو تصوير الجمال الطبيعى بأعم معانيه وهو ما يعنيه الافرنج بالشعر ، ولكن لادباء العرب نظرا آخر فيه من حيث الديباجة واللفظ والكناية والمجاز . وسنعود الى ذلك

٢ – مقتبسات الفلسفة والتاريخ والطب والفقه

على ان العرب فى هذا العصر زاد اقتباسهم للافكار الفلسفية واطلعوا على تاريخ اليونان ، فصاروا يتمثلون بأبطالهم كقول المتنبى :

مَنْ مُبْلغ الأعراب أنىَ بعدهم شاهدتُ رَسْطاليسَ والإسكندرا
وسمعتُ بطليموسَ دارسَ كُتْبه متملــكا متبــديا متحضرا
ولقيتُ كلَّ الفاضــلين كأنمـــا رَدَّ الإلهُ نفوسَـــهم والأعصرا

وقول الفتح البستى من المعانى الطبية :

وقد يلبس المرءُ خزَّ الثيــاب ومن دونهــا حــالة مضــنيهْ
كمــن يكتسى خَدُّهُ حمــرةً وعِلَّتُـــهُ ورمٌ فى الرِّئـــهْ

وقوله :

إن الجهول تضرنى أخـــلاقه ضَرَرَ السُّعال بمن به استِسقاءُ

وقوله وفيه شىء من علم النجوم :

قد غَصَّ من أملى أنى أرى عملى أقوى من المُشْتَرِى فى أول الحَمَل
وأننى راحــلٌ عمــا أحــاوله كأننى أستدرُّ الحظَّ من زُحَلِ

ودخل الشعر العربى كثير من حكم القدماء وأمثالهم فى اليونانية ، اما اقتباسا كما فى أشعار المتنبى أو نقــلا وتعريبا . وأكثر ذلك منقول عن الفرس ، وهذه أمثلة مما نقله أبو الفضل السكرى :

مَنْ مَثَل الفُرْسِ ذوى الابصار الثوبُ رهنٌ فى يد القَصَّـــار
إن البعــير يبغض الخَشْخَـــاشا لــكنه فى أنفـــه ما عاشـــا
نالَ الحمارُ بالسقوط فى الوحَلْ ما كان يهوى ونجا من العمـــلْ
نحن على الشرط القديم المشترَط لا الزق منشقٌ ولا العير ســـقط

وتكاثرت فيه المعــانى الفقهية والصــوفية لظهور التصــوف وشيوعه واشتغال كثيرين من أصحابه بالشعر ، كقول بعضهم :

من سَرَّهُ أن يرى الفردوس عاجلةً فلينظر اليوم فى بنيــان إيـــوانِ
أو سره أن يرى رضوانَ عن كَثَبٍ بملء عينيــه فلينظــر الى البــانى

٣ ـ أبواب كثيرة

وتولدت فيه أبواب جديدة اقتضاها التبسط فى الحضارة والتوسع فى أسباب الرخاء ، فبعد أن كان الشعر الجاهلى أكثره فى الحماسة والفخر والرثاء والمدح ، زاد عليه الامويون التشبيب والهجاء . وزاد العباسيون فى العصر الاول الخمريات والتغزل بالغلمان . وزادوا فى هذا العصر (الثالث)

أبوابا تلائم أحوال الاجتماع والمدنية ، أهمها الاخوانيات والعتاب وشكوى الدهر والزهد والمداعبات والسلطانيات والمجاوبات والمقارضات ، وصار النظم فى الزهر بابا قائما بنفسه . وبعض هذه الابواب كان منه أمثلة فى العصور الماضية ، لكنها أصبحت فى هذا العصر أبوابا مستقلة . وهى تدل على تلطف أخلاق الامة وتوسع علاقاتها وارتقاء أذواقها

فيراد بالاخوانيات مثلا ما ينظم فى الاخوان أو الاصدقاء من أسباب التقارب كقول بعضهم :

وأخٍ اذا ما شطَّ عنى رَحلُه ... أدْنَى اليَّ على النَّوَى معروفهُ
كالكرْم لم يمنعه بُعْدُ عريشِه ... من أن يقرِّب للجُناة قطوفه

والمداعبات مثل :

أبا جعفر هل فَضَضْتَ الصَّدفْ ... وهل إذ رميتَ أصبت الهدف
وهل جئتَ ليلا بلا حشمةٍ ... لهول السُّرَى سَدَفا فى سَدَف

وشكوى الدهر مثل :

يا دهر ما أقساك يا دَهْرُ ... لم يحظ فيك بطائلٍ حُرُّ
أما اللئام فأنت صاحبهم ... ولهم لديك العطف والنصر
يبقى اللئيم مدى الحياة فلا ... يرتاع منه لحادث صَدْرُ

وقس على ذلك .. وترى أمثلة كثيرة من هذه الابواب فى يتيمة الدهر للثعالبى

٤ — المبالغة

غالى أهل هذا العصر فى المبالغة الشعرية الى ما لم يسبقهم اليه أهل العصور الماضية حتى خرجوا عن الممكنات الى المستحيلات كقول المتنبى :

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم ... إذا رأى غيرَ شيء ظنَّهُ رجلا
فبعده وإلى ذا اليومِ لو ركضتْ ... بالخيل فى لَهَوات الطِّفل ما سعلا

ومثله قوله فى وصف الضعف :

كفى بجسمى نحولا أننى رجلٌ ... لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

وناهيك بالمبالغة فى المدح ، فانهم تجاوزوا فيه المعقول والمشروع . واماما المداحين فى هذا العصر المتنبيان : أبو الطيب ، وابن هانىء . ومن مبالغات

ابى الطيب فى المدح قصيدته السينية التى مطلعها (*) :

هذِى برزْتِ لنا فهِجتِ رَسِيسا   ثم انثنيتِ وما شفيتِ نَسِيسا

الى أن يقول :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه   لما أتى الظلمات صِرْنَ شموسا
أو كان صادفَ رأس عازرَ سيفُه   فى يوم معركةٍ لأعيا عيسى
أو كان لُجُّ البحر مثلَ يمينه   ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى
أو كان للنيران ضَوْءُ جبينه   عُبِدتْ فصار العالمون مجوسا
لما سمعتُ به سمعتُ بواحد   ورأيته فرأيتُ منه خَمِيسا
ولحظتُ أنمله فسِلْنَ مواهبا   ولمستُ مُنْصُلَهُ فسالَ نفوسا
يا من نلوذ من الزمان بظله   حقا ونطرد باسمه إبليسا

ونحو ذلك قوله :

وأعْجَبُ منك كيف قدرتَ تَنْشا   وقد أعْطيتَ فى المهْد الكمالا
وأقسم لو صلحتَ يمينَ شىء   لما صلح العِبادُ له شِمالا

وقوله :

بمن أضرب الأمثالَ أم من أقيسه   اليك وأهلُ الدهر دونك والدهرُ

أما ابن هانىء متنبى الغرب فيكفى مثالا لمبالغته القصيدة التى مدح بها المعز لدين الله الفاطمى ، ومنها قوله :

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ   فاحكمْ فأنت الواحدُ القهّارُ
وكأنما أنت النبىُّ محمدٌ   وكأنما أنصارك الأنصار
أنت الذى كانتْ تبشّرنا بـه   فى كتْبها الأحْبَارُ والأخبار

٥ ـ طول القصائد

وطالت القصائد فى هذا العصر عما كانت عليه قبلا حتى كثرت فيها ذوات

(*) الغريب فى الابيات : الرسيس هنا : حمى الحب ، والنسيس : بقية النفس والروح ـ ويقول فى البيت الثانى ان له رأيا سديدا لو استخدمه الاسكندر لاضاءت له الظلمات ، وهى مبالغة واضحة ومثلها الابيات التالية • عازر : هو الشخص الذى أحياه عيسى بعد موته ، يقول ان ممدوحه لو قتله فى الحرب لعجز عيسى عن احيائه • ولج البحر مثل يمينه أى فى العطاء والبذل • والخميس : الجيش ، والمنصل : السيف

المئات من الابيات ، كقصيدة ابن عبد ربه وقصائد الواسانى (*) . ومع ذلك فان العرب لم يدركوا شأو الامم الاخرى فى الاطالة ، كما فعل اليونان بالالياذة والاوديسة ، والفرس فى الشاهنامة ، وهو الشعر المعروف بالايبوبة .. وتعد أبيات الواحدة بعشرات الالوف . على انهم ذكروا لأبى الرجاء محمد بن أحمد ابن الربيع الاسوانى المتوفى سنة ٣٣٥ هـ قصيدة أبياتها تعد بالالوف ، ضمنها أخبار العالم وقصص الانبياء . ويعد من هذا القبيل نظم كليلة ودمنة ونحوها مما ضاع . ولكن ذلك منقول ليس فيه تفكير ، أى لم ينظمه الشاعر من بنات أفكاره . ولا يكون ذلك الا فى نظم القصص الخيالية أو نحوها

٦ - الوصف الشعرى

واجاد أهل هذا العصر فى الوصف الشعرى وتوسعوا فيه . والوصف قديم فى الشعر العربى ، لكنه اتسع وطال بزيادة العمارة وصار له فى هذا العصر باب خاص . وأول من أجاده شعراء الاندلس لمخالطتهم الافرنج . والشعر الوصفى عند هؤلاء باب من أبواب الشعر الكبرى . فصار شعراء العرب يصفون المناظر الطبيعية والابنية الجميلة وسائر ظواهر المدنية حتى الادوات كالاسطرلاب ونحوه

على ان تاريخ الوصف الشعرى يتصل بالجاهلية ، فكان العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام يصفون الخيل والمعارك ونحوها . وأحسن قصائد الوصف عندهم قصيدة بشر بن عوانة التى وصف بها مقتل الاسد ومطلعها :

أفاطمُ لو شهدتِ ببَطْنِ خَبْتٍ　　وقد لاقى الهِزَبْرُ أخاكِ بِشْرا

الى آخرها ، هى وبديعة ، ومنشورة فى جملة مقامات بديع الزمان الهمذانى

وتقدم الشعر الوصفى بعد الاسلام رويدا رويدا مع تقدم المدنية واتساع الخيال وتكاثر المعانى بتكاثر فروع العلم والاختلاط بالامم الاخرى فى العصر العباسى الاول فالثانى حتى بلغ أحسنه فى العصر الثالث هذا . وأبرع وصافى العصر الثانى البحترى ، وأحسن قصائده فى الوصف قصيدة يصف بها بركة بناها المتوكل على الله مطلعها (**)

يامَنْ رأى البِرْكةَ الحسناء رؤْيتها　　والآنساتِ إذا لاحت مغانيها

حتى يقول :

تنصبُّ فيها وفودُ الماء معجلةً　　كالخيل خارجةً من حَبْلِ مُجْرِيها

كأنما الفضة البيضاء سائلةً　　من السبائك تجرى فى مجاريها

(*) الحق أن التطويل فى القصائد ظهر قبل هذا العصر ، وخاصة عند ابن الرومى، فقصائده أطول قصائد الشعر الغنائى عند العرب ، اذ تمتد الى مئات الابيات

(**) الغريب فى الابيات : المغانى : المنازل، الحبك : تجمد الماء ، الجواشن : الدروع ، ريق الغيث : اوائله

اذا علتها الصَّبا أبدت لها حُبُكا مثلَ الجواشنِ مصقولا حواشيها
فحاجبُ الشمس أحيانا يضاحكها وريقُ الغيث أحيانا يباكيها
اذا النجوم تراءتْ في جوانبها ليلا حسبتَ سماءً رُكِّبتْ فيها

وقصيدة وصف بها القصر الكامل للمعتز بالله قال فيها (*) :

وكأنَّ حيطان الزجاج بجوه لُجَجٌ يَمُجْنَ على جنوب سواحل
وكأن تفويفَ الرخام إذ التقى تأليفه بالمنظر المتقابل
حُبُكُ الغمام رُصِفْن بين منمَّرٍ ومسيَّرٍ ومقاربٍ ومشاكل

لكن شعراء العصر الثالث زادوا توسعا في الوصف ودقة في التعبير . وممن أجاد فيه المتنبى وابن هاني والمأموني . ولهذا الاخير قصيدة في وصف قصر بناه الصاحب بن عباد قال فيها :

فهنيئا منها بدارٍ حوت منـ ك جبالا من الحلوم رِجاحا
ذات صدر كرَحْب صدرك قد زا د على ظنّ آمليك انفساحا

ثم أتى على وصف الدار وصفا يطابق ما يتخيل للداخل اليها ، فيتدرج من الفناء فالبهو فالصحن الخ

دع عنك وصف المتنبى لمواقع الحروب وما يحتاج الى فخامة اللفظ والمعنى كقصيدته التى يصف بها وقعة حرب لسيف الدولة مع البطريق . ومن أحسن شعره الوصفى قوله يصف مشية الاسد (**)

يطأ الثَّرَى مترفِّقا من تيهه فكأنه آسٍ يَجُسُّ عليلا
ويردُّ عُفْرتَه الى يافوخه حتى تصير لرأسه إكليلا
وتظنه مما تُزَمْجِرُ نفسُه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصُرَتْ مخافتُه الخُطَى فكأنما ركبَ الكميُّ جواده مشكولا

لكن شعراء العرب قلما اشتغلوا بوصف الحوادث الطويلة أو التواريخ، كما فعل اليونان والفرس قديما أو كما يفعل أدباء الافرنج الآن في تأليف الروايات الوصفية للأخلاق والعادات. وسنفرد فصلا خاصا بهذا الموضوع

(*) الغريب في الابيات : تفويف الرخام : ما به من خطوط بيضاء ، المنمر : ما فيه نكت من أى لون ، المسير : المخطط

(**) الغريب في الابيات :
آس : طبيب ، الغفرة : لبدة الاسد وشعره الذى على كتفيه ، وهو يرده الى رأسه اذا غضب حتى يجمع قوته الى أعلى بدنه . الكمى : الشجاع المستتر في سلاحه ، مشكولا : مقيدا ، وواضح ان البيت الاخير يصور خوف الفارس الشجاع من لقاء هذا الاسد الذى قتله ممدوحه ابن عمار

٧ — زيادة أبحره وأوزانه

تولدت فى الشعر أبحر جديدة لم تكن فيه من قبل ، أهمها الموشحات (*) ينظمونها أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا .. يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا . ويلتزمون تلك الأغصان وأوزانها متتالية فيما بعد الى آخر القطعة ، وأكثر ما تنتهى عندهم الى سبعة أبيات . ويشتمل كل بيت على أغصان ، عددها بحسب الأغراض والمذاهب . وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل الشعراء فى القصائد

وهى من مخترعات الاندلسيين ، وأول من نظمها منهم مقدم بن معافى القبرى من شعراء الامير عبد الله بن محمد المروانى فى أواخر القرن الثالث للهجرة . وأخذ عنه ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد . ولم تقع هذه البدعة موقعا حسنا عند المحافظين على القديم ، فكسدت حينا حتى نبغ عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية (توفى سنة ٤٤٣هـ)(١) فأجاد وجاء بعده ابن أرفع رأسه شاعر المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة (توفى سنة ٤٦٧ هـ) . وذكر صاحب فوات الوفيات « ان أول من نظم عقود الموشحات وأقام عمادها عبادة بن عبد الله بن ماء السماء الشاعر الاندلسى المتوفى سنة ٤٢٢ هـ رأس الشعراء فى الدولة العامرية ، وكانت صناعة التوشيح قد ظهرت وأخذ الشعراء ينتهجونها فقام عبادة وقوم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالاندلس الا منه ولا أخذت الا عنه . واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته . وأول من صنع أوزان هذه الموشحات محمد بن محمود القبرى الضرير . وقيل ان ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد أول من سبق الى هذا النوع من الموشحات ، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادى ، ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التضفير . وذلك انه اعتمد على مواضع الوقف فى المراكز »

وعلى كل حال فان الموشحات نضجت فى العصر الثالث الذى نحن بصدده .

وناهيك بما ادخله الجوهرى صاحب الصحاح على عروض الشعر فى هذا العصر ، وفيه أيضا نضج نقد الشعر بظهور كتاب العمدة لابن رشيق . ولنقد الشعر تاريخ يستحسن ايراده هنا :

تاريخ نقد الشعر العربى (**)

يقسم النقد الادبى أو انتقاد المؤلفات الى أقسام أهمها ثلاثة : نقد الشعر ، نقد الانشاء ، نقد التاريخ . والمشهور أن العرب من أقل الامم

(*) راجع فى الموشحات وأوزانها وتاريخها مقدمة ابن خلدون ودار الطراز لابن سناء الملك وتاريخ الفكر الاندلسى ص ١٤٢ والعربية ليوهان فك ص ١٨٥

(١) ابن خلدون ٥١٩ ج ١

(**) راجع فى هذا الموضوع كتابنا عن النقد « طبع دار المعارف » وكتاب النقد المنهجى عند العرب فى القرن الرابع الهجرى لمحمد مندور ومقدمة طه حسين لكتاب نقد النثر لقدامة

نقدا وتمحيصا . ويصح ذلك من حيث التاريخ والتراجم أو أعمال الناس وأحوال الاجتماع لاسباب سنبينها فيما يلى من هذا الكتاب . وأما ما خلا ذلك ، فهم من أكثر الامم ميلا الى النقد أو التمحيص .. وانما يظهر منهم ذلك عند الحاجة اليه أو اذا تيسر لهم الخوض فيه . أما من حيث فنون الادب ، فبدأوا بنقد الشعر ثم الانشاء وأخيرا التاريخ . وسنفرد لكل منها فصلا خاصا فى المكان الملائم . وهذا مكان الكلام عن نقد الشعر . وينقسم النظر فى الشعر الى أقسام من حيث عروضه ووزنه وقوافيه ولغته ومعانيه وأسلوبه والمقصود النظر فيه من حيث معناه (الخيال الشعرى) وطريقته أو مذهب صاحبه فى النظم

ونقد الشعر من حيث معناه قديم فىتاريخ الادب يتصل بصدر الاسلام، فقد رأيت ما كان يجزى من المشاحنات والمناظرات فى العصر الاموىبشأن من هو أشعر الشعراء ، وكثيرا ما كان الجدال يفضى الى الخصام . وقد فصلنا ذلك فى الجزء الاول من هذا الكتاب ، وهم طبعا كانوا ينظرون فى قول كل شاعر نظر الناقد ليبينوا فضله على سواه ولم يقتصر التصدى للنقد على الادباء أو الشعراء ، بل كان يتناول كل ذى المام بالشعر . وحيثما اجتمع الادباء تذاكروا الشعر وانتقدوه ، وكانت مجالس سكينة بنت الحسين فى المدينة أشبه شيء بمجالس الانتقاد الادبى فى أرقى الامم المتمدنة اليوم . ثم ظهرت طبقة أخرى من نقاد الشعر لما أخذ الرواة فى جمعه فى العصر العباسى الاول ، فكانت مجالسهم وأنديتهم للمفاكهة أو المذاكرة لا تخلو من النقد

أما الطريقة أو المذهب ، ونعنى الخطة التى كانوا يتوخونها فى النظم مثل تقليدهم شعراء الجاهلية من حيث ذكر الاطلال والبكاء عليها والتغزل بحيوانات البادية وأحوالها كما كان يفعل الجاهليون ، فأول من انتقدها شعراء العصر العباسى الاول . وقد اشرنا الى ذلك فى الصفحات الاولى من هذا الكتاب . وانما هى أبيات قالوها عرضا

أما التأليف فى نقد الشعر من هذا الوجه وغيره ، فأول من أقدم عليه مما وصلنا خبره محمد بن سلام الجمحى المتوفى سنة ٢٣٢ فى كتابه طبقات الشعراء .. فانه قدم لذلك الكتاب بمقدمة ، فيها نقد جميل ، قال فى جملته « ان محمد بن اسحق أفسد الشعر بما نسبه من الاشعار الى بعض الصحابة فى السيرة النبوية » . وبحث فى شيء من هذا القبيل ابن أبى الخطاب القرشي فى مقدمة جمهرة أشعار العرب . ونجد شيئا من ذلك أيضا فى كتاب قواعد الشعر لثعلب المتقدم ذكره . أما أدباء العصر العباسى الثانى كابن قتيبة والجاحظ وابن عبد ربه وأمثالهم ، فقد توسعوا فيه ، لان ما ألفوه من كتب الادب لا يخلو من النقد الشعرى

على ان أكثرهم نقدا وتمحيصا ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ) فى كتابه الشعر والشعراء ، وقد صرح بذلك فى مقدمة الكتاب المذكور بقوله:

« ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد

أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره .. بل نظرت بعين العدل الى الفريقين واعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه . فانى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه فى متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له الا انه قيل فى زمانه أو انه رأى قائله . ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده فى كل دهر . وجعل كل قديم حديثا فى عصره وكل شرف خارجية فى أوله . فقد كان جرير والفرزدق والاخطل وأمثالهم يعدون محدثين ، وكان أبو عمر بن العلاء يقول : « لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته » ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم ، كذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمى والعتابى والحسن بن هانىء واشباههم . فكل من أتى بحسن: قول أو فعل ذكرناه له وأتينا به عليه ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه ، كما انالردىء اذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه »

وقد انتقد ابن قتيبة الانشاء فى صدر كتابه أدب الكاتب كما تقدم

ثم جاء قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ، فأفرد لذلك كتابا خاصا سماه « نقد الشعر » تقدم ذكره وهو أول من فعل ذلك .. فبين حد الشعر وشروط نظمه من حيث اللفظ والمعنى وائتلافهما فى أبواب النظم المعروفة فى عصره وشروط المجاز والتشبيه وغيره . لكنه اختصر فى ذلك ولم يوف الموضوع حقه شأن كل من يبدأ بعمل جديد ، فترك اتمامه لادباء العصر العباسى الثالث الذى نحن بصدده

فجاء بعده الآمدى المتوفى سنة ٣٧١ هـ (ترجمته فى معجم الادباء ٥٤ ج ٣) فوضع كتابه فى الموازنة بين أبى تمام والبحترى ــ وقد ذكرناه فى ترجمة البحترى ــ وهو من قبيل النقد الخاص لانه محصور بين شاعرين معينين لكنه يشتمل على قواعد عامة

وكذلك فعل على بن عبد العزيز الجرجانى الشاعر الكاتب المتوفى سنة ٣٩٢ هـ فى كتابه الوساطة بين المتنبى وخصومه ، ردا على كتاب الفه ابن عباد فى مساوىء المتنبى. . فكتاب الوساطة مع كونه بين المتنبىوخصومه، لكنه يتضمن ابحاثا فى الشعر على العموم والشعراء على اختلاف العصور الى أيامه (١) . وفى كتاب مفاتيح العلوم لابى عبد الله الخوارزمى ــ المتقدم ذكره ــ باب فى الشعر والعروض لا يخلو من النقد . ومثله كتاب ذم الخطأ فى الشعر لابن فارس اللغوى الآتى ذكره

ويعد من قبيل النقد الشعرى أيضا كتاب يتيمة الدهر للثعالبى ، فانه ذكر فيه محاسن الشعراء وأمثلة من اقوالهم مع الملاحظة والانتقاد فىأربعة مجلدات كبيرة ، وسنذكره فى ترجمة الثعالبى

(١) تجد ترجمة على بن عبد العزيز فى يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ٣

ونشأ فى أثناء ذلك علم خاص يبحث فى أحوال الكلمات الشعرية سموه علم قرض الشعر لا من حيث الوزن والقافية بل من حيث حسن الالفاظ وقبحها للشعر والجواز والامتناع ومعايب التركيب كما عاب الصاحب أبا تمام بقوله :

كريمٌ متى أمدحْه أمدحْه والورى معى وإذا ما لمتُه لمتُه وحدى

حيث قابل المدح باللوم والتكرار فى لفظ أمدحه ولمته • ويعد من قبيل النقد الشعرى أيضا رسالة الغفران لابى العلاء المعرى ، لان المتكلم فيها زعم انه جال فى الجنة وقابل الشعراء وانتقدهم ، وسيأتى ذكرها فى ترجمة أبى العلاء

كتاب العمدة

على ان ذلك كله من قبيل المقدمات التمهيدية فى سبيل نقد الشعر . ولم يختم العصر العباسى الثالث حتى ظهر كتاب العمدة لابن وشيق . جمع فيه أحسن ما قاله الذين سبقوه فى النقد وغيره ، ليكون العمدة فى محاسن الشعر وآدابه . وقد استخرج النتائج الانتقادية على ما رآه ، قال : « وعولت فى أكثره على قريحة نفسى ونتيجة خاطرى خوف التكرار الا ما تعلق بالخبر وضبط الرواية » وسنذكره فى ترجمة ابن رشيق

ونظرا لعظم وقع هذا الكتاب فى النفوس تصدى معاصروه لنقده ومعارضته ، وقد وصلنا من ذلك « رسائل الانتقاد » لابى عبد الله محمد ابن أبى سعيد بن شرف الجذامى القيروانى الشاعر الاديب المتوفى سنة ٤٦٠ هـ عارض بها كتاب العمدة . وهو معاصر لابن رشيق وزميله . وقد تأنق فى رسائله فسجعها وزينها بالتشابيه والكنايات ، يقلد بها المقامات فى الخطاب والجواب . وضمنها انتقادا على الشعراء الجاهليين فما بعدهم ، وشتان بينه وبين ابن رشيق . وقد نشرت رسائله المشار اليها فى مجلة المقتبس (سنة ٦)

وذكر صاحب كشف الظنون كتبا فى نقد الشعر لابى عبد الله محمد بن يوسف الكفرطابى المتوفى سنة ٥٠٣ هـ ولغيره لم نقف عليها

الشعراء فى العصر العباسى الثالث

كان الفرزدق وجرير والاخطل وغيرهم من شعراء بنى أمية يعدون فى ذلك العصر محدثين ، فأصبحوا يعدون فى العصر العباسى الاول قدماء وصار أبو نواس والعتابى وأشباههم محدثين ، ثم صار هؤلاء قدماء أو مولدين فى العصر الذى نحن بصدده وصار أهل هذا العصر محدثين . ونحن اليوم نعد هؤلاء جميعا قدماء

مميزات هذا العصر

ويمتاز الشعراء فى هذا العصر عمن سبقهم بأمور أهمها :

١ ـ انهم ظهروا وتكاثروا فى أطراف المملكة الاسلامية أيضا بعد أن تفرق الادباء من بغداد كما تقدم ، فبعد أن كان أكثرهم فى الشام والعراق نبغت طائفة منهم فى خراسان وتركستان وطبرستان والاهواز ومصر والمغرب والاندلس وسائر الانحاء ، وان ظلت الافضلية لشعراء الشام والعراق لاسباب ذكرناها فى غير هذا المكان

٢ ـ ظهرت فيهم طبقة من الوزراء والقضاة والامراء وسائر وجوه الدولة وأصحاب الثروة والوجاهة

٣ ـ تعاطى الشعر كثيرون من الفقهاء والعلماء والمنشئين والفلاسفة والاطباء

٤ ـ زاد عدد الشعراء فيه على عددهم فى كل عصر قبله لشيوع العلم واتساع دائرة المملكة الاسلامية. ولا يتسع المقام لتراجمهم فنأتى بأشهرهم حسب سنى الوفاة

أشهر الشعراء

١ ـ أبو الطيب المتنبى

توفى سنة ٣٥٤ هـ

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفى الكندى . وبنو جعفى بطن من سعد العشيرة ، من القحطانية ، فهو عريق فى العروبة . ولد فى الكوفة سنة ٣٠٣ فى محلة تسمى كندة فنسب اليها ، وليس هو من كندة القبيلة المعروفة . وكان أبوه من العامة يسقى الناس ويسمونه « عبدان السقاء » لكن أبا الطيب نشأ على طلب العلم والادب ، وكان قوى الحافظة مطبوعا على الشعر . فلما ترعرع حمله أبوه الى الشام ينتقل به من باديتها الى حاضرتها . واخذ العلم من أصحابه ، فمر أولا باللغة فحفظ غريبها وحواشيها وأشعار الجاهلية وغيرهم واشتهر بالفصاحة والبلاغة . وكان مفطورا على كبر النفس وبعد الهمة ، فلم يقنع بما يتمناه سواه من الشهرة بالشعر أو الادب .. فطلب السيادة بالفتح فدعا الى بيعته قوما من مريديه من أبناء سنه فبايعوه ، وحين كاد يتم أمر دعوته وصل خبره الى والى البلدة فقبض عليه وحبسه . وفى هذا الحبس نظم قصيدة استعطف بها الوالى ، حتى يطلقه ، مطلعها :

أيا خَدَّدَ اللهُ وَرْدَ الخدودِ   وقَدَّ قدود الحِسان القدود (*)

الى أن قال :

دعوتك لما برانى البلى   وأوهن رجلىَّ ثقل الحديدِ
وقد كان مَشْيُهما فى النعال   فقد صار مَشْيُهما فى القيود
وكنتُ من الناس فى محفلٍ   فها أنا فى محفلٍ من قرودِ
تعجَّلْ فىَّ وجوبَ الحدود   وحَدِّىَ قبل وجوب السجود

أى انما تجب الحدود على البالغ وأنا صبى لم تجب على الصلوات بعد ، فأطلقه . ولما فرغت يده من الفتح طلب ما هو أبعد منه ، فزعم انه نبى اعتمادا على بلاغة أسلوبه .. فخرج الى بنى كلب وأقام فيهم وادعى انه علوى ثم ادعى النبوة . وقال انه أظهر دعوته هذه أولا فى بادية السماوة

(*) خدد : شق ، وقد : قطع ، وهو دعاء للاعجاب والاستحسان أو لعله دعاء حقيقى كأنه يريد أن يتخلص من وجده وحبه

ونواحيها ، واخذ يتلو عليهم كلاما زعم انه قرآن انـــزل عليـه .. فكانوا يحجون له سورا كثيرة أورد أبو علي بن حامد جزءا من سورة قال انهـ ضاعت وبقي أولها في حفظه ، وهو « والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، ان الـكافر لفي أخطار ، امض على سـنتك واقف أثر من قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك زيغ من الحد في دينه وضـل عن سبيله » . فلما شاع أمره بين الناس خرج عليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدية فقاتله وأسر من كان معه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب ، وحبسه في السجن دهرا طويلا حتى كاد يتلف . فسئل في أمره فاستتابه وكتب عليه وثيقة واشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأطلقه . فكان المتنبي كلما ذكر له قرآنه بعـد ذلك أنكره وحاول التنصل من تبعته

وقنع بعد فشله هذا بالشهرة الادبية ، فنال منها ما لم ينله سواه .. وراجت سوق شعره بما أصابه من رغبة المـلوك والامراء فيه ، فنظم القصائد في أغراض مختلفة وفاق معاصريه على الاطلاق فتسابق الملوك الى تقريبه اليهم بالجوائز ففعل . وبدأ بسيف الدولة بن حمدان فقـدم عليه سنة ٣٣٧ هـ ومجلسه حافل بفحول الشعراء ، فأحرز المتنبي قصب السبق بقصائد سار بذكرها الركبان . وكان في جملة من يحضر مجلس سيف الدولة ابن خالويه النحوي ، فوقع بينه وبين المتنبي كلام أدى الى نفور .. فوثب ابن خالويه على المتنبي فضربه بمفتاح كان معـه فشـجه . ولم ير المتنبي من سيف الدولة دفاعا عنه فغضب وخـرج الى مصر . وأراد الانتقام لنفسه فتقرب من كافور الاخشيدي سنة ٣٤٦ هـ لما يعلم من عداوته لبني حمدان وامتدحه وامتدح انوجور بن الاخشيد ، فاكرماه حتى صار يقف بين يدي كافور .. وفي رجليه خفان وفي وسطه سـيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق . فلمـا رأى كافور سموه بنفسه وتعـاليه بشـعره خافه ، وقال : « يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (صلعم) الا يدعي الملك مع كافور فحسـبكم » فأغضبه . فخرج أبو الطيب من مصر فأتى بغداد ثم ذهب قاصدا بلاد فارس ، وامتدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فأجزل عطاءه

ثم رجع من فارس قاصدا بغداد ومعه ابنه محسد وغلامه مفلح ، حتى اذا كان بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية في الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين ، عرض له فاتك ابن أبي الجهل الاسدي في عدة من أصحابه فاقتتـلا . فأحس المتنبي بالضعف فعمد الى الفرار ، فقال له غلامه مفلح : « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القائل » :

الخيلُ والليـلُ والبَيْداءُ تعرفني والسيفُ والرمح والقرطاس والقلم

فكر راجعا حتى قتل سنة ٣٥٤ هـ

اما شعره ففي الدرجة الاولى من المتانة والبلاغة ، وهو مشهور بضخامة

المعانى ومتانة المبانى . ولم يدع بابا من أبواب الشعر الا طرقه وأجاد فيه وخصوصا الحكم والحماسة والمديح والفخر والعتاب . وحوى شعره من الفلسفة والحكمة ما جرى على ألسنة الناس مجرى الامثال . واقتبس كثيرون من المنشئين معانيه وحلوا شعرها الى نثر ادخلوه فى نثرهم كما فعل الصاحب بن عباد(١) ، أو نظموه لانفسهم كما فعل أبو بكر الخوارزمى وغيره . ولم نأت بأمثلة من نظمه لكثرته ولاشتهار ديوانه وشيوعه

مضى على شعره نحو ألف سنة ، ولا يزال موضوع مناقشات أهل الادب . وكثيرا ما اشتغلوا بتفسير اشعاره وحل مشكلها وعويصها . وألفت الكتب فى ذكره جيده ورديئه ، وتكلم الافاضل فى الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابكار كلامه وتفرقوا فرقا فى مدحه والقدح فيه والتعصب له أو عليه . وذلك دليل على وفور فضله وتقدمه على اقرانه .. والكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته

وممن درس شعر المتنبى وبين حسنه وقبيحه ونقده أبو منصور الثعالبى فى الجزء الاول من يتيمة الدهر ، فانه بين بالتفصيل حسناته وسيئاته مع سائر أخباره فى نحو مائة صفحة . ولم يبق شاعر أو أديب جاء بعد المتنبى الا انتقده . ويرى ابن رشيق ان أبا الطيب كان يأتى بالمستغرب ليبين معرفته ، وانه كان فى طبعه غلظ وفى عتابه شدة وانه كثير التحامل ظاهر الكبرياء والانفة

وقال أبو العلاء المعرى : « أبو تمام والمتنبى حكيمان وانما الشاعر البحترى » وكان شيوخ الشعر فى أيام ابن خلدون لا يرون المتنبى والمعرى من الشعراء لانهما لم يجريا على أساليب العرب . وأبو سعيد محمد ابن أحمد العميدى ألف كتابا سماه « الابانة عن سرقات المتنبى لفظا ومعنى » ذكر فيه نحو ٢٥٠ بيتا من أشعار المتنبى ، وأورد ما يقابلها من نظم المتقدمين كالبحترى وابى تمام وابن الرومى وديك الجن وغيرهم من فحول الشعراء ، وزعم ان المتنبى سرقها وغير فيها وأعادها لنفسه ، والكتاب مطبوع بمصر فى ٨٨ صفحة . وأبو على محمد بن حسن الحاتمى أوضح ما توارد من المعانى بين أبى الطيب وارسطو ولم يتهم المتنبى بالسرقة ، بل قال : « لما رأيت أبا الطيب قد أتى فى شعره على أغراض فلسفية ومعان منطقية أردت الموافقة بين ما توارد به فى شعره مع ارسطو فى حكمه لانه ان كان ذلك عن فحص ونظر فقد اغرق فى درس العلوم ، وان يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة فى ذلك ، وهو فى الحالين على غاية الفضل » ثم أورد بعض أقوال ارسطو وما يقابلها من أشعار المتنبى فى نحو عشرين صفحة . وانتقد المتنبى جماعة من المستشرقين أيضا أشهرهم رايسكى ودى ساسى وبولين وبروكلمن وهمر ونيكلسن وغيرهم . وفى المقتطف صفحة ٣٦١ سنة ١٧ مقالة فى المتنبى للسيد توفيق البكرى

وقد جمع ديوان المتنبى ورتب حسب الحروف الابجدية . وشرحه

---

(١) يتيمة الدهر ٨٧ ج ١

كثيرون وطبع فى الهند ومصر والشام وغيرها . ومن شروحه التى بقيت شرح ابن جنى المتوفى سنة ٣٩٣ فى ثلاثة مجلدات ذكره كشف الظنون ، ومنه نسخة خطية فى مكتبة بطرسبورج وأخرى فى الاسكوريال . وعلق عليه ابن فورجه سنة ٤٣٧ كتابا سماه التجنى على ابن جنى فى الاسكوريال وشرحه ابراهيم الافليلى المتوفى سنة ٤٤١ هـ ، ومنه نسخة فى مكتبة برلين . وشرحه أبو العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ ، ومن شرحه نسخة فى مكتبة منشن وأخرى فى المتحف البريطانى وفى بطرسبورج . وشرحه الواحدى المتوفى سنة ٤٦٨ ، وقد طبع فى بمباى سنة ١٢٨١ وفى أوربا سنة ١٨٦١ . وشرحه التبريزى سنة (٥٠٢) ومنه نسخة فى مكتبة باريس وشرحه العكبرى (٦١٦) طبع فى بولاق سنة ١٨٦٠ وفى مصر سنة ١٢٨٧ وبعدها . وفى مكاتب أوربا نسخ خطية من هذا الديوان ، ليس عليها اسماء شراحها . وأحدث شروحه العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب للشيخ اليازجى طبع فى بيروت غير مرة . وهناك مختارات من ديوان المتنبى يطول بنا ذكرها ، منها كتاب الامثال السائرة فى شعر المتنبى موجود فى مكتبة دار الكتب المصرية والمنصف لابن وكيع ، وهو بحث فى حقيقة المتنبى بالنظر الى ذلك ، منه نسخة خطية فى برلين . والصبح المنبى عن حيثية المتنبى ليوسف البديعى المتوفى سنة ١٠٧٣ ، منه نسخ فى أكثر مكاتب أوربا وفى المكتبة الخديوية وغيرها كثير ، وهو مطبوع . وقد عنى غرانجريه بنقل بعض أشعار المتنبى الى الفرنسية وطبعت فى المجلة الاسيوية (سنة ١٨٢٤) . وكتب عنه أكثر المستشرقين مقالات انتقادية ولا سيما ديتريشى وهامر وجونبول ، وقد عنى هذا بترجمة بعض أشعاره الى اللاتينية وطبعت سنة ١٨٤٠

وترجمة المتنبى فى ابن خلكان ٣٦ ج ١ ، ويتيمة الدهر ٧٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٦٦ (*)

٢ ــ أبو فراس الحمدانى

توفى سنة ٣٥٧ هـ

هو أبو فراس الحارث بن أبى العلاء سعيد بن حمدون الحمدانى ابن عم سيف الدولة .. فهو شاعر أمير ، وكان فارسا مغوارا وشاعرا بليغا وشعره سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة مع رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا فى شعر عبد الله بن المعتز . وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقاد الكلام . وكان الصاحب بن عباد يقول : « بدىء الشعر بملك وختم

(*) راجع فى المتنبى الانساب للسمعانى الورقة ٥٠٦ أ والصبح المنبى عن حقيقة المتنبى للبديعى والوساطة بين المتنبى وخصومه لعلى بن عبد العزيز الجرجانى وخزانة الادب ج١ ص٣٨٢ وكتاب أبى الطيب المتنبى لبلاشير ومع المتنبى لطه حسين وبحثا لمحمود شاكر نشره فى مجلة المقتطف وكتابنا الفن ومذاهبه فى الشعر العربى الفصل الثانى من القسم الثانى ودائرة المعارف الاسلامية

بملك » يعنى امرأ القيس وابا فراس ، وكان المتنبى يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبرى لمباراته ولا يجترىء على مجاراته ..
لكنه لم يمدحه ومدح نفرا دونه من آل حمدان تهيبا له واجلالا ، لا اغفالا واخلالا . وكان سيف الدولة يعجب جدا بمحاسن أبى فراس ، ويميزه بالاكرام على سائر قومه ، ويستصحبه فى غزواته ويستخلفه فى أعماله

واشتهر أبو فراس فى عدة معارك مع سيف الدولة حارب فيها الروم ، فأسر فى احداها وهو جريح فى فخذه .. فحمل الى القسطنطينية وسجن فيها أربع سنين . ونظم وهو فى السجن قصائد امتازت بالرقة والحنين الى الوطن وعرفت بالقصائد الروميات . ثم أطلق سراحه وعاد الى وطنه. ولما مات سيف الدولة طمع هو فى حمص ، فاعترضه أبو المعالى بن سيف الدولة وجرت بينهما حرب انتهت بقتل أبى فراس سنة ٣٥٧ وهو فى مقتبل العمر لم يتجاوز السابعة والثلاثين

وقدجمع شعره فى ديوان طبع فى بيروت سنة ١٨٧٣ وسنة ١٩٠٠(*) ، وأفرد صاحب يتيمة الدهر فصلا كبيرا لترجمة أبى فراس وأشعاره (ج ١) وقد عنى دوفوراك بترجمة بعض أشعاره الى الالمانية ، طبعت فى ليدن سنة ١٨٩٥

ومن أمثلة شعره قوله فى الفخر :

ألم ترنا أعزَّ الناس جاراً ... وأمْنَعهم وأمرَعهم جَنابا
لنا الجبل المطلُّ على نزارٍ ... حَلَلْنَا النَّجْدَ منه والهضابا
تفضّلنا الأنامُ ولا تحاشي ... ونوصَفُ بالجميل ولا نُحابَى
وقد علمتْ رَبيعةُ بل نزارٌ ... بأنا الرأسُ والناسُ الذُّنابى
ولما أن طغت سفهاءُ كعْبٍ ... فتحنا بيننا للحرْب بابا
منحناها الحرائبَ غير أنا ... إذا جارتْ منحناها الحرابا
ولما ثار سيفُ الدينِ ثرْنا ... كما هَيَّجْتَ آساداً غِضابا
أسنّته اذا لاقى طعاناً ... صَوارمه ، اذا لاقى ضرابا
دعانا والأسنة مُشْرَعاتٌ ... فكنا ، عند دعوته ، الجوابا
صنائع فاق صانعُها ففاقتْ ... وَغرْسٌ طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهام اذا أصابتْ ... مَراميها فراميها أصابا

وقوله فى العتاب :

قد كنت عُدَّتِيَ التى أسطو بها ... ويدى اذا اشتدَّ الزمان وساعدي

(*) ونشره سامى الدهان فى دمشق نشرة علمية محققة

فرميت منك بغير ما أملته ... والمرء يشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التقي لبره ... أغضى على ألم لضرب الوالد

ومن اخوانياته قوله :

لم أؤاخذك بالجفاء لأني ... واثق منك بالوداد الصريح
فجميل العدو غير جميل ... وقبيح الصديق غير قبيح

ومن باب الشكوى والعتاب قوله :

أيا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا ... أيا قومنا لا تقطعوا اليد باليد
فياليت داني الرحم منا ومنكم ... اذا لم يقرب بيننا لم يبعد
عداوة ذي القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

وقوله :

اذا كان فضلى لا أسوغ نفعه ... فأفضل منه ان أرى غير فاضل
ومن أضيع الأشياء مهجة عاقل ... يجور على حو بائها حكم جاهل

ومن النسيب قوله :

تبسم ، اذ تبسم ، عن أقاح ... وأسفر ، حين أسفر ، عن صباح
واتحفنى براح من رضاب ... وراح من جنى خد وراح
فمن لألاء غرته صباحى ... ومن صهباء ريقته اصطباحى

ومن التشبيهات قوله :

لبسنا رداء الليل والليل راضع ... الى أن تردى رأسه بمشيب
بحال تردّ الحاسدين بغيظهم ... وتطرف عنا عين كل رقيب
الى أن بدا ضوء الصباح كأنه ... مبادى نصول فى عذار خضيب

ومن رومياته وقد شقت فخذه من نصل السهم قوله :

فلا تصفن الحرب عندى فانها ... طعامى مذ بعت الصبا وشرابى
وقد عرفت وقع المسامير مهجتى ... وشقق عن زرق النصول اهابى

وترجمته فى ابن خلكان ١٢٧ ج ١ ويتيمة الدهر ٢٢ ج ١ (*)

(*) وراجع فى أبى فراس مقدمة ابن خالويه لديوان الشاعر « نشر سامى الدهان » وتقديم الدهان للديوان وتعليقاته عليه ونشوار المحاضرة ص ١١٠ :١ وتاريخ الكامل لابن الاثير « انظر الفهرس » وتاريخ أبى الفداء ٢ ص ٤٧٦ ، ٤٨٦ ، ٤٩٦ وزبدة الحلب فى تاريخ حلب لابن العديم ج ١ ص ١٥٦ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٨٩ ج ١

٣ ـ كشاجم

توفى نحو سنة ٣٥٠ هـ

هو أبو الفتح محمود بن الحسين بن شاهق ، هندى الاصل ويعرفه بالسندى ، أقام فى الرملة فلقب بالرملى . وله ديوان رتب على حروف المعجم وطبع فى بيروت سنة ١٣١٣ ، ومن مؤلفاته « كتاب أدب النديم » وهو صغير يبحث فى واجبات النديم وفضائله وأخلاقه وما عليه عند التداعى للمنادمة والسماع والمحادثة ، ويتخلل ذلك أخبار وأشعار ، طبع فى مصر سنة ١٢٩٨ ، وينسب اليه كتاب البيزرة فى علم الصيد منه نسخة خطية فى مكتبة غوطا • وأخباره فى الفهرست ١٣٩ (*)

٤ ـ السرى الرفاء

توفى سنة ٣٦٢ هـ

هو أبو الحسن السرى بن احمد بن السرى الكندى الرفاء ، ولد فى الموصل ونشأ فيها وكان يرفو ويطرز فى دكان وهو ينظم الشعر حتى جاد شعره .. فقصد سيف الدولة ومدحه وأقام عنده مدة . وانتقل بعد وفاته الى بغداد ، ومدح الوزير المهلبى وجماعة من رؤسائها . وكان بينه وبين الخالديين الشاعرين الموصليين معاداة ، فادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره .. فكان ينسخ ديوان كشاجم المتقدم ذكره ، ويدخل فيه أحسن أبيات الخالديين ليقول الناس انهما سرقاه منه وسيأتى ذكرهما

وكان السرى شاعرا مطبوعا يمتاز شعره بعذوبة ألفاظه وكثرة الافتنان فى التشبيهات والاوصاف . ولم يكن يحسن من العلوم غير الشعر . وفى يتيمة الدهر طائفة حسنة من أشعاره وما أدخله فى شعره من معانى الشعراء كالمتنبى وابن أبى حفصة وأبى تمام وغيرهم ، وهو فصل طويل

ومن تشبيهاته فى وصف الثلج قوله :

يا منْ أناملُه كالعارض السارى ... وفعلُه أبدا عارٍ من العار
أما ترى الثلج قد خاطتْ أناملُه ... ثوبا يزرُّ على الدنيا بأزرار
نارٌ ولكنها ليست بمبدية ... نورا وماءٌ ولكن ليس بالجارى
والراح قد أعوَزَتْنا فى صبيحتنا ... بَيْعا ولو وزْنُ دينارٍ بدينار
فامنن بما شئتَ من راحٍ يكون لنا ... نارا فانا بلا راحٍ ولا نار

ومن قوله يذكر صناعته :

(*) وانظر فى كشاجم اليتيمة للثعالبى ج ص ١٥٦ وكذلك ج ١ ص ٤٥٠ ، ٢ ص ٢٤ والشذرات ج ٣ ص ٣٧ وزهر الاداب للحصرى ج ٢ ص ٢١٩ ونثر النظم للثعالبى « طبعة دمشق » ص ١٣٧ ، ١٤٥ والحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لميتز « ترجمة أبى زيدة » ج ١ ص ٣٦٨ وما بعدها

وكانت الإبرةُ فيمـــا مضى صائنةً وجهى وأشـعارى
فأصــبح الرزقُ بها ضيِّقاً كأنه ، من ثُقْبِهـا ، جارى

ومن محاسن شعره فى المديح من جملة قصيدة :

يَلْقى النَّدَى برقيق وجهٍ مُسفرٍ فإذا التقى الجمعـان عاد صَـفيقا
رَحبُ المنازل ما أقام فإن سَرَى فى جَحفَلٍ ترك الفَضاء مضيقا

ومن عذوبة لفظه قوله :

ويا ديرَها الشرقىُّ لا زال رائحٌ يَحُلُّ عقود المزن فيك ومُغْتَدى
عليـلة أنفـاس الرياح كأنمـا يُعَلُّ بماء الورد نرجسُها النَّدى
يَشُقُّ جيوبَ الورد فى شـجراتها نسيمٌ متى ينظرْ الى الماء يَبْرُدِ

وللسرى الرفاء ديوان منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية فى نحو ٤٠٠ صفحة نقلت من المدينة المنورة ، وأكثرها فى مدح سيف الدولة والوزير المهلبى وبعض بنى حمدان. وفيه أهاج فى الخالديين وغيرهما وقصائد وصفية يصف بها صيد السمك وشبكته والنار وكلاب الصيد وبعض الابنية وغيرها. وفى وصفه رقة وسهولة . ومنه نسخ أيضا فى مكاتب باريس وبرلين (*)

وله كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، وهو أربعة أقسام فى المحبين وأشعارهم والاطياب والازهار وأسماء الخمر ، منه نسخة خطية فى فينا وأخرى فى ليدن

وترجمته فى يتيمة الدهر ٤٥٠ ج ١ ، وابن خلكان ٢٠١ ج ١ ، والفهرست ١٦٩ (**)

٥ ـ ابن هانىء الاندلسى

توفى سنة ٣٦٣ هـ

هو أبوالقاسم محمد بن هانىء الازدى الاندلسى ، ويرجعون بنسبه الى آل المهلب بن أبى صفرة . كان أبوه هانىء شاعرا فى بعض قرى المهدية بافريقيا فانتقل الى الاندلس، فولد له محمد سنة ٣٢٦ هـ فى اشبيلية ونشأ بها وكان شاعرا مطبوعا . تقرب من صاحب اشبيلية وحظى عنده ، وكان معاصرا لعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم ، والاندلس فى ابان زهوها وحضارتها . لكنهم كانوا يطاردون طلاب الفلسفة ويتهمونهم بالكفر، وكان ابن هانىء من طلابها فلما اشتهر أمره فيها نقم عليه الناس وساءت المقالة فى صاحب اشبيلية بسببه واتهم بمذهبه ، فأشار عليه بالغيبة عن البلدة ريثما ينسى

(*) نشرت مكتبة القدسى فى القاهرة هذا الديوان
(**) وانظر فى السرى الرفاء شذرات الذهب ج ٣ ص ٧٣ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦٧

أمره . فخرج منها وعمره ٢٧ سنة الى بلاد المغرب ، والدولة الفاطمية فى أثناء رغبتها فى فتح مصر ، فلقى القائد جوهرا ومدحه . وانتهى خبره الى المعز لدين الله الفاطمى فاستقدمه اليه . ثم انتقل المعز الى مصر بعد فتحها فأخذ ابن هانىء يستعد للحاق به ، فتجهز ولحق به فوصل برقة فأضافه شخص من أهلها أقام عنده أياما فى مجلس أنس . ويقال انه خرج من تلك الدار وهو سكران ، فنام فى الطريق فوجد ميتا وهو فى السادسة والثلاثين من عمره ، فأسف المعز لوفاته وقال : «هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق»

ويمتاز شعر ابن هانىء بالمبالغة الكثيرة فى المديح والافراط الى حد الكفر . وفى ألفاظه قعقعة ورنين . ونظرا لما تقدم من اشتهاره بالكفر لم ينصفه المؤرخون ولا الشعراء . وكان أبو العلاء المعرى اذا سمع شعره قال : « لا أشبهه الا برحى تطحن قرونا » لاجل القعقعة التى فى ألفاظه . ويزعم انه لا طائل تحت تلك الالفاظ ، وانما فعل المعرى ذلك تعصبا للمتنبى

وعلى كل حال فانه أشعر أهل الاندلس على الاطلاق . وهو عندهم كالمتنبى فى المشرق ، وكان معاصرا له . وأكثر شعره فى مدح المعز لدين الله الفاطمى قد تقدم مثال منه عند كلامنا عن المبالغة الشعرية . ومن قوله فى وصف الخيل من قصيدة مدح بها المعز :

وصواهلٍ لاالهَضْبُ يوم مَغارها هَضْبٌ ولاالبِيدُ الحُزونُ حزونُ
عَرِفَتْ بساعة سَبْقها لا أنها عَلِقَتْ بها يوم الرِّهان عيونُ
وأجلُّ علم البرق فيها أنها مرَّت بجانحتيه وهى ظنونُ
فى الغيث شِبْهٌ من نداك كأنما مَسَحَتْ على الأنواء منكَ يمين

ولابن هانىء ديوان مرتب على الابجدية ، منه نسخ خطية فى أكثر مكاتب أوربا وطبع فى بولاق سنة ١٢٧٤ وفى بيروت سنة ١٨٨٤ ، وترجمته فى ابن خلكان ٤ ج ٢ (*)

٦ ــ الوأواء الدمشقى
توفى سنة ٣٩٠ هـ

هو أبو الفرج محمد بن أحمد الغسانى الدمشقى الملقب بالوأواء . كان فى بدء أمره مناديا فى دار البطيخ بدمشق ينادى على الفواكه ، وما زال يشعر حتى أجاد واشتهر . وكان شعره حسن التشبيه منسجم اللفظ عذب العبارة حسن الاشارة ، ولذلك شاع كثير من اشعاره على ألسنة الناس ، من ذلك قوله :

(*) وراجع فى ابن هانىء بغية الملتمس للضبى ص ١٣٠ والتكملة لابن الابار رقم ٣٥٠ والاحاطة « الطبعة الاولى » ج ٢ ص ٢١٢ ومطمح الانفس لابن خاقان ص ٧٤ ورايات المبرزين لابن سعيد « طبعة جومس » ص ٥٥ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٤٣ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٥٦ والمغرب ج ٢ ص ٩٧ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ٩٢ والمطرب لابن دحية ص ١٩٢ ونفح الطيب « أنظر الفهرس » ودائرة المعارف الاسلامية

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرّضا بى وقولا فى حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فإن تبسم قولا عن ملاطفة ما ضرّ لو بوصال منك تسعفه
وإن بدا لكما من سيّدى غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وذكر له الثعالبى بعض القصيدة التى اشتهرت لابن زريق الآتى ذكره ومطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

وله من التشبيهات الابيات المشهورة :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها لِم ذا ؟ أما لقتيل الحب من قَوَد
وأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت ورداً وعضّت على العنّاب بالبرد
إنسانة لو بدت للشمس ما طلعت من بعد رؤيتها يوماً على أحد

وله ديوان منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية فى نحو ٦٥ صفحة نقل من المدينة المنورة ، أكثره مقاطيع فى الخمر والغزل

وترجمته فى فوات الوفيات ١٤٦ ج ٢ ، ويتيمة الدهر ٢٠٥ ج ١ (*)

٧ ــ السلامى

توفى سنة ٣٩٣ هـ

هو أبو الحسن محمد بن عبد الله من ولد الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومى أخى خالد بن الوليد ، وسمى السلامى نسبة الى دار السلام . ولد فى كرخ بغداد سنة ٣٣٦ هـ ، ورحل منها الى الموصل وهو صبى ينظم الشعر .. فلقى جماعة من مشايخ الشعراء ، منهم أبو عثمان الخالدى أحد الخالديين وأبو الفرج الببغاء وغيرهما ، فأعجبوا ببراعته مع حداثته فاتهموه بأن الشعر ليس له . ثم خبروه بتجربة .. وذلك ان الخالدى كان فى يده نارنجة ألقاها على برد تساقط فى تلك الساعة ، وطلبوا اليه أن يصف ذلك المنظر فقال مرتجلا :

لله درّ الخالدىّ الأوحد النَّدْب الخطير
أهدى لماء المزْن عند جموده نارَ السعير
حتى إذا صدر العتاب اليه عن حَنَق الصدور

(*) حقق ديوانه ونشره فى دمشق سامى الدهان ، وانظر فى حياته مقدمة هذا الديوان والمراجع المذكورة هناك

بعثتْ إليـــه بعـــذره   عن خاطـــرى أيدى السرور
لا تعـــذلوه فإنـــه   أهدى الخـدود الى الثغور

فاقتنعوا باقتداره وهو من أشعر أهل العراق ومدح آل حمـــدان . ونزل على الصاحب بن عبـــاد باصـــفهان ردحا من الزمن . ثم قصد عضد الدولة فى شيراز .. فحمله الصاحب معززا مكرما . فاكرمه عضد الدولة وكان يقول : « اذا رايت السلامى فى مجلس ظننت ان عطارد قد نزل من الفلك الى . ووقف بين يدى »

ومن جملة مدحه اياه قوله :

إليك طوى عَرْضَ البسيطة جاعلا   قصارى المطايا أن يلوح لها القصرْ
فكنت وعزمى فى الظلام وصـــارمى   ثلاثة أشباه كمـــا اجتمـــع النسّر
وبشرت آمالى بملْكٍ هو الورى   ودارٍ هى الدنيا ويومٍ هو الدهر

ومن بديع شعره فى مدح الصاحب :

تبسّطنـــا على الآثام لمـــــا   رأينا العفو من ثمر الذنـــــوبِ

وفى يتيمة الدهر الجزء الثانى طائفة من احسن اشـــعاره . وتجد اخباره أيضا فى ابن خلـكان ٥٢٤ ج ١

٨ ـ الببغـــاء

توفى سنة ٣٩٨ هـ

هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومى اصله من نصيبين بالعراق . وهو ممن جمع بين الشعر والانشاء . ولكن الشعر غلب عليه . وقد ذكر الثعالبى رسائل دارت بينه وبين ابى اسحق الصابى واشياء يطول شرحها . ولقب بالببغاء للثغة فى لسانه . واتصل فى ريعان شـــبابه بسيف الدولة فى حلب ، ثم تنقل بعد وفاته الى الموصل وبغداد . ومن شعره ما يتغنى به ؛ اكثره فى الغزل والخمر وفى الزهر فضلا عن قصائد المديح . وفى اليتيمة امثلة من شعره يضيق عنها هذا المقام ؛ ومن تشبيهه قوله :

وكأنما نَقَشَتْ حوافرُ خيـــلهِ   للنـــاظرين أهـــلّةً فى الجلمدِ
وكأن طرف الشمس مطروفٌ وقد   جُعِلَ الغبار له مكان الإثمـــدِ

واكثر شعره جيد ومقاصده فيه جميلة . واخبـــاره فى ابن خلـــكان ٣٩٨ ج ١ . ويتيمة الدهر ١٧٣ ج ١ (*)

(*) وانظر فى الببغاء تاريخ أبى الفدا ج٢ص ٦١٨ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٩ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

٩ ـ النـــامى

توفى سنة ٣٩٩ هـ

هو أبو العباس احمد بن محمد الدارمى المصيصى المعروف بالنامى من خواص مداح سيف الدولة يأتى فى الرتبة عنده بعد المتنبى

وكان أديبـــا عارفا باللغة وقد اشتغل فيها بحلب ، وله وقائع مع المتنبى ومعارضات فى الاناشيد . وقد عاش بعده دهرا حتى أربى على التسعين سنة من العمر ، ومن لطيف شعره قوله :

أتانى فى قميص اللاذِ يسـعى عـــدو لى يلقّب بالحبيبِ
وقد عَبث الشراب بمقلتيــه فصيَّر خــدَّه كَسَنا اللهيــب
فقلت له بمــا استحسنت هــذا لقد أقبلتَ فى زىٍّ عجيــب
أحمرةُ وجنتيـك كستْك هــذا أم أنت صَبَغتَه بدم القلوبِ
فقــال الراحُ أهــدت لى قميصــا كلون الشمس فى شــفق المغيب
فثوبى والمُدامُ ولو خــدَّى قريبٌ من قــريب من قــريب

واخباره فى ابن خلكان ٣٨ ج ١ (*)

١٠ ـ ابن نبـاتة السـعدى

توفى سنة ٤٠٥ هـ

هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر من سعد من تميم . نشأ فى بغداد وطاف البلاد ومدح الملوك والرؤساء ، من جملتهم سيف الدولة وابن العميد . وجرت بينه وبين هذا مقاوضة سيأتى ذكرها فى ترجمة ابن العميـد . ومدح عضد الدولة والوزير المهلبى وغيرهما . ويمتاز شعره بحسن السبك وجودة المعنى ، ومن قوله فى سيف الدولة وقد أعطاه فرســا أحمر محجلا قصيدة قال منها فى وصف الفرس :

فــكأنما لطمَ الصــباحُ جَبينه فاقتصَّ منــه فخاض فى أحشائهِ
متمهّــلا والبرقُ من أســمائه متبرقعا والحسنُ من أكفائه
ما كانت النيران يــكمن حــرُّها لو كان للنيران بعضُ ذكــائه
لا تَعلَقُ الألحــاظ فى أعطـافه إلا إذا كفكفتَ من غُــلوائه
لا يَكمل الطرْفُ المحاسنَ كلها حتى يكون الطـَّرْف من أسرائه

(*) وانظر فى النامى شذرات الذهب ج ٣ ص ١٥٣

وهو غير ابن نباتة المصرى المتوفى سنة ٧٦٨ هـ صاحب الديوان المشهور ، وسيأتى ذكره . وغير ابن نباتة الفارقى الخطيب المتوفى سنة ٣٧٤ هـ صاحب ديوان الخطب ، وقد طبعت خطبه بمصر مرارا وفى بيروت سنة ١٣١١ ولها شروح عدة منها نسخ خطية فى مكاتب أوربا . وترجمته فى ابن خلكان ٢٨٢ ج ١ (*)

وأما ابن نباتة السعدى فترجمته فى ابن خلكان ٢٩٥ ج ١ ، ويتيمة الدهر ١٤٣ ج ١ (**)

١١ ــ الشريف الرضى

توفى سنة ٤٠٦ هـ

هو أبو الحسن محمد بن الطاهر وينتهى نسبه الى موسى الكاظم ومنه الى الحسين بن على ، ولذلك لقب بالشريف الرضى الموسوى . ولد فى بغداد سنة ٣٥٩ ، وبدأ يقول الشعر وعمره بضع عشرة سنة . وكان أبوه نقيب الاشراف الطالبيين ، فصارت النقابة اليه سنة ٣٨٨ وأبوه حى . وكان عالما بعلوم القرآن واللغة والنحو وله فيها المؤلفات النافعة ، وكان يقيم فى سر من رأى (سامرا) . وقد أجمع الاكثرون على ان الشريف الرضى أشعر قريش لان شعراء قريش كان فيهم من يجيد القول الا ان شعره قليل . فأما مجيد مكثر فليس الا الشريف الرضى . وتوفى فى بغداد سنة ٤٠٦ هـ ، ودفن فى الكرخ ورثاه الشعراء . وكان رفيع المنزلة لشرف نسبه ومنصبه وعلو كعبه فى الشعر والادب . ومن أجمل نظمه الدال على عظم نفسه وشاعريته قصيدة قالها فى الخليفة القادر بالله العباسي سنة ٣٨٢ مطلعها :

لمن الحُدوجُ تهزُّهن الأنيُق ... والركبُ يطفو فى السراب ويَغرق(١)

وتخلص الى مدح الخليفة والافتخار بنسبه فقال :

وبرزتَ فى بُرد النبيِّ وللهدى ... نورٌ على أسرار وجهك مُشرقُ

وكأن دارك جَنّةٌ حَصباؤها الجـ ... ـادىُّ أو أنماطها الإستبرق

فى موقف تَغضى العيون جلالةً ... فيه ويعثر بالكلام المنطقُ

والناس إما شاخص متعجّبٌ ... مما يرى أو ناظر متشوِّق

مالوا إليك مَحبّةً فتجمعوا ... ورأوا عليك مهابة فتفرّقوا

عطفا أميرَ المؤمنين فإننا ... فى دوحة العلياء لا تتفرّق

(*) وانظر فى ابن نباته الفارقى شذرات الذهب ج ٣ ص ٨٣ وابن خلكان ج ١ ص ٣٥٦ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٤٦

(**) وانظر فى ابن نباتة السعدى تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤٦٦ والشذرات ج ٣ ص ١٧٥ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٣٨

(١) الحدوج : هوادج النساء ، الانيق : جمع ناقة

ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبدا ، كلانا فى المعالى معرق
إلا الخلافة ميزتك فإننى أنا عاطل منها وأنت مطوق

ويمتاز الشريف الرضى ببراعته فى الرثاء ، وله عدة مراث أشهرها رثاؤه لابى اسحق الصابى بقصيدة مطلعها :

أرأيت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادى

وقد أكبر الناس قوله فى هذه القصيدة لان المرثى كان صابئيا

ومن قوله فى الحكم :

كن فى الأنام بلا عين ولا أذن أو لا فعش أبد الأيام مصدورا
والناس أسد تحامى عن فرائسها إما عقرت وإما كنت معقورا

وللشريف المذكور ديوان كبير رواية أبى حكيم الخيرى ، مرتب على أبواب : (١) المديح (٢) الافتخار وشكوى الزمان (٣) المراثى (٤) النسيب والمشيب ووصف طيف الحبيب (٥) الفنون المختلفة . وكل باب مرتب على الابجدية ويليها زيادات . منه نسخ خطية فى دار الكتب المصرية ومكاتب برلين ولندن والاسكوريال . وقد طبع فى الهند فى مجلد واحد كبير مرتب على المعجم سنة ١٣٠٦ هـ ، وطبع فى بيروت أيضا . وله مؤلفات فى معانى القرآن لم تصلنا (*) . وله كتاب انشراح الصدر فى مختارات من الشعر ، منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية . وفى مكتبة الاسكوريال مما ينسب الى الشريف الرضى مجموعة أشعار عنوانها طيف الخيال

وتجد ترجمته فى ابن خلكان ٢ ج ٢ ، ويتيمة الدهر ٨١ ، و٢٩٨ ج ٢ (**)

١٢ ـ صريع الدلاء

توفى سنة ٤١٢ هـ

هو أبو الحسن على بن عبد الواحد ويعرف بصريع الدلاء وقتيل الغوانى ، اشتهر بقصيدة مجونية مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد منها قوله :

من لم يرد أن تنتقب نعاله يحملها فى كفه إذا مشى

(*) نشر محمد عبد الغنى حسن فى مكتبة الحلبى للشريف الرضى كتاب « تلخيص البيان فى مجازات القرآن »

(**) راجع فى الشريف الرضى تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٦ ودمية القصر ص ٧٣ وروضات الجنات ص٥٧٣ وشذرات الذهب ج ٣ ص١٨٢ وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ١ ص ١٠ ولسان الميزان ج ٥ ص ١٤١ ومرآة الجنان ج ٣ ص ١٨ والمنتظم « وفيات سنة ٤٠٦ » والوافى بالوفيات « طبع استانبول » ج ٢ ص ٣٧٤ وفى مقدمة كتابه « المجازات النبوية» ترجمة منقولة عن كتاب تأسيس الشيعة الكرام لفنون الاسلام ، وانظر انباه الرواة ج ٣ ص ١١٤ ومقدمة محمد عبد الغنى حسن لكتاب « تلخيص البيان فى مجازاة القرآن » ، وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته

ومن أراد أن يصــون رجله فلبسه خير" له من الحَفَــا
من دخلت فى عينــه مِسَلة" فاسأله من ســاعته عن العمى
من أكل الفحم يَسود فَمُه وراح صحن خده مثل الدجا
من صفع النــاس ولم يدعهمُ أن يصفعوه فعليهم اعتـــدى
من ناطح الكبش تفجر رأسه وســال من مفرقه شبه الدما
من طبخ الديك ولا يذبحــه طار من القدر الى حيث يشا

وترجمته فى فوات الوفيات ٢٣٧ ج ٢ (*)

١٣ ــ مهيار الديلمى

توفى سنة ٤٢٨ هـ

هو أبو الحسن مهيـــار بن مرزويه الـكاتب الفارسى الديلمى ، كان مجوسيا وأسلم على يد الشريف الرضى . وتخرج فى الشـــعر على يده ، وقد عارض كثيرا من قصـــائده . ويمتاز فى شعره بجزالة القول ورقة الحاشية وطول النفس ، وقد طرق أكثر أبواب الشعر فمن قوله فى القناعة :

يُلحَى على البخل الشحيحُ بماله أفلا تكون بمــاء وجهك أبخــلا
أكرِمْ يديك عن السؤال فإنمــا قَدْرُ الحياة أقل من أن تسـألا
ولقد أضم إلىَّ فضــلَ قنــاعتى وأبيت مشـــتملا بهــا متزمِّلا
وأُرِى العدو على الخصاصة شارةً تصــف الغنى فيخالنى متموِّلا
وإذا امرؤ أفنى الليــالى حسرة وأمانيــاً أفنيتهنَّ توكــلا

ومن بديع مدائحه قوله من جملة قصيدة :

وإذا رأوك تفرقت أرواحهم فكأنما عرفتك قبل الأعين
وإذا أردت بأن تفلَّ كتيبــة لاقيتهــا فتسمَّ فيها واكْتَنِ

وله من جملة قصيدة أبيات تتضمن العتب وهى :

إذا صوَّر الإشفاق لى كيف أنتمُ وكيف إذا ما عنَّ ذكرى صبرتمُ
تنفست عن عتبٍ فؤادىَ مفصح" به ولســانى للحفاظ مجمجم
وفى فىَّ ماء" من بقــايا ودادكم كثيراً به من ماء وجهى أرَقْتمُ
أضمُّ فمــا صـمتا عليه وبينــه وبين انسـكابٍ ريثما أتكلم

(*) وانظر فى صريع الدلاء شذرات الذهب ج ٣ ص ١٩٧

وقد جمع شعره فى ديوان يدخل فى اربعة مجلدات كان مشهورا فى أيام ابن خلكان وذكر أمثلة منه ولم نقف عليه (*) . وترجمته فى ابن خلكان ١٤٩ ج ٢

١٤ – أبو العلاء المعرى

توفى سنة ٤٤٩ هـ

هو خاتمة شعراء العصر العباسى الثالث ، كما كان شبيهه أبو الطيب المتنبى فاتحته .. ونعم الفاتحة والخاتمة . وهو الشاعر الحكيم الفيلسوف احمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد التنوخى . ولد فى المعرة سنة ٣٦٣ هـ ، وكان أبوه من أهل الادب وتولى جده القضاء فيها . وكانت أمه أيضا من أسرة وجيهة يعرفون بآل سبيكة اشتهر منهم غير واحد بالوجاهة والادب . وكانت المعرة تحت سيطرة الدولة الحمدانية بحلب ، وأميرها يومئذ سعد الدولة أبو المعالى

ولم يتم أبو العلاء الثالثة من عمره حتى أصابه الجدرى ، فذهب بيسرى عينيه وغشى يمناهما بياض . فكف بصره وهو طفل ، وكان يقول : « لا أعرف من الالوان الا الاحمر لانى البست فى الجدرى ثوبا مصبوغا بالعصفر » . لقنه أبوه النحو واللغة فى حداثته ، ثم قرأ على جماعة من أهل بلده . ولما أدرك العشرين من عمره عمد الى سائر علوم اللغة وآدابها ، فاكتسبها بالمطالعة والاجتهاد . وكان يقيم اناسا يقرأون له كتبها وأشعار العرب وأخبارهم . وهو قوى الحافظة الى ما يفوق التصديق

وكان مطبوعا على الشعر ، نظمه قبل أن يتم الحادية عشرة من عمره . ولم يمنعه العمى من مباراة ارباب القرائح فيما اشتغلوا به حتى فى العابهم ، فقد كان يلعب الشطرنج والنرد ويجيد لعبهما لايرى فى العمى نقصا .. بل كان يقول : «أحمد الله على العمى كما يحمده غيرى على البصر » وكان يرتزق من وقف يحصل له منه ثلاثون دينارا فى العام ، ينفق نصفها على من يخدمه

ورحل فى طلب العلم على عاداتهم فى ذلك العهد ، فأتى طرابلس واللاذقية وسواهما من بلاد الشام واخذ فلسفة اليونان عن الرهبان . ثم رحل الى بغداد سنة ٣٩٨ وشهرته قد سبقته اليها ، فاستقبله علماؤها بالحفاوة . واطلع فى أثناء اقامته هناك على فلسفة الهنود والفرس فضلا عن سائر العلوم .. حتى اذا نضج عقله وأمعن النظر فى الوجود رأى الدنيا كما هى ، فزهد فيها وعزم على الاعتزال ، ليتسنى له التأمل والتفكير . فغادر بغداد سنة ٤٠٠ هـ ، وأتى المعرة ولزم بيته وسمى نفسه « رهين المحبسين » . واخذ فى التأليف والنظم وتدوين أفكاره وآرائه ومحفوظه فى الكتب . وانقطع عن أكل اللحم من ذلك الحين واقتصر على النبات كما يفعل النباتيون اليوم .. اقتبس ذلك من آراء البراهمة الهنود ، فذهب مذهبهم

(*) نشرت دار الكتب المصرية هذا الديوان ، وانظر ترجمة مهيار فى مقدمته وبحثا فى شعره بكتابنا « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى »

فيه ، رفقا بالحيوان وتجافيا عن ايلامه ، ولزم الصوم الدائم

قضى أبو العلاء فى هـذه العزلة بضعا وأربعين سنة ، وأكله العـدس وحلاوته التين . وهو يؤلف وينظم ، والنـاس يتوافدون اليه ليسمعوا أقواله وأخباره ، أو يكاتبوه فى استفهام واستفتاء ويأخذوا عنه العلم مجانا حتى توفاه الله سنة ٤٤٩

وكان معدودا من أقطاب العلم والادب والشعر ويمتاز بأنه لم يتكسب بشعره

مؤلفاته

خلف مؤلفات فى الشعر وفى الادب . أما أشعاره فأشهرها :

١ ــ اللزوميات : وهو ديوان كبير طبع فى بمباى سنة ١٣٠٣ هـ ، ثم فى مصر سنة ١٨٩٥ فى نحو ٩٠٠ صفحة . فى صـدرها مقدمة فى الشعر وشروطه وقوافيه على اسلوب انتقادى يدل على رسوخ قدمه فى اللغـة والشعر . وذكر ما التزمه فى نظم هذا الديوان من الشروط ، أهمها التزام حرفين فى القافية وقد نظمه فى أثناء عزلته ، وضمنه كثيرا من آرائه فى الوجود والخليقة والنفس والدين .. فكان له وقع عند أصحاب الفلسفة ، فقالوا : « ان ابا العلاء أتى قبل عصره بأجيال» وتمتاز أشعاره فى عزلته بصبغة سوداوية تشف عن سوء ظنه فى الحياة ويأسه من أسباب السعادة. لعل سببها اختلال الهضم عنده بتوالى الصوم والاقتصار على نوع أونوعين من الاطعمة . على ان أكثر أشعاره فى الفلسفة والزهد والحكم والوصف ، ويندر فيها المدح أو التشبيب . وقد نقل أمين الريحانى بعض رباعياته الى الانجليزية ، وقد نشرت فى أميركا منذ بضع سنين . وترجم بعض شعره أيضا جورج سلمون الى اللغة الفرنسية ونشرها فى باريس سنة ١٩٠٤

٢ ــ سقط الزند : وهو ديوان آخر نظمه قبل العزلة ، طبع مرارا

٣ ــ ضوء السقط : وهو شرح على سقط الزند وملحق به ما نظمه فى الدروع ، طبع فى بيروت سنة ١٨٩٤ . أما الادب فله فيه مؤلفـات عدة ربما زادت على خمسين كتابا ، أكثرها فى اللغـة والقوافى والنقـد والفلسفة والمراسلات ، ضاع معظمها ، واليك ما بلغ الينا خبره منها :

٤ ــ رسائل أبى العلاء : هى كثيرة ، لو جمعت كلها لبلغت ثمانمائة كراس . وقد توخى فيها التسجيع والعبارة العالية والكلام الغريب على نحو ما يفعلون فى انشاء المقامات ، فلا تفهم بلا تفسير . وهى من قبيل الشعر المنثور فى وصف الخلائق كالنمل والجراد والنسر والفيل والنحل والضفدع والفرس والضبع والحية ونحوها من الحيوانات ، غير وصف الاماكن والمواقف والثياب والمآكل وغيرها مما يحسن تقليده لولا مافيه من اللفظ الغريب . ولكن معظمها ضاع ، وقد جمع أكثر ما بقى منها فى كتاب طبع فى بيروت سنة ١٨٩٤ مضبوطا بالحركات . وطبع أيضا فى اكسفورد سنة ١٨٩٨ بعناية الاستاذ مرجيلوث المستشرق الانجليزى مع ترجمـة

انجليزية وتعاليق وشروح تاريخية وأدبية مفيدة . وقد صدرها بمقدمة فى ترجمة المؤلف بالانجليزية ، وذيلها بما ذكره الذهبى من ترجمته وختمها بفهرس للاعلام

٥ ــ رسالة الغفران : هى من جملة رسائله ، ولكننا أفردناها بالكلام لانها طبعت على حدة ولها شأن خاص من حيث موضوعها . وهى فلسفية خيالية كتبها فى عزلته ، وضمنها انتقاد شعراء الجاهلية والاسلام وأدبائهم والرواة والنحاة على أسلوب روائى خيالى لم يسبقه اليه أحد . فتخيل رجلا صعد السماء ووصف ما شاهده هناك ، كما فعل دانتى شاعر ايطاليا فى « الكوميديا الالهية » وما فعل ملتن الانجليزى فى «الفردوس المفقود» لكن أبا العلاء سبقهما ببضعة قرون ، لان دانتى توفى نحو سنة ٧٢٠ هـ وملتن نحو سنة ١٠٨٤ هـ وتوفى أبوالعلاء سنة ٤٤٩ هـ ، فلا بدع اذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه . واقدمهما « دانتى » لم يظهر الا بعد احتكاك الافرنج بالمسلمين . والايطاليون أسبق الافرنج الى ذلك . وتقسم موضوعات رسالة الغفران الى قسمين : أدبى لغوى ، ونوادر خيالية عن بعض الزنادقة ومستقلى الافكار والمتنبئين ونحوهم ممن توالى ظهورهم فى أثناء التمدن الاسلامى . ويتخلل ذلك محاورات مع الشعراء الجاهليين يسألون فيها عما غفر لهم به فيذكر كل منهم شعرا قاله أو عملا عمله فغفر له به . ومنهاتسميه هذه الرسالة برسالة الغفران . كأنه يغرض بما يرجوه من المغفرة لنفسه عما فرط منه أحيانا من الابيات التى يعدها الناس الحادا . وقدطبعت هذه الرسالة بمصر سنة ١٩٠٦ ، ولخصناها فى السنة ١٥ من الهلال من صفحة ٢٧٩

٦ ــ ملقى السبيل : هى رسالة فلسفية نشرتها مجلة المقتبس سنة ٧ ج ١ ، عن أصل خطى قديم وجد فى الاسكوريال بعناية ح.ح. عبد الوهاب التونسى . وهى على نسق رسائله الاخرى ، لكن أكثرها منظوم . وقد قابل الناشر بين آراء المعرى فيها وآراء شوبنهور الفيلسوف الالمانى من حيث الحياة ومصيرها ، وطبعها على حدة سنة ١٩١٢

٧ ــ كتاب الايك والغصون ويعرف باسم الهمزة والردف : يبحث فى الادب وأخبار العرب ، يقارب مائة جزء ضاع منذ بضعة قرون . وانما ذكرناه لعل أحدا يعثر على شىء منه ، اذ يظهر انه عظيم الاهمية .. فقد قال فيه الذهبى : « حكى من وقف على المجلد الاول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف ، فقال لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد »

وعنى أبو العلاء بشرح كتب هامة أو اختصارها مر ذكر بعضها .. منها شرح الحماسة ، منه نسخة خطية فى مكتبة دار الكتب المصرية فى ٤٤٢ صفحة وهو شرح لغوى

وكان مشاركا فى كثير من علوم الاقدمين كالفلسفة والكيمياء والنجوم والمنطق ، ويظهر اثر ذلك فى أشعاره وأقواله . ولو أردنا الاتيان بأمثلة منها لضاق بنا المقام ، ودواوينه شائعة فميزناه بخلو ترجمته من الامثلة الشعرية كما ميزنا المتنبى قبله . وقد تقدم ذكر شىء من شعره فى كلامنا عن مزايا الشعر فى هذا العصر وغيره . وسنأتى بأمثلة أخرى فى أمكنة أخرى

مناقبه ومنزلته

ويقال بالاجمال ان الشعر العربى دخل بعد المعرى فى طور جديد من حيث النظر فى الطبيعة والتفكير فى الخلق والحكمة الاجتماعية ، فانتقل الشعر على يده من الخيال الى الحقيقة . واختلف الناس فى مناقب أبى العلاء وأخلاقه واعتقاده . وله فلسفة خاصة فى الدين والطبيعة والخليقة . وهو أقرب فى هذا الاتجاه الى مذهب اللاادريين ، فهو يؤمن بالتقمص وخلود المادة ويعتقد أن الفضاء لا نهاية له . وكان يقبح الزواج ويعد النسل جناية . وكان يرى ان المرأة لاينبغى لها أن تتعلم غير الغزل والنسج وخدمة المنزل . وكان من القائلين بالرفق بالحيوان ، فقضى النصف الاخير من عمره لايذوق لحما . وله أقوال فى هذا الموضوع سبق بها الداعين الى الرفق بالحيوان اليوم بعدة قرون. وعثر له الاستاذ مرجيلوث على رسالة فى هذا الموضوع جزيلة الفائدة نشرها فى المجلة الاسيوية الانجليزية ولخصناها فى الهلال سنة ١٥ ج ٤

وقد اتهمه بعضهم بالكفر ، وكانوا يتهمون به كل حر الضمير مستقل الفكر فى تلك الايام .. مع ان اعترافه بالخالق ووحدانيته ظاهر فى كثير من أشعاره ، لكنه لم يكن يرى الاعتقاد بالتسليم بل بالتفكير . وكانت حقيقة الدين عنده أن يعمل الانسان خيرا لا أن يكثر من الصلاة والصوم . ولذلك كان شديد الوطأة على الفقهاء الذين يتظاهرون بالدين للارتزاق . وقد فصلنا ذلك وأيدناه بالامثلة من أشعاره وأقواله فى السنة الخامسة عشرة من الهلال من صفحة ١٩٥

وتجد ترجمته فى السنة المذكورة من الهلال ، وفى ابن خلكان ٣٣ ج ١ ، وطبقات الادباء ٤٢٥ ، ومعجم الادباء ١٦٢ ج ١ ، وفى ذيل رسائله المطبوعة باكسفورد (*)

سائر الشعراء فى العصر العباسى الثانى

وهناك طائفة كبيرة من الشعراء يضيق المقام عن ذكرهم لكثرتهم ، فمن أحب الاطلاع على تراجمهم وأخبارهم فعليه بكتاب يتيمة الدهر للثعالبى ، ودمية القصر للباخرزى ، ومعجم الادباء لياقوت الحموى ، وتاريخ ابن خلكان ، وسائر كتب التراجم ، ونشير هنا الى بضعة شعراء امتاز كل منهم بضرب من الشعر:

(*) كلفت وزارة التربية والتعليم لجنة بجمع كل ما كتب عن أبى العلاء فى المصادر القديمة ، وجتمع للجنة من ذلك مجلد ضخم نشرته باسم « تعريف القدماء بأبى العلاء » وراجع فيه وفى شعره ونثره « تجديد ذكرى أبى العلاء » و « مع أبى العلاء فى سجنه » و « صوت أبى العلاء » لطه حسين (طبع دار المعارف) والفن ومذاهبه فى الشعر العربى والفن ومذاهبه فى النثر العربى ومقدمة مرجليوث للرسائل التى نشرها له وفون كريمر فى كتابه تاريخ الحضارة فى الشرق Culturgeschichte des Orients الجزء الثانى ٣٨٦ وكتاب جولدزيهر المسمى دراسات اسلامية مجلد ٢ ص ٤٠٣ ونيكلسون ص ٣١٣ ومقالات مختلفة فى مجلة المستشرقين الالمان فى السنوات ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ ، ٨٤ وتاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى لبراون ترجمة ابراهيم أمين الشواربى ٣٦٤ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٢٥٥ ج ١

١٥ ــ أبو الرقعمق كان مداحا : ترجمته فى يتيمة الدهر ٢٣٨ ج ١ ، وابن خلكان ٤٠ ج ١

١٦ الواسانى : كان هجاء ، ترجمته فى اليتيمة ٢٦١ ج ١

١٧ ــ أبو عبد الله الحسين بن الحجاج : كان ماجنا ، ترجمته فى اليتيمة ٢١١ ج ٢ (*)

١٨ ــ ابن سكرة الهاشمى من ولد على بن المهدى بن المنصور الخليفة العباسى : جال فى ميدان المجون والسخف ما أراد ، وكانوا يشبهونه مع ابن الحجاج بجرير والفرزدق . ويربو ديوان ابن سكرة على ٥٠،٠٠٠ بيت منها ١٠،٠٠٠ بيت فى جارية سوداء اسمها خمرة وكانت عرضة نوادره وملحه كطيلسان ابن حرب ، ولم نقف على ديوانه . ترجمته فى اليتيمة ١٨٨ ج ٢ ، وابن خلكان ٥٢٦ ج ١

ابن زريق

ولا يصح الاغضاء عن أبى الحسن على بن زريق الكاتب البغدادى صاحب القصيدة التى قالها فى حال غمه ويأسه بعد أن قصد صاحب الاندلس ومدحه فلم يعطه الا عطاء قليلا فاعتل غما ومات . وذكروا ان صاحب الاندلس انما أراد أن يختبره ، فلما كان بعد أيام سأل عنه فتفقدوه فى الخان الذى كان فيه فوجدوه ميتا ، وعند رأسه رقعة فيها القصيدة المشار اليها ومطلعها :

لا تعذليه فإن العذلَ يولعهُ قد قلتِ حقا ولكن ليس يسمعهُ

وهى منشورة فى الكشكول وغيره من كتب الادب . ولها شروح وتخاميس وقد تقدم ان الثعالبى ذكر بعضها للواواء الدمشقى . وقد شرحها على بن عبد الله العلوى وخمسها على بن ناصر الباعونى ، ومن الشرح والتخميس نسخة ببرلين

(*) انظر فى ابن الحجاج وفيات الاعيان لابن خلكان والشذرات ج ٣ ص ١٣٦ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٠٤ والحضارة الاسلامية لميتز ج ١ ص ٣٧٦ وما بعدها والعربية ليوهان فك ترجمة عبد الحليم النجار ص ١٨٢ وما بعدها ودائرة المعارف الاسلامية

الإنشاء والترسل

فى العصر العباسى الثالث

تمكنت الحضارة من أسلوب الترسل فى هذا العصر ، ونعنى بالترسل انشاء المراسلات على الخصوص . « ويريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب اليه من حيث الادب والمصطلحات الخاصة الملائمة لكل طائفة » وهو الذى يتغير مع العصور كما بينا ذلك فى كلامنا عن الانشاء فى العصر الماضى . ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لان أساليبها متشابهة . أما انشاء الكتب أى عبارة المؤلفات التاريخية والعلمية التى يراد بها تقرير الحقائق بغير ارهاب أو تهديد أو تنبيه أو تحريض ، فهذه قلما يعتورها تغيير لان تقرير الحقائق العلميــة أو التاريخية قلما تؤثر فيه الانفعالات النفسية فهو أقل مجاراة للأحوال الاجتماعية . ولذلك رأيت عبارة البلغاء من المؤلفين متشابهة يندر الاختلاف فيها ، الا فيما يختص بنفس الكاتب وأسلوب تفكيره وموضوع كتابه .. اذ ان لكل كاتب طريقة يعبرون عنها بالذوق ، ولكل فن مصطلحات خاصة تجعل للكتابة فيه نسقا خاصا ، فعبارة الفقيه تختلف عن عبارة المؤرخ ، وهذه تختلف عن عبارة الحكيم أوالرياضى . وقد يختلف أسلوب المؤلف الواحد باختلاف الموضوع الذى يكتب فيه . ولكنها ترجع كلها الى أسلوب خاص يختلف عن أسلوب الترسل

والكاتب فى الموضوعات العلمية لايزال على أسلوب المؤلفين المتناسق المرسل حتى يقتضى الموضوع مخاطبة القارىء ، فينتقل الى أسلوب الترسل بالتسجيع أو نحوه حسب العصور . فاذا فرغ من الخطاب عاد الى الانشاء المرسل البسيط ، الا طائفة من المؤلفين أرادوا زيادة التأنق فى مؤلفاتهم فجعلوا عباراتها كلها مسجعة . وذلك نادر وسنعود الى الكلام فيه

أسلوب الترسل

لما كان المراد بالمراسلات والخطب التعبير عن العواطف والميول وسائر الاحوال ، وهذه تختلف فى الناس باختلاف آدابهم الاجتماعية وأحوالهم الادبية ، وهى تتغير بتغير الاحوال .. كان الترسل أكثر تعرضا للتغيير فى أسلوبه وعبارته وهو ما نريد بيانه هنا

يغلب أن يكون لكل عصر امام فى انشاء المراسلات يقلده معاصروه .. كذلك كان عبد الحميد وابن المقفع فى العصر العباسى الاول والجاحظ فى

العصر الثانى . وأما امام الانشاء فى هذا العصر فهو ابن العميد لاسباب سنبينها فى ترجمته . وقد رأيت ما أصاب هذا الانشاء فى العصر الماضى على يد الجاحظ وأصحابه من تقطيع العبارة وادخال الدعاء فيها بصيغة المخاطب بغير اشتراط السجع أو التقفية . وعلمت ما يمتاز به هذا العصر من التوسع بأسباب الحضارة والترف ، نعنى ماصار اليه الادباء والمنشئون من التبسط فى العيش عن سعة ورخاء .. لايخافون مزاحمة أو فقرا لتعدد مصادر الارتزاق فى دور الامراء والوزراء والخلفاء . فاذا خافوا سبقا فى بلاط نزحوا الى سواه ، والرخاء يدعو الى التأنق .. فتطرق ذلك الى انشائهم فصاروا يتأنقون فيه كما يتأنقون فى لباسهم وطعامهم وأثاثهم ، فأطالوا العبارة وتوسعوا فى التنميق . ونبغ جماعة من أصحاب القرائح تعاونوا على ذلك حتى صار للانشاء فى هذا العصر طريقة اتخذها أهل العصور التالية نموذجا نسجوا على منواله . وهى الطريقة المدرسية فى اصطلاح الافرنج (كلاسيك) وبعبارة أخرى ان الطريقة المدرسية للترسل العربى نضجت فى هذا العصر كما نضج الانشاء الرومانى فى عصر شيشيرون ثم أخذ فى التقهقر . وللطريقة المدرسية فىالانشاء العربىشروط هاك أهمها :

شروط الطريقة المدرسية فى الانشاء العربى

١ ــ السجع : أصبح التسجيع شرطا من شروط الترسل ، وهو من ثمار التأنق لما يقتضيه من العناية فى اتقانه .. فالرسالة المسجعة يظهر التأنق فيها أكثر من غير المسجعة . وتدل من جهة أخرى على تفرغ صاحبها للتنميق ، ولا يكون ذلك الا فى الرخاء . والسجع اذا اتقنت صياغته اكسب المعنى قوة . وقد أتقنه بلغاء العصر الثالث ، فرغب الناس فيه وتسابقوا اليه .. لكن بعض معاصريهم من أدعياء هذا الفن كلفوا به عن غير مقدرة عليه فجاء باردا . ومما يروى من هذا القبيل وفيه فكاهة ، ان الخاقانى الوزير كان يحب السجع حتى استخدمه فى التوقيع على كتب العمال ، فوقع مرة « الزم وفقك الله المنهاج ، واحذر عواقب الاعوجاج ، واحمل ما أمكن من الدجاج ان شاء الله » فحمل العامل دجاجا كثيرا على سبيل الهدية . فقال : « هذا دجاج وفرته بركة السجع » وأمر ان يباع ويورد ثمنه فى الحساب ، فأورد منسوبا الى ثمن دجاج السجع »

٢ ــ الجناس والبديع : واكثروا من الجناس ، وهو من قبيل الترصيع للآنية أو الوشى للثوب . لايزيد الوشى الثوب نفعا للابسه من حيث الغرض المراد منه كالدفء والستر، ولكنه يزيده جمالا . والجناس أو البديع لايزيد العبارة معنى ، لكنه يكسبها رونقا ، ولاسيما مع السجع .. فقول أبى بكر الخوارزمى فى كتابه الى نائب الوزير ابن عباد : «كتبت الى الاستاذ معاتبا مرة ، ومستعتبا كرة ، فما وجدت للعتاب اعتابا . ولا قرات من الكتاب جوابا ، وليت شعرى ما الذى منعه من صلة لاتضره وتنفعنى ، وعن تواضع لايضعه ويرفعنى » لو جعله مرسلا بسيطا لم يكن له ذلك الوقع فى النفس

٣ ـ كثر فيه الخيال الشعرى حتى أصبح سجعهم كالشعر المنثور . لكنه مقفى فلا يعوزه غير الوزن ليصير شعرا

٤ ـ كثر تضمين مراسلاتهم الامثال أو النكت الادبية أو العبارات التاريخية أو العلمية التى تحتاج الى شرح ، كقول ابن العميد فى رسالة الى أبى العلاء السروى :

« وأحمد الله على كل حال وأسأله أن يعرفنى فضل بركته ، ويلقينى الخير فى باقى أيامه وخاتمته ، وارغب اليه فى أن يقرب على القمر دوره ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويعجل نهضته وينقص مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة الطول من ساعاته ، ويرد على غرة شوال فهى أسر الغرر عندى وأقرها لعينى ، ويسمعنى النعرة فى قفا شهر رمضان ، ويعرض على هلاله أخفى من السر واظلم من الكفر وانحف من مجنون بنى عامر واضنى من قيس بن ذريح وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور (*) ويرسل على رقاقته التى يغشى العيون ضوءها ويحط من الاجسام نوءها كلفا يغمرها وكسوفا يسترها » الخ

٥ ـ اكثروا فيه من الاستشهاد بالاشعار فى أثناء مراسلاتهم ، وهو ترصيع جميل يزيد المعنى طلاوة ووضوحا ويكسبه قوة على ابداء ما فى خاطر الكاتب . وقد بالغ بعضهم فى ذلك الترصيع حتى أصبح الشعر فيه أكثر من النثر ، كقول الصاحب بن عباد يصف فصلا من كتب ابن العميد قال : « فصل رأيته فصيح الاشارة لطيف العبارة

إذا اختصر المعنى فَشربة حائمٍ وإن رام إسهاباً أتى الفيضُ بالمدِّ

فصل قد نظرته فرأيته جسما معتدلا وفهما مشتعلا

ونفساً تفيض كفَيْض الغَمام وظرفاً يناسب صفو المدام

فصل قد عمهم بنعمه وغمرهم بشيمه

وغزاهمُ بسوابغٍ من فضله جعلت جماجمهم بطائن نعله . الخ

وتفنن آخرون بجعل الترصيع شطرا شطرا ، كقول الهمذانى من رسالة الى الخوارزمى :

أنا لقرب دار الأستاذ	(كما طَربَ النَّشوانُ مالتْ به الخمر)
ومن الارتياح للقائه	(كما انتفض العصفور بَلَّله القَطْرُ)
ومن الامتزاج بولائه	(كما التقت الصهباءُ والباردُ العذب)
ومن الابتهاج بمزاره	(كما اهتز تحت البارح الغُصنُ الرطب)

(*) الحور : النقص ، الكور : الزيادة

٦ ــ صار للرسائل نمط خاص تراه ممثلا فى رسائل أبى بكر الخوارزمى وأبى منصور الثعالبى وأمثالهما من كتاب ذلك العصر.. فالرسالة تبدأ غالبا بمخاطبة المرسل اليه بلقبه أونعته بعد الاشارة الى كتابه. ويتلوذلك مخاطبته بصيغة الغائب كقولهم: «وردكتاب الامير يأمرنى فيه بكذا وكذا الخ» وقولهم: «قد حملت الى حضرة الشيخ أبياتا عاتبته بها» وهو يريد الشيخ المخاطب. وقد يأتى اللقب مشفوعا بالدعاء بصيغة الغائب أيضا كقول أبى بكر الخوارزمى فى كتاب الى محمد بن ابراهيم صاحب الجيش، وكان محبوسا وخرج من الحبس «كتبت أيد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال، خروج المشرفى من الصقال الخ» وقد يجعلون الخطاب بصيغة المخاطب فى بعض الاحوال.

٧ ــ تفرع الترسل الى أبواب عملا بسنة النشوء كما تفرع الشعر. فصارت الرسائل تقسم الى رسائل التهنئة والتعزية والمديح والرثاء والى الاخوانيات والسلطانيات ونحو ذلك

٨ ــ تمتاز مقدمات الكتب أو خطبها بتقديم الحمدلة والصلاة على النبى ، وتختم بآية يحسن الختام بها كقولهم : « وما توفيقى الا بالله عليه توكلت » أو بالحسبلة ونحوها

٩ ــ اختصاص كل طبقة من الوجهاء ورجال الدولة بنعوت خاصة بها ، فان تفاوت رجال الدولة فى المنزلة والنفوذ اقتضى أن تتفاوت أساليب مخاطباتهم . واستقر ذلك على وجه معين فى العصر العباسى الثالث ، فأصبح عندهم لكل طبقة من رجال الدولة نعوت تفتتح بها مخاطباتهم وعبارات تعنون بها كتبهم وادعية يدعون بها لهم ، كقولهم فى مخاطبة أولاد الخليفة فى زمن المقتدر بالله « أطال الله بقاء الامير » وللمؤنس المظفر « أطال الله بقاءك وأعزك وأكرمك وأتم نعمته واحسانه اليك» والعنوان « لابى الحسن أطال الله بقاءه » ولصاحب اليمن ونحوه « أكرمك الله ومد فى عمرك وأتم نعمته عليك وأدامها لك » وقس عليه

١٠ ــ صار الانشاء فنا له ألفاظ خاصة سموها الالفاظ الكتابية لا يتجاوزونها الى سواها . وتولدت فيه مصطلحات خاصة لاساليبه وعباراته ، كالتسجيع والترصيع والتبديل والمكافأة والاستعارة والتتميم والتقسيم والارداف والتمثيل والتكرير وغيرها. ولكل منها غرض فى الانشاء

هذه أهم شروط الانشاء فى العصر العباسى الثالث ، وقد سميناها الطريقة المدرسية لانها صارت مثالا توخاه الكتاب فى سائر العصور الاسلامية . وقد طرأ عليها تغيير اقتضاه حال الاجتماع سنذكره فى مكانه

ومما لابد من التنبيه اليه ان ما يجرى عليه الكتاب من تقليد القدماء فى مذاهبهم وتقليد أساليبهم ، لاعتقادهم ان ملكة الانشاء انما ترسخ بمطالعة كتب القدماء وأشعارهم ، بعث على تعدد الاساليب فى العصر الواحد .. فينبغ فى العصر الثالث مثلا كتاب يقلدون أسلوب الجاحظ وآخرون يقلدون أسلوب ابن المقفع أوعبد الحميد أو أسلوب صدر الاسلام. ويصدق ذلك على سائر العصور . ولكن يغلب فى أهل العصر الواحد أن يخضعوا لما تقتضيه الاحوال الاجتماعية فيكون لانشائهم صيغة خاصة به.

المنشئون أو المترســـلون

فى العصر العباسى الثالث

تكاثر المنشئون فى هـــذا العصر مثل تكاثر الشعراء ، واشتهر بعضهم بالصناعتين جميعا حتى لقد تتولاك الحيرة فى جعل أحدهم من الكتاب أو من الشعراء . واشتهر من المترسلين فى العصر طائفة من الوزراء والكبراء ورجال الدولة ، شرفت بهم الصناعة وارتفعت قيمتها لانهم كانوا عمدتها ووجوه كتابها بل هم أقوى أركان تلك النهضة فى النظم والنثر وســائر أسباب العلم والادب . واليك أشهرهم حسب سنى الوفاة :

١ ـ ابن العميد

توفى سنة ٣٦٠ هـ

هو أبوالفضل محمد بن العميد ، والعميد لقب والده على عادة أهل خراسان فى اجرائه مجرى التعظيم . وكان ابن العميد وزير ركن الدولة الحسن بن بويه والد عضد الدولة. تولى الوزارة سنة ٣٢٨ هـ ، وكان متوسعا فى الفلسفة والنجوم فضلا عن الادب والترسل حتى سموه «الاستاذ» وكان يلقب لبراعته فى الترسل بالجاحظ الثانى. وقيل بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد. وكان الصاحب بن عباد من بعض أتباعه كما سيجىء . وعاد الصاحب مرة من بغداد فسأله ابن العميد عنها ، فقال : «بغداد فى البلاد كالاستاذ فى العباد» يشير الى تفرده فى العلم. وهو أسبق المنشئين الى أسلوب ذلك العصر، وقد أجاد فيه فقلدوه ونسجوا على منواله. وساعد على شيوع طريقته رفعة منزلته وعلو كعبه فى العلم .وكثيرا ما رأينا الوجاهة من جلة أسباب الشهرة العلمية ، فهى لا تجعل الجاهل مشهورا بالعلم لكنها تجعل قليل العلم يشتهر بكثرته ـ وأخذ الصاحب بن عباد عن ابن العميد ، وكان الصاحب مركزا يدور حوله أدباء ذلك العصر فساعد ذلك على نشر تلك الطريقة

ويدل على مناقب ابن العميد ويمثل منزلة الادباء فى ذلك العصر حادثة جرت له مع ابن نباتة السعدى ، وقد مدحه بقصيدة فتأخرت صلته فشفعها بأخرى وأتبعها برقعة ، فلم يزده ابن العميد الا اهمالا مع رقة حاله التى ورد عليها الى بابه . فتوصل الى أن دخل عليه يوما ـ وهو فى مجلس حفل بأعيان الدولة ومقدمى أرباب الديوان ـ فوقف بين يديه وأشار اليه بيده ، وقال : « أيها الرئيس انى لزمتك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظارا لصلتك . والله ما بى من الحرمان ، ولـكن شماتة الاعداء وهم قوم نصحونى فأغششتهم وصدقونى فاتهمتهم فبأى وجه ألقاهم وبأى حجة أقاومهم . ولم أحصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مؤلم ويأس مسقم . فان كان للنجاح علامة فأين هى ؟ وما هى الا ان الذين نحسدهم على ما مدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا مثلك. فزاحم بمنكبك أعظمهم شأنا وأنورهم شعاعا وأمدهم باعا وأشرفهم بقاعا»

فحار رشد ابن العميد ولم يدر ما يقول ، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال : « هذا وقت يضيق عن الاطالة منك فى الاستزادة وعن الاطالة منى فى المعذرة . واذا تواهبنا ما دفعنا اليه استأنفنا ما نتحامد عليه » فقال ابن نباتة : « أيها الرئيس هذه نفثة مصدور منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر .. والغنى اذا مطل لئيم »

فاستشاط ابن العميد غضبا وقال : « والله ما استوجب هذا العتب منى أحد من خلق الله تعالى ، ولست ولى نعمتى فأحتملك ولا صنيعتى فأغضى عليك ، وان بعض ما قررته فى مسامعى ينغص مرة الحلم ويبدد شمل الصبر. هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحى ولا كلفتك تقريظى» فقال ابن نباتة : « صدقت أيها الرئيس ما استقدمتنى بكتاب ولا استدعيتنى برسول ولا سألتنى مدحك ولا كلفتنى قرضك ، ولكن جلست فى صدر ديوانك بأبهتك وقلت لايخاطبنى أحد الا بالرياسة ولاينازعنى خلق فى أحكام السياسة ، فانى كاتب ركن الدولة وزعيم الاولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة .. فكأنك دعوتنى بلسان الحال ولم تدعنى بلسان المقال »

فثار ابن العميد مغضبا وأسرع فى صحن داره الى أن دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباتة وهو فى صحن الدار مارا يقول : « والله ان سف التراب والمشى على الجمر أهون من هذا ، فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهينا ومشتريه مماكسا فيه »

فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر اليه ويزيل آثار ما كان منه ، فكأنما غاض فى سمع الارض وبصرها ولم يقف على مكانه . فكانت حسرة فى قلب ابن العميد الى أن مات . ونسب بعضهم هذه الحادثة الى شاعر آخر غير ابن نباتة

وكان ابن العميد يقرب أهل الادب والشعر ، فحام حوله طائفة منهم امتدحوه .. كالمتنبى ، وابن نباتة ، والصاحب بن عباد ، وغيرهم يجتمعون فى مجلسه فيقترح عليهم النظم والمقارضة .. وهى أن يقول أحدهم شعرا أو بيتا فى وصف شىء أو حادثة فيتمه الآخر فالآخر

وكان ابن العميد شاعرا رقيقا ، من احسن شعره قصيدة منها :

قد ذبتُ غير حشاشةٍ وذماء ما بين حَرِّ هَوى وحَرِّ هواءِ

الى ان قال وفيه مبالغة :

لا تغتنم إغضاءتى فلعلها كالعين تغضيها على الأقذاءِ
واستبقِ بعض حشاشتى فلعلنى يوماً أقيك بها من الأسْواء
فلو ان ماأبقيت من جسمى قَذًى فى العين لم يمنع من الإغفاء

ومن قوله فى الغزل :

ظَلَّتْ تظلّلني من الشَّمْسِ نَفْسٌ أعزّ عليّ من نفسي
فأقول وا عجبـا ومن عجب شمسٌ تظللنى من الشمس

وترى أمثلة من ترسله ونظمه فى يتيمة الدهر الجزء الثالث . ولم يصلنا منه رسائل مجموعة ولا شعر على حدة

واشتهر ابنه أبو الفتح ذو الـكفايتين بعده بمثل شهرته

وتجد أخبار ابن العميد فى ابن‌خلكان ٥٧ ج ٢ ، ويتيمة الدهر٢ ج ٣ (*)

٢ — أبو بكر الخوارزمى

توفى سنة ٣٨٣ ﻫ

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر . ويقال له أيضا الطبرخزى لان أباه من خوارزم وأمه من طبرستان . وهو ابن أخت محمد ابن‌جرير الطبرى صاحب التاريخ. وكان الخوارزمى اماما فى اللغة والنسب ، أقام بالشام مدة وسكن نواحى حلب . وكان يشار اليه فى عصره وقصـد الصاحب بن عباد وهو فى ارجان وجالسه وباسطه . واشتهر بكثرة حفظه الاشفار . ويحكى انه لما جاء الى الصاحب استأذن عليه بدون أن يذكر اسمه فدخل عليه الحاجب وأعلمه ، فقال الصاحب : « قل له قد ألزمت نفسى أن لايدخل على من الادباء الا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب » فخرج اليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له أبو بكر ارجع وقل له هـذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ » فدخل الحاجب فأعاد عليه . فقال : « هذا يكون أبا بكر الخوارزمى » فأذن له فى الدخول

لم يصل الينا من‌آثار أبى بكرالخوارزمى الا مجموعة رسائل‌تعرف باسمه ، وهى‌مطبوعة فى‌مصر، وفى الآستانة سنة ١٢٩٧، وفى بومباى سنة ١٣٠١ ، وغيرها. ومنها نسخ‌خطية فى برلين وفينا وليدن وكوبرلى. وفى‌الجزء الرابع من يتيمة الدهر أمثلة‌كثيرة من نثره ونظمه . وفيه طائفة حسنة من المدائح والمراثى والاهاجى وطرق‌مختلفة. وهو غير محمد بن موسى‌الخوارزمى‌الفلكى الرياضى المعاصر للمأمون (ترجمته فى ابن القفطى١٨٧ والفهرست ٢٧٤) وغير ابن عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمى صاحب مفاتيح العلوم المتقدم ذكره اما أبو بكرهذا فترجمته‌فى ابن خلكان ٥٢٣ج١، ويتيمة‌الدهر١١٤ج٤(**)

(*) راجع فى ابن العميد تجارب الامم لمسكويه ج ٦ ص ٣٤٥ — ٣٤٧ ، ٣٥١— ٣٥٨ وتاريخ ابن الاثير « الطبعة الاوربية » ج ٨ ص ١٩٩ وما بعدها وأمراء البيان لمحمد كرد على وتطـور الاساليب النثرية لانيس المقدسى والفن ومذاهبه فى النثر العربى ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وانظر فى الخوارزمى رسـائل بديع‌الزمان«طبع بيروت سنة١٩٢١» ص ٢٨وما بعدها والفن ومذاهبه فى النثر العربى

٣ – أبو اسحاق الصابى

توفى سنة ٣٨٤ هـ

هو أبو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون بن حبون الحرانى الصابى ، جد أبى الحسن هلال الصابى صاحب التاريخ . كان أبو اسحق كاتب الانشاء فى بغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه. وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ ، وكانت تصدر عنه مكاتبات الى عضد الدولة بن بويه بما يؤلمه .. فحقد عليه ، فلما قتل عز الدولة وملك عضد الدولة بغداد اعتقله سنة ٣٦٧ هـ وعزم على القائه تحت أيدى الفيلة ، فشفعوا فيه ثم أطلقه سنة ٣٧١ . وكان قد أمره ان يصنف كتابا فى أخبار الدولة الديلمية فعمل كتاب « التاجى » ، فقيل لعضد الدولة ان صديقا للصابى دخل عليه فرآه فى شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض ، فسأله عما يعمل فقال : « أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها » فهاج حقده عليه ، ولم يزل الصابى مبعدا فى أيامه

وكان أبو اسحق على مذهب الصابئة ويدل على ذلك اسمه . وكان عز الدولة يحرضه على الاسلام فلا يفعل ، لكنه كان يصوم رمضان مع المسلمين ويحفظ القرآن ويقتبس منه . وكانت له صداقة مع الشريف الرضى المتقدم ذكره . فلما توفى أبو اسحق رثاه بالقصيدة التى ذكرنا مطلعها وخبرها فى ترجمة الشريف . وكان الصابى عالما بالهندسة ، لكن غلبت عليه صناعة الانشاء . ومما بلغنا من انشائه :

١ – منشآت الصابى : فى المكتبة الخديوية نسخة خطية بهذا الاسم تدخل فى ٤٥٤ صفحة ، تشتمل على مراسلات كتبها الصابى على لسان ولاة الامر فى عصره من ملوك آل بويه والخلفاء وغيرهم . وهى كالمخابرات الرسمية فى وصف الوقائع الحربية أو غيرها ، منها رسالة كتبها الى ركن الدولة سنة ٣٦٤ هـ شرح فيها فتح بغداد وانهزام الاتراك منها ووصف الخلاف . ورسالة على لسان عز الدولة الى عضد الدولة جواب كتاب بفتح جبال القفص (بين فارس وكرمان) وقهر البلوص (جيل من الاكراد) ورسائل أخرى عن حروب بين البويهيين والحمدانيين وغيرهم . وكلها تشتمل على حقائق تاريخية رسمية تفسر بعض ما التبس من تاريخ ذلك العصر . وفيها صور عهود أو تقليدات رسمية للولاة أو العمال أو القضاة صادرة من الخليفة ، كالعهد الذى قلده الطائع لله العباسى أبا الحسن على ابن ركن الدولة على الصلاة وأعمال الحرب يدخل فى بضع عشرة صفحة . وفيه أمور هامة عن أحوال السياسة والادارة والاجتماع مما لا يتيسر الوقوف عليه فى كتب التاريخ . ونسخة عهد الى قاضى القضاة . وغيرها الى القواد أو الفقهاء أو أمراء الحج . ومنشورات بعثت الى الاهلين أو العمال أو القرامطة . فضلا عن رسائل خاصة كتبها الصابى الى أصدقائه . وبالجملة ان هذه المنشآت خزانة أدب وتاريخ وسياسة وعبارتها بليغة متينة ، بل هى من أبلغ ما كتب فى ذلك العصر

٣ ـ رسائل الصابى : تقسم الى أبواب فى المراسلات والشفاعات والمعاتبات وما انفذ الى العمال والمتصرفين والنواحى . وهى غير منشآته المتقدم ذكرها (*) وان كانت تشبهها فى أكثر موادها ، فان فيها كثيرا من الرسائل الودية فضلا عن المخابرات السياسية والتقاليد الرسمية والمنشورات ونحوها ، وفيها فوائد تاريخية واجتماعية هامة ، منها نسخة خطية فى ليدن وفى المكتبة الخديوية وجزء فى باريس ، وطبع بعضها فى بيروت

اما التاجى فلم يصلنا منه شىء وتجد ترجمته فى ابن خلكان ١٢ ج ١ ، ويتيمة الدهر٢٣ج ٢ ، ومعجم الادباء ٣٢٤ج ١ ، والفهرست ١٣٤ (**)

٤ ـ الصاحب بن عباد

توفى سنة ٣٨٥ هـ

هو أبوالقاسم اسماعيل بنعباد بنالعباسالطالقانى. وقد تقدمت الاشارة الى منزلته منالوجاهة وتأثيره فى تلك الحركة الادبية ، وكان أديبا منشئا وعالما فى اللغة وغيرها. أخذ عنأحمد بن فارس اللغوى الآتى ذكره وعن ابن العميد. وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لانه كان يصحب ابنالعميد فقيل له صاحب ابن العميد. ثم أطلقعليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقى علما عليه . وسمى به كل من ولى الوزارة بعده . وقد وزر أولا لمؤيد الدولة ابن ركن الدولة بن بويه بعد ابن العميد . فلما توفى مؤيد الدولة تولى مكانه أخوه فخر الدولة فأقر الصاحب على وزارته ، وكان مبجلا عنده نافذ الامر. وكان مجلسه بؤرة الادباء والشعراء يمدحونه أو يتناقشون أو يتعارضون بين يديه . وذاعت شهرته فى ذلك العصر حتى أصبح موضوع أعجاب القوم يتسابقون الىاطرائه ، ونظمت القصائد فى مدحه. وكتب اليه نوح بن منصور السامانى يستقدمه اليه فاعتذر كما سبق أن ذكرنا . وقد بلغ من رفعة القدر انه لما توفى سنة ٣٨٥ هـ أغلقت له مدينة الرى أبوابها واجتمع الناسعلى باب قصره ينتظرون جنازته . وحضر مخدومه فخر الدولة المذكور أولا وسائر القواد وقد غيروا لباسهم . فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض ومشى فخر الدولة امام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياما . ورثاه الرستمى بقوله :

أبعد ابن عباد يَهَشُّ إلى السُّرَى أخو أملٍ أو يُسْتَماحُ جوادُ
أبى الله إلا أن يموتا بموته فما لهما حتى المَعَادِ معادُ

وكان شاعرا مترسلا مع ولع شديد بالسجع حتى فى الكلام فضلا عن

(*) نصل المؤلف بين رسائل الصابى ومنشآته ، وهى بجميعها من نمط واحد هو الرسائل وكل ما فى الامر انهما نسختان مختلفتان . وفى دار الكتب المصرية الان نسخ مختلفة من رسائل الصابى

(**) وراجع فى الصابى تاريخ ابن الاثير « أنظر الفهرس » والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٧ وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية

الكتابة . وقيل فيه « انه لو رأى سجعة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة لما هان عليه التخلي عنها » وكان يتثنى ويتلوى ويتهادى . وفى يتيمة الدهر أمثلة من نظمه ونثره فضلا عن معرفته اللغة ، فانه ألف معجما سماه المحيط سيأتى ذكره مع المعاجم . وألف له ابن فارس كتاب الصاحبى الآتى ذكره . وساعده منصبه السياسي على الشنهزة العلمية . وله فى الرسائل كتاب الكافى ، منه منتخبات خطية فى مكتبة باريس (*) . وقصيدتان من شعره فى برلين . وله ديوان فى مكتبة صوفيا بالآستانة

وترجمته فى ابن خلكان ٧٥ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٩٧ ، ويتيمة الدهر ٣١ ج ٣ و ١٥٧ ج ٤ ومعجم الادباء ٢٧٣ ج ٢ ، والفهرست ١٣٥

٥ ــ بديع الزمان الهمذانى

توفى سنة ٣٩٨ هـ

هو أبو الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى الحافظ المعروف ببديع الزمان، كان يقيم فى هراة بأفغانستان. وكان شاعرا ولغويا ، واشتهر على الخصوص بقوة الحافظة . كان يسمع القصيدة التى لم يسمعها قط ، وهى أكثر من خمسين بيتا ، فيحفظها كلها ويؤديها من أولها الى آخرها لا يغير حرفا ولا يخل بمعنى وينظر فى الاربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه نظرة واحدة خفيفة ، ثم يتلوها عن ظهر قلب

وكان سريع الخاطر قوى البديهة يقترح عليه نظم القصيدة أو انشاء الرسالة ، فيفرغ منها فى الوقت والساعة . وربما يكتب الكتاب المقترح عليه ، فيبتدىء بآخر سطر منه وهلم جرا الى الاول . وله من المؤلفات :

١ ــ رسائل مجموعة فى كتاب يعرف برسائل بديع الزمان ، طبعت فى الآستانة سنة ١٢٩٨ ، وفى بيروت سنة ١٨٩٠

٢ ــ ديوان شعر : منه نسخة خطية فى مكتبة باريس ، وقد طبع بمصر سنة ١٣٢١ هـ

٣ ــ مقامات تعرف باسمه وهى أقدم كتاب وصل الينا فى هذا الفن من فنون اللغة . وهو أول من وفاه حقه وجعله علما ، وقد اقتبس نسقه من أستاذه ابن فارس اللغوى الآتى ذكره . وعنه أخذ الحريرى نسق مقاماته . والمقامات حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالى تنتهى بعبرة أو موعظة أو نكتة . والمراد بها فى الاكثر التفنن بالانشاء وتضمينه الامثال والحكم . ولم يكن هذا كل المراد منها فى زمن الهمذانى . وقد شبهها بعضهم بالدرام فى اللغات الافرنجية . ومقامات الهمذانى تروى على لسان

(*) نشر عبد الوهاب عزام وشوقى ضيف هذه المنتخبات فى دار الفكر العربى بالقاهرة باسم رسائل الصاحب بن عباد . وانظر فى الصاحب بن عباد معجم الادباء ج ٦ ص ١٦٨ . وتاريخ ابن الاثير « الفهرس » والصداقة والصديق لابى حيان والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٩ وكتب التاريخ فى سنة وفاته والفن ومذاهبه فى النثر العربى ومقدمة رسائله ودائرة المعارف الاسلامية

رجل اسمه عيسى بن هشام ، طبعت هذه المقامات فى الآستانة سنة ١٢٩٨ ، ثم فى بيروت مشروحة شرحا مختصرا للشيخ محمد عبده سنة ٨٨٦ وهو غير عبد الرحمن الهمذانى صاحب الالفاظ الكتابية المتقدم ذكره صفحة ١٨٦

وترجمة بديع الزمان فى ابن خلكان ٣٩ ج ١ ، ومعجم الادباء ٩٤ ج ١ ، ويتيمة الدهر ١٦٧ ج ٤ (*)

٦ ـ الثعالبى

توفي سنة ٤٢٩ هـ

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابورى الثعالبى ، قيل له ذلك لانه كان فراء بجلد الثعالب . وهو خاتمة مترسلى هذا العصر وأهم أدبائه . ونعم الخاتمة ، لانه أكثرهم آثارا وأوسعهم مادة وهو الذى ترجم لهم وذكر أخبارهم وأقوالهم . وكان فى العصر المشار اليه راعى تلعات العلم ، وجامع اشتات النثر والنظم ، ورأس المؤلفين ، وامام المصنفين وهو مع ذلك شاعر مطبوع ، ومن نظمه فى وصف الفرس قوله :

يا واهب الطِّرف الجواد كأنما قد أنعلوهُ بالرياح الأربعِ
لا شيء أسرع منه إلا خاطرى فى وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو أننى أنصفت فى اكرامه لجلال مهديه الكريم الألمعى
أقضمته حَبَّ الفؤاد لحبِّه وجعلت مربطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيع بُرْدَ الشباب لجُلِّه والبُرْقع

وله مؤلفات كثيرة أكثرها من قبيل الادب ، فنؤجل ذكرها الى ذلك الباب(**)ونكتفى هنا بذكر كتابه فىالانشاء . نعنى كتاب رسائل الثعالبى طبع فى الآستانة سنة ١٣٠١ ، وهو أربع رسائل منتخبة من كتب التمثل والمحاضرة والمبهج وسحر البلاغة والنهاية الآتى ذكرها بين كتبه الاخرى

منشئون آخرون

وهناك جماعة من المنشئين وبلغاء المترسلين لم يخلفوا آثارا غير ما ذكره الثعالبى فى اليتيمة أو غيره ممن ترجموهم . وهذه أسماؤهم وبجانبها مكان وجود الامثلة من انشاء كل منهم وترجمة حاله :

(*) وراجع فى بديع الزمان كتابا خاصا فيه ، نشر فى سلسلة نوابغ الفكر العربى التى تصدرها دار المعارف وتاريخ الأدب فى ايران ص ١٢٨ وما بعدها وبحثا فى مقاماته بكتابنا « المقامة » نشر دار المعارف وأمراء البيان وتطور الاساليب النثرية والفن ومذاهبه فى النثر العربى ودائرة المعارف الاسلامية

(**) سيترجم له المؤلف فيما بعد ويذكر أهم مراجعه

٧ ـ أبو الفتح البستى	فى يتيمة الدهر	٢٠٤ ج ٤
٨ ـ أبو الفضل الميكالى	فى يتيمة الدهر	٢٤٧ ج ٤
٩ ـ الحاتمى	فى يتيمة الدهر	٢٧٣ ج ٢
١٠ ـ الشابشتى	ابن خلكان	٣٣٨ ج ١
١١ ـ التهامى الشاعر	ابن خلكان	٣٥٧ ج ١
١٢ ـ القسطلى	فى اليتيمة	٤٣٨ ج ١

الادب والانشــــاء

عند الافرنج

ومما يحسن الاستطراد اليه فى هـــذا المقام ان علم الادب الذى يعنيه الافرنج بقولهم Literature يفضى الى الاجادة فى فنى المنثور والمنظوم مثل علم الادب عند العرب ، لـكنه يشتمل أيضا على روح انتقادية هى المراد الاصلى من علم الادب عندهم لا العبارة أو الاسلوب . وانما يريدون تلك الروح التى ينتقد بها الكاتب أوالشاعر ما يقع عليه نظره من الحوادث الطبيعية أو ينتبه له من أماكن النقص فى الامة أو رجالها أوملوكها ، فينتقده أو يصفه بأسلوب انتقادى شعرى يحرك العواطف ويقع من النفس موقعا مؤثرا . وكتابهم انما يتفاضلون فى أسلوب ذلك الانتقاد. وهو يشبه ما ورثوه من الروايات التمثيلية عن أسلافهم ، لان المراد الاصلى منها تمثيل الفضائل للترغيب فيها وتمثيل الرذائل للتنفير منها. . فالكاتب أوالشاعر عندهم يكتب أو ينظم أو يمثل أو يخطب ، والغرض الرئيسى عند الانتقاد بما توحيه اليه قريحته النظر فى الوجود أوالمجتمع الانسانى أوأحوال الناس من حيث الادب أو السياسة أوالاخلاق. بقطع النظر عما يرجوه من الـكسب أو الاسترضاء . وهذا نادر فى أدباء العرب لانصراف قرائحهم فى صدر دولتهم الى ارضاء الخلفاء أوالامراء من مدح أوهجاء على ماكانت تقتضيه الاحزاب السياسية، أو يتحدثون بما يطرب الخليفة أو الامير لانه على رضاه يتوقف رزقهم

كان الغرض الاول من الادب العربى فى الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية خدمة مصلحة ولاة الامر فى تأييد سيادتهم ونفوذهم أوتسليتهم وتفريحهم. وكان أكثر الشعراء والادباء من الموالى طلاب الرزق، فلم تتوجه قرائحهم الى النقد الاجتماعى أوالسياسى أوالفلسفى مما يقتضيه النظر فى الخليقة أو نظام الاجتماع أو الدولة ، لان ذلك لا يلائم أغراض أصحاب السيادة ولا سيما بعد أن صار هؤلاء يطاردون الاحرار باسم الزندقة أو الاعتزال أو الفلسفة بعد عصر المأمون . . فقامت تلك المطاردة سدا فى سبيل حرية القول واستقلال الفكر . فأصبح الادباء لا يفكرون الا كما يشاء أمراؤهم . واذا فكروا فى غيره لا يجسرون على قوله . واذا قالوه بادروا الى اخفـــائه فرارا من الاذى أو سوء الاحدوثة أو الاتهام بالمروق من الدين . ولذلك لم يصلنا من أقوال ادباء ذلك العصر الحرة الانتقادية الا النزر اليسير

ولعل أول من كسر قيود التقليد فى هذا الشأن أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف ، فنشر آراءه فى انتقاد الهيئة الاجتماعية والتقاليد الدينية والاعتقادات الشائعة نظما ونثرا .. فوجه سهامه نحو رجال الدين لاحترافهم التقوى فى سبيل الاستجداء أو الاستئثار . ونظم فى فلسفة الوجود وفلسفة الاجتماع ، فنقم عليه كثيرون واتهموه بالكفر ولم يعدوا قوله شعرا فسموه الحكيم وأنكروا عليه الشاعرية . والحقيقة ان تلك هى الشاعرية بعينها .. فسرت روحه فى جسم المجتمع ، وأخذ الادباء من العرب وغيرهم يقلدونه كما فعل عمر الخيام فى رباعياته

على ان أكثر أدباء العرب اقتصروا فى انتقاداتهم الاجتماعية أو الاخلاقية على نظم القصائد الحكيمة ، يضمنونها الحكم والمواعظ ومحاسن الاخلاق . وأكثر الكتب المؤلفة فى السياسة ونحوها تتضمن النصائح للملوك ، وما ينبغى أن يكونوا عليه من الكمالات . وقد يؤلفون الكتاب باسم ملك ينصحونه به كما فعل الشيخ عبد الرحمن فى كتاب السياسة الذى قدمه لصلاح الدين الايوبى المتقدم ذكره

ولكن ذلك غير ما يريده أدباء الافرنج فى عصرنا من النقد الادبى أو الادب الانتقادى ، فهم يريدون ما فعله شكسبير ودانتي وهوجو وروسو وفولتير وغيرهم ممن ألف القصص للمطالعة أو التمثيل أو القصائد أو المقالات فى تصوير الحقائق وانتقادها واستخراج العبرة منها بأسلوب شعرى يؤثر فى النفس . وقد يؤلف أحدهم الرواية الكبيرة ينتقد بها عادة شائعة أو نكتة توسمها فى نظام الاجتماع أو قوانين الحكومة . والعرب قلما فعلوا ذلك فى النظم أو النثر ، الا نحو ما يؤخذ من كتاب كليلة ودمنة وأمثاله

وهو تلميحى وليس عربى الاصل . وقد ألفوا قصة عنترة مثلا ، صوروا بها حال الاجتماع فى الجاهلية . وصوروا فى ألف ليلة وليلة حال الاجتماع فى عصر الرخاء والحضارة ، لكنهم لم يضعوا ذلك فى شكل انتقادى ولا نبهوا الى مكان العبرة فيه. وان كان القارىء يتأثر فى المطالعة ، فيساق من نفسه الى استحسان بعض ما صور هناك من المناقب فيقلدها، الا أنه غير مقصود فى التأليف

وهذا النقص ليس خاصا بالعرب بل هو يشمل أكثر الشرقيين . ولعل السبب فيه شدة احترامهم لرؤسائهم مع تأصل الحكم الاستبدادى فى نفوسهم بتوالى الاجيال واضطرارهم للارتزاق من الرؤساء . وهم أصحاب قرائح انتقادية ، فحصروها فى المناظرات اللغوية والنحوية كما فعل البصريون والكوفيون .. أو فى المجادلات الدينية ويراد بها غالبا خدمة مصلحة ولاة الامر فيما يرجع الى تأييد سيادة بعض الرؤساء دون سواه ، أو تحقير أعدائهم من دعاة الخلافة أو القائمين على الدولة ، أو فى المهاجاة لنصرة الاحزاب بين السنة والشيعة أو نحوها . أما انتقاد المبادىء الاجتماعية أو السياسية فانه قليل فى ثمار قرائحهم

ولكن ليس من الانصاف ان نقيس حال أدبائنا فى تلك العصور بحال أدباء الافرنج فى هذا العصر ، فان هؤلاء لم تظهر فيهم القرائح الحرة الا

بعد زوال التقليد وقلب النظام الاجتماعى وتبديل الحال السياسى حتى صار للعامة شأن . وقد سفكت الدماء فى سبيل الحرية الشخصية والحقوق الفردية ، فنشأت القرائح على حرية الفكر والقول

على ان تقاعد العرب عن ذلك النقد ليس من عجز فى فطرتهم ، فانهم من أصفى النــاس ذهنا وأدقهم نظرا وآباهم للضيم . فلما حدث مثل ذلك الانقلاب فيهم عند ظهور الاسلام اظهروا شجاعة أدبية لا مثيل لها ، حتى كان الراعى يخاطب الخليفة بلا كلفة وينتقده بلا خوف . ولا يرى الخليفة غرابة فى انتقاده

حتى فى ابان التمدن الاسلامى اذا أتيح للشاعر أن يجهر بفكره عن جرأة فى الرأى مع استغنائه عن أموال ولاة الامور ، لم يقصر عن مجــاراة أكتب الافرنج اليوم فى روح النقد والعبرة والفلسفة .. فقول أبى العلاء المعرى فى انتقاد الحكومة ورجالها (*) :

يكفيك حزناً ذهابُ الصالحين معاً ... ونحن بعدهمُ فى الأرض قُطّان

إن العراق وإنّ الشام مذ زمنٍ ... صِفْران ما بهما للملك سلْطانُ

ساس الأنامَ شياطينٌ مسلّطةٌ ... فى كل مصرٍ من الوالين شيطانُ

من ليس يحفل خَمْصَ الناسِ كلهم ... أن بات يشرب خمراً وهو مبطان

تشابه النَّجر فالرومىُّ منطقه ... كمنطق العُرْب والطائىُّ مرطان

أما كلابٌ فأعنى من ثعالبهم ... كأن ارماحهم فى الحرب أشطان

متى يقوم إمامٌ يَستَنْفِيدُ لنا ... فتعرف العدلَ أجيالٌ وغيطان

لا يقل قوة عما قاله فيكتور هوجو من قصيدة « الملوك » وهى من اشد قصائده وطأة ، قال فيها يخاطب الملوك : « أتظنون اننا نحبكم !.. نحن الذين نشتغل فى هــذه الارض ونستخرج ثروتها وتكد ونجد فى حر الشمس وبرد الشتاء ولا ننال من اتعابنا غير الجوع والعطش .. وأنتم على سرر مرفوعة من العز والنعيم ، وعلى جانب من التبذير والاسراف والفحش . نحن الخدم وأنتم الملوك .. نحن الغنم وأنتم الذئاب .. نحن الفريسة وأنتم المفترسون .. تبنون القصور من أموالنا واتعابنا وترتعون فيها وتلعبون ، ونحن نقاسى غصص الموت على لقمة .. لا شغل لـكم الا الاكل والنوم والسكر والفحش والقتل والظلم » (١)

(*) الغريب فى الابيات التالية : خمص الناس : جوعهم ، المبطان : كبير البطن من كثرة الاكل ، النجر : الاصل ، مرطان : من الرطانة ، وهى الكلام الذى لايفهم ، كلاب : بنو كلاب (قبيلة) . أشطان : حبال

(١) تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب ٢٣١

وقد تصور أبو العلاء الحكم الدستورى أو الجمهـــورى منذ تسعمائة سنة ، فوصف الامة الذليلة بقوله :

مُلَّ المقـامُ فكم أعاشر أمَّةً أمرَتْ بغير صـلاحها أمرَاؤها

ظلموا الرعيَّةَ واستجازوا كَيْدَهَا فعدَوْا مصالحها وهم أجرَاؤها

وقد ظهر بعد المعرى غير واحد من النقاد ، سيأتى ذكرهم فى أماكنهم

الأدب والأدباء

فى العصر العباسى الثالث

ونضج الادب فى هذا العصر وزاد استقلالا عن سائر العلوم ، ومال فى الاكثر الي النظر فى الشعر والشعراء من شرح أو تلخيص أو انتقاد . ويمتاز على الخصوص بنقد الشعر بعد أن نضج وتعددت أبوابه وموضوعاته ، فتعود الادباء بعد شيوع المنطق والفلسفة وعلم الكلام النظر فى الادب نظر الناقد الممحص بالمقابلة والموازنة .. وان أنكروا الفلسفة على أصحابها واتهموهم بالكفر أحيانا . فان روح النقد والنظر الفلسفى دبت فى عروقهم وهم لا يعلمون ، فنبغ منهم نقاد الشعر كقدامة بن جعفر وابن رشيق . وفيهم من انتقد الرواية والاخبار كأبى الفرج الاصبهانى صاحب الاغانى وعمر بن حمزة . ونظروا الى فحول الشعراء ، فشرحوا أقوالهم فى الجاهلية والاسلام كشروح الحماسة والمعلقات . وجمعوا أقوال الشعراء ومحصوها وجمعوا بينها ، كما فعل الثعالبى امام المؤلفين فى ذلك العصر . وانتقدوا آداب المجالسة ، ووضعوا للندماء شروطا وغير ذلك ، كما سيظهر فى تراجم الادباء . وهاك أشهرهم حسب سنى الوفاة :

١ ــ أبو الفرج الاصبهانى

توفى سنة ٣٥٦ هـ

قد يفهم من لقبه انه فارسى الاصل ، وهو عربى أموى يتصل نسبه بمروان بن الحكم من بنى أمية . وهو مع ذلك شيعى ، ويندر التشيع فى بنى أمية . واسمه على بن الحسين وكنيته أبوالفرج ، وانما لقب الاصبهانى لانه ولد فى اصبهان . لكنه نشأ فى بغداد ، وكان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفيها . وقد روى عن كثيرين ، وطالع كثيرا من الكتب ، وكان قوى الحافظة ، فوعى فى ذاكرته ألوفا من الاشعار والاغانى والاخبار والآثار والاحاديث والانساب بأسانيدها وأسماء قائليها ورواتها . فضلا عن توسعه فى اللغة والنحو والسير والمغازى وعلوم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والاشربة وغير ذلك . وكان انقطاعه فى الاكثر الى الوزير المهلبى المتقدم ذكره. وكان يلقى سواه من ملوك ذلك العصر وأمرائه ، فيعرفون فضله ويجيزونه

ولم يقتصر من العلم على الحفظ والاختزان كما يفعل كثيرون ، لكنه تدبر تلك المعارف وأخرج فيها كتبا نافعة أشهرها كتاب الاغانى وبه اشتهر. والف أيضا كتاب القيان ، وكتاب الاماء الشواعر ، وكتاب الديارات ،

وكتاب دعوة الاطباء ، وكتاب مجرد الاغانى ، وكتاب اخبار جحظة البرمكى ومقاتل الطالبيين ، وكتاب الحانات وآداب الغرباء ، وحصـــل له ببلاد الاندلس كتب صنفها لبنى أمية ملوك الاندلس يوم ذاك وسيرها اليهم سرا . وجاءه الانعام منهم سرا ، فمن ذلك كتاب نسب بنى عبد شمس ، وكتاب أيام العرب ألف وسبعمائة يوم ، وكتاب التعديل والانتصاف فى مآثر العرب ومثالبها ، وكتاب جمهرة النسب ، وكتاب جمهرة بنى شيبان ، وكتاب نسب المهالبة ، وكتاب نسب بنى تغلب ونسب بنى كلاب ، وكتاب الغلمان المغنين وغيرها . وهى كثيرة ، لـكن أكثرها ضاع بتوالى الاحن .. فنأتى على ذكر ما وصلنا خبره منها :

١ ـ كتاب الاغانى : هو أشهر من أن نعرف به ، وقد اتفق على أنه لم يؤلف مثله فى بابه . ويقال انه اشتغل فى جمعه وتأليفه نحو خمسين سنة . وبلغ خبره الى الحكم ابن الناصر صاحب قرطبة وهو أموى مثله ، فسأله أن يرسل الكتاب اليه قبل اخراجه لبني العباس وبذل له على ذلك ألف دينار . ولما تم تأليفه حمله الى سيف الدولة بن حمدان ، فأعطاه الف دينـار واعتذر اليه . ولم يبق أحد من أمراء ذلك العصر الا اقتناه ليستغنى به عن سواه . وقد علمت أن الصاحب بن عباد كان اذا سافر حمل كتبه على عشرات من الجمال ، فلما اقتنى كتاب الاغانى استغنى به عنها

وهو أجزاء كثيرة وصل الينا منها ٢١ جزءا فى نحو ٤٠٠٠ صفحة ، واسم الكتاب يدل على المراد بوضعه فى الاصل نعنى « الاغانى » فصدره بمائة صوت ، كان الرشيد أمر ابراهيم الموصلى مغنيه وغيره أن يختاروها له . ثم وقعت للواثق بعده ، فأمر اسحق بن ابراهيم فاختار له منها ما رأى انه افضل وأضاف اليها أشياء أخرى . فسار أبو الفرج على هذه الخطة معتمدا على ما اختاره غير هؤلاء أيضا من أهل العلم بصـــناعة الغناء . وقد يعترض على وضع هذا الكتاب بين كتب الادب ، اذ يجدر به أن يكون بين كتب الموسيقى .. لكن أهميته قائمة بما فيه من الاخبار والاشعار ، لان المؤلف اذا ذكر أبياتا على لحن وعين نغمها ومن غناها استطرد الى ذكر ناظمهـا وترجمته والاحوال التى قيلت فيها من حرب أو حب فى الجاهليـــة أو الاسلام ، ومن غناها ، ومن شهد ذلك وأسبابه وأحواله فيورد تفاصيل ذلك بالدقة والاسناد . فاحتوى الكتاب على أخبار مئات من الشـعراء والادباء والمغنين والعشاق والخلفاء والقواد . وأكثر أيام العرب وأخبـار قبائلهم وانسابهم ووقائعهم وغزواتهم ومياههم . وفيه خيرة اشعار الجاهلية والاسلام لا سيما ما كانوا يغنون به . وآداب القوم فى طعـامهم وشرابهم واجتماعهم وحروبهم وزواجهم وطلاقهم وسائر أحوالهم

فأهمية هذا الكتاب واسـعة لما حواه من تلك التراجم والاخبـــار ، ويكاد يكون منفردا بها . ولولاه لضاع كثير من أخبار الجاهلية وصدر الاسلام وأيام بنى أمية . وهو ثقة لتدقيقه وتمحيصه . لانه لا يكتفى بالاسناد الى الرواة ، بل هو ينتقدهم ويبين أوجه الخطأ أو المناهضة بين رواياتهم ثم يرجع

الى رأيه . وكان شديد الوطأة فى النقد على ابن خرداذبة وابن الكلبى . وفى مروياته كثير من الاخبار والحوادث تلقنها عن أناس عاصروه فحدثوه بما علموه فدونه وهو منفرد بتدوينه ، وأخذ عن كتب ضاعت

وقد طبع الاغانى بمصر فى ٢٠ جزءا سنة ١٢٨٥ هـ ، ثم عثروا على جزء فى بعض خزائن الكتب بأوربا . وقد طبعه برونو سنة ١٨٨٨ فصارت ٢١ جزءا ، ووضع لها الاستاذ جويدى المستشرق الايطالى فهرسا أبجديا مطولا سنة ١٨٩٥ ، وأعيد طبع الاغانى كاملا بمصر فى ٢١ جزءا سنة ١٣٢٢ مع فهرس أبجدى مبنى على فهرس جويدى (*) . وقد لخص الاغانى جمال الدين الحموى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ فى كتاب منه نسخة خطية فى المتحف البريطانى. وجرده الاب انطون صالحانى اليسوعى من الاسانيد والاغانى ، وأبقى الروايات على حدة فى كتاب سماه « روايات الاغانى » وهو جزآن الاول فى الروايات الادبية والثانى فى الروايات التاريخية طبع ببيروت سنة ١٨٨٨ و ١٩٠٨

٢ ــ كتاب الديارات : وصف فيه الاديار فى العراق ومصر وغيرهما ، وفيه كثير من أخبار الشعراء وأشعارهم فى مجالس العباسيين وخصوصا الرشيد الى المعتضد . منه نسخة فى مكتبة برلين . وبعضهم يشك فى نسبة هذا الكتاب اليه ويرى انه للشابشتى

٣ ــ مقاتل الطالبيين طبع فى الهند سنة ١٣٠٧ ، وطبع فى مصر أيضا وترجمة الاصبهانى فى ابن خلكان ٣٣٤ ج ١ ، واليتيمة ٢٧٨ ج ٢ (**)

٢ ــ أبو على التنوخى

توفى سنة ٣٨٤ هـ

هو أبو على المحسن بن على التنوخى . ولد فى البصرة وكان أبوه قاضيا وشاعرا وأديبا (ترجم له الثعالبى فى اليتيمة ١٠٥ ج٢) وانتقل المحسن الى بغداد ، وتلقى العلم عن الصولى وغيره ، ثم عين قاضيا على قصر بابل وما يليه . وتنقل فى مناصب أخرى واهم آثاره :

١ ــ كتاب الفرج بعد الشدة : قد تقدم ذكره فى كلامنا عن ابن أبى الدنيا ، وهو من كتب الادب المفيدة لما حواه من الحقائق التاريخية والاجتماعية

٢ ــ كتاب المستجاد من فعلات الاجواد : فيه حكايات وأخلاق أكثرها عن الخلفاء العباسيين .. فى مكاتب غوطا واكسفورد والاسكوريال وبطرسبورج وأياصوفيا ..

(*) تقوم دار الكتب المصرية بطبعه الآن وقد طبع منه ثلاثة عشر جزءا

(**) وراجع فى ابى الفرج الاصبهانى تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٩٨ ومعجم الادباء ج ١٣ ص ٩٤ وتاريخ اصبهان ج ١ ص ٢٢ وروضات الجنات ص ٤٨٧ ولسان الميزان ج ٤ ص ٢٢١ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٥٩ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٠٠ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥ وانباه الرواة ج ٢ ص ٢٥١ والمنتظم «وفيات سنة ٣٥٦» وتاريخ أبى الفداج ٢ ص ١٠٨ وابن كثير ج ١١ ص ٢٦٣ وبروكلمن ١٤٦ ج ١ ودائرة المعارف الاسلامية ، وانظر بحثنا فيه للاصمعى « طبع دار المعارف »

٣ ـ كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة : مجموع أخبار تاريخية .. فى باريس وترجمة التنوخى فى ابن خلكان ٤٤٥ ج ١ ، ويتيمة الدهر ١١٥ ج ٢ (*)

٣ ـ أبو هلال العسكرى

توفى سنة ٣٩٥ هـ

هو أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكرى ، تلقى العلم فى بغداد والبصرة واصبهان . وهو غير أبى أحمد العسكرى اللغوى الاتى ذكره وكلاهما اسمه الحسن بن عبدالله .. فكثيرا ما يقع الالتباس بينهما ، وكانا متعاصرين . وأبو هلال تلميذ أبى أحمد وتوفى هذا سنة ٣٨٢ هـ ، أما أبو هلال فقد خلف كثيرا من الكتب ، هاك أهم ما بلغنا خبره منها :

١ ـ كتاب جمهرة الامثال : طبع فى بومباى سنة ١٣٠٦ ، وفى مصر على هامش أمثال الميدانى سنة ١٣١٠

٢ ـ كتاب الصناعتين النظم والنثر : منه نسخة فى باريس وكوبرلى وطبع فى الاستانة سنة ١٣٢٠ ، وهو مفيد جدا فى بابه (**)

٣ ـ ديوان المعانى : هو معجم لمعانى الشعر مرتب حسب الموضوعات . قال مؤلفه فى مقدمته انه جعله ١٢ بابا فى ٥٠٠ ورقة ، ثم رأى أن ذلك يكبر حجمه فجعل كل باب منها فى كتاب . منه نسخة فى المتحف البريطانى . وفى كتب الشنقيطى فى المكتبة الخديوية كتاب خطى بهذا الاسم مؤلف من ٣٤٢ صفحة ، يشتمل على الباب السابع ، وفيه وصف السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه والرياض والنبات والنسيم وغيرها . والثامن ، فى وصف الحرب والسلاح . والتاسع فى وصف الدواة والبلاغة . والعاشر ، فى صفات الخيل والابل والفلوات والوحوش والطيور . والحادى عشر ، فى الخضاب والعلل والموت والزهد والباقى معان متفرقة . وهو جزيل الفائدة لطلاب المعانى الشعرية (***)

٤ ـ كتاب المصون فى الادب : فى الاسكوريال

٥ ـ روى ديوان أبى محجن : فى أياصوفيا

٦ ـ كتاب الاوائل : اختصره السيوطى فى كتاب الوسائل وهو أول من ألف فيه ..

٧ ـ التفضيل بين بلاغتى العرب والعجم : طبع الاستانة وأخباره فى معجم الادباء ١٣٥ ج ٣ (****)

(*) وراجع فى التنوخى معجم الادباء ج ١٧ ص ٩٢ وفوات الوفيات ج ٢ ص ٨٦ ودائرة المعارف الاسلامية . وقد نشر له المجمع العلمى العربى بدمشق كتابه « المستجاد من فعلات الاجواد » بتحقيق محمد كرد على ، كما نشر له جزءين من نشوار المحاضرة بعناية مرجليوث، وهما الثانى والثامن فى الكتاب

(**) طبع هذا الكتاب سنة ١٩٥٢ فى مطبعة الحلبى طبعة محققة جيدة

(***) نشر هذا الكتاب فى القاهرة

(****) وانظر فى أبى هلال العسكرى بغية الوعاة ص ٢٢١ وانباه الرواة فى باب الكنى

٤ ــ الثعالبى

توفي سنة ٤٢٩ هـ

تقدم ذكره بين المنشئين ، وأجلنا الكلام عن كتبه فى غير الانشاء الى هذا الفصل . والثعالبى المذكور مدون أخبار العصر الذى نحن بصـــدده ، وخصوصا الشعر والشعراء والادب والادباء . وله كتب كثيرة فى موضوعات مختلفة ، هاك ما وصلنا منها :

١ ــ يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر : تشتمل علىأخبار شعراء المائة الرابعة للهجرة ، وهو العصر العباسى الثالث ، فى أربعة مجلدات . قسم الكلام فيها الى أبواب باعتبار البلاد . فأفرد بابا لشعراء الشام وما كان من أحوال سيف الدولة ومحاسن الشعراء ، ولا سيما المتنبى وأبو فراس ، استغرق الكلام عنهما ٢٠٠ صفحة . وبابا لشعراء مصر والمغرب . وآخر لشعراء الموصل ، وآخر عن آل بويه وشعرائهم وكتابهم ، وآخر عن شعراء البصرة فالعراق فبغداد فابن العميد والصاحب بن عباد مفصلا ، ثم شعراء أصبهان والطارئين على الصاحب ، وشعراء الجبل وفارس والاهواز وجرجان ، ثم محاسن الدولة السامانية ومن فيها من الشعراء ، ففضلاء خوارزم . وفصولا لكل من أبى بكر الخوارزمى والهمدانى والبستى والميكالى وشعراء خراسان والطارئين على نيسابور وغير ذلك . والكتاب مطبوع فى دمشق سنة ١٣٠٤ وفى مصر فى أربعة مجلدات بها نحو ١٥٠٠ صفحة . ومنه نسخ خطية فى أكثر مكاتب أوربا . وينتقد على مؤلفه انه جعل عبارته مسجعة وهى لا تليق بكتب التاريخ والاخبار ، وأنه أغفل الوفيات فيندر أن يذكـــر سنة الوفاة أو الولادة . وانما هو مقصور على الامثلة من الاشعار أو الانشاء واطرائها مع بعض الاخبار . وألف أبو الحسن الباخرزى المتوفى سنة ٤٦٧ ذيلا لليتيمة سماه دمية القصر وعصرة أهل العصر سيأتى ذكره

٢ ــ لطائف المعارف : هو جزيل الفائدة فى موضوعه ، لانه يشتمل على فوائد لا سبيل اليها الا بمطالعة الكتب الكثيرة . وتتلخص هــذه الفوائد فى : (١) باب الاوائل من كل شىء ، وفيه فوائد تاريخية مهمة كقوله « أول من جلس على سرير من ملوك العرب جذيمة ، وأول من كسا الكعبة الحرير نتيلة .. الخ (٢) ألقاب الشعراء الذين لقبوا بأشعارهم ، كالمرقش والممزق وأسباب ذلك (٣) الالقاب الاسلامية للوجوه والاعيــان (٤) كتاب المتقدمين (٥) فى المتناسقين بأحوال مختلفة (٦) فى الغايات من طبقات الناس (٧) الاتفاق فى الالقاب والكنى (٨) فنون شتى من المعارف النبوية والقرشية وصنائع الاشراف والملوك (٩) غرائب الاحوال وعجائب الاوقات ، وأخيرا نموذج من خصائص البلدان . وهو مطبوع فى ليدن فى نحو ٢٠٠ صفحة سنة ١٨٦٧ بعنـــاية المستشرق دى يونغ . وقد ســبقه ابن قتيبة الى بعض هـــذه الموضوعات فى كتابه « المعارف »

٣ ــ فقه اللغة : هو معجم معنوى جمعت فيه المعانى المتقاربة أو المترابطة فى باب واحد مع بيان الفرق بينهما أو تدرجها أو تفرعها مما يفتقر الى

درس طويل . وذكر فى المقدمة أسماء اللغويين والرواة والنحاة الذين عول عليهم . وقد طبع فى بيروت سنة ١٨٨٥ وفى مصر

٤ ــ الاعجاز والايجاز . يشتمل على أبلغ ما قيل مع الايجاز ، طبع فى مصر سنة ١٨٩٧ ، وفى الاستانة فى جملة رسائل أخرى

٥ ــ خاص الخاص : وفيه خلاصة الخلاصة فى الادب طبع بمصر

٦ ــ نثر النظم أو حل العقد : هو عبارة عن تحويل الشعر المنظوم الى شعر منثور طبع بمصر سنة ١٣١٧

٧ ــ مكارم الاخلاق : فيه فصول فى العقل والعلم والزهد وغيرها ، طبع فى بيروت

٨ ــ غرر اخبار ملوك الفرس فى التاريخ : طبع فى باريس

٩ ــ ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب : فى الادب ، وفيه فوائد تاريخية على أسلوب خاص به لأنه ينقسم الى فصول باعتبار أشياء مضافة الىأشياء اخرى يتمثل بها ويكثر استعمالها فى النظم والنثر علىالسنة العامة والخاصة كقولهم غراب نوح ، وذئب يوسف ، وعصا موسى ، وخاتم سليمان ، وبردة النبى ، ونحو ذلك وشرح كل منها . وهو كبير الحجم ، منه نسخة خطية فى مكتبة دار الكتب المصرية وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ فى نحو ٦٠٠ صفحة

١٠ ــ شمس الادب فىاستعمال العرب : جزآن ، الاول فى أسرار اللغة . . والثانى فى مجارى الفاظها ورسومها وما يتعلق بالنحو والاعراب منها . وقد يسمى سر الادب فى مجارى لسان العرب . منه نسخة خطية فى كل من مكتبتى برلين وليدن

١١ ــ الكناية والتعريض : فى البلاغة ، ويشتمل على ما يرد من الاوصاف بالكناية عن النساء والغلمان والطعام والمقابح والعاهات وغيرها . ومنه نسخ خطية فى برلين وفينا والاسكوريال وفى مكتبة دار الكتب المصرية ، وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ هـ

١٢ ــ أجناس التجنيس : فى الجناس ، بمكتبة الاسكوريال

١٣ ــ سحر البلاغة : فى مكتبة برلين وفينا وباريس وكوبرلى وغيرها . وقد طبعت بالاستانة منتخبات منه فى جملة رسائل أخرى

١٤ ــ غرر البلاغة وطرف البراعة : فى مكتبة برلين

١٥ ــ اللطف واللطائف : مؤلف من ١٦ بابا ، فى الاسكوريال وفينا وفى دار الكتب المصرية من كتب الشنقيطى

١٦ ــ من غاب عنه المطرب : وهو يشتمل على منتخبات من الشعر والحكم فىالخط والبلاغة والربيع واوصاف الليالى والايام والغزل والخمريات والاخوانيات ، منه نسخ خطيــة فى برلين وباريس والمتحف البريطانى والاسكوريال وطبع فى مجموعة التحفة البهية بالاستانة ، وطبع فى بيروت سنة ١٣٠٩ هـ

١٧ ــ برد الأكباد فى الاعداد : هى مجموعة أخبـــار وملح عن النبى والصحابة وغيرهم مرتبة حسب الاعداد مما جاء فيه لفظ اثنين فثلاثة الى العشرة . فى باب العدد ثلاثة مثلا يقول « ثلاثة لا يسلم منهن احد : الظن والطيرة والحسد » وقس عليه . طبع فى الاستانة فى جملة رسائل اخرى . ومنه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية

١٨ ــ التوفيق للتلفيق : فى برلين

١٩ ــ النهاية فى الكناية : فى المتحف البريطانى والاسكوريال والمكتبة الخديوية ، وقد طبعت منتخبات منه فى الاستانة

٢٠ ــ مرآة المروءات وأعمال الحسنات : فى برلين وطبع بمصر سنة١٨٩٨

٢١ ــ التمثل والمحاضرة : يحتوى على ما يحتاج اليه الاديب مما يتمثل به فى الكتابة من أقوال الشعراء والمتسبين . موجود فى المكتبة الخديوية وفى ليدن . وطبع منه منتخبات بالاستانة

٢٢ ــ كتاب الغلمان : فى برلين والاسكوريال

٢٣ ــ تحفة الوزراء : فى مكتبةغوطا

٢٤ ــ كنز الكتاب : فيه أمثلة من أقوال ٢٥٠ شاعرا لاستعمال الكتاب . منه نسخ خطية فى المكتبة الخديوية وفى فينا والاستانة

٢٥ ــ أحاسن المحاسن : فى مكتبة باريس والمكتبة الخديوية

٢٦ ــ احسن ما سمع : فى كوبرلى بالاستانة وفى المكتبة الخديوية

٢٧ ــ المبهج : فيه أخلاق ومواعظ وآداب وبلاغة فى ٧٠ بابا ، منه نسخة خطية فى برلين وباريس وكوبرلى والمكتبة الخديوية . وقد طبعت فىالاستانة منتخبات منه

٢٨ ــ اللطائف والظرائف : فى مدح أشياء واضدادها ، موجود فى برلين والاسكوريال وليدن . وقد جمعه أبو النصر المقدسى مع المحاسن والاضداد للثعالبى هذا فى كتاب سماه الظرائف واللطائف طبع على الحجر فى مصر سنة ١٢٧٥

٢٩ ــ يواقيت المواقيت : فى مدح الشىء وذمه ، فى برلين وليدن

٣٠ ــ لطائف الصحابة والتابعين : فى مكتبة ليدن ، وطبع منــه قطع فى ليدن للتعليم ..

٣١ ــ أحاسن كلام النبى والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء . موجود فى ليدن وباريس وطبع بعضه فى ليدن سنة ١٨٤٤

٣٢ ــ كتاب الشكوى والعتاب

٣٣ ــ المقصور والممدود

٣٤ ــ المتشابه ..

وهذه الكتب الثلاثة منها نسخ خطية فى دار الكتب المصرية

٣٥ ــ المنتخل : يحوى جيد الشعر للجاهليين والمخضرمين والمولدين الى أيامه . وهو منتخب من أحاسن الاشعار لأحسن الشعراء ، طبع بمصر سنة ١٣٢١ مع تراجم الشعراء الواردة أسماؤهم فيه للشيخ أبى على الازهرى . وبعضهم ينسب المنتخل لابى الفضل الميكالى معاصر الثعالبى

٣٦ ــ كتاب الفرائد والقلائد : طبع بمصر سنة ١٣٢٨ هـ

وترجمة الثعالبى فى ابن خلكان ٢٩٠ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣٦ (*)

٥ ــ الشريف المرتضى

توفى سنة ٤٣٦ هـ

هو من سلالة موسى الكاظم من أشراف العلويين ، وكان نقيب الطالبيين فى بغداد . واسمه على بن الطاهر ، وكان اماما فى علم الكلام والادب والشعر . وهو أخو الشريف الرضى الشاعر الذى تقدم ذكره . وله تصانيف فقهية على مذهب الشيعة ، وديوان شعر كبير لم يصل الينا . ومن تصانيفه :

١ ــ كتاب نهج البلاغة : وهو يشتمل على خطب وأقوال تنسب الى الامام على . والمشهور أن الشريف المرتضى جمع خطب على وأقواله ودونها فى ذلك الكتاب ، وهو من أهم كتب الادب بالنظر الى ما حواه من بلاغة الاسلوب والدقة فى التعبير والحكم فى الاقوال . وان كنا نرى كثيرا من الخطب ليست لعلى بدليل اختلاف الاسلوب ومخالفة ما فيها من المعانى لعصره وغير ذلك مما لا محل لتفصيله . أما خطبه فى المواقف التاريخية وكتبه الى قواده ورجاله فهى له . وقد طبع نهج البلاغة فى بيروت ، وعليه شرح قليل للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٥ وطبع أيضا بمصر . ولابن أبى الحديد شرح مطول فى ٢٠ جزءا ، طبع فى طهران سنة ١٢٧١ فى مجلدين كبيرين على الحجر . وفى آخره اضافات لم يذكرها جامعه . وقد تقدم الكلام عن نهج البلاغة فى باب الخطابة بالجزء الاول من هذا الكتاب

٢ ــ كتاب الدرر والغرر فى المحاضرات :منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، وأخرى فى برلين

٣ ــ كتاب الشهاب : طبع فى الاستانة

وترجمة المرتضى فى ابن خلكان ٣٣٦ ج ١ (**)

(*) وراجع فى الثعالبى حياة الحيوان للدميرى ج ١ ص ١٦٣ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٢٨٤ ج ١

(**) انظر فى المرتضى تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤٠٢ وتتمة اليتيمة ج ١ ص ٥٣ ودمية القصر ص ٧٥ وروضات الجنات ص ٣٨٧ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥٦ ولسان الميزان ج ٤ ص ٣٢٣ ومرآة الجنان ج ٣ ص ٥٥ ومعجم الادباء ج ١٣ ص ١٤٦ وانباه الرواة ج ٢ ص ٢٤٩ وبغية الوعاة ص ٣٣٥ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٩ وتاريخ ابن الاثير «أنظر الفهرس» وتاريخ أبى الفدا ج ٢ ص ١٦٧ وتاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٥٣ والمنتظم فى « وفيات سنة ٤٣٦ »

٦ – ابن رشيق القيرواني

توفي سنة ٤٥٦ هـ

هو أبو العباس الحسن بن رشيق من أهل القيروان ، أبوه مملوك رومي من موال الازد ، كان صائغا في بلدة المحمدية فعلمه أبوه صناعته . ثم قرأ الادب وقال الشعر وتاقت نفسه الى التزيد منه ، فرحل الى القيروان واشتهر بها وامتدح صاحبها واتصل بخدمته . ولم يزل بها حتى هجم عليها العرب ، وقتلوا أهلها وخربوها .. فانتقل الى صقلية وأقام بمازر الى أن مات . وله مؤلفات كثيرة أشهرها وأهمها :

١ – كتاب العمدة : وبه اشتهر ، يبحث في صناعة الشعر ونقده وعيوبه . وهو اجل كتاب في هذا الموضوع يقسم الى أبواب في فضل الشعر وأشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء ، ومن رفعه الشعر ووضعه ، ومن قضى له وقضى عليه ، واحتماء القبائل بشعرائها ، والتكسب بالشعر ، ومنافع الشعر ومضاره ، والمقلين من الشعراء ، وحدود الشعر وأوزانه وبحوره ، والبلاغة والايجاز والاستعارة الخ .. وسائر أوجه البلاغة وأنواع الفصاحة والجوازات والاوزان . وفي آخره فصول في النسب وأيام العرب وملوك العرب والخيول والزجر والقيافة والوصف وغير ذلك . وفي خلاله طائفة من أحسن الاشعار ، وبحث تحليلي في الشعر ومعانيه على طريق الانتقاد . قال ابن خلدون :

« أن كتاب العمدة هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وأعطاها حقها ، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله » طبع في القاهرة في جزئين سنة ١٩٠٠ وفي غيرها . وقد ألف زميله ومعاصره أبو عبدالله بن شرف رسائل سماها : « رسائل الانتقاد » تقدم ذكرها

٢ – كتاب قراضة الذهب في نشر أشعار العرب : منه نسخة خطية في باريس وقد ضاعت سائر كتبه (*)

وترجمته في ابن خلكان ١٣٣ ج ١ ، ومعجم الادباء ١٣٧ ج ١ (**)

كتب اخرى في الادب

وهناك طائفة من كتب الادب نكتفي بذكر أصحابها بدون تراجمهم :

١ – الجليس الصالح الكافي : في مائة مجلس لابن طرار الجريري المتوفى سنة ٣٩٠ ، منه أجزاء في المكتبة الخديوية وبرلين وباريس وكمبريدج

وترجمة ابن طرار في ابن خلكان ١٠٠ ج ٢

(*) طبع هذا الكتاب بمطبعة الخانكي في القاهرة

(**) وراجع في ابن رشيق روضات الجنات ص ٢١٧ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٧ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٣٠١ وأنباه الرواة ج ١ ص ٢٩٨ وبغية الوعاة ص ٢٢٠ والحلل السندسية ص ١٠٠ وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢٥٥ وبساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق لحسن حسني عبدالوهاب وابن رشيق للميمني الراجكوتي ، وله أيضا النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف ، وانظر دائرة المعارف الاسلامية

٢ ـ زهر الآداب : للحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤١٣ ، منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية فى ٥٠٠ صفحة . وفيه أخبار وقطع تاريخية ومقامات وأشعار (*)

وترجمة الحصرى فى ابن خلكان ١٣ ج ١ ، ومعجم الادباء ٣٥٨ ج ١

شرح الحماسة : للمرزوقى المتوفى سنة ٤٢١ ، منه نسخة فى المكتبة الخديوية (**)

٤ ـ الموازنة بين الطائيين : للآمدى توفى سنة ٣٧٠ ، منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية فى ٤٤٠ صفحة كبيرة وطبع فى الاستانة

وترجمة الآمدى فى معجم الادباء ٥٤ ج ٣ ، والفهرست ١٥٥

٥ ـ الاشباه والنظائر أو حماسة الخالدين : هى مجموعة مختارات من أشعار المتقدمين الجاهليين والمخضرمين وغيرهم ، ومنها كثير لم يرد فى حماسة أبى تمام . وهى تنسب الى الخالديين من أدباء العصر الثالث، وهما أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان .. كانا يشتركان فى نظر الشعر ، ولا يكادان يفترقان ، ولهما أشعار نشرها الثعالبى فى يتيمة الدهر (٥٠٧ ج ١) ولهما أيضا هذه الحماسة ، منها نسخة خطية فى دار الكتب المصرية فى ٣٠٠ صفحة

٦ ـ قطب السرور فى وصف الخمور : لابى اسحق الكاتب القيروانى المتوفى سنة ٣٨٣ ، منه نسخة خطية فى برلين والاسكوريال وفينا وغيرها

٧ ـ مجموعة المعانى : لمؤلف مجهول ، لكنها نفيسة وتشتمل على مائة معنى من جيد النظم . وقد اضاف المؤلف الى كل معنى ما يناسبه أو يضاده . طبعت فى الاستانة فى ٢٢٠ صفحة

المحاضرات

هى علم من علوم الادب تحصل به الملكة على ايراد كلام الغير بما يناسب المقام . وفائدته الاحتراز من الخطأ فى تطبيق الكلام المنقول عن الغير على المقام حسب اقتضاء المخاطبة من جهة معانيه الاصلية .. وهو من الفنون الاجنبية ، يقال ان مخترعه رجل من اليونان قبل القرن الثالث للميلاد ، وقد أخذه العرب فى جلة ما أخذوه عن الاعجام فى خلافة أبى جعفر المنصور على يد عبد الله بن المقفع عندما ترجم كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية ، فكانت ترجمته هذه أساسا لهذا الفن .. لكنه لم ينضج الا فى العصر الثالث الذى

(*) طبع زهر الآداب على هامش العقد الفريد ، ثم طبعه زكى مبارك فى ٤ أجزاء طبعة مستقلة

(**) نشرت لجنة التاليف والترجمة والنشر هذا الشرح بتحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هرون

نحن فى صدده . وأشهر من ألف فيه أبو حيان التوحيدى (*) المتوفى سنة ٤٠٠ هـ ، ألف كتابا سماه كتاب المحاضرات والمناظرات ، وقد تقدم ذكر كتاب الشريف المرتضى فى هذا الموضوع . واشهر ما بين أيدينا من كتب المحاضرات كتاب « محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء » لابى القاسم الراغب الاصبهانى ، وسيأتى ذكره

(*) نما فن المحاضرات عند العرب منذ القرن الاول للهجرة عند الحسن البصرى وأضرابه ، اذ كانوا يخصبون فى الناس هذه الخطابة الجلسة أو هذه المحاضرات ، اذ يجلس الخطيب أو المحاضر وحوله تلاميذه يكتبون ما يلقى عليهم . واتسع ذلك فى فروع الدراسات الاسلامية فى التاريخ والحديث النبوى والتفسير والفقه واللغة والشعر، ووصلت الينا مصنفات كثيرة فى هذا الميدان مثل مجالس ثعلب وأمالى القالى والكامل للمبرد وهلم جرا

الروايات والقصص

تمهيـــد

نريد بالروايات ما يسميه الافرنج بلسانهم « رومان » واحدها رواية ، وهي القصة عندنا . وانما اخترنا لفظ الرواية مجاراة لمفهوم القراء منها لانها عندهم أدل من القصة على ما نحن فيه . والروايات فن له شأن عظيم في آداب اللغات الافرنجية ، يكاد يكون أهمها . وأما في العربية فانه من أضعف فروع الادب . ويراد به تمثيل الاخلاق والعادات والآداب في سياق قصة موضوعة ، وقد تكون بشكل تمثيلي فتسمى في اصطلاحهم « درام » وقد ذكرنا طرفا من ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب ، اقتصرنا فيه على ما في آداب الجاهلية مما يقابل الدرام عند اليونان ، ونحن ذاكرون هنا فن الروايات على الاجمال في التمدن الاسلامي

يظهر ان العرب قلما اهتموا بهذا الفن في صدر دولتهم ، ولا التفتوا الى ما كان منه عنـد اليونان لما نقلوا علومهم . فلم ينقلوا الالياذة ولا الانياد ولا غيرهما من الروايات عند اليونان والرومان . لكنهم نقلوا شيئا من هذا القبيل عن الفرس والهنود على يد عبدالله بن المقفع وجبلة بن ســـالم وغيرهما ، فمما نقل عن الفارسية كليلة ودمنة ، وكتاب رستم واسفنديار ، وكتاب الآداب الكبير ، وهزار أفسانة ، وشهريزاد مع أبرويز ، والكارنامج في سيرة أنوشروان ، ودارا والصنم الذهب ، وبهرام ونرسى

ومما نقل عن الهندية كتاب سندباد الكبير والصغير ، وكتاب بوداسف ، وكتاب أدب الهند وغيرها . وقد ضاع أكثر هذه الترجمات وتغير ما بقي منها وتبدل حتى صار الى غير ما كان عليه كما سترى

على اننا نرى بين أيدينا قصصا وروايات مطبوعة يتداولها النـــاس ويقرأونها ، أشهرها قصة عنترة ، والف ليلة وليلة ، وأبو زيد الهلالى ، والزير ، والملك سيف ، والملك الظاهر ، وعلى الزيبق ، وفيروز شــاه ، ونحوها .. فهذه القصص أكثرها وضع بعد العصر الثالث ، وانما يهمنا هنا القصص والروايات التى دونت في ذلك العصر أو قبله . وهي تقسم الى قسمين : الاول ما وضعه العرب من عند أنفسهم ، والثانى ما نقلوه عن غيرهم وتوسعوا فيه . واليك تفصيل ذلك :

القصص التى وضعوها

من عند انفسهم

أما ما وضعوه فيرجع في الغالب الى تصـوير مناقب الجاهليـة وحال الاجتماع فيها ، كالحماسة والوفاء والجوار والشجاعة والعصبية والثأر .

وتجد هذه المناقب ممثلة فى أخبارهم وأيامهم المشهورة قبل الاسلام ، وهى حقائق تاريخية تناقلوها بعد الاسلام . وكانوا يتلون تلك القصص فى صدر دولتهم على جندهم لتحميسهم واستحثاث بسالتهم اذا قاموا لفتح أو حرب . كذلك كانوا يفعلون بتلاوة أشعار عنترة وغيرها على أيدى القصاص قبيل المعارك لهذا الفرض

فلما تحضروا وانشأوا الدول عمدوا الى بعض تلك الاخبار ، فوسعوها فى شكل روائى يشوق الى المطالعة . ولم يكن ذلك مقصودا فى بادىء الامر ، وانما كانت القصة تكبر وتتسع تدريجا بالتناقل الشفاهى قبل تدوينها . وبما أن المراد منها التحميس لا تقرير الحقيقة ، فكان الراوى يبالغ فى القصة ويزيد فيها ما يثير الحماسة على ما تقتضيه الاحوال . والقصة تنمو وتتشعب حتى يفضى بها الامر الى تدوينها بشكل الروايات الحماسية فيدونوها كما صارت اليه .. هكذا فعلوا فى أكثر قصصهم . ورغبة فى تصويرها بشكل الحقيقة أسندوا أخبارها الى بعض الرواة المشهورين كالاصمعى وأبى عبيدة وأمثالهما ونسى مؤلفوها الحقيقيون بتباعد العهد بهم ، كما نسيت أسماء مؤلفى أكثر القصص القديمة عند الافرنج

وقد نضج هذا الفن عند العرب فى العصر العباسى الثالث ، فدونت تلك الروايات أو القصص قبل انقضائه . وهى تتفاوت بعدا عن الحقيقة وقربا منها ، وصار بعضها يتلى فى المنازل والاندية لمجرد التسلية ولم يصلنا منها كاملا ناضجا الا قصة عنتر

قصة عنتر

هى أكبر القصص الحماسية العربية ، أو هى عدة قصص متداخلة متسلسلة لا تحتاج فى تعريفها الى تفصيل لاشتهارها وشيوعها . وانما نقول بالاجمال انها قصة حماسية غرامية تمثل آداب الجاهلية وأخلاق أهلها وحروبهم وعاداتهم . وأكثر الاسماء الواردة فيها لها مسميات تاريخية حقيقية ، لكنها مسبوكة فى سياق قصة ، والمبالغة ظاهرة فيها . والمشهور انها وضعت فى أواخر القرن الرابع للهجرة . وضعها رجل اسمه يوسف بن اسماعيل فى زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمى بمصر لسبب ذكرناه فى الجزء الاول من هذا الكتاب ، وقد بينا أن هذا الرجل لم يضعها دفعة واحدة بل تكونت بالتدريج . وهى أحسن القصص العربية وأكثرها فائدة ، وقد عنى الافرنج بنقلها الى السنتهم كاملة وملخصة ، وطبعت فى العربية مرارا عدة فى بضعة آلاف صفحة

قصة البراق

وهناك طائفة من الروايات الحماسية العربية وقف نموها فى بدء تكوينها لانهم أسرعوا فى تدوينها ، ولا تزال عليها صبغة الاخبار التاريخية وتعد من قبيل التاريخ أو أيام العرب الجاهلية .. منها مجموعة لعمر بن شبة المتوفى

سنة ٢٦٢ هـ سماها الجمهرة ، تشتمل على حوادث عدة أكثرها وقع بين ربيعة وغيرهم ، كما ان قصة عنتر بين عبس وسواهم . لكن المطالع يتبين من مواقف كثيرة أن هذه الاخبار متوسطة بين التاريخ والقصة . بطلها الاشهر اسمه البراق ، وهو شاعر قديم من ربيعة من أقرباء المهلهل وكليب . وله تاريخ مختصر فيه حماسة مثل تاريخ عنترة ، وله خبر مع ابنة عمه ليلى بنت لكيز وأشعار حماسية وفخرية . وقد توسع خبره هذا بتوالى الايام ، كما توسعت قصة عنتر ، لكنه ما زال أصغر حجما وأقرب الى الحقيقة منها . وقصته هذه لا تعرف باسمه ، وانما هى مجموع أخبار عن وقائع حربية ضمنها ابن شبة كتاب الجمهرة فى خمس قصص متسلسلة :

القصة الاولى مبنية على قتل الحارث بن عباد من ضبيعة (بطن من ربيعة) للفضيل بن عمران من سدوس (بطن من طى) بسبب قنص اختصما فيه فنشبت حرب بين القبيلتين ثم بين ربيعة وطى وقضاعة . ودخل فيها البراق وهو من رؤساء ربيعة وابن أخت زعيم الطائيين شبيب بن لهيب . فاجتمعت قبائل ربيعة تحت راية البراق وكليب ، وجرت بين الطائفتين ثمانى وقائع قد تكون فى أصلها تاريخية ، لكن سياقها يدل على توسع فيها على سبيل الرواية . واستغرقت هذه القصة ٣٦ صفحة ، واسناد الحديث فيها الى ذؤيب بن نافع

يليها قصة قطيعة مصر وربيعة ، ثم خروج لكيز . وهما صغيرتان . ثم قصة سبى ليلى بنت لكيز من وائل الى بلاد العجم وما جرى بسبب ذلك من الحروب بين العرب والعجم والروم . وبطل الرواية البراق المذكور . واستعانوا بمضر وزعيمها نوفل بن عمرو . وأخبار البراق فى هذا القسم أقرب الى الرواية لانها تشبه ما يروى عن عنتر ، ويتخلل ذلك أشعار حماسية

ويليها حروب بين وائل واليمنيين ، سببها أن أسيرا كان عند كليب فقتله كليب ، ودخل فى هذه القصة كليب ومهلهل

وأخيرا حرب البسوس ، وهى قصة قائمة بنفسها استغرقت مائة صفحة كبيرة ، يتخللها حوادث عنترية وحماسات ومبارزات ومناشدات وغير ذلك حتى يخيل للقارىء انه يطالع قصة عنتر . لكنها أصح لغة وأقرب الى أسلوب صدر الاسلام وأقل مبالغة . ولعلها لو تداولتها الايدى وتناقلها القصاص شفاها الى العصر الذى دونت فيه قصة عنتر لصارت مثلها . ولكنها دونت قبلها بقرن وبعض القرن . والجمهرة موجودة خطا فى المكتبة الخديوية

قصة بكر وتغلب

ومن هذا القبيل كتاب بكر وتغلب ابنى وائل وفيه خبر كليب وجساس . والقصة فيه أقرب الى التاريخ منها الى الرواية ، تشتمل على وقائع لها ذكر فى التاريخ . وقد زاد فيها المؤلف قصائد وتفاصيل نظنها خيالية ، أراد بها بيان حماسة العرب وقوة ربيعة على الخصوص . وهى منسوبة فى روايتها الى محمد بن اسحق ، أو لعل الكاتب أخذ شيئا من رواية ابن

اسحق وأتمها من عند نفسه . والكتاب مطبوع فى بمبـــاى سنة ١٣٠٥ ، يدخل فى ١٢٠ صفحة كبيرة

قصة شيبان مع كسرى انور شروان

هى قصة تاريخية تدخل فى سبعين صفحة مطبوعة فى بمباى مع تلك ، لكنها أقرب منها الى الرواية الخيالية ، مبنية على حادثة تاريخية فى أصلها وتوسع المؤلف فيها .. فجعل سبب الحروب بين شيبان وكسرى أنو شروان ان كسرى طلب من النعمان ابنته الحرقة بنت المتجردة ، فقامت الحرب بسبب ذلك . ويتخلل تلك الحوادث قصائد تنم عن حداثة نظمها ، فضلا عن قصائد حقيقية نظمها أبطال تلك الرواية . ومجمل الحديث فيها مروى عن بشر بن مروان الاسدى عن ابن نافع التميمى

والتوسع فى الوقائع التاريخية حتى تصير بشـكل الرواية ليس من مبتدعات العرب ، بل هو عام فى الامم القديمة قبل التدوين لان القصص تنمو بالتناقل بسليقة فى فطرة الانسان تدفعه الى المبالغة فيما يقصه لفتا لاعجاب السامع . وفى بعض الناس ميل الى تزويق العبارة والتوسع فيها . وبتوالى الاجيال تنمو الحادثة وتصير قصة ، وأكثر روايات الامم القديمة من هذا القبيل . وأكثرها شيوعا بيننا الياذة هوميروس .. فان لها أصلا تاريخيا هو حصار طروادة ، اتسع بتوالى الاجيال حتى انتهى الى هوميروس فدونه أو أتمه ، فنسبت روايته اليه كما تنسب رواية قصة بنى شيبان وكسرى الى ابن نافع . ولم يبلغ العرب ما بلغ اليه اليونان من المبالغة ، فان هؤلاء أنزلوا الآلهة الى ساحة الحرب

الروايات الغرامية

ومما وضعه العرب من عند أنفسهم أيضا قصص العشاق العذريين ونحوهم وفيها تمثيل العفة أو التفانى فى سبيل الحب .. بنـوها على ما جاء فى أخبار عشاق صدر الاسلام ككثير لبنى وجميل بثينة . فالفوا قصصا غرامية نضجت قبل انقضاء العصر الثالث الذى نحن بصدده ، منها كتاب عمر بن أبى ربيعة الشاعر المشهور بالنسيب ، وكتاب مليكة ونعم وابن الوزير ، وأحمد وداحة ، وقصة أبى العتاهية وعتب ، وأحمد بن قتيبة وبانوحة . ووضعوا قصصا غرامية على غير المشهورين من عشاق العرب ، كقصة على ابن أديم ومنهلة ، وقصة عمرو بن صالح وقصاف . وقصصا فى العاشقات المتطرفات من النساء ، كقصة ريحانة وقرنفل ، ورقية وخديجة ، وسكينة والرباب ، وهند وابنة النعمان ، وسلمى وسعادة ، وغيرها . وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات منها ومن قصص بين الانس والجن وغير ذلك . وأكثرها ضاع وما بقى منه أدخلوه فى قصة ألف ليلة وليلة

القصص المنقولة

أما ما نقله العرب من القصص عن اللغات الاخرى ، فهو يمثل فى الغالب آداب الامة التى نقلت القصة عنها . واكثرها نقل عن الفرس والهند ، فهى لذلك تمثل آداب تينك الامتين . وقد ذكرنا أسماء بعضها ، وذكر الفهرست عشرات منها وقصصا واسمارا يونانية ضاعت كلها ولم يصلنا منها الا ما فى رواية ألف ليلة وليلة من تلك الاقاصيص

الف ليلة وليلة

هى مجموعة قصص متسلسلة تدخل فى بضعة آلاف صفحة . هى مشهورة ومتداولة ولها طبعات عدة . واختلف الباحثون فى أصلها وتاريخها (*) وعندنا انها مؤلفة من قصص تجمعت بتوالى الاجيال مما ترجموه أو وضعوه . ولها أصل نقل عن الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة ، نعنى كتاب « هزار أفسانة »

روى ذلك المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، قال : « وقد ذكر كثير من الناس ان هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك برواياتها ، وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب أفسان وتفسير ذلك فى الفارسية «خرافة» . ويقال له أفسانة ، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة ، وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها شهر زاد ودينار زاد »

وجاء بعده ابن النديم البغدادى صاحب الفهرست الآتى ذكره ، فقال فى أصل وضع كتاب هزار أفسانة هذا فى الفارسية : « ان ملكا من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد ، فتزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية ، يقال لها شهر زاد ... فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها فى الليلة الثانية عن تمام الحديث ، الى أن أتى عليها الف ليلة وهو مع ذلك يطؤها الى أن رزقت منه ولدا أظهرته ، وأوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها . وكان للملك قهرمانة يقال لها دينار زاد فكانت موافقة لها على ذلك . وقد قيل ان هذا الكتاب تأليف لحمانى (الصحيح أهما) ابنة بهمن» وهذا الوصف ينطبق على ألف ليلة وليلة تمام الانطباق

وذكر ابن النديم فى مكان آخر انه شاهد هذا الكتاب وانه غث بارد . ولا ندرى الآن أى جزء من ألف ليلة وليلة هو

فالعرب نقلوا هذا الكتاب من الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة ، ثم

(*) انظر فى الف ليلة وليلة مقال أويسترب فى دائرة المعارف الاسلامية ومقال ماكدونالد فى ملحق الدائرة والف ليلة وليلة لسهير القلماوى وقصصنا الشعبى لفؤاد حسنين على ص١٥٢ وما بعدها

أضافوا اليه ووسعوه وغيروا وبدلوا فيه حتى صار كما وصل الينا .. ومن يطلع عليه يجد فيه قصصا يدل أسلوبها والفاظها وبعض ماحوته من العادات أنها كتبت بعد ذلك بقرون عدة ، كشرب القهوة وذكر بعض الحكام المتأخرين من المماليك أو رجالهم كأبي طبق ونحوه . ولا يعلل ذلك الا بما تقدم من توسيع القصة الاصلية المنقولة عن الفارسية ، باضافة قصص وأسمار كانت شائعة بين الناس مما وضعوه هم أو نقلوه عن سواهم

والارجح ان تأليفها على الصورة التى وصلت الينا بها تم بعد القرن العاشر للهجرة ، وأكثر تلك الزيادات حدثت فى مصر . ولعلنا لو أتيح لنا الوقوف على الترجمة الاصلية لهزار أفسانة ، لوجدنا الفرق بينها وبين قصة ألف ليلة وليلة كالفرق بين أوديسة هوميروس والياذة فرجيل .. فان هـــذه أكثرها منقول عن الاوديســـة ، ومع ذلك فهى تنسب الى فرجيل . ولهذا السبب يصح أن يقال عن ألف ليلة وليلة انها من مؤلفات العرب وان كان بعضها لا يزال على أصله الفارسى

وهى كما وصلت الينا تمثل الآداب الاجتماعية فى القرون الاســـلامية الوسطى ، ويدخل فى ذلك الانهماك فى الملذات والتهتك . وقد وصفت المرأة فيها وصفا يدل على ضعفها وسوء ظن الرجل فيها وفى آدابها . وفى الكتاب كثير من قصص العفاريت وعجائب الخلق وغرائب الحوادث مما يصوره الوهم والخيال وسواء كان ذلك مما نقل عن الفرس أو مما وضعه العرب ، فانه من طبيعة تلك العصور . وقد تولد بالنمو التدريجى قبل تدوينه لميل الانسان من فطرته الى المبالغة كما تقدم . على نحو ما ترى فى أخبار السندباد البحرى وغرائب ما شاهده فى أسفاره من الاسماك الكبيرة الحجم التى يبلغ طولها مئات من الاذرع ومنها ما هو بصفة البقر أو الحمير، والوادى الذى حجارته من الماس ويعج بالافاعى عجيجا ، وجبل القرود والثعابين التى تأكل الآدميين ، وطير الرخ الذى يشبع من فرخه الصغير عشرات من الناس واذا كبر سطا على السفن وكسرها بصخور يلقيها عليها ، ونحو ذلك مما يخالف المألوف عندنا الآن فانه لم يوضع دفعة واحدة .. وانما نما بالتناقل وأصله مبالغة قليلة رواها أهل الرحلة كما فعل بزرك بن شهريار فى أخبارالهند مما سبق أن فصلناه ، فمبالغاته وسط بين الحقيقة والخرافة ، او تنوقلت شفاها لصارت كالخرافات تماما وقس عليه سائر المبالغات

خرافات الافرنج

على ان ذلك ليس خاصا بالشرقيين كما يتهمنا بعض العلماء من الافرنج ، بل هو يتناول سائر الامم فى تلك العصور من الميل الى المبالغة فى رواية الغرائب ، ولاسيما فيما تلذ المبالغة فيه من أخبار الابطال والفاتحين . والافرنج أكثر مبالغة فى ذلك من العرب ، فان هؤلاء نسبوا الى عنترة مقابلة المائة والمائتين أو أكثر من الرجال وحده وذلك مع بعد احتماله لا يخالف نواميس الطبيعة . وأما الافرنج فى قرونهم الوسطى ، فانهم نسبوا

الى الاسكندر المقدونى خرافات تخالف النواميس الطبيعية . فقد قالوا انه لقى فى أثناء فتوحه أقواما نصف أجسادهم السفلى آدمى والنصف العلوى وحشى ، وأقواما وحشيين لكل منهم ست أيد . وانه حارب جنودا من السلاحف وأخرى من التنين . وانه بارز مرة حيوانا هائلا بثلاثة قرون ، وبارز مرة أخرى أسودا وغيرها . وقد صوروا ذلك فى كتبهم ونشروه بين عامتهم

عود الى الف ليلة وليلة

ويتخلل حكايات ألف ليلة وليلة قصص قصيرة أبطالها من مشاهير العرب بالجود أو الحلم أو الوفاء أو غير ذلك ، كقصة حاتم الطائى بعد موته أو قصص معن بن زائدة ويحيى البرمكي وابنه جعفر والفضل وابراهيم بن المهدى واسحق الموصلى وعكرمة وخذيمة والرشيد والمأمون وغيرهم .

وفيها قصص مغزاها حسن تمثل الصبر والتعقل والحكمة والتبصر فى العواقب . ومعظمها كانت قصصا مستقلة وأدخلت عليها بتوالى الازمان . وبعضها يقرب من الواقع ويطابق سياق التاريخ . وفيها من الجهة الاخرى خرافات على ألسنة البهائم ، كقصة الدجاجة والبطة والاسد ونحوها

والخلاصة انها مجموعة قصص مختلفة الموضوعات والاساليب والاغراض ، عبارتها على الاجمال سهلة تختلف قوة وصحة باختلاف القصص وعصورها .. على أنها لم تبق كما وضعت لان النساخ والناشرين نقحوها وهذبوا عبارتها . وقد طبعت مرارا ونقلت الى أكثر لغات أوربا نقلا يختلف قربا من الاصل وبعدا عنه بين اختصار وتهذيب ، وبعضهم بالغ فى الاختصار والتبديل حتى صارت الترجمة ليس بها من قصة ألف ليلة وليلة الا اسمها . وفى بعض المواضع من هذه القصة عبارات يخجل الاديب من تلاوتها ، حذفت من بعض طبعاتها فى بيروت ومصر

قصص اخرى من امثالها

لما شاعت الترجمات الفارسية المتقدم ذكرها فى العالم العربى ، أخذ الادباء فى القرنين الثالث والرابع ينسجون على منوالها أو يجمعون مما بين أيديهم ما يشبهها . وقد ذكر ابن النديم كتابا شاهده بنفسه تأليف الجهشيارى ، قال فى وصفه : « وابتدأ أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ، كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره . وأحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون ، واختار من الكتب المصنفة فى الاسمار والخرافات ... وكان فاضلا فاجتمع له من ذلك أربعمائة وثمانون ليلة ، كل ليلة سمر تام يحتوى على خمسين ورقة . ورأيت من ذلك عدة أجزاء بخط أبى الطيب أخى الشافعى . وكان قبل ذلك من يعمل : ابن المقفع وسهل بن هرون وعلى بن داود كاتب زبيدة وغيرهم » .

ولم يصلنا من هذه الكتب وأمثالها غير ألف ليلة وليلة

وهناك طائفة من القصص الخرافية والنكت المجونية ، ظهرت قبل انقضاء العصر الذى نحن بصدده ككتاب حوشب الاسدى ، وكتاب جحا ، ونوادر أبي ضمضم ، ونوادر ابن الموصلى ، لم يبق منها الا القليل . أما سائر القصص الكبرى المتداولة بين أيدينا الآن كقصة الزير والزيبق وبنى هلال وغيرها ، فسيأتى ذكرها فى مكانه

الدرام عند العرب

ونريد بالدرام الروايات التمثيلية ، وهو عظيم الاهمية عند الافرنج ، لانه يمثل الاخلاق والآداب والعادات على المسارح ليشاهدها الناس ويعتبروا بها .. لكن العرب لم يعانوا التمثيل على المسارح ولا الفوا فيه . وقد عد بعض المستشرقين المقامات ، كمقامات الهمدانى أو الحريرى ، من قبيل الدرام . ولا نرى مسوغا لهذا القول ، والمقامات انما يراد بها الفائدة اللغوية لما يتوخونه فيها من البلاغة والالفاظ الغريبة وايراد الامثال والحكم . وليس المراد مغزاها كما يريد الافرنج من التمثيل . ونجل كتابنا عن أن يكون غرضهم من تأليفها العبرة أو الموعظة . وهى فى الغالب مبنية على المجون وانتحال أسباب الكسب بالحيل ونحوها

ولعل السبب فى تقاعد العرب عن فن التمثيل ، انه يحتاج الى ظهور المرأة على المسارح ، وهم يتجافون عنه بسبب الحجاب . أو هو تابع لتباعدهم عن وضع القصص الشعرية أو الشعر القصصى الذى يحتاج الى توسيع الموضوع وتشعيبه وتفريعه . على أن أبا العلاء المعرى نابغة الشعراء فى العصر الثالث ، وضع شيئا كالدرام .. نعنى رسالة الغفران .. فانها تشبه أن تكون من نوع الكوميديا وان لم يقصد تمثيلها

ويظهر ان الشيعة فى بلاد فارس لم يبالوا بهذه الموانع فى تمثيل مقتل الحسين فى كربلاء ، فانهم يمثلون تلك الواقعة على المسارح فى عاشوراء ، وتبتدىء هذه الرواية بيوم خروج الحسين من مكة وتنتهى بقتله . أو هو الفصل الاخير منها ويسمونه « روز قتل » أى يوم القتل . فهذا الفصل يمثلونه يوم عاشوراء بحضور الشاه ورجال دولته فى ساحة كبيرة ، فيشخصون الحسين وشمر والعباس وجعفرا وزينب وسكينة وكلثوم وأم ليلى وعمر بن سعد وغيرهم وكيفية الواقعة من أول النهار الى آخره ، ومقتل الحسين وأصحابه .. يفعلون ذلك فى ساحة ينصبون فيها الخيام ، عليها شارات الحداد . فيقوم شيخ يقرأ على الناس حكاية مقتل الحسين بنغم محزن ، ولا يكاد يبدأ بالقراءة حتى تهيج عواطف السامعين فيبكون ويندبون وينوحون ، فيطوف عليهم شيخ بقطعة من قطن يلتقط بها دموعهم ثم يعصرها فى قارورة تحفظ بها للاستشفاء . وقد وصف ذلك الاحتفال الرحالة موريه فى رحلته الثانية الى فارس سنة ١٨١١ م ، ونقلنا ذلك فى الهلال صفحة ٤٦٦ سنة ١٨

النحو والنحاة

فى العصر العباسى الثالث

كان النحاة كثيرين فى هذا العصر ، ولكنهم لم يبتكروا كثيرا فى النحو .. وقل الذين ألفوا فيه من عند أنفسهم . وأكثر ما دونوه شروح على سيبويه أو اعراب أو نحو ذلك ، وأكثرها ضاع . وهاك أشهر من خلف مؤلفات فى النحو من أهل هذا العصر وبقى منها ما يستحق الذكر ، نرتبهم حسب الوفاة ونذكر مؤلفاتهم فى الموضوعات الاخرى :

١ ـ ابن خالويه

توفى سنة ٣٧٠ هـ

هو أبو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه أصله من همذان ، ودخل بغداد وأدرك جلة العلماء فيها ، ورحل الى الشام ثم أقام فى حلب ، وتقرب من آل حمدان وقدمه سيف الدولة . وله معه محاضرات حسنة . ومن آثاره الباقية :

١ ـ رسالة فى اعراب ثلاثين سورة : منها نسخة خطية فى المتحف البريطانى وفى اياصوفيا (*)

٢ ـ كتاب الشجر : طبع فى برلين سنة ١٩٠٩

٣ ـ كتاب ليس : فى الشواذ العربية طبع فى أوربا عن نسخة خطية وجدت فى المتحف البريطانى بعناية ديرنبرج . وطبع فى مصر سنة ١٣٢٧ هـ

وترجمته فى ابن خلكان ١٥٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٨٣ ، ويتيمة الدهر ٧٦ ج ١ ، والفهرست ٨٤ (**)

٢ ـ أبو بكر الزبيدى

توفى سنة ٣٧٩ هـ

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدى الاشبيلى نزيل قرطبة ، من تلاميذ أبى على القالى اللغوى . وكان أوحد عصره فى

(*) نشرت هذا الكتاب دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٠ هـ

(**) وراجع فى ابن خالويه أنباه الرواة ج ١ ص ٣٢٤ ومعجم الادباء ج ٩ ص ٢٠٠ وبغية الوعاة ص ٢٣١ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٣٩ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٩٤ وشذرات الذهب ج٣ص ٧١ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ص٣١٧ وطبقات الشافعية ج ٢ ص ٢١٢ ، وروضات الجنات ص ٢٣٧ والفلاكة والمفلوكين ص ١٠١ والمزهر ج ٢ ص ٤٢١ ، ٤٦٦

النحو وحفظ اللغة ، وأكثر أهل زمانه خبرة بالاعراب والمعانى والنوادر والسير . ولم يكن بالاندلس فى فنه مثله ، وقد اختاره الحكم المستنصر بالله صاحب قرطبة ليعلم أبناءه ، فعلم هشاما المؤيد ولى عهده الحساب والعربية . وكانت له منزلة رفيعة عنده ، ونال منه دنيا عريضة حتى تولى قضاء اشبيلية وخطة الشرطة . وجمع ثروة توارثها بنوه بعده . وكان شاعرا ، وقد ألف كتبا كثيرة منها طبقات اللغويين والنحاة فى المشرق والاندلس من زمن أبى الاسود الى قرب زمنه . وظل هذا الكتاب موجودا الى آخر القرن التاسع للهجرة ، وأخذ السيوطى عنه فى المزهر ولا نعلم خبره (*) . وله كتب أخرى فى لحن العامة ، وآخر فى الابنية . ومختصر كتاب العين ذكره السيوطى . ولم يبلغنا من مؤلفاته الا :

١ ـ كتاب الواضح فى النحو والعربيـــة : وهو جزيل الفائدة ، منه نسخة خطية فى الاسكوريال

٢ ـ كتاب الاستدراك على سيبويه : اســتدرك فيه أشياء فاتت سيبويه ، طبع فى روما سنة ١٨٩٠ بعناية جويدى المستشرق الايطالى

وترجمته فى ابن خلــكان ٥١٤ ج ١ ، ويتيمة الدهر ٤٠٩ ج ١ (**)

٣ ـ ابن جنى

توفى سنة ٣٩٢ هـ

هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى ، قرأ على أبى على الفارسى . وكان أبوه مملوكا روميا ، ولعل اسمه « جنى » معرب عن لفظ يونانى مثل «جنايس» . توفى ابن جنى ببغداد ، وهو أعظم علماء النحو فى هذا العصر وأكثرهم آثارا . وكان شاعرا مطبوعا ، وله قصائد حسنة ، لكن النحو غلب عليه . وله فيه مؤلفات مهمة فيها فلسفة ونقد ، هاك أشهر ما بقى منها :

١ ـ الخصائص فى اللغة : كتاب كبير عظيم الفائدة ، يبحث فى أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه . وهو بحث فلسفى فى اللغة وأصولها واشتقاقها وأحكامها ومصادرها وما يجوز القياس فيه . والـكتاب عدة أجزاء ضخمة منها الجزآن الاول والثانى فى دار الـكتب المصرية تزيد صفحاتهما على ٧٠٠ صفحة ، والجزآن الثالث والرابع فى مكتبة غوطا . وأجزاء أخرى فى مكتبتى راغب ونور عثمانية فى الآستانة (***)

(*) نشر هذا الكتاب فى القاهرة بتحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم

(**) وانظر فى الزبيدى تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضى ج ١ ص ٣٨٣ وبغية الملتمس ص ٥٦ والاسباب للسمعانى ٢٧١ أ ومطمح الانفس لابن خاقان ص ٥٣ والمغرب لابن ســعيد « نشر دار المعارف » ج ١ ص ٢٥٠ ونفح الطيب « طبعة ليدن » ج ٢ ص ٣٢٠ والوافى بالوفيات « طبعة استانبول » ج ٢ ص ٣٥١ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ١١٩ وروضات الجنـــات ص ٦١٦ وانباه الرواة ج ٣ ص ١٠٨ وبغية الوعاة ص ٣٤ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٣٧

(*) تقوم دار الكتب المصرية بنشر هذا الكتاب وقد صدر منه جزآن بتحقيق الشيخ محمـــد

(***) تقوم دار الـــكتب المصرية بنشر هذا الكتاب وقد صدر منه جزآن بتحقيـــق الشيخ محمد النجار

٢ ـ سر الصناعة في النحو : هو كتاب ضخم في نحو ٦٠٠ صفحة ، يشتمل على أحكام حروف المعجم وأحوال كل حرف منها من حيث موقعه . وفيه أبحاث في الصوت ومخارج الحروف ولفظها والحركات وما هي ، وأجناس الحروف وفروعها ، وما يناسب تقاربه منها في اللفظ ونحو ذلك من الابحاث الدقيقة . فبدأ بالهمزة فالباء وما بعدها الى آخر الحـــروف الابجدية . ونظر في كل حرف وأين يكثر أو يقل من حيث موقعـــه من الالفاظ ، وأحكام ما يصيبه من القلب والابدال وغير ذلك من الموضوعات التي تهم طالب تحليل الالفاظ وفلسفة اللغة . منه نسخ خطية في برلين وليدن وباريس ومكتبتي راغب وكوبرلي وفي دار الكتب المصرية ومكتبة الظاهر في دمشق (*)

٣ ـ شرح تصريف المازني : في مكتبتي راغب باشا وكوبرلي بالآستانة

٤ ـ كتاب العروض : هو مختصر لطيف في برلين وفينا وليدن

٥ ـ مختصر القوافي : في الاسكوريال

٦ ـ اللمع في النحو : في برلين واياصوفيا وعليها شروح عدة

٧ ـ المحتسب في اعراب الشواذ : في مكتبة راغب

٨ ـ شرح المتنبي : في دار الـكتب المصرية

٩ ـ المبهج : هو شرح اسماء شعراء الحماسة شرحا لغويا لا تاريخيا. منه نسخة في دار الكتب المصرية في ٧٢ صفحة (**)

١٠ ـ مختصر التعريف الملوكي ، أو جمل أصول التصريف : مطبوع في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٨٥

١١ ـ علل التثنية : منه نسخة خطية في ليدن

١٢ ـ التنبيه في شرح الحماسة : هو كتاب ضخم في نيف و ٤٠٠ صفحة ، فيها شرح لغوي نحوي موجود في ليدن وفي دار الكتب المصرية

وترجمة ابن جني في ابن خلكان ٣١٣ ج ١ ، ويتيمة الدهر ٧٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ٤٠٦ (***)

نحاة آخرون

واشتهر في هذا العصر نحاة يرجع اليهم في التحقيق وان لم يخلفوا كتبا ، فان

(*) ينشر هذا الكتاب الآن في القاهرة وقد صدر منه الجزء الاول

(**) طبع هذا الكتاب في دمشق بمطبعة الترقي

(***) وراجع في ابن جني تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣١١ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٠ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٤٤٥ وروضات الجنات ص ٤٦٦ والشعور بالعور ص ١٣١ وطبقـــات ابن قاضي شهبة ج ٢ ص ١٢٣ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٤٤٥ ومعجم الادباء ج ١٢ ص ٨١ ودمية القصر ص ٢٩٧ وانباة الرواة ج ٢ ص ٣٣٥ والبغية للسيوطي ص ٣٢٢ وتاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ١٣٦ وتاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٣٣١ والنجوم الزاهـــرة ج ٤ ص ٢٠٥ والمنتظم في « وفيات سنة ٣٩٢ » ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٢٥ ج ١

فى الناس من يحسن التعليم دون التأليف . ومن مشاهير النحاة الذين لم يصلنا من مؤلفاتهم ما يستحق الذكر :

٤ ــ ابن دستوريه المتوفى سنة ٣٤٧ من تلاميذ المبرد ، وهو فارسى الاصل ، ألف عدة كتب لم يبق منها الا « الالفاظ للكتاب » منه نسخة خطية فى مكتبة اكسفورد . وترجمته فى ابن خلكان ٢٥١ ج ١

٥ ــ أبو سعيد السيرافى ، ويعرف بالقاضى ، توفى سنة ٣٦٨ . وكان واسع العلم عريض الجاه ، تولى قضاء بغداد وشرح كتاب سيبويه وألف كتاب الفات الوصل والقطع وكتاب أخبار النحويين البصريين (*) وغيرها لم يصلنا منها شيء . وكان الرجل ثقة يدرس عليه الطلاب عدة فنون فى القرآن واللغة والرياضيات والشعر وغيرها . وترجمته فى معجم الادباء ٨٤ ج ٣ ، وابن خلكان ١٣٠ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٧٩

٦ ــ أبو على الفارسى المتوفى سنة ٣٧٧ ، وكانت له منزلة عند سيف الدولة وعضد الدولة. ومن مؤلفاته كتاب الايضاح والتكملة شرحه كثيرون ، ومنه شروح خطية فى دار الكتب المصرية أحدها للعكبرى . وترجمته فى ابن خلكان ١٣١ ج ١ ، ومعجم الادباء ٩ ج ٣ ، وطبقات الادباء ٣٨٧

٧ ــ أبو الحسن الرمانى المتوفى سنة ٣٨٤ له عدة مؤلفات وشروح

٨ ــ ابن بقية المتوفى سنة ٤٠٦

٩ ــ الربعى المتوفى سنة ٤٢٠

١٠ ــ الافليلى المتوفى سنة ٤٤١

١١ ــ الثمانينى المتوفى سنة ٤٤٢

وغيرهم مما يطول شرحه وقد ترجم لهم ابن خلكان

(*) نشر كرنكو هذا الكتاب فى الجزائر سنة ١٩٣٦

اللغة واللغويون

فى العصر العباسي الثالث

يمتاز هذا العصر عما تقدمه بأن علوم اللغة نضجت فيه وتم نشوء المعاجم اللغوية ، فنبغ من علماء اللغة طائفة حسنة أهمهم الذين اشتغلوا فى ضبط الالفاظ وتدوينها وتعريف معانيها وترتيبها على حروف المعجم أو على المعانى . وهم أصحاب المعاجم ، وسنفرد لهم فصلا خاصا بعد الكلام عن علماء اللغة على العموم وهم :

١ ــ المطرز الباوردى

توفى سنة ٣٤٥ هـ

هو أبوعمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم المعروف بالمطرز الباوردى الزاهد غلام ثعلب . وكان من أكابر أئمة اللغة المكثرين ، أخذ عن ثعلب المتقدم ذكره . وكان واسع الرواية غزير المادة ، لكن أدباء عصره يخطئونه فى أكثر نقله ، ويقولون لو طار طائر لقال أبوعمر: «حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابى كذا» ويقال انه أملى من حفظه أكثر من ٣٠,٠٠٠ ورقة فى اللغة ، توفى ببغداد ودفن فيها . وألف كتبا كثيرة ذكرها صاحب الفهرست لم يصلنا منها الا :

١ ــ كتاب العشرات : هو عبارة عن جمع عشرة ألفاظ فى معنى واحد ، منه نسخة خطية فى مكتبة برلين

٢ ــ كتاب أخبار العرب : فى الاسكوريال ، ولم يذكره الفهرست بهذا الاسم . ترجمته فى ابن خلكان ٥٠٠ ج ١ ، والفهرست ٧٦ ، وطبقات الأدباء ٣٤٥ (*)

٢ ــ أبو على القالى

توفى سنة ٣٥٦ هـ

هو أبو على اسماعيل بن القاسم القالى البغدادى اللغوى ، جده من موالى عبد الملك بن مروان . وكان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو

(*) وانظر الانساب ٤١٣ أ وتاريخ بغداد ج٢ ص ٣٥٦ وتاريخ أبى الفدا ج ٢ ص ١٠١ وتاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٢٣٠ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٨٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧٠ وروضات الجنات ص ٦١٤ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٣٧ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ٢٢٦ وانباه الرواة ج ٣ ص ١٧١ وطبقات الزبيدى ص ١٤٤ والبغية للسيوطى ص ٦٩ والمنتظم وفيات سنة ٣٤٥ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٦

البصريين .. تتلمذ لابن دريد ونفطويه وابن دستوريه وغيرهم . وطاف البلاد فسافر الى بغداد حيث أقام بها ٢٥ سنة . وأقام في الموصل زمنا ، وسافر الى الاندلس فدخل قرطبة على زمن عبد الرحمن الناصر، وتوفى فيها سنة ٣٥٦ ، وله عدة مؤلفات أكثرها في اللغة .. هاك ما وصلنا منها :

١ ـ كتاب الامالى : هو من نوع كتاب الكامل للمبرد ، أملاه في جامع الزهراء بقرطبة . ومنه نسخ خطية في برلين وباريس والاسكوريال . وقد طبع بمصر في مجلدين لهما ذيل

٢ ـ كتاب البارع في اللغة : بناه على حروف المعجم في نحو ٥٠٠ ورقة اى الف صفحة ، فهو من قبيل المعاجم . ولم يبق منه الا نتف في مكتبة باريس

وترجمته في ابن خلكان ٧٤ ج ١ ، ومعجم الادباء ٣٥١ ج ٢ (*)

٣ ـ أبو احمد العسكرى

توفى سنة ٣٨٢ هـ

هو أبو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى اللغوى نسبة الى عسكر مكرم في الاهواز . وهو غير أبى هلال العسكرى المتقدم ذكره بين الادباء . وكان أبو احمد صاحب أخبار ونوادر . وكان الصاحب بن عباد يود الاجتماع به ولا يجد اليه سبيلا ، فاحتال في السفر اليه ولقيه وأطراه . وخلف أبو أحمد عدة مؤلفات وصل الينا منها :

١ ـ كتاب التصحيف والتحريف : جمع فيه المصحف والمحرف من الكلمات التى وردت عن البلغاء مما يعد من أنواع البديع ومن فروع المحاضرات. وشرح الكلمات المشتبهة . وهو مفيد ، طبع في مصر سنة ١٣٢٧ هـ

٢ ـ كتاب الزواجر والمواعظ : في مكتبة كوبرلى بالآستانة

٣ ـ كتاب الحكم والامثال في مكتبة زكى (باشا) بمصر

وترجمة أبى احمد في ابن خلكان ١٣٢ ج ١ ، ومعجم الادباء ١٢٦ ج ٣ (**)

ومن علماء اللغة في هذا العصر أيضا غير أصحاب المعاجم الآتى ذكرهم : جنادة المتوفى سنة ٣٩٩ ، والسمسمانى توفى ببغداد سنة ٤٥١ ، وصاعد اللغوى توفى سنة ٤١٧ ، وابن السيد القيسى توفى سنة ٤٢٧ هـ ، وقد ترجم لهم ابن خلكان

(*) وراجع في القالى الانساب ٤٣٩ ب وطبقات الزبيدى ص ١٣٠ وبغية الملتمس ص ٢١١ وتاريخ علماء الاندلس ج ١ ص ٦٥ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٨ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٢٧٥ وفهرست ابن خير ص ٣٩٥ واللالى ج ١ ص ٤ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٥٩ وبغية الوعاة ص ١٩٨ ونفح الطيب للمقرى « انظر الفهرس » وسلم الوصول ص ١٩٩ وانباه الرواة ج ١ ص ٢٠٤

(**) وانظر في أبى احمد العسكرى الانساب ٣٩٠ ب وتاريخ أبى الفداء ج٢ ص ١٣٣ وروضات الجنات ص ٢١٦ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٠٢ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ١٠٤ واللباب ج ٢ ص ١٢٩ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٤١٥ ومعجم البلدان في مادة عسكر مكرم وانباه الرواة ج ١ ص ٣١٠ وبغية الوعاة ص ٢٢١ وخزانة الادب ج ١ ص ٩٧ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٣

المعاجم اللغوية وأصحابها

ولدت المعاجم اللغوية في العصر العباسي الاول في كتاب العين للخليل المتوفى سنة ١٨٠ ، لكنها لم تنضج ويتم نموها الا في العصر الثالث الذي نحن بصدده ، فيحسن بنا أن نطيل الكلام فيها

المعاجم على العموم

أسبق الامم الى المعاجم اللغوية الصينيون ، فانهم وضعوا معجما فيه ٤٠،٠٠٠ كلمة في القرن الحادى عشر قبل الميلاد. مؤلفه اسمه باوتشي . وأقدم معجم لغوى في اللغة اللاتينية اسمه Lingua Latina ألفه « وارو » المتوفى سنة ٢٨ قبل الميلاد. ونحو ذلك الزمن أو بعيده ، ظهر أقدم معجم للغة هوميروس ألفه أبولونيوس الغراماطيقي الاسكندرى في زمن اوغسطس . ثم ظهر معجم اللغة اليونانية كاملا سنة ١٧٧ للميلاد تأليف يوليوس بولكس ، ثم يأتي العرب وهم أسبق الامم الحديثة الى المعاجم اللغوية. وهاك تاريخها :

مصادر المعاجم العربية

نريد بالمعاجم كتب اللغة التي تترتب فيها الالفاظ على حروف المعجم أو على المعاني المتشابهة أو المتقاربة ، وهي مأخوذة في الاصل عن السماع من أفواه العرب في أدوار مختلفة . وقد علمت مما تقدم انهم بدأوا بأخذ اللغة وآدابها الجاهلية بالبصرة والكوفة من فصحاء ذكرنا بعضهم عند الكلام عن علم الادب

فكان الرواة كحماد والاصمعي وأبي عبيدة وغيرهم ، يروون مايسمعونه أو يأخذونه عمن سمعه ويدونونه أو ينقلونه . ويدخل في ذلك أشعار العرب وأخبارهم وأمثالهم والفاظهم وعلومهم وآدابهم . ودونوا ذلك أولا في كتب مستقلة ، كل موضوع على حدة ، ككتب الابل وأسماء الوحوش وخلق الانسان والخيل والشاء والنبات والشجر والنخيل وغيرها للاصمعي وكتب اللبن والمطر لابي زيد الانصاري ونحوها

ويلحق ذلك ما ألفوه من كتب النوادر في اللغة ، وهي تشتمل على النادر استعماله من الالفاظ ودلالاتها . ككتب النوادر للكسائي وأبي زيد والشيباني والقالي . وكتب الغريب في اللغة كغريب ابي عبيد والشيباني وابن الاعرابي . وشروح الشعر ، فان فيها كثيرا من الالفاظ المشروحة مع بيان أحوالها اللغوية . وسائر الكتب التي تبحث في اللغة واشتقاقها وألفاظها ، وكذلك كتب الاضداد والاشباه والنظائر . ومن هذا القبيل كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، وقد تقدم ذكره ، وكتاب البارع للقالي ، وأبنية الافعال لابن القوطية الآتي ذكره

ومنها كتاب ديوان الادب لاسحق بن ابراهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ خال الجوهري صاحب تاج اللغة الآتي ذكره . جعله على ستة كتب : الاول في السالم ، والثاني في المضاعف ، والثالث في المثال ، والرابع في ذوات

الثلاثة ، والخامس فى ذوات الاربعة ، والسادس فى الهمزة . وجعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين : أسماء وأفعالا : وقدم الاسماء على الافعال ، واستشهد بالاشعار . ومن هذا الكتاب نسخ خطية فى ليدن واكسفورد وفى دار الكتب المصرية فى ٣٠٠ صفحة خط قديم

فهذه الكتب وأمثالها كانت عونا كبيرا فى تأليف المعاجم ، على ان الذين ألفوا المعاجم رجعوا أيضا فى التحقيق الى سماع الالفاظ من العرب العاربة أو ممن سمعها عنهم . وسبق أن ذكرنا أسماء القبائل التى أخذت اللغة عنها واليك تاريخ المعاجم :

تاريخ المعاجم العربية

أول من رتب ألفاظ اللغة على الابجدية الخليل بن احمد فى كتاب العين ، وقد تقدم ذكره فى الكلام عن اللغة فى العصر العباسي الأول ، تليه جمهرة ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ وقد ذكرناها بين كتب اللغة فى العصر العباسى الثانى .. وعليها كان معول طلاب اللغة فى ذلك العصر والذى يليه . وقد انتقدها ابن جنى ونفطويه .. فأقدم المعاجم كتاب العين ، فالجمهرة لابن دريد ، فالبارع للقالى ، وقد تقدم ذكرها

وهاك المعاجم التى ظهرت بعد ذلك مع تراجم أصحابها مرتبة حسب تاريخ الوفاة :

١ ــ التهذيب للأزهرى

المتوفى سنة ٣٧٠ هـ

هو أبو منصور محمد بن احمد الازهر بن طلحة بن نوح بن أزهر الازهرى الهروى اللغوى . كان فقيها وغلبت عليه اللغة فاشتهر بها . قرأ على ثعلب وابن دريد ونفطويه ورحل فطاف أرض العرب فى طلب اللغة . ووفق الى ذلك بوقوعه فى أسر قوم نشأوا فى البادية ، يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ويرجعون الى اعداد المياه فى محاضرهم فى أوقات القيظ ويرعون النعم ويعيشون بألبانها ويتكلمون بطباعهم البدوية ، ولا يكاد يوجد فى منطقتهم لحن أو خطأ فاحش

فبقى فى أسرهم دهرا طويلا ، يشتى فى الدهناء ويربع فى الصمان ويقيظ بالستارين .. فاستفاد من محاوراتهم ومخاطباتهم ألفاظا جمة . فلما ألف كتابه التهذيب ، أدخل ذلك كله فيه . وجرى فى ترتيبه على ترتيب كتاب العين أى حسب مخارج الحروف . وقد صدره بمقدمة أورد فيها أسماء الرواة حسب طبقاتهم مع خلاصة تراجمهم وأسماء الذين أساءوا التأليف فى اللغة . وعقد فصلا فى ألقاب الحروف ومدارجها مع نصوص كثيرة من كتاب العين . وهى مقدمة مفيدة

ومن كتاب التهذيب نسخ خطية فى مكاتب اياصوفيا ونور عثمانية

وكوبرلى فى الآستانة ، ونسخة فى المكتبة الاحمدية بحلب . وفى المكتبة الخديوية جزءان كبيران صفحاتهما نحو ٢٠٠٠ صفحة ينتهى الثانى بمادة ذرا والخط جميل والصفحات كبيرة جدا (*)

وقد الف أيضا كتاب غريب الالفاظ التى استعملها الفقهاء ، منه نسخ فى برلين وكوبرلى

وترجمة الازهرى فى ابن خلكان ٥٠١ ج ١ (**)

٢ ــ المحيط للصاحب بن عباد

المتوفى سنة ٣٨٥ هـ

قد تقدمت ترجمته بين المنشئين . وكتابه المحيط ، مرتب حسب حروف الابجدية كما هى اليوم فى سبعة مجلدات وقد اكثر فيه الالفاظ وقلل الشواهد . ومنه الجزء الثالث فى دار الكتب المصرية

٣ ــ المجمل لابن فارس

المتوفى سنة ٣٩٠ هـ

هو أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازى . كان اماما فى علوم شتى وخصوصا اللغة . وله فضل التقدم فى وضع المقامات ، لانه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه . وعليه اشتغل بديع الزمان الهمدانى كما تقدم . وتفقه عليه الصاحب بن عباد . وكان أستاذ عصره ، وقد خلف مؤلفات ذات شأن ، هاك أشهرها :

١ ــ كتاب المجمل فى اللغة : اقتصر فيه على الالفاظ المهمة المستعملة . اخذ اكثرها عن السماع واخذ عمن تقدمه واختصر الشواهد ورتبه على الابجدية المعروفة اليوم ، وأجمل الكلام فيه ومنه اسمه . منه نسخ خطية فى برلين وغوطا وليدن وباريس والمتحف البريطانى واكسفورد وينى جامع وكوبرلى . وفى كتب الشنقيطى بدار الكتب المصرية نسخة فى مجلدين كبيرين صفحاتهما نحو ١٣٠٠ صفحة حسنة الخط (***)

٢ ــ كتاب الثلاثة : يشتمل على الفاظ ذات ثلاثة معان مثل مثلثات قطرب . منه نسخة فى الاسكوريال

٣ ــ كتاب ذم الخطأ فى الشعر : فى برلين

٤ ــ كتاب نقد الشعر : ذكره السيوطى بالمزهر ، ولم نقف على خبره

(*) طبع تهذيب الازهرى كما هو معروف

(**) وانظر فى الازهرى معجم الادباء ج ١٧ص ١٦٤ وبغية الوعاة للسيوطى ودائرة المعارف الاسلامية

(***) طبع من هذا المعجم الجزء الاول ،ولابن فارس معجم آخر يسمى مقاييس اللغة، وقد طبع فى ست مجلدات بتحقيق عبد السلام هرون

٥ ـ كتاب الصاحبى : فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها . ترجع هذه التسمية الى انه ألفه للصاحب بن عباد وجيه ذلك العصر . وفيه أبحاث فى أصل اللغة العربية وخصائصها ، واختلاف لغاتها بحسب القبائل والمواطن ، وتعريف أقسام الكلام والاسماء العربية وأسبابها ، والحروف الهجائية وتركيبها على الهجاء ، وغير ذلك من الموضوعات اللغوية . وهو كتاب نفيس طبع بمصر سنة ١٩١٠ ، وفى صدره فصل فى ترجمة حياة المؤلف

٦ ـ كتاب الاتباع والمزاوجة : جمع فيه ماورد من كلام العرب مزدوجا ، كقولهم : ساغب لاغب ، ومايق دايق ، والسيف والليف . منه نسخة بين كتب الشنقيطى بالمكتبة الخديوية فى ٤٤ صفحة ، ولم يذكر بين مؤلفاته

٧ ـ كتاب الامتاع لابن فارس . طبع غيسن سنة ١٩٠٦

وترجمة ابن فارس فى ابن خلكان ٣٥ ج ١ ، ومعجم الادباء ٦ ج ٢ (*)

٤ ـ الصحاح للجوهرى

المتوفى سنة ٣٩٨ هـ

هو ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى . أصله من فاراب ببلاد الترك ، ولذلك سموه الفارابى أيضا . وهو غير أبى نصر الفارابى الفيلسوف المتقدم ذكره ، فان اسمه محمد بن طرخان . وغير اسحق بن ابراهيم الفارابى صاحب ديوان الادب المتقدم ذكره أيضا ، فانه خال اسماعيل بن حماد الذى نحن بصدده

وكان اسماعيل هذا واسع العلم فى اللغة ، اخذ عن خاله المذكور وغيره ، وسافر الى البدو والحضر فدخل ديار ربيعة ومضر . وطاف الحجاز فى طلب الادب واتقان اللغة ورجع الى خراسان ، فأقام فى نيسابور للتدريس والتأليف وتعليم الخط لان خطه كان جميلا . ثم وضع كتاب الصحاح وسماه « تاج اللغة وصحاح العربية » فانتقى من الفاظ اللغة ما صح عنده ، فجاء أوعى من مجمل ابن فارس وتهذيب الازهرى وجمهرة ابن دريد . ورتبه على أسلوب لم يسبقه اليه أحد ، فجعل القاعدة فى ترتيب الالفاظ على أواخر الكلم .. فيضع « قلب » مثلا قبل كلمة « بيت » وهكذا . ولهذا الترتيب فائدة عند الشعراء فى طلب القوافى

ويمتاز الصحاح على سواه انه استوعب الالفاظ المستعملة فى ديار مضر وحققها بالسماع من عرب البادية هناك لانه عاشرهم . وفى الكتاب خطأ فى ضبط بعض الالفاظ ذكر سببه ياقوت فى معجم الادباء قال : « ان الجوهرى صنف كتاب الصحاح للأستاذ أبى منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكى

(*) وراجع فى ابن فارس دمية القصر ص ٢٥٧ والديباج المذهب ص ٣٦ وروضات الجنات ص ٦٤ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٢ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٢٣٠ واليتيمة ج ٣ ص ٣٦٥ وانباه الرواة ج ١ ص ٩٢ وبغية الوعاة ص ١٥٣ والفلاكة والمفلوكين ص ١٠٨ وسلم الوصول ص ١١٢ وتاريخ ابن كثير ج ١١ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٢

وسمعه منه الا باب الضاد المعجمة . واعترى الجوهرى وسوسة فانتقل الى الجامع القديم بنيسابور ، فصعد الى سطحه وقال : « أيها الناس انى عملت فى الدنيا شيئا لم اسبق اليه فسأعمل للآخرة امرا لم اسبق اليه » . وضم الى جنبيه مصراعى باب وتأبطهما بحبل ، وصعد مكانا عاليا من الجامع وزعم انه يطير فوقع فمات ، وظلت بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيضة .. فبيضه أبو اسحاق بن صالح الوراق تلميذ الجوهرى بعد موته ، فأخطأ فيه فى عدة مواضع خطأ فاحشا »

وقد طبع الصحاح فى تبريز سنة ١٢٧٠ على الحجر ، وفى مصر سنة ١٢٨٢ . وفى طبعة مصر مقدمات لأبى الوفاء الهوريني فى تاريخ المعاجم وكيفية استخدام الكتاب وما هى الفصول الساقطة منه . وقد لخصه كثيرون وترجم الى الفارسية فى كتاب سمى « الصراح » ترجمه أبو الفضل جمال الدين القرشى سنة ٩٧٦ هـ ، ومن هذه الترجمة نسخ خطية فى برلين والمتحف البريطانى وغيرهما . وطبعت فى كلكتا سنة ١٨١٢

ولخصه محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى من أهل القرن الثامن للهجرة فى كتاب سماه « مختار الصحاح » اقتصر فيه على ما لا بد منه فى الاستعمال ، وضم اليه كثيرا من تهذيب الازهرى وغيره ، وكل ما أهمله الجوهرى من الاوزان ذكره بالنص على حركاته . وهو شائع ومطبوع مرارا بمصر وغيرها ، ومنه نسخ خطية فى مكاتب أوربا . والف كثيرون فى نقد الصحاح للأسباب التى قدمناها كتبا ورسائل لا محل لذكرها ودافع عنه كثيرون . راجع كشف الظنون ٧٤ ج ٢

وللجوهرى هذا فضل فى تتميم علم العروض والزيادة فى أوزانه (١) ، وقد تقدم خبر ذلك . وترجمته فى معجم الادباء ٢٦٦ ج ٢ ، ويتيمة الدهر ٢٨٩ ج ٤ (*)

٥ ـ الجامع للقزاز

المتوفى سنة ٤١٢ هـ

هو أبو عبدالله محمد بن جعفر التميمى النحوى القزاز القيروانى . كان فى خدمة العزيز الفاطمى صاحب مصر . وكان مقدما وجيها وصنف له كتبا من جملتها كتاب « الجامع » فى اللغة ، وكلها ضاعت . وترجمته فى ابن خلكان ٥١٤ ج ١ (**)

---

(١) العمدة ٨٨ ج ١

(*) وراجع فى الجوهرى دمية القصر ص ٣٠٠ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٢٦٢ ونزهة الالباء ص ٤١٨ والمزهر للسيوطى ج ١ ص ٩٧ والبغية ص ١٩٥ وانباه الرواة ج ١ ص ١٩٤ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٢ وسلم الوصول ص ١٩٣ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٠٧

(**) وانظر فى القزاز معجم الادباء ج١٧ص١٠٥ والوافى بالوفيات ج ٢ ص ٣٠٤ وروضات الجنات ص ٦١٨ وانباه الرواة ج ٣ ص ٨٤ وبغية الوعاة ص ٢٩

٦ ـ الموعب للتيانى

المتوفى سنة ٤٣٦ هـ

وهو أبو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوى من اهل قرطبة . ألف الموعب وجمع فيه الصحيح من محتويات كتاب العين والجمهرة ، ولم يختصر الشواهد • لكن الكتاب ضاع • وترجمته فى ابن خلكان ٩٧ ج ١ (*)

٧ ـ المحكم والمخصص لابن سيده

المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

هو آخر أصحاب المعاجم التى ظهرت فى ذلك العصر وأعظمهم ، وهو الحافظ أبو الحسن على بن أسماعيل المعروف بابن سيده المرسى الاندلسى . كان ضريرا وكان أبوه ضريرا وعالما فى اللغة فأخذها عنه وعن غيره . وكان حافظا أقام فى مرسية وتوفى فى دانية من أعمال الاندلس . وقد ألف غير كتاب فى اللغة والادب ، هاك ما وصلنا منها :

١ ـ المحكم فى اللغة : واسمه المحكم والمحيط الاعظم . وهو كبير جامع يشتمل على أنواع اللغة ، رتب ألفاظه على ترتيب كتاب العين . وقد نظم بعضهم ثلاثة أبيات يؤخذ ترتيب حروف المحكم من أوائل ألفاظها ، وهى :

علقت حبيباً هِنْتُ خيفة غدرهِ قليل كَرَى جفنى شكا ضر صَدّهِ
سَبا زهوُه طفلا ديانة تائب ظلامته ذنب ثوى ربع لَحْدِه
نواظره فتاكة بعميدهِ ملاحته أجرتْ ينابيع وجده

ويمتاز المحكم بالضبط والدقة وصدق النظر ، وقد انتقى شواهده من أوثق المصادر الشعرية وغيرها . وعليه كان معول صاحب القاموس فى تأليف كتابه ، كما سيأتى فى مكانه . والمحكم موجود فى المتحف البريطانى . وفى مكتبة دار الكتب المصرية منه أجزاء كثيرة لا يتم منها نسخة كاملة . وأكبر مجموعة من تلك الاجزاء تبلغ ١٨ جزءا ، تزيد صفحاتها على خمسة آلاف صفحة خطها قديم مغربى (**) • وللمحكم خلاصة لمحمد الانسى المتوفى سنة ٦٨٠ ، منها نسخة فى المتحف البريطانى

٢ ـ المخصص : وهو معجم معنوى أى أن مواده مرتبة على معانيها وليس على حروفها ، فهو مثل فقه اللغة للثعالبى .. ولكنه أوسع منه كثيرا . وقد طبع فى مصر سنة ١٣١٦ فى ١٧ مجلدا عن نسخة خطية مخرومة كانت

(*) وراجع فى التيانى بغية الملتمس للضبى ص ٢٣٦ وروضات الجنات ص ١٤٠ ومعجم الادباء ج ٧ ص ١٣٥ والمغرب لابن سعيد « طبع دار المعارف » ج ١ ص ١٦٦ وانباه الرواة ج ١ ص ٢٥٩ والصلة لابن بشكوال ج ١ ص ١٢٤ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١ ص ٢٨٥

(**) تقوم الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية الآن بنشر هذا الكتاب

فى دار الكتب المصرية . ومنه اجزاء خطيـــة متفرقة فى مكتبتى اكسفورد والاسكوريال وهو أوفى كتاب فى بابه ، اجتمعت فيه الالفاظ المتشـابهــة والمتقاربة فى معانيها أو المتفرعة بعضها عن بعض فى باب واحد . وفى ذيله فهرس أبجدى يسهل البحث عن مواده

٣ ــ كتاب شرح مشكل المتنبى : منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية

وترجمة ابن سيده فى ابن خلكان ٣٤٢ ج (*)

(*) وانظر فى ابن سيده بغية الملتمس للضبى ص ٤٠٥ ومطمح الانفس ص ٦٠ والصـــلة لابن بشكوال ص ٤١٠ والديباج المذهب ص ٢٠٤ ومعجم الادباء ج ١٢ ص ٢٣١ ونفـح الطيب « الفهرس » ونكت الهميان ص ٢٠٤ ولسان الميزان ج ٤ ص ٢٠٥ ومرآة الجنان ج ٣ ص ٨٣ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ٢ ص ١٣٨ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٠٥ وبغية الوعاة ص ٣٢٧ وانباه الرواة ج ٢ ص ٢٢٥ وتاريخ أبى الفدا ج ٢ ص ١٨٦ وتاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٩٥ ودائرة المعارف الاسلامية

التاريخ والمؤرخون

فى العصر العباسى الثالث

اتخذ التاريخ فى هذا العصر وجها آخر ، فتكاثرت فيه التواريخ الخاصة للمدن الاسلامية أو الأمم أو الأشخاص . وذلك طبيعى بعد استبحار العمران وظهور الدول المتنافسة فى الشهرة والسيادة وفى ترقية المملكة الاسلامية . وأكثرهم يقربون الكتاب ويغرونهم على تدوين محامدهم . كما فعل عضد الدولة بأبى اسحق الصابى المتقدم ذكره ، وكما فعل محمود الغزنوى بالعتبى الاتى ذكره

وقد دعا الى تدوين تواريخ الدول المستقلة ما حدث فى ذلك العصر من الانقلابات السياسية . وتاريخ الأمة أو الدولة يدون غالبا فى أواخر أيامها أو بعد انقضائها . واما تراجم الافراد ، فيغلب تدوينها فى حياة أصحابها بايعاز منهم . ونظرا لتوالى التقلبات على مصر فى القرنين الثالث والرابع بتنقلها من العباسيين الى الطولونيين فالاخشيديين فالفاطميين ، ظهر فيها عدة كتب فى التواريخ الخاصة ضاع أكثرها وسنذكر ما بقى منها

وفى هذا العصر تولد ضرب من التاريخ سموه « علم الاوائل » ومنه يعرف أوائل الوقائع والحوادث بحسب الموطن . وأول من ألف فيه تأليفا مستقلا ابو هلال العسكرى ، وقد تقدم ذكره

أما التاريخ العام فقد خالط بعضه فى هذا العصر صبغة الرحلة لكثرة ما كان من توالى الرحلات فيه ، كما سيجىء مع وصف الاماكن الجغرافية .. فالمؤرخ يصف ما سمعه ورآه من الغرائب . وأكثرهم افاضة فى ذلك المسعودى ، وكان هو نفسه من أهل الاسفار وكذلك أبو زيد البلخى وقد ألف فى التاريخ والجغرافية ، وذكرناه بين المؤرخين فى العصر الماضى .. غير أصحاب الجغرافية الاتى ذكرهم

ويقال على الاجمال أن النقد التاريخى لم ينضج فى تواريخ هذا العصر لأن أكثرها كتب ، ولا سيما التواريخ الخاصة ، تحت سيطرة الملوك والامراء لارضائهم . وقد يمتنعون عن الانتقاد تفاديا للتعرض للأحزاب الدينية الا ما كان بين السنة والشيعة ، وهم مع ذلك يتحاشونه . ولعل التلاعب بعد ذلك فى النسخ افسد ما دونوه

ونبدأ بذكر التواريخ العامة ثم الخاصة ، ونرتب التراجم فى كليهما حسب سنى الوفاة :

١ ــ المسعودى

توفى سنة ٣٤٦ هـ

هو على بن الحسين بن على ، من ذرية عبدالله بن مسعود ، ولذلك قيل له المسعودى . نشأ فى بغداد وجاء مصر ورحل فى طلب العلم الى أقصى البلاد ، فطاف فى فارس وكرمان سنة ٣٠٩ حتى استقر فى اصطخر . وفى السنة التالية قصد الهند الى ملتان والمنصورة ، ثم عطف الى كنباية فصيمور فسرنديب (سيلان) . ومن هناك ركب البحر الى بلاد الصين وطاف البحر الهندى الى مدغشقر وعاد الى عمان . ورحل رحلة أخرى سنة ٣١٤ الى ما وراء أذربيجان وجرجان ثم الي الشام وفلسطين . وفى سنة ٣٣٢ وفد على أنطاكية والثغور الشامية الى دمشق واستقر أخيرا بمصر ونزل الفسطاط سنة ٣٤٥ ، وتوفى فى السنة التالية . ولم يفتر فى أثناء أسفاره عن الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف موضوعاتها .. فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه اليه أحد . والف كثيرا من الكتب المفيدة فى موضوعات شتى أهمها فى التاريخ ، وهاك أشهر مؤلفاته الباقية :

١ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر : وهو كتاب أشهر من أن يعرف لشيوعه ، وقد طبع مرارا فى جزءين . وصف فى الأول منهما الخليفة وقصص الانبياء مختصرا ، ثم وصف البحار والأرضين وما فيهما من العجائب . ويدخل فى ذلك تواريخ الامم القديمة من الفرس والسريان واليونان والرومان والافرنج والعرب القدماء وأديانهم وعاداتهم ومذاهبهم وأوابدهم وأطوال الشهور والتقاويم القديمة والبيوت المعظمة وغيرها . ثم عطف على تاريخ الرسالة الاسلامية منذ ظهور الرسول حتى مقتل عثمان . وذكر فى المجلد الثانى تاريخ الاسلام من خلافة على الى أيام المطيع لله العباسى (توفى سنة ٣٦٣)

ويظهر مما جاء فى مقدمته انه نقل هذا الكتاب عن عشرات من الكتب التاريخية وغيرها ، كانت موجودة فى أيامه ولم يصلنا منها الا طائفة قليلة : كتاريخ الطبرى ، وفتوح البلدان للبلاذرى . وأما الباقى فقد ضاع وفيه عشرات من كتب التاريخ والسياسة والاجتماع . ويتضمن هذا الكتاب فوائد كثيرة لا تجدها فى سواه . ولذلك فقد عنى المستشرق باربيه دى مينار بنقله الى اللغة الفرنسية ، وطبع فى باريس سنة ١٨٧٢ فى تسعة مجلدات . وقد انتقد هذه الترجمة عبدالله المراش فى مجلة الضياء (سنة ٢) . ونقله الى الانجليزية الاستاذ سبرنجر ، وطبع الجزء الأول من ترجمته فى لندن سنة ١٨٤١

٢ــ كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال والممالك الدائرة . وهو كبير طويل مثل اسمه ، يتألف من ثلاثين مجلدا . وقد أكثر المسعودى من الاشارة اليه فى مروج الذهب .. اذا اختصر الكلام فى باب قال : « وقد فصلنا ذلك فى كتابنا أخبار الزمان » لكن هذا الكتاب مفقود الان . عدا الجزء الاول ، فهو فى مكتبة فينا .

٣ ــ كتاب الاوسط : هو وسط بين الكتابين المتقدمين وقد ضاع أيضا ، ولكن فى مكتبة اكسفورد نسخة يظنون انها هو . ويظن بعض الباحثين انه وقف على شيء منه فى بعض مكاتب دمشق (١)

٤ ــ كتاب التنبيه والاشراف : أودعه لمعا من ذكر الافلاك وهيئاتها ، والنجوم وتأثيراتها ، والعناصر وتركيبها ، وأقسام الازمنة وفصول السنة ومنازلها ، والرياح ومهابها ، والارض وشكلها ، ومساحتها ، والنواحى والآفاق وتأثيرها على السكان ، وحدود الاقاليم السبعة ، والعروض والاطوال ، ومصاب الأنهار . وذكر الامم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها ، ثم ملوك الفرس على طبقاتهم والروم وأخبارهم ، وجوامع تواريخ العالم والأنبياء ومعرفة السنين القمرية والشمسية ، وسيرة النبى وظهور الاسلام وسير الخلفاء وأعمالهم ومناقبهم الى سنة ٣٤٥ ، وفيه أشياء كثيرة لا توجد فى غيره من كتب التاريخ . وقد طبع فى ليدن سنة ١٨٩٤ فى جملة المكتبة الجغرافية فى خمسمائة صفحة

وترجمة المسعودى فى فوات الوفيات ٤٥ ج ٢ ، والفهرست ١٥٤ (*)

٢ ــ حمزة الاصفهانى

توفى نحو سنة ٣٥٠ هـ

هو حمزة بن حسن الاصفهانى ، كان مقيما ببغداد فى أوائل القرن الرابع ، وأصله من أصفهان . كان يتعصب لغير العرب ، وعول فيما كتبه على المصادر الفارسية . واشهر كتبه :

١ ــ كتاب تاريخ سنى ملوك الارض والانبياء : رتبه فى عشرة أبواب ذكر فيها شيئا من انساب حمير وسائر دول العرب من غسان ولخم وكندة ، فضلا عن ملوك الفرس والروم وغيرهم . ويوجه همه فى الاكثر الى تحقيق سنة الولادة والوفاة . طبع فى ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٤٤ ، وفى مقدمة الكتاب أسماء الكتب الفارسية التى استعان بها فى تأليفه ، وطبع أيضا فى كلكته سنة ١٨٦٦

٢ ــ كتاب الأمثال : منه نسخة فى مكتبة منشن

٣ ــ كتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية : منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية فى مائة صفحة ، مكتوب على ظهرها انها تأليف حمزة الاصفهانى

وترجمته فى الفهرست ١٣٩ (**)

---

(١) مجلة النعمة سنة ١ ج ٢

(*) رراجع فى المسعودى معجم الادباء ج ١٣ ص ٩٠ وطبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٠٧ وفوات الوفيات ج ٢ ص ٤٥ وكتبه التاريخ فى سنة وفاته وتاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٨١ ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وانظر فى حمزة الاصفهانى دائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٤٥ ج ١

٣ ـ ابن النديم
توفى نحو سنة ٣٨٥ هـ

هو أبو الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب النديم الوراق البغدادى صاحب الفضل الاكبر على تاريخ آداب اللغة ، لأنه أول من دونها منذ نحو الف سنة فى « الفهرست » . ولولا هذا الكتاب لضاع أخبار كثير من آداب هذا اللسان . فهو أول من ألف فى آداب اللغة ، واليك وصف كتابه :

كتاب الفهرست

بدأ فيه صاحبه بوصف لغات الأمم من العرب والعجم وخطوطها وصور أمثلة منها .. ثم ذكر كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين والقرآن وعلومه . ثم انتقل الى العلوم فذكر النحويين واللغويين وتاريخ النحو وأصحابه فى البصرة والكوفة وأسماء كتبهم فأصحاب الاخبار والآداب والسير وكتبهم فالشعر والشعراء فالكلام والمتكلمين فالفقه والفقهاء والحديث والمحدثين .. فالفلسفة والعلوم القديمة وأصحابها فالأسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة .. فالمذاهب والاعتقادات ، وأخيرا الكيمياء وأصحابها . وفى كل باب تفاصيل فى تاريخ كل مؤلف وأسماء كتبه

وقد عنى بطبع هذا الأثر النفيس المستشرق فلوجل سنة ١٨٧١ فى ليدن فى مجلد صفحاته ٢٦٠ صفحة كبيرة ، غير الفهارس والشروح فى اللغة الالمانية ، وهى نحو ذلك العدد . وبعد طبع الفهرست عثروا على قطعة منه ساقطة من أول المقالة الخامسة (صفحة ١٧٢) تشتمل على تراجم طائفة من علماء الكلام ، وهم واصل بن عطاء والعلاف والنظام وثمامة والجاحظ وابن أبى دؤاد وابن الراوندى والناشىء والجبائى والرمانى وهشام ابن الحكم وشيطان الطاق وغيرهم . وقد نشرت هذه القطعة فى المجلة الالمانية Die Kunde des Morgenlandes سنة ١٨٨٩ .

والفهرست ذخيرة ادب نفيسة لانه حوى من أحوال آداب اللغة العربية فى القرون الاولى ما لم يتعرض له غيره ، ولا غنى عنه فى درس هذا التاريخ (*)

٤ ـ المرعشى
توفى سنة ٤٢١ هـ

هو أبو منصور الحسين بن محمد المرعشى ، كان فى جملة من تقرب من السلطان محمود الغزنوى وقد خلف :

ـ كتاب الغرر فى سير الملوك وأخبارهم : فى أربعة مجلدات ، الاول فى تاريخ الفرس الى يزدجرد بن بهرام والحروب بين أبنائه . والثانى الى سقوط

(*) انظر فى ابن النديم معجم الادباء ج ١٨ ص ١٧

يزدجرد بن شهريار وتاريخ ملوك اليهود والانبياء وملوك اليمن وأمراء الشام والعراق والروم وظهور الاسلام . الثالث والرابع فى تواريخ الخلفاء الأمويين والعباسيين والدول الصغرى التى تفرعت من الدول العباسية كالطاهرية والسامانية والحمدانية والبويهية والغزنوية . وقد ألفه بأمر ابى المظفر نصر أخي السلطان محمود الغزنوى ، ومنه الجزءان الاول والثانى فى مكتبة باريس

٥ ـ مسكويه

توفى سنة ٤٢١ هـ

هو أبو على الخازن بن محمد بن يعقوب الملقب بمسكويه ، كان مجوسيا وأسلم وهو من نوابغ المفكرين العاملين الذين يندر ظهورهم فى الامم . وكانت له معرفة تامة بعلوم الاقدمين ، وقد ألف فيها غير كتاب . وصحب ابن العميد وكان يخدمه فى مكتبته ، لكنه كان يشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق فضلا عن الادب والفقه والتاريخ . وكان له ولع خاص بالكيمياء ، فانفق ماله فى طلب الذهب بالطبخ . ثم ندم على ذلك ، وتنقلت به حاله الى خدمة بنى بويه ، وعظم شأنه حتى ترفع عن خدمة الصاحب بن عباد ولم ير نفسه دونه . وكان شاعرا مدح ابن العميد وعميد الملك ، وله رسائل أنيقة على اسلوب ذلك العصر . وألف كتبا كثيرة فى الفلسفة والتاريخ ذكرها صاحب معجم الادباء (صفحة ٩١ ج ٢) لم يصلنا منها الا ما يأتى :

١ ـ كتاب تجارب الامم : هو تاريخ عام يبدأ بالخليفة وينتهى سنة ٣٦٩ هـ ، ويدخل فى ذلك تاريخ الفرس القدماء وما يتعلق به من أخبار الروم والترك . والكتاب كبير يمتاز عما كتبه معاصروه بأنه لم يجعل همه فيه جمع الحوادث بلا تدبر أو نظر . وقد استغرق هذا المؤلف ستة مجلدات كبيرة . وظلت ضائعة لم يوفق الباحثون الى الوقوف على نسخ كاملة منها حتى عنى الاستاذ كايتانى المستشرق الايطالى بأمرها . فكلف سنة ١٩٠٦ الدكتور هوروفيتس للبحث عنها فى مكاتب الآستانة ، فعثر على نسخة منها فى أيا صوفيا وهي النسخة الوحيدة الكاملة فصورها . وتشتمل على ذلك التاريخ فى ستة أجزاء ، عنيت لجنة تذكار جيب الانجليزية بنشرها مطبوعة على الاصل . أى بأن يصور الخط الاصلى كما هو ويطبع كما تطبع الصور . وقد صدر الجزء الاول على هذه الصورة فى ستمائة صفحة غير الفهارس والمقدمة . وينتهى الكلام فيه الى حوادث سنة ٣٧ هـ ، وستظهر سائر الاجزاء بالتدريج

وقد الف الوزير أبو شجاع من وزراء الدولة العباسية المتوفى سنة ٤٨٨ ذيلا لهذا الكتاب ، منه نسخة فى جملة كتب زكى (باشا)

٢ ـ كتاب آداب العرب والفرس : نظر فيه الفيلسوف الاديب ، وهو فى ستة مجلدات أيضا ، تكلم فيها عن الاخلاق والآداب عند العرب والفرس والهند واليونان ، منه نسخ خطية فى ليدن واكسفورد وباريس

٣ ـ كتاب تهذيب الاخلاق : هو كتاب نفيس بسط فيه آراءه فى النفس وقواها وماهيتها وأفعالها ، وقسم ذلك وبوبه على أسلوب واضح . وبحث

فى الخلق وتقويمه ومراتب الناس فى قبوله ، مستندا فى ذلك على كتب الفلاسفة الأقدمين فى أسلوب تهذيبى فلسفى ترتاح النفس اليه ويقتنع العقل بأكثر مواده ويتخلل ذلك أبحاث فى طبقــات المخلوقات نحو بحث أصحاب النشوء والارتقاء اليوم . وقد أجاد فى تعليل السعادة وأسبابها ، وبحث فى العدالة واقسامها وفى الاتحاد والمحبة وضروبها ومراتبها ، وآداب الصداقة وأمراض النفس وأسبابها وعلاجها الى غير ذلك مما يدل على صدق النظر وسداد الرأى . وقد طبع الكتاب مرارا فى مصر وغيرها

٤ ـ الفوز الاصغر : فى الفلسفة وما يتعلق بها . وفى جملة ذلك رأيه فى المخلوقات ونسبتها بعضها الى بعض باختلاف طبقاتها من الجماد والنبات والحيوان ونحو ما ذهب اليه أهل النشوء . وقد طبع بمصر مرارا ، ومنه نسخ خطية فى مكاتب أوربا

وترجمة مسكويه فى معجم الادباء ٨٨ ج ٢ ، وفى تاريخ الحكماء ٣٣١ ، وطبقات الاطباء ٢٤٥ ج ١ (*)

٦ ـ صاعد الاندلسى

توفى سنة ٤٦٢ هـ

هو أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الاندلسى قاضى طليطلة ، ولد فى المرية سنة ٤٢٠ واشتهر بكتابه « طبقات الامم » . وهو من الكتب النادرة فى العربية التى تتعرض لوصف العلوم عند الامم بعد كتاب الفهرست . وقد كان مرجع مؤرخى القرن الخامس وما بعده فيما نقلوه عن تواريخ الامم بالنظر الى أحوال تمدنها وحال العلم فيها ، وخصوصا ابن أبى أصيبعة صاحب طبقات الأطباء ، وأبو الفرج الملطى صاحب مختصر الدول ، والحاج خليفة صاحب كشف الظنون . وكان المظنون انه لا يوجد من هذا الكتاب الا نسختان فى مكتبة لندن ونتف فى غيرها . وقد عثر الاب شيخو اليسوعى على نسخة عند أحد الوراقين فى دمشق ، فطبعها فى المشرق سنة ١٤ وعلق عليها . ولعله ينشرها على حدة أيضا (*)

وهو غير صاعد بن هبة الله الطبيب النصرانى . وغير صاعد بن الحسن اللغوى البغدادى المتوفى سنة ٤١٧ هـ . وقد يسمى ابن صاعد ، ولكنه غير ابن صاعد المحدث المتوفى سنة ٣١٨ هـ

(*) وانظر فى مسكويه فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٦٩ وتاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٥٨ وراجع ابن مسكويه ، فلسفته الاخلاقية ومصادرها لعبد العزيز عزت « مطبعة الحلبى ١٩٤٦ » ودائرة المعارف فى مادة ابن مسكويه وبروكلمن ٣٤٢ ج ١

١ ــ أبو عمر الكندى

توفى نحو سنة ٣٥٥ هـ

هو أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندى التجيبى ، كان يقيم بمصر حتى أوائل النصف الثانى من القرن الرابع . وهو غير يعقوب الكندى الفيلسوف الذى سبق ذكره . وله من المؤلفات :

١ ــ فضائل مصر : ألفه لكافور الاخشيدى ، يشتمل على ما جاء عن مصر فى القرآن والحديث مع تاريخها القديم وجغرافيتها وتاريخها الحديث الى زمن كافور الاخشيدى باختصار . منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية منقولة فى الاصل عن مكتبة كافور فى ٤٤ صفحة

٢ ــ أخبار القضاة المصريين : هو تاريخ أولئك القضاة الى سنة ٢٤٦ هـ ، منه نسخة فى المتحف البريطانى ، وهى الان تحت الطبع بعناية كونيغ فى نيويورك

٣ ــ كتاب تسمية ولاة مصر : طبعه كونيغ المذكور ، وقد صدر الجزء الاول منه سنة ١٩٠٨ مع ملاحظات (*)

٤ ــ تاريخ مصر : هو عظيم الاهمية ، منه نسخة خطيــة فى المتحف البريطانى

٢ ــ أبو عبدالله الخشنى

توفى نحو سنة ٣٥٨ هـ

نسبة الى خشينة من قضاعة فى قرطبة ، له كتاب أخبار الفقهاء والحفاظ الاندلسيين الى سنة ٣٥٨ ، منه نسخة خطية فى أكسفورد (**)

٣ ــ أبو الحسن الاسكندرانى

كتب نحو سنة ٣٦٥ فى أيام المعز لدين الله الفاطمى كتابا كاليومية سماه « ما كفى من أخبار الايام » منه نسخة فى الاسكوريال

٤ ــ ابن القوطية

توفى سنة ٣٦٧ هـ

هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية الاندلسى الاشبيلى الاصل القرطبى المولد والدار . تثقف فى اشبيلية وقرطبة . وكان

(*) طبع هذا الكتاب وسابقه رافون جيست فى بيروت سنة ١٩٠٨ باسم كتــاب الولاة وكتاب القضاة ، وهما فى مجلد واحد

(**) نشر ريبيرا هذا الكتاب سنة ١٩١٤ وترجمه الى الاسبانية ، وانظر فى الخشنى تاريخ الفكر الاندلسى ص ٢٦٧ وقد حلل هذا الكتاب تحليلا دقيقا

من أعلم أهل زمانه باللغة العربية مع حفظ الحديث والفقه والاخبار والنوادر . وكان أروى الناس للاشعار وادركهم للآثار ، لا يلحق شأوه ولا يشق غباره . وكان مطلعا على أخبار الاندلس ملما برواية سير امرائها وأحوال فقهائها وشعرائها ، يملى ذلك عن ظهر قلبه ، وكانت كتب اللغة أكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه . توفى فى قرطبة سنة ٣٦٧ ، وقد ألف كتبا مفيدة فى اللغة . ويقال انه أول من فتح باب تصاريف الافعال . وجاء بعده ابن القطاع واتبعه . وله كتب أخرى أهمها :

١ — تاريخ الاندلس : يشتمل على فتح الاندلس الى سنة ٢٨٠ هـ ، ومنه نسخة خطية فى مكتبة باريس . وقد ترجمه الى الفرنسية شاربونو ، وطبع بباريس سنة ١٨٥٦ ، وعول عليه طلاب تاريخ الاندلس من الافرنج . وطبعوه مع ترجمة فرنسية فى باريس سنة ١٨٨٩ فى ٢١٩ صفحة

٢ — كتاب الافعال : نشره الاستاذ جويدى فى ليدن سنة ١٨٩٤

وترجمته فى ابن خلكان ٥١٢ ج ١ (*)

٥ — ابن زولاق

توفى سنة ٣٨٧ هـ

هو أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق الليثى . كان من فضلاء المؤرخين المصريين . له من المؤلفات :

١ — كتاب مختصر تاريخ مصر الى سنة ٤٩ للهجرة : منه نسخة فى غوطا

٢ — تاريخ مصر وفضائلها : منه نسخة فى باريس ، ولها مختصر فى غوطا وباريس ..

٣ — أخبار سيبويه المصرى : وهو محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندى الصيرفى المتوفى سنة ٣٥٨ ، منه نسخة فى دار الكتب المصرية فى نحو مائة صفحة (**)

٤ — تتمة كتاب الكندى فى أخبار قضاة مصر : الى سنة ٣٨٦ ، يبتدىء بذكر القاضى بكار وينتهى بمحمد بن النعمان . لم نقف عليه

وترجمته فى ابن خلكان ١٣٤ ج ١ ، ومعجم الادباء ٧ ج ٣

٦ — ابن الفرضى

توفى سنة ٤٠٣ هـ

هو أبو الوليد عبدالله بن محمد الازهرى الفرضى . ولد فى قرطبة سنة ٣٥١ ، ورحل فى طلب العلم الى القيروان ومصر ، وتعين قاضيا لبلنسية ،

(*) وراجع فى ابن القوطية تاريخ علماء الاندلس ج ١ ص ٣٧٠ وبغية الملتمس ص ١٠٢ والديباج المذهب ص ٢٨٢ ولسان الميزان ج ٥ ص ٣٢٤ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ٢٧٢ واليتيمة للثعالبى ج ٢ ص ٦٤ وانباه الرواة ج ٣ ص ١٧٨ وبغية الوعاة ص ٨٤ ومطمح الانفس لابن خاقان ومقدمة دوزى لكتاب ابن عذارى : البيان المغرب ، ودائرة المعارف الاسلامية .

(**) طبع هذا الكتاب فى القاهرة

وانتقل الى قرطبة حتى سطا عليها البربر سنة ٤٠٣ فمات فى تلك السنة . ومن آثاره الباقية « كتاب تاريخ علماء الاندلس » فى عدة مجلدات . نشره كوديرا فى مدريد سنة ١٨٩٢ (*)

٧ ـ عز الملك المسبحى

توفى سنة ٤٢٠ هـ

هو الامير المختار عز الملك محمد بن عبيدالله المعروف بالمسبحى الكاتب الحرانى ، ولد فى مصر ونشأ على زى الأجناد ، وخدم الحاكم بأمر الله الفاطمى وتقلد الاعمال والولايات وترتيب الديوان . وله مع الحاكم بأمر الله مجالس ومحاضرات . وقد ألف كتبا كثيرة فى موضوعات مختلفة ، أكثرها فى التاريخ والادب وعلم النجوم وغير ذلك ، لم يصلنا منها الا القليل . وهاك ما وصلنا خبره منها :

كتاب أخبار مصر : ذكر فيه من نزل مصر من الولاة والامراء والائمة والخلفاء ، وما فيها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الاطعمة . وذكر بيلها وأحوال أهلها الى الوقت الذى كتب فيه ذلك الكتاب . ويتخلل ذلك أشعار الشعراء وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والادباء والمتغزلين وغيرهم . وهو ثلاثة عشر الف ورقة أو ٢٦٠٠٠ صفحة . فهو أطول كتاب فى تاريخ مصر ينتهى بحوادث سنة ٤١٤ هـ ، يوجد بعضه فى مكتبة الاسكوريال

وقد ألف له محمد بن ميسر ذيلا ينتهى الى حوادث سنة ٥٥٣ ، منه نسخة فى باريس وترجمة المسبحى فى ابن خلكان ٥١٥ ج ١ (**)

٨ ـ أبو اسحق الثعلبى

توفى سنة ٤٢٧ هـ

هو ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى النيسابورى ، من علماء التفسير وقد الف فيه . وله فى التاريخ « كتاب عرائس المجالس » فى قصص الانبياء ، طبع بمصر مرارا (***) .

(*) وانظر فى ابن الفرضى الصلةلابن بشكوال ص ٢٤٨ وبغية الملتمس للضبى ص ٣٣١ ومطمع الانفس « طبع الاستانة » ص ٥٧ ووفيات الاعيان ج ١ ص ٢٦٨ وتذكرة الحفاظ الذهبى ج ٣ ص ٢٧٧- والديباج لابن فرحون ص ١٤٩ ونفح الطيب « أنظر الفهرس » ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وراجع فى المسبحى حسن المحاضرة ج١ ص ٣٢٩ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢١٥ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٧١ والمغرب فى حلى المغرب لابن سعيد « القسم الخاص بالفسطاط ـ طبع جامعة القاهرة » ص ٢٦٤

(***) وانظر فى الثعلبى الشذرات ج ٣ص ٢٣٠ ومعجم الادباء ج ٥ ص ٣٦ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٨٣ ودائرة المعارف الاسلامية

٩ — أبو النصر العتبى

توفى سنة ٤٢٧ هـ

هو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبى .. وأصله من الرى ، وجاء خراسان الى خال له كان من الوجهاء هناك فنشأ عنده . وكان بليغ الانشاء ، فتولى الكتابة للأمير أبى على ثم لأبى منصـــور سبكتكين مع أبى الفتح البستى . ثم صار نائبا فى خراسان لشمس المعالى ، واستوطن نيسابور واقبل على خدمة الاداب والعلوم . واشتهر على الخصوص بكتاب ألفه فى تاريخ يمين الدولة السلطان محمود الغزنوى سماه « اليمينى » نسبة اليه . .

اليمينى

هو الكتاب الذى اشتهر أبو النصر العتبى بتأليفه . بسط فيه ترجمة حياة السلطان محمود وترجمة أبيه سبكتكين وسبب طمعه فى الملك وما جرى من الحروب مع الخوارزمية حتى تولى . ثم تاريخ يمين الدولة الى آخر أيامه ويدخل فى ذلك لطائف كثيرة وحقائق مهمة . وقد كتبه مسجعا على اسلوب الترسل فى ذلك العصر ، كما فعل الثعالبى بيتيمة الدهر لكنه أبلغ منه . ولا يدانيه فى البلاغة الا ابراهيم الصابى المتقدم ذكره . وكان يجب عده من المنشئين لولا أهمية كتابه هذا فى التاريخ

وقد اعتنى بضبط الفاظه وشرح مشكلاته جماعة منهم الشيخ مجد الدين الكرمانى وقاسم بن حسين الخوارزمى وتاج الدين بن محفوظ وحميد الدين النجاتى وغيرهم . ومنه نسخ خطية فى مكاتب برلين وفينا وليدن والمتحف البريطانى وباريس وبطرسبرج وينى جامع

وفى دار الكتب المصرية نسخة من كتاب اليمينى بخط فارسى جميل جدا مذهبة الحواشى تدخل فى ٣٧٢ صفحة ، على حواشيها شروح بخطوط فارسية جميلة . وقد طبع على الحجر فى دلهى سنة ١٨٤٧ ، وفى لاهور سنة ١٨٨٣

ومن شروحه كتاب الفتح الوهبى على تاريخ أبى النصر العتبى للمنينى الدمشقى ، منه نسخة فى فينا وبطرسبرج . وطبعته جمعية المعارف سنة ١٢٨٦ بمصر فى مجلدين كبيرين مصدرا بترجمة العتبى . وبساتين الفضلاء للنجاتى فى ينى جامع . وقد ترجمه الى الفارسية الجربادكانى . ومن هذه الترجمة نسخة فى فينا والمتحف البريطانى وبرلين . وقد ترجمـــه من النسخة الفارسية الى الانجليزية رينولد ، وطبع فى لندن سنة ١٨٥٨

وترجمة العتبى فى يتيمة الدهر ٢٨١ ج ٤ ، وفى مقدمة الفتح الوهبى

١٠ — هلال الصابى

توفى سنة ٤٤٨ هـ

هو أبو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال حفيد ابراهيم الصابى المنشىء صاحب الرسائل الذى تقدم ذكره . ولد سـنة ٣٥٩ وكان أبوه

صابئيا ، أما هو فأسلم متأخرا وتولى الكتابة لفخر الملك بن غالب محمد بن خلف . وله مؤلفات كثيرة فى التاريخ والرسائل والسياسة لم يبق منها الا :

تاريخ الوزراء

هو كتاب جليل القدر لانه مسهب فى وصف المدة التى تكلم عنها ، قاصر على ما حدث من اخبار العباسيين من سنة ٣٦٠ الى ٤٤٧ هـ . والطبرى قد وفى التاريخ حقه من البسط الى سنة ٣١٠ وألف غيره للمدة التى بعده ، لكن أكثرها ضاع .. حتى تاريخ الوزراء هذا كادت تذهب به يد الزمان لو لم يتدارك ذلك المستشرق امدروز الانكليزى فطبعه سنة ١٩٠٤ فى بيروت عن نسخة خطية كانت فى مكتبة غوطا مع شروح وملاحظات . وليست هى كل تاريخ الوزراء بل هى قطعة منه وفيها نقص من أماكن كثيرة تنتهى بسنة ٣٩٣ فى نحو خمسمائة صفحة كبيرة ، فيها فوائد يندر العثور عليها فى الكتب الاخرى عن أحوال الدولة السياسية والمالية والحالة الاجتماعية وادارة الحكومة . ودخائل قصور الخلفاء وثروتهم وعاداتهم وملاهيهم الى غير ذلك مما يفهم من تضاعيف الكلام . ويسمى هذا الكتاب أيضا كتاب الاعيان والاماثل

وترجمته فى ابن خلكان ٢٠٢ ج ٢ ، ويتيمة الدهر ١٨٧ ج ١ ، وفى مقدمة طبعة تاريخ الوزراء (*)

١١ ـ القضاعى

توفى سنة ٤٥٤ هـ

هو أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القاضى الشافعى . تولى القضاء بمصر ، وقد أنابه المصريون عنهم فى رسالة الى بلاد الروم . وله عدة مؤلفات أهمها كتاب خطط مصر واسمه المختار فى ذكر الخطط والاخبار ، أخذ عنه المقريزى فى خططه وبه عددناه من أصحاب التواريخ الخاصة ، لكنه ضاع . وهاك ما وصل الينا من مؤلفاته الاخرى :

١ ـ كتاب الشهاب فى المواعظ والآداب : جمع فيه ١٢٠٠ حديث فى الحكم والوصايا والآداب بدون الاسانيد فى نحو مائة صفحة . وهو مختصر مفيد ، منه نسخ فى برلين وباريس وليدن وفى دار الكتب المصرية

٢ ـ الانباء بأنباء الانبياء وتواريخ الخلفاء : وفيه تاريخ العالم من الخليقة الى سنة ٤١٧ ، منه نسخة فى برلين واكسفورد

٣ ـ كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف : يشتمل على تاريخ البطاركة والانبياء وبنى أمية والعباسيين والفاطميين .. وله ذيل الى سنة ٩٢٦ هـ ، وكلاهما فى باريس

(*) وانظر شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٧٨ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٦٠

٤ ــ نزهة الالباب جامع التواريخ : وهو ذيل للتـــاريخ ، فى المتحف البريطانى

٥ ــ مسند الشهاب : وهو يتضمن أسانيد الشهاب المتقدم ذكره ، ويسمى أيضا اسناد الشهابى .. موجود فى دار الكتب المصرية فى نيف وخمسمائة صفحة

وترجمة القضاعى فى ابن خلكان ٤٦٢ ج١، وحسن المحاضرة ٢٢٧ج١(*)

١٢ ــ أبو بكر الخطيب البغدادى

توفى سنة ٤٦٣ هـ

هو الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى المعروف بالخطيب ، خاتمة مؤرخى هذا العصر . وكان من الأئمة المشهورين والحفاظ المبرزين ختم به ديوان المحدثين . سمع فى بغداد شيوخ وقته ، ورحل الى البصرة والدينور والكوفة ونيسابور ، وجاء صور فأقام بها مدة وكان يتردد على بيت المقدس . وخرج من صور سنة ٤٦٢ هـ الى طرابلس وحلب ، وعاد الى بغداد حيث أقام بها سنة وتوفى فيها سنة ٤٦٣ ، وله مؤلفات تزيد على ٥٥ كتابا فى التاريخ والحديث والادب والنحو والفقه وغيرها ، أكثرها ضاع ، وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ ــ تاريخ بغداد : ويشتمل على تراجم علمائها على الخصوص فى ١٤ مجلدا ، وبه اشتهر لكنه تبعثر فلا نعرف له نسخة كاملة فىمكان . والموجود منه على ما نعلم أجزاء متفرقة فى برلين والمتحف البريطانى وباريس وكوبرلى والجزائر ودار الكتب المصرية . وقد نشر المستشرق سلمون مقدمة هــذا التاريخ بباريس سنة ١٩٠٤ ، كتابا على حدة فى ثلثمائة صفحة تحتوى على أصل بغداد واسمها وتاريخ بنائها وأقسامها ودورها وقصورها ومدائنها كما كانت فى أيامه وغير ذلك من الفوائد . وذيلها الناشر بحواش وفهارس ، فجاءت كالكتاب المستقل بوصف عمارة بغداد وخططها . والكتاب على اجماله مروى بالاسناد على طريقة المحدثين (**)

٢ ــ الكفاية : فى معرفة أصول علم الرواية ، يبحث فى شروط الرواية واحكام قبولها ، منه نسخ فى برلين وليدن . وفى دار الكتب المصرية نسخة فى ٣٤٠ صفحة بخط قديم

٣ ــ تقييد العلم (***) ، ٤ ــ شرف أصحاب الحديث ، ٥ ــ المؤتنف تكملة المؤتلف والمختلف .. وكلها فى برلين

٦ ــ تلخيص المتشابه فى الرسم وحمـــاية ما أشكل منه عن نوادر التصحيف والوهم : هو كتاب كبير الحجم فيما أشكل من أسماء الرواة ،

(*) وانظر فى القضاعى شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٣
(**) طبع هذا الكتاب وقد تردد فى تعليقاتنا السابقة
(***) نشر يوسف العش هذا الكتاب فى دمشـــق

مما يتفق فى الهجاء ويختلف فى الحركات وما يشتبه فى الخط ويختلف فى هجاء بعض حروفه . أو بتقديم بعض الحروف على بعض أو غير ذلك . وفيما يتفق من أسماء المحدثين وانسابهم . فهو جزيل الفائدة من حيث تحقيق أسماء الرواة وأنسابهم وأخبارهم منه نسـخة فى دار الـكتب المصرية فى سبعمائة صفحة وفى آخرها نقص

٧ ـ كتاب البخلاء : فى المتحف البريطانى

وترجمة الخطيب فى ابن خلكان ٢٧ ج ١ ، ومعجم الادباء ٢٤٦ ج ١ (*)

(*) وراجع فى الخطيب البغـدادى تذكرة الحفاظ للذهبى ج ٣ ص ٢١٢ وطبقات السبكى ج ٣ ص ١٢ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٣٩٨ ومعجم الادباء ج ٤ ص ١٤ وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى ص ١٠٥ وتاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ١٠٢ والمنتظم لابن الجـوزى ج ٨ ص ٢٦٩ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٣٢٩ ج ١

الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثالث

ما زال الجغرافيون في هـــذا العصر يبنون كتبهم في الجغرافية على الرحلات ، ولم ينضج علم الجغرافية فيه نضجا تاما (*) . ومع ذلك فانه أبان فضل العرب في اكتشـــاف أماكن دخلوها وبلاد ومسالك لم يسبقهم أحد الى وصفها على أثر الفتوح أو الاسفار التجارية في أواسط آسيا وافريقيا وفي البحر الهندي وبحر فارس وغيرها .. فاكتشـــفوا كثيرا من جزائر المحيط وجزائر الاتلانتيك ، وعرفوا أصقاع الارض أكثر من سائر الامم التي تقدمتهم . وتقسم الجغرافية في هـــذا العصر كما يقسم التاريخ الى الجغرافية العامة والجغرافية الخاصة . وقبل التقدم الى ذكر أخبار الجغرافيين من العرب ، نذكر اشتغالهم برسم الخرائط

الخرائط عنـــد العرب

رسم الخرائط من الفنون القديمة ، فقد وجدوا أمثلة منها في انقـــاض بابل وأشور ومصر. أما العرب فبدأوا برسم الخرائط في صدر الدولة العباسية بعد ترجمة كتب الفلك والجغرافية . وكانوا يجعلون أساس رسومهم قياس العرض والطول . وأول من رسم منهم خريطة الارض على هذا الاساس محمد بن موسى المعروف بالخوارزمي في زمن المأمون.. فانه عين مواقع المدن والبحور بالدرجات الجغرافية المبنية على علم الفلك ، كما فعل بطليموس القلوذي . فلما أخذوا في الرحلة أغضوا عن تلك المقاييس ، وصاروا يرسمون الخرائط بلا قياس كما فعل أبوزيد البلخي في أوائل القرن الرابع للهجرة وابن حوقل والاصطخري والمقدسي في أواسطه .. فانهم كانوا يرون مشقة في تعيين الاماكن بالمقاييس ، فاكتفوا بتعيين مواقع البلاد بالنظر الى الجهات الاربع : (الشرق والغرب والشمال والجنوب) بدون تقدير الابعاد بينها. ولم تكن عندهم قاعدة لتعيين الجهات المذكورة في الخارطة كما يفعلون اليوم ، فان الخرائط عندنا مقيدة في تعيين جهاتها بأن يكون دائما أعلاها شمالا وأسفلها جنوبا ويمينها شرقا وشمالها غربا . أما هم فالغالب عندهم أن يجعلوا الجهات في زوايا الخارطة ، فالزاوية بين الاعلى واليمين مثلا قد تكون شمالا ، والزاوية المقابلة لها من أعلى غربا ، أو أن تكون الزاوية بين الاعلى واليمين غربا ، وتكون المقابلة لها في الاعلى جنوبا ، أو غير ذلك

(*) راجع في هذا الموضوع كلمة جغرافية في دائرة المعارف الاسلامية

على ان العرب أخذوا بعد ذلك العصر فى تعيين الابعاد بين الاماكن، وأقدم من عينها منهم الشريف الادريسي. وهاك تراجم أصحاب الجغرافية العامة :

أصحاب الجغرافية العامة

١ ــ أبو زيد البلخى

تقدم ذكره بين المؤرخين ، وله فى الجغرافية كتاب « صور الاقاليم » ، وهو أقدم كتاب جغرافى عربى موضح بالخرائط . أو هو خرائط موضحة ببعض الشروح ، لان المؤلف أراد تصوير الاقاليم فألف هذا الكتاب وسماه « صور الاقاليم الاسلامية » فرسم الارض وأشكالها والاقاليم الاسلامية بالخرائط الملونة على ما بلغ اليه جهد العرب فى ذلك العصر . ومنه نسخة خطية كاملة بخرائطها الملونة فى مكتبة برلين . وهى كثيرة الشبه بأقاليم الاصطخرى الآتى ذكره ، لان هذا نقل عنه لكنه توسع فى شرح أحوال البلاد . فنكتفى بشرح جغرافية الاصطخرى

٢ ــ الاصطخرى

فى اواسط القرن الرابع للهجرة

هو أبو اسحق الفارسى من أهل اصطخر ويعرف ايضا بالكرخى ، له كتابان :

١ ــ كتاب الاقاليم : يشتمل على حدود الممالك وصور أقاليم الارض ومدنها وبحارها وأنهارها والمسافات بينها مفصلا ، فيبدأ ببلاد العرب فبحر فارس وديار المغرب والاندلس ومسافاتها ومصر وأقسامها وبلادها وأرض الشام وبيت المقدس والمسافات بينها . وصفة بحر الروم وأرض الجزيرة والعراق ومسافاتها وأنهارها وخوزستان وبلاد فارس ومسافاتها وبلاد كرمان والسند واذربيجان والجبال وطبرستان أو الديلم وبحر الخزر وخراسان وسجستان وافغانستان وما وراء النهر ومسافاتها . وقد وضح ذلك كله بالخرائط ويسميها «الصور» وجملتها ١٩ صورة كبيرة . وقد طبع هذا الكتاب على الحجر فى غوطا سنة ١٨٣٩ بعناية الدكتور مولر الالمانى

٢ ــ كتاب مسالك الممالك : وهو كثير الشبه بكتاب الاقاليم لكنه خال من الخرائط ، وفى صدره مقدمة فى تأليف الكتاب وتقسيمه فى بضع صفحات . ويكاد يكون باقيه نفس كتاب الاقاليم . طبع فى ليدن سنة ١٨٧٠ فى جملة المكتبة الجغرافية بعناية دى غويه . وقد قال المؤلف فى صدره انه عول فيه على كتاب صور الاقاليم لابى زيد البلخى (*)

(*) انظر فى الاصطخرى دائرة المعارف الاسلامية فى اسمه وفى مادة « جغرافيا »

٣ ـ ابن حوقل

في اواسط القرن الرابع

هو أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى له «كتاب المسالك والممالك» وهو مثل مسالك الممالك للاصطخرى مع زيادات قليلة ، وقد طبع أيضا فى جملة المكتبة الجغرافية ، وترجم الى الانجليزية ، وطبع فى لندن سنة ١٨٠٠ ، وترجم بعضه المختص بأفريقيا . وطبع بباريس سنة ١٨٤٢ ، وقسم آخر يختص ببالرم طبع فى باريس سنة ١٨٤٥ (*)

٤ ـ المقـدسى

توفى بعد سنة ٣٧٥ هـ

هو شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبى بكر البشارى المعروف بالمقدسى ، ولد فى بيت المقدس ، وساح فى أكثر بلاد الاسلام شرقا وغربا الى السند والهند والاندلس. وقد عول فى كثير مما كتبه على اختباره الشخصى مما شاهده بعينه . وذكر عادات الاقوام الذين وصفهم وأخلاقهم وأحوال بلادهم كما شاهدها . واستفاد أيضا من سابقيه ؛ فألف سنة ٣٧٥ هـ كتابا سماه « أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم » وهو أفضل الجغرافيات العامة فى ذلك العصر . . صدره بمقدمة فى تاريخ علم الجغرافية عند العرب الى أيامه ضمنها نقدا للباحثين فى هذا العلم . ثم ذكر مزية كتابه وما قاساه فى سبيل تأليفه وجمع حقائقه ، فقال : « وما تم لى جمعه الا بعد جولاتى فى البلدان ، ودخولى أقاليم الاسلام ، ولقائى العلماء ، وخدمتى الملوك ، ومجالستى القضاة ، ودرسى على الفقهاء ، واختلافى الى الادباء والقراء وكتبة الحديث ، ومخالطة الزهاد والمتصوفين ، وحضور مجالس القصاص والمذكرين . . مع لزوم التجارة فى كل بلد ، والمعاشرة مع كل أحد ، والتفطن فى هذه الاسباب بفهم قوى حتى عرفتها . ومساحة الاقاليم بالفراسخ حتى أتقنتها ، ودورانى على التخوم حتى حررتها ، وتنقلى الى الاجناد حتى عرفتها ، وتفتيشى عن المذاهب حتى علمتها ، وتفطنى فى الالسن والالوان حتى رتبتها ، وتدبرى فى الكور حتى فصلتها ، وبحثى عن الاخرجة حتى أحصيتها » الخ . .

وقد أوضح كتابه بالخرائط الملونة بدليل قوله بعد ذكر تقسيم الكتاب الى أقاليم : « ورسمنا حدودها وخططها ، وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة ، وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة ، وبحارها بالخضرة ، وأنهارها المعروفة بالزرقة ، وجبالها المشهورة بالغبرة ، ليقرب الوصف الى الافهام ويقف عليه الخاص والعام » لكن هذه الخرائط لا توجد فى الطبعة التى بين أيدينا . وقد طبع مرتين فى جملة المكتبة الجغرافية بعناية دى غويه . . الاولى سنة ١٨٧٧ ، والثانية سنة ١٩٠٦ ، مع شروح وملاحظات (**)

(*) راجع فى ابن حوقل كتاب الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٤ ودائرة المعارف الاسلامية فى اسمه وفى مادة جغرافيا

(**) وانظر فى المقدسى مقدمة كتاب أحسن التقاسيم الى ص ٤٤ وتاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٨٢ والحضارة الاسلامية لميتز ج ٢ ص ٤ وما بعدها ودائرة المعارف الاسلامية

٥ ـ هيئة اشكال الارض

ومن كتب الجغرافية العامة فى ذلك العصر كتاب اسمه « هيئة اشكال الارض ، ومقــدارها فى الطول والعرض » منه نســخة فى مكتبة طوب قبوسراى فى الآستانة لم يذكر فيه مؤلفه ، لكن فى المقدمة ذكر سيف الدولة بن حمدان كأنه كتب له . وفيه عشرات من الخرائط الملونة . ومنه نسخة فى جملة كتب زكى (باشا) منقولة عن تلك بآلة التصوير

الجغرافية الخاصة

لم يظهر فى الجغرافيات الخاصة فى هذا العصر ما يستحق الذكر الا :

جغرافية بغداد لابن سرابيون

وهى جغرافية ما بين النهرين ، وصف بها تلك البلاد ومسافاتها وطرقها فى أوائل أيام البويهيين ، ولا نعرف شيئا عن مؤلفها . أما الكتاب فقد نقله الى الانجليزية المستشرق سترانج الانجليزى ، ونشره سنة ١٨٩٥ مع خرائط استخرجها من وصف المؤلف لجغرافية بغداد وضواحيها ، وأضاف اليها تعاليق وشروحا جزيلة الفائدة

وفى مجلة المقتطف مقال عن جغرافيى العرب لسليم شحادة من صفحة ٥٩٣ سنة ٧

العلوم الإسلامية الشرعية

في العصر العباسي الثالث

تفرعت العلوم الاسـلامية فى أوائل الاسـلام الى القراءة والتفسير والحديث . ثم ظهر الفقه وأخذت هذه العلوم تنمو بنمو التمدن ، وقد علمت مما تقدم ان الفقه نضج ورسخت قواعده فى العصر العباسى الاول والحديث فى العصر الثانى . ونشأت فى أثناء ذلك فروع أخرى من علوم القرآن أو العلوم الاسلامية الدينية على اثر انتشار الفلسفة وغيرها من علوم الاقدمين والعلوم الدخيلة ، ونشأت فروع أخرى فى العصور الآتية ، سيرد بيانها

ومن يتدبر اشتغال المسلمين فى العلوم الاسلامية ، يعجب لما استخدموه فيها من اعمال الفكرة .. ولا سيما الفقه فانه من ثمار عقولهم واجتهادهم لا دخل فيه لامة أخرى ، اذ لا علاقة له بالعلوم القديمة . ومن ينظر فى قضاياه وأحكامه ، يعلم ما اقتضاه ذلك من دقة النظر وقوة العقل مما لم يسبق له مثيل . أما الفلسفة أو المنطق مما نقلوه عن اليونان ، فقد ساعد فى انشاء بعض فروعه والتوسع فى البعض الآخر كعلم الكلام ، فقد كان للفلسفة والمنطق تأثير كبير فى نموه . وقد تقدم الحديث عنه فى العصر الثانى

علم الكلام

ونبغ فى هـذا العصر غير واحد من علماء الكلام ، لبعضهم مؤلفات فى موضوعات أخرى ، جاء ذكرهم فى أبوابها كالشريف المرتضى بين الادباء . والبعض الآخر لم يخلفوا ما يستحق الذكر . وانما نذكر منهم فى هـذا الباب أشهر أنصار الاشعرى وهو :

أبو بكر الباقلانى

هو القاضى أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ صاحب « اعجاز القرآن » وهو مشهور بين طلاب الادب والبلاغة . ومدار البحث فيه على اثبات اعجاز القرآن ، وانه معجزة نبوة النبى . وفيه فصول فى نفى الشعر من القرآن ، وكيفية الوقوف على اعجاز القرآن . وطائفة حسنة من خطب الرسول وكتبه ومن كلام الراشدين وغيرهم من

بلغاء الصحابة والتابعين وغير ذلك . وقد طبع فى مصر سنة ١٣١٥ وغيرها وترجمة الباقلانى فى ابن خلكان ٤٨١ ج ١ (*)

التصوف

هو من العلوم التى نشأت ونضجت فى هذا العصر (**) وخلاصة تاريخه « انه من العلوم الشرعية المستحدثة ، وأصله العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيها من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة »

وقد اختلف علماء الاسلام فى أصل كلمة التصوف أو الصوفية (***) ، فقال جماعة باشتقاقها من الصفاء أو الصفة ، وقال آخرون غير ذلك . ويرى ابن خلدون ان اشتقاقها من الصوف أقرب الى الصواب لاختصاص أصحابه بلبس الصوف . وعندنا انها مشتقة من لفظة يونانية الاصل هى (صوفيا) ومعناها الحكمة ويتركب منها ومن (فيلوس) محب (فيلوصوفيا) أى محب الحكمة وهى بالعربية «الفلسفة» .. فيكون الصوفية قد لقبوا به نسبة الى الحكمة ، لانهم كانوا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثا فلسفيا . ويؤيد ذلك انهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة ، الا بعد ترجمة كتب اليونان ودخول لفظ الفلسفة فيها

ومدار طريقتهم كلها « محاسبة النفس على الافعال ، ولهم آداب خاصة بهم واصطلاحات فى ألفاظ تدور بينهم يدلون بها على ما يريدونه من أساليب المجاهدة ومحاسبة النفس والكلام فى الاذواق والمواجد العارضة فى طريقها وكيفية الترقى من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التى تدور بينهم » فلما دونت العلوم فى الاسلام كتب الصوفية فى طريقتهم على ذلك المنهج ، فمنهم من كتب فى الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء فى الاخذ والترك ، ومنهم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى المتوفى سنة ٤٦٥ هـ ، وكان عالما فى الفقه والتفسير والحديث والاصول والادب

(*) وانظر فى الباقلانى دائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع ومقدمة كتابه التمهيد فى الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة « نشر دار الفكر العربى »

(**) المعروف ان التصوف نشأ مع اوائل القرن الثانى للهجرة ، ان لم يكن قبل ذلك ، وسرعان ما ازدهر فى محيط العالم الاسلامى وخاصة منذ القرن الثالث . وانظر فى نشأته وتطوره الى هذا العصر كتاب « الصوفية فى الاسلام » لنيكلسون ترجمة شريبة ، وكذلك كتابه « فى التصوف الاسلامى وتاريخه » ترجمة أبى العلا عفيفى والعقيدة والشريعة فى الاسلام لجولدتسهير ، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ، الفصل الرابع . وانظر ماسينيون فى بحثه

Essai sur les origines du Lexique Technique de la Mystique Musulmane « باريس ١٩٢٢ » وكذلك فى كتابه المسمى : مجموع نصوص لم تنشر متعلقة بتاريخ التصوف فى بلاد الاسلام Recueil de Textes Inédits concernant l'histoire de Mystique en pays de l'Islam « باريس ١٩٢٩ » وراجع أيضا ماكدونالد فى كتابه « المسلك الدينى والحياة فى الاسلام » The Religious Attitude and Life in Islam وانظر دائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

(***) انظر فى كلمة تصوف واصل معناها كتاب « فى التصوف الاسلامى وتاريخه » ص٢٧

والشعر والكتابة فضلا عن التصوف . وقد ألف فيه كتابه المعروف بالرسالة القشيرية ، وهى مطبوعة بمصر سنة ١٢٨٤ هـ وسنة ١٣٠٤ ، وبهامشها تقريرات من شرح شيخ الاسلام زكريا الانصارى عليها . وابو حفص عمر بن محمد الملقب شهاب الدين السهروردى المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ببغداد ، الف فى ذلك كتاب عوارف المعارف. وقدجمع حجة الاسلام الغزالى بين الامرين فى كتاب الاحياء ، فدون فيه أحكام الورع والاقتداء ، ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم فى عباراتهم. وسنأتى على ترجمة حاله ومؤلفاته. وصارعلم التصوف علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط

الفقه

لم يزد الفقهاء بعد رسوخ قواعد الفقه على أيدى الائمة الاربعة شيئا غير التلخيص والشرح أو التعليق . وقد ظهر أثناء هذا العصر جماعة من كبار الفقهاء ، ولكن اكثرهم اشتغلوا بعلوم أخرى .. فدخلت ترجماتهم فى أبواب تلك العلوم . ولو أردنا ترجمة كل من ظهر من الفقهاء فى هذا العصر لخرجنا عن الاختصار الذى أردناه فى هذا الباب . وانما نترجم للفقهاء الذين خلفوا كتبا تدخل فى بعض الابواب الاخرى من آداب اللغة جريا على الغرض المراد من هذا الكتاب . وأشهرهم فى هذا العصر :

أبو الحسن الماوردى

توفى سنة ٤٥٠ هـ

هو أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى الفقيه الشافعى ، تعلم فى البصرة وبغداد وتقدم فى مناصب القضاء . وكان مفكرا حسن التأليف ، كما يظهر من كتبه التى وصلت الينا وهاك أهمها :

١ ــ كتاب الاحكام السلطانية : يبحث فى الامامة وشروطها والخلافة وأحكامها والوزارة وأقسامها وشروطها وامارة الجهاد وأقسامها والقضاء والشروط التى يصح التقليد بها والنقابة حسب الانساب . وفصول فى الولاية على الحج ، وولاية الصدقات ، وأحكام الفىء والغنيمة وأقسامها ، والجزية والخراج حسب الارضين ، وأحكام الاقطاع ، وترتيب الدواوين وانواعها ، وما اختص ببيت المال ، وأحكام الحسبة ، وغير ذلك من القواعد الشرعية مما لايجده الباحث فى غير هذا الكتاب. وهومطبوع بمصرسنة١٢٩٨

٢ ــ أدب الدنيا والدين : يبحث فى الاخلاق والآداب ويشتمل على فصول فى فضل العقل وذم الهوى والحث على العلم وأخلاق العلماء والآداب الدينية والدنيوية ، ويدخل تحتها ما يصلح به حال الانسان من المؤاخاة وادب النفس وما يتعلق به كحسن الخلق والحياء والحلم والصدق واضدادها وآداب المواضعة . وفيه أبحاث فى الكلام والصمت والصبر والجزع والمشورة وكتمان السر والمزاح والضحك . طبع فى الاستانة سنة

١٢٩٩ ، وفى مصر مرارا . وهو من كتب الادب المعول عليها فى كثير من المدارس

٣ — نصيحة الملوك : فى باريس

٤ — تسهيل النظر وتعجيل الظفر : فى السياسة والحكومة . فى غوطا

٥ — كتاب الحاوى الكبير فى الفروع : هو مطول فى الفقه الشافعى يدخل فى ٢٣ مجلدا ، منها نسخة فى دار الكتب المصرية تنقص الجزء الثامن . وربما زادت صفحات الكتاب كله على ٧٠٠٠ صفحة كبيرة

٦ — أعلام النبوة : يبحث فى اثبات النبوات وشروطها وما تضمنه القرآن من الاعجاز وما فى أقوال الرسول من ذلك . منه نسخ فى برلين ودار الكتب المصرية فى ٣٠٠ صفحة

٧ — كتاب الامثال والحكم : يشتمل على ٣٠٠ حكمة ، و ٣٠٠ حديث ، و ٣٠٠ بيت من الشعر . موجود فى ليدن

٨ — معرفة الفضائل : فى الاسكوريال

وترجمة الماوردى فى ابن خلكان ٣٢٦ ج ١ (*)

الفرائض

وتفرع من الفقه علم الفرائض وهو معرفة حقوق الوراثة واشكالها وصورها وضروب مواقعها ، وما يحتاج اليه ذلك من الحساب .... فأفرد له العلماء بابا خاصا ، وكتب فيه الفقهاء منهم كأبى حنيفة وغيره . ولكن بعضهم انقطع له بنوع خاص ، ومن هؤلاء فى أوائل الدولة العباسية ابن شبرمة وابن أبى ليلى ويحيى بن اكثم ثم أبو المعالى . ثم ألف فيه كثيرون يضيق المقام عن ذكرهم

التفسير والحديث

أما التفسير فنشط التأليف فيه ، وظهر جماعة كبيرة من المفسرين بعد الطبرى المتقدم ذكره فى العصر الماضى . ومنهم فى هذا العصر النقاش الموصلى المتوفى سنة ٣٥١ صاحب كتاب « شفاء الصدور » ومنه قطعة فى دار الكتب المصرية . والحوفى المصرى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ صاحب كتاب « البرهان فى تفسير القرآن » منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية . وابن أبى طالب القيسى المتوفى سنة ٤٣٧ فى قرطبة ، له مؤلفات كثيرة ضاعت ، وغيرهم

(*) وراجع فى ترجمة الماوردى تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠٢ وطبقات السبكى ج ٣ ص ٣٠٣ ومعجم الادباء ج ١٥ ص ٥٢ وتاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى ص ٣٦٣ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٣٨٦ ج ١

وأما الحديث فاستقرت قواعده فى الكتب الستة المتقدم ذكرها ، لكن العلماء ظلوا يشتغلون فيه بين أخذ ورد . واشهر من نبغ فيه من المؤلفين فى هذا العصر الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ ، وأبو الفتح سليم بن أيوب الرازى المتوفى سنة ٤٤٧ ، والاجرى المتوفى سنة ٣٦٠ ، والبيهقى المتوفى سنة ٤٥٨ وغيرهم

العلوم الدخيلة

فى العصر العباسى الثالث

علمت من كلامنا عن العلوم الدخيلة فى العصر العباسى الاول انها تتألف من فروع كثيرة ترجع الى أربعة : الطب ، والفلسفة ، والنجوم ، والرياضيات . وكان المشتغلون فى نقلها أكثرهم من غير المسلمين ثم اشتغل بها المسلمون فى العصر العباسى الثانى ، وذكرنا من نبغ فيها . وزاد اشتغالهم بها فى هذا العصر ، فقد نبغ فيها علماء لا يشق لهم غبار . فنذكر أصحاب كل فرع على حدة وان كان أكثرهم اشتغلوا بعلمين فأكثر من تلك العلوم .. فنضع كلا منهم فى العلم الذى غلب عليه

الطب

يدخل فى الطب فروعه الطبيعية كالكيمياء والصيدلة والنبات ، لكننا سنفرد لها فصلا خاصا . أما الطب فقد اشتغل المسلمون فيه وخدموه وتكاثر الاطباء على الخصوص فى هذا العصر ، وامامهم ابن سينا . ويستدل من بعض القرائن انهم كانوا كثيرين . فقد أحصوا أطباء بغداد وحدها فى زمن المقتدر بالله فى أول القرن الرابع للهجرة ، فبلغ عددهم ٨٦٠ طبيبا امتحنوا لنيل الاذن فى التطبيب سوى من استغنى عن الامتحان لشهرته ، وسوى من كان فى خدمة الخليفة . فلا يمكن أن يكون مجموع ذلك كله أقل من ألف طبيب متعاصرين فى مدينة واحدة . وبلغ عدد أطباء النصارى فقط فى خدمة المتوكل بأواسط القرن الثالث للهجرة ٥٦ طبيبا . وكان سيف الدولة اذا جلس على المائدة حضر معه ٢٤ طبيبا ، ومنهم من يأخذ رزقين لتعاطيه علمين . ومن يأخذ ثلاثة أرزاق لتعاطيه ثلاثة علوم

وكان للأطباء عندهم نظام ، وعليهم رئيس يمتحنهم ويجيز من يرى فيه الكفاءة للتطبيب . وأشهر هؤلاء الرؤساء سنان بن ثابت فى بغداد ، ومهذب الدين الدخوار فى مصر . وفعلوا نحو ذلك فى الصيادلة وكانوا كثيرين . وتفشى الغش فى الادوية حتى اضطر ولى الامر الى امتحانهم واعطاء الاجازات أو المنشورات الى الذين يحسنون الصناعة ونفى الآخرين . وأول من فعل ذلك الافشين فى بغداد ، ووكل زكريا بن الطيفورى به فى حديث يطول ذكره. وكان من الاطباء أو الصيادلة من هو خاص بالجند يرافقه فى أسفاره ، ومنهم من هو خاص بالخلفاء والامراء ولهؤلاء رواتب خاصة ويعرفون بالمرتزقين . ومنهم من يطلبون العامة وهم غير مرتزقين ، وأشهر أطباء هذا العصر ابن سينا

ابن سـينا

توفى سنة ٤٢٨ هـ

هو الشيخ الفيلسوف الطبيب ، ارسطو الاسلام وابقراطه . واسمه أبو على الحسين بن عبد الله ، ويلقب بالشيخ الرئيس . ويسميه الافرنج Avicenne كان أبوه من بلخ فى شمالى أفغانستان ، وسكن مملكة بخارا فى زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية . وتولى التصرف بقرية من قراها اسمها خرميثن . وفيها ولد له ابنه الحسين سنة ٣٧٠ هـ ، وكان من صغره نادرة عصره فى الذكاء والفطنة . ثم انتقل والده به الى مدينة بخارا ، وهى يومئذ حافلة بالعلماء . وحفظ القرآن وأخذ يقرأ الفقه قبل أن يتجاوز العاشرة ، ولم يدرك السادسة عشرة حتى تعلم المنطق والهندسة والطبيعة والفلسفة والطب . ثم تفرغ للتوسع فى هذه العلوم . وكان يحيى الليل فى الدرس والبحث

واتفق ان نوحا المذكور مرض فذكر له ابن سينا ، فاستقدمه فبرىء على يده فقربه اليه . وكان عند نوح مكتبة نادرة المثال ، فاستأذنه فى دخولها فأذن له فدرسها درسا ثم احترقت بعد أن وعى زبدتها . وأخذ فى التأليف وهو فى الحادية والعشرين من عمره . وارتفعت منزلته وتولى بعض مناصب الدولة . وتنقل فى بلاد خراسان وهو موضع الاعجاب ، ومصدر الاستفادة بالتطبيب والتأليف . ولم يتمكن من اللغة العربية كما ينبغى الا بعد حين . ومرت به طوارىء مختلفة ، وقاسى ما يقاسيه طالب العلا من العذاب ، والملوك مناظروه أو مريدوه . وكان شديد القوى كلها جسدا وعقلا ، لكن شهواته البدنية كانت غالبة عليه .. فأثرت فى مزاجه حتى أماتته بهمذان سنة ٤٢٨ هـ ، وهو فى الثامنة والخمسين من عمره

وكان من المتفردين بسعة العلم وقوة العقل ، وقد ألف فى كل فن من العلم والادب . وتزيد مؤلفاته على مائة ، وكان لها تأثير كبير فى نهضة أوربا الاخيرة لانهم نقلوا أهمها الى لغة العلم عندهم يومئذ (اللاتينية)

أما فى الاصل العربى ، فكثير من مؤلفاته لا يزال باقيا (*) .. ومنها جانب كبير فى دار الكتب المصرية يمكن الاطلاع عليها لمن أراد . فمن كتبه الطبية الموجودة هناك :

١ ــ القانون : فى ١٤ جزءا مطبوع فى روما ومصر ، وهو من أهم كتبه . حوى أهم ما عرف من علوم الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها . وعليه وعلى كتاب الحاوى لابى بكر الرازى ، كان أكثر معول العالم الطبى فى التمدن الاسلامى ، وفى نهضة أوربا قبيل التمدن الحديث

٢ ــ الالفية فى الطب

٣ ــ منظومة فى الطب

(*) أنظر فى آثار ابن سينا كتاب مؤلفات ابن سينا للاب قنواتى ، وهو مجلد ضخم يشتمل على مئات من المصنفات فى مكاتب العالم المختلفة ، وراجع كتاب مؤلفات ابن سنيا بدار الكتب المصرية لفؤاد السيد ، وبروكلمن ٢ : ٤٥١ ج١

ومن كتبه الفلسفية :

١ ــ الاشـــارات : ولها شرح للطوسى مطبوع فى الأستانة ، وعلى هامشه شرح للفخر الرازى

٢ ــ الشفاء : وهو ١٨ جزءا بعضها فى الطب والبعض الآخر فى العلوم الاخرى ، منه جزآن مطبوعان على الحجر ببلاد فارس . والكتاب موجود برمته فى دار الكتب المصرية (*)

٣ ــ النجاة : ثلاثة مجلدات مطبوع

٤ ــ رسائل فى الانصاف والمسائل العشرين والمباحثات والجوهر الذى لا يتحرك وتقسيم العلوم الفلسفية وحـــد الجسم وشرح كتاب النفس لارسطو وما بعد الطبيعة . وكلها توجد خطا فى دار الـكتب المصرية

٥ ــ القصيدة العينية فى النفس

٦ ــ كتاب المبدأ والمعاد

وفى المنطق :

(١) كتاب الشرقيين (٢) رســـالة العروس . غير ثمانية مؤلفات فى المنطق ، بعضها فى مكاتب أوربا

وفى العلوم الطبيعية والرياضية خمسة عشر مؤلفا لايوجد منها فى دار الـكتب شىء ، ولـكن أكثرها فى مكاتب أوربا . ولا محل هنا لتفصيل ذلك . وله مؤلفات فى الآداب السياسية والموسيقى وفى اللغة العربيـــة وعلومها ضاع معظمها

ولابن ســـينا آراء خاصـــة فى العلم الطبيعى ، وقد أوضح كثيرا من غوامضه ، وكذلك الالهيات مما يستغرق شرحه صفحات عدة

وترجمة ابن سينا فى ابن خلكان ١٥٢ ج ١ ، وطبقات الاطباء ٢ ج ٢ ، وأخبار الحكماء ٢٦٨ ، وفى سنة ١٨ من الهلال (**) . وللافرنج مقالات كثيرة فى

(*) تطبع وزارة التربية والتعليم هـــذا الكتاب وقد صدر منه حتى الآن اربعة اجزاء : المدخل والبرهان والخطابة وجوامع علم الموسيقى

(**) وراجع فى ابن سينا تتمــة صـــوان الحكمة للبيهقى «طبعة دمشق» ص ٥٢-٧٢ وابن القفطى ص ٤١٣ وتاريخ ابن الاثير وأبى الفدا فى سنة ٤٢٨ هـ وخزانة الادب للبغدادى ج ٤ ص ٤٦٦ وتاريخ مختصر الدول لابن العبرى ص ٩٢٥ وشذرات الذهب لابن العـــماد ج ٣ ص ٢٣٤ وروضات الجنات ص ٢٤١ Avicenne لكارادى فو « طبع باريس سـنة ١٩٠٠ » ومقالته عنه فى دائرة المعارف الدينية والاخلاقية نشر هيستنجز « أدنبـــره ١٩٠٩ » ج ٢ ص ٢٧٢ وتاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى لبراون « ترجمة ابراهيم أميـــن الشواربى » ص ١٢١ ومحمد غلاب فى مجلة الازهر ج ٨ ص ٣٦ ومقـــــال Fourlani عن ابن سينا وديكارت فى مجلة Islamica « ليبسك ١٩٣٧ » المجـــلد ٣ ج ١ ص ٥٣ و Arnold فى تراث الاسلام فصلى الطب والفلسفة وتاريخ الفلسفة فى الاسلام لدى بور ص ١٦٤ والكتاب الذهبى للمهرجان الالفى لابن سينا « بغداد ١٩٥٢ نشر جامعة الدول العربية» وجميـــــل صليبا فى بحثـــه Etudes sur la Métaphysique d'Avicenne «باريس ١٩٢٦» وجاردى Gardet فى بحثه La Pensée Religieuse d'Avicenne « باريس ١٩٥١ » وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٨٦ ودائرة المعـــارف الاسلامية وما بها من مراجع وكتاب مؤلفات ابن سينا لقنواتى وقد سجل فيه ص ٣٢٩ وما بعدها البحوث المختلفة عن ابن سينا فى اللغة العربية واللغات الاجنبية

ـفته ، وكتبه نقلت الى الفرنسية والانجليزية والالمانية وغيرها

الصـــيدلة والـكيميـــاء

وللمسلمين فضل كبير على علوم الصيدلة والكيمياء والنبات ، وهى من فروع الطب ، بدأوا بذلك فى صدر الدولة العباسية وسنلخص تاريخها عندهم ، وان تجاوزنا هذا العصر لجمع الموضوع فى باب واحد . وقد عنى الافرنج بعد نهضتهم الاخيرة بدرس تاريخ فن الصيدلة ، فتحققوا ان العرب هم واضعو أسس هذا الفن ، وهم أول من اشتغل فى تحضير الادوية أو العقاقير فضلا عما استنبطوه من الادوية الجديدة ، وانهم أول من ألف الاقرباذين على الصورة التى وصلت الينا . وظل العرب فى النهضة العباسية يعتمدون فى المارستان ودكاكين الصيادلة على اقرباذين الفه سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، حتى ظهر اقرباذين امين الدولة ابن التلميذ المتوفى فى بغداد سنة ٥٦٠ هـ . وهم أول من أنشأ حوانيت الصيادلة على هـــذه الصورة . ومن الشواهد على ذلك أسماء العقاقير التى أخذها الافرنج عن العرب ، ولاتزال عندهم بأسمائها الفارسية أو الهندية كما أخذوها عن العربية

على ان تقدمهم فى الصيدلة تابع لتقدمهم فى الكيمياء والنبات ، ولا خلاف فى ان العرب هم الذين أسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربهم ومستحضراتهم. وأول من اشتغل فى نقلها الى العربيـــة خالد بن يزيد نقلها عن مدرســـة الاسكندرية ، وعنه أخذ جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٠ هـ ، وبعده جابر ابن حيان ثم الكندى فأبو بكر الرازى وغيرهم ، فاكتشفوا كثيرا من المركبات الكيمائية التى بنيت عليها الكيمياء الحديثة . وقد ذكر الافرنج أن العرب هم الذين استحضروا ماء الفضة (حامض النتريك) وزيت الزاج (حامض الكبريتيك) وماء الذهب (حامض النيتروهيدرو كلوريك) واكتشفوا البوتاس وروح النشادر وملحه وحجر جهنم (نترات الفضة) والسليمانى (كلوريد الزئبق) والراسب الاحمر (اكسيد الزئبق) وملح الطرطير وملح البارود (نترات البوتاس) والزاج الاخضر (كبريتات الحديد) والكحول والقلى والزرنيخ والبورق . وغير ذلك من المركبات والمكتشفات التى لم يصل الينا خبرها . على اننا نستدل منها على وجود بعض المركبات الكيميائية فى أيامهم مما لم نسمع له بمثيل فى تاريخ الكيمياء قبل أواخر القرن الماضى .. فقد أشار ابن الاثير الى أدوية استخدمها العرب فى واقعة الزنج سنة ٢٦٩ هـ ، اذا طلى بها الخشب امتنع احتراقه ، ولم يذكر ما هى . ومما يعد من قبيل الكيمياء أيضا البارود ، فقد ترجح لنا بالبحث انهم هم الذين ركبوه . وهم أول من وصف التقطير والترشيح والتصعيد والتبلور والتذويب . وقد ألفوا فى ابطال الكيمياء القديمة . أول من ألف ذلك منهم حكيمهم وفيلسوفهم يعقوب الـكندى فى أواسط القرن الثالث للهجرة

وأما النبات فللعرب القدح المعلى فى درسه والتأليف فيه ، وقد أخذوا هذا العلم فى النهضة العباسية عن مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس ومن

كتب الهند . ونقل كتاب ديسقوريدس فى أيام المتوكل ، نقله اصطفان بن باسيل من اليونانية الى العربية . والعقاقير التى لم يعرف لها أسماء فى العربية تركها على لفظها اليونانى ، اتكالا على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره . وحمل هذا الكتاب الى الاندلس على هذه الصورة ، فانتفع به الناس الى أيام الناصر صاحب الاندلس فى أوائل القرن الرابع للهجرة . اذ كاتبه ملك قسطنطينية سنة ٣٣٧ هـ ، وهاداه بكتب من جملتها كتاب ديسقوريدس باليونانية مصور الحشائش بالتصوير الرومى العجيب . ولم يكن فى الاندلس من يحسن اليونانية ، فبعث الناصر الى الملك يطلب اليه رجلا يعرف اليونانية واللاتينية لينقله الى اللاتينية وعارفو هذه اللغة فى الاندلس كثيرون . فبعث اليه راهبا اسمه نقولا وصل قرطبة سنة ٣٤٠ هـ فتعاونوا على استخراج ما فات ديسقوريدس ذكره من أسماء العقاقير والادوية وجعله ذيلا على ذلك الكتاب (*)

ابن البيطار

حتى نبغ ابن البيطار المالقى النباتى فى أواسط القرن السابع للهجرة ، فتناول الكتاب المذكور فدرسه وتفهمه ثم سافر الى بلاد اليونان والى أقصى بلاد الروم ، ولقى جماعة يعانون هذا الفن وأخذ عنهم معرفة نبات كثير عاينه فى مواضعه . واجتمع أيضا فى المغرب وغيره بكثير من علماء النبات وعاين منابته بنفسه . وذهب الى الشام ودرس نباتها وجاء الديار المصرية فى خدمة الملك الكامل الايوبى ، وكان يعتمد عليه فى الادوية المفردة والحشائش حتى جعله رئيسا على العشابين وأصحاب البسطات . وبعد طول ذلك الاختبار ألف كتابا فى النبات هو فريد فى بابه ، وكان عليه معول أهل أوربا فى نهضتهم الاخيرة فى علم النباتات . ومؤلفاته الباقية :

١ ــ كتاب المغنى فى الادوية المفردة : الفه للملك الصالح الايوبى . منه نسخ خطية فى غوطا وليدن والمتحف البريطانى واكسفورد وباريس

٢ ــ جامع مفردات الادوية والاغذية : طبع بمصر سنة ١٢٩١ وترجم الى الالمانية فى مجلدين ، وطبع فى ستتجارت سنة ١٨٧٠ وترجم بعضه الى الفرنسية بقلم لاكلارك وغيره

٣ ــ ميزان الطبيب : فى أوبسالا

وترجمة ابن البيطار فى طبقات الاطباء ١٣٣ ج٢، وفوات الوفيات ٢٠٤ ج١ (**)

(*) انظر فى خبر هذه الترجمة الاندلسية كتاب طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ص ٢٢ وراجع المقدمة

(**) وانظر فى ابن البيطار حسن المحاضرة ج١ ص ٢٦٠ واكتفاء القنوع ص ٢٢٣ وشذرات الذهب ج ٥ ص ٢٣٤ وتاريخ الفكر الاندلسى ص ٤٧٩ ومقال Leclerc عنه فى المجلة الاسيوية ، المجموعة الخامسة ، مجلد ١٩ « ١٨٦٣ » ص ٤٣٣ ودائرة المعارف الاسلامية ومجلة المجمع العلمى المصرى ، المجموعة الثانية رقم ١٠ وبروكلمن ٤٩١ ج أ و ٥٠٧ ج ٢

ومن المبرزين فى علم النبات رشيد الدين بن الصورى المتوفى سنة ٦٣٩ هـ صاحب كتاب الادوية المفردة ، وكان كثير البحث والتدقيق يخرج لدرس الحشائش فى منابتها ويستصحب مصورا معه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها ، ويتوجه الى المواضع التى بها النبات فى لبنان وسوريا فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأعضائه وأصوله ويصور بحسبها بالدقة . وذلك غاية ما يفعله الباحثون فى هذا العلم اليوم . وفى مجلة المقتطف مقالة عن كيمائيى العرب صفحة ٢٢ سنة ٧

الفلسفة

كان للفلسفة شأن آخر فى هذا العصر ، واشتغل فيها أكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ولاسيما الاطباء .. وفى مقدمتهم ابن سينا الشيخ الرئيس وقد ذكرناه . وكان بعض الفلاسفة فى هذا العصر يتهمون بالكفر ، وكان الانتساب الى الفلسفة مرادفا عند بعض المتشددين للانتساب الى التعطيل. وشاعت النقمة على المأمون لانه كان السبب فى نقل الفلسفة الى اللغة العربية حتى قال ابن تيمية بعد ذلك : « ما أظن الله يغفل عن المأمون ، ولا بد أن يعاقبه بما أدخله على هذه الامة »

وقد اشتهرت فى هذا العصر جمعية سرية هى جمعية «اخوان الصفا» (*) تألفت فى بغداد فى أواسط القرن الرابع للهجرة . وذكروا من أعضائها خمسة هم : أبو سليمان محمد بن معشر البستى ويعرف بالمقدسى ، وأبو الحسن على بن هارون الزنجابى ، وأبو أحمد المهرجانى ، والعوفى ، وزيد بن رفاعة. وكانوا يجتمعون سرا ويتباحثون فى الفلسفة على أنواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص ، هو خلاصة أبحاث الفلاسفة المسلمين بعد اطلاعهم على آراء اليونان والفرس والهند وتعديلها على مايقتضيه الاسلام. وأساس مذهبهم ان الشريعة الاسلامية تدنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ، وانه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال

رسائل اخوان الصفا

وقد دونوا فلسفتهم فى خمسين رسالة سموها رسائل اخوان الصفا وكتموا أسماءهم . وهى تمثل الفلسفة الاسلامية على ما كانت عليه فى ابان نضجها ، وتشمل النظر فى مبادىء الموجودات وأصول الكائنات وترتيب العالم فالهيولى والصورة . وماهية الطبيعة والارض والسماء ووجه الارض

(*) راجع فى اخوان الصفا تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٩٥ وظهر الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الثانى ومقدمة طه حسين وأحمد زكى لرسائلهم « طبعة القاهرة ١٩٢٨ » ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ٢١٤ ج ١

وتغيراته والكون والفساد والآثار العلوية والسماء والعالم وعلم النجوم وتكوين المعادن وعلم النبات وأوصاف الحيوانات ومسقط النطفة وكيفية رباط الناس بها . وتركيب الجسد والحاس والمحسوس والعقل والمعقول والصنائع العلمية والعملية والعدد وخواصه والهندسة والموسيقى والمنطق وفروعه واختلاف الاخـــلاق وطبيعة العدد . وان العالم انســـان كبير والانسان عالم صغير والاكوار والادوار وماهية العشق والبعث والنشور وأجناس الحركات والعلل والمعلولات والحدود والرسوم . وبالجملة فقد ضمنوها كل علم طبيعي أو رياضي أو فلسفي أو الهي أو عقلي

ويظهر من امعان النظر فيها أن أصحابها كتبوها بعد البحث الدقيق والنظر الطويل . وفي جملة ذلك آراء لم يصل أهل هذا الزمان الى أحسن منها . وفيها بحث من قبيل النشوء والارتقاء . وفي ذيل الكتاب فصل في كيفية عشرة اخوان الصفا وتعاونهم بصدق المودة والشفقة ، وان الغرض منها التعاضد في الدين . وذكروا شروط قبول الاخوان فيها وغير ذلك

وكان المعتزلة ومن جرى مجراهم يتناقلون هذه الرسائل ويتدارسونها ويحملونها معهم سرا الى بلاد الاســـلام . ولم تمض مائة سنة على كتابتها حتى دخلت الاندلس على يد أبي الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني . وهو من أهل قرطبة ، رحل الى المشرق للتبحر في العلم على جاري عادة الاندلسيين . فلما عاد الى بلاده حمل معه الرسائل المذكورة ، وهو أول من أدخلها الاندلس .. فما لبث أن انتشرت هناك وتناولها أصحاب العقول الباحثة وأخذوا في درسها وتدبرها

وقد طبعت رسائل اخوان الصفا غير مرة .. أتقنها طبعة ديتريصي في ليبسك سنة ١٨٨٣ ، وطبعت في بومباي سنة ١٣٠٣ ، وفي مصر سنة ١٣٠٦ ، ومنها نسخة خطية في دار الكتب المصرية . وقد ترجمت الى اللغة الهندستانية . وطبعت في لندن سنة ١٨٦١

وهي غير اخوان الصفا للحكيم المجريطي المتوفى سنة ٣٩٥ ، ومنهـا نسخة خطية في دار الكتب المصرية في ١٨٠ صفحة . وهي تشبه تلك ، لكن صاحب هذه يريد أن يفسر الفلسفة بالدين

مصادر فلسفة الاسلام

ومن الكتب الافرنجية التي يستعان بهـــا في دروس تاريخ الفلســـفة والفلاسفة في الاسلام :

De Boer, The History of Philosophy in Islam. London, 1903 (*)

(*) ترجم محمد عبد الهادي أبو ريدة هذا الكتاب الى اللغة العـربية ، ومن أهم ما يرجع اليه في تاريخ الفلسفة والفلاسفة في الاسلام :

Carra de Vaux, Les Penseurs de l'Islam, 5 vol. Paris, 1921-26.
Quadri, La Philosophie Arabe dans l'Europe Médiévale des Origines à Averroès, Paris, 1947. (Traduit de L'Italien).

Dietrici, Die Philosiphie der Arabier in X Jahrhundert n. chr. Leipzig 1897

Dugat, Histoire des philosophes et des théologiens musulmans. Paris, 1878

Leclerc, Histoire de la médecine arabe 2 vol. Paris, 1876

Wuestenfeld, Geschichte der arabischen Aerzte und Naturforscher. Gottengen, 1840.

هذا عدا مقالات كثيرة فى المجلات الآسيوية والشرقية والفرنسية والانجليزية والالمانية وفى دائرة المعارف البريطانية مادة Arabian Philosophy ومثلها فى دوائر اللغات الاخرى . وفى المقتطف مقالة الفلسفة الاسلامية وابن رشد صفحة ٤٦٩ سنة ١٠ ، ومقالة أخرى فى فلسفة العرب لحسين بيهم صفحة ١٣ سنة ٧

ومن الكتب العربية التى يستعان بها فى درس تراجم الفلاسفة والاطباء وسائر علماء الطبيعة والرياضيين « طبقات الاطباء » لابن أبى اصيبعة و « أخبار الحكماء » لابن القفطى ، وكلاهما مطبوعان

ولم تظهر ثمار الطب والفلسفة وفروعهما فى الاندلس الا فى العصر التالى، فنبغ الزهراوى وابن جزلة وابن رشيد وغيرهم كما سيجىء

الفلك

كان للمسلمين حظ وافر من علم الفلك وفضل كبير عليه ، يكفيك أنهم جمعوا فيه مذاهب اليونان والهند والفرس والكلدان والعرب الجاهلية شأنهم فى أكثر العلوم الدخيلة . وقد أتينا على تفصيل ذلك فى الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامى من صفحة ١٨٩ ، وقد اشتهر فى العصرين الماضيين جماعة لم يخلفوا آثارا وصلت الينا وان كان لهم فضل كبير على هذا العلم .. أشهرهم بنو شاكر ، وأبو معشر البلخى المتوفى سنة ٢٧٢ ، وحنين ابن اسحق سنة ٢٨٨ ، وأحمد بن كثير الفرغانى وسهل بن بشر ، ومحمد ابن عيسى الماهانى ، ومحمد بن جابر الحرانى المعروف بالبتانى المتوفى سنة ٣١٧ ، وكان أوحد عصره فى فنه ، وقد استعان الافرنج بكتبه فى نهضتهم الاخيرة .- أما فى العصر الثالث الذى نحن بصدده ، فأكثر فلكيى المسلمين آثارا البيرونى ، وقد بقى منها شىء كثير وسنأتى على ترجمته وأعماله

وأول ما يلفت انتباهنا من هذا القبيل أن العرب (أو المسلمين) قالوا

Horten, (M.) Die Philosophie des Islam, München, 1924.

Léon Gauthier, Introduction à l'Etude de la Philosophie Musulmane, Paris, 1923.

وقد ترجم محمد يوسف موسى هذا الكتاب الى العربية بعنوان : المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية

Ahmed Fouad El-Ehwany, Islamic Philosophy, Cairo, 1957.

تاريخ فلاسفة الاسلام لمحمد لطفى جمعة « طبع دار المعارف ١٩٢٧ »

نظرات فى فلسفة العرب لجبور عبد النور « طبع بيروت ١٩٤٢ »

من أفلاطون الى ابن سينا لجميل صليبا « طبع دمشق ١٩٣٨ »

بابطال صناعة التنجيم المبنية على الوهم ، ولعلهم أول من فعل ذلك وان كانوا لم يستطيعوا ابطالها . ولكنهم مالوا بعلم الفلك نحو الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار ، كما فعلوا بعلم الكيمياء . وكانوا كثيرى العناية بعلم الفلك ، يرصدون الافلاك ويؤلفون الازياج ويقيسون العروض ويراقبون السيارات ويرتحلون فى طلب ذلك العلم الى الهند وفارس ويتبحرون فى كتب الاوائل ويتممون ما نقص منها أو يجمعون بين مذاهبها

ولعلم الفلك تاريخ طويل عند العرب لا محل له هنا . وقد ذكرنا تاريخ المراصد وآلاتها وما أدخله العرب من الاصلاح فى هذا العلم فى تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ، واليك ترجمة نابغة علم الفلك فى هذا العصر :

أبو الريحان البيرونى

توفى سنة ٤٤٠ هـ

هو أشهر علماء الفلك والرياضيات من المسلمين فى العصر الثالث • واسمه محمد بن أحمد البيرونى نسبة الى بيرون بلد فى السند . سافر فى بلاد الهند أربعين سنة ، اطلع فيها على علوم الهنود فضلا عن مطالعة الكتب العلمية المنقولة أو المؤلفة فى هذه الفنون ، وأقام مدة فى خوارزم . وأكثر اشتغاله فى النجوم والرياضيات والتاريخ ، وخلف مؤلفات نفيسة اليك ما بقى منها مما وصل خبره الينا :

١ ــ الآثار الباقية من القرون الخالية : ألفه للأمير شمس المعالى ، وهو يبحث فى التواريخ التى كانت تستعملها الأمم فى زمانه ، والاختلاف الواقع فى الأصول التى هى مبادئها ، والفروع التى هى شهورها وسنوها ، والاسباب الداعية لذلك . وفى الاعياد المشهورة والايام المذكورة للأوقات والاعمال وغيرها مما يعمل به بعض الامم دون البعض الآخر .. فهو من قبيل التوقيت ، أو ما يسميه الافرنج علم الكرونولوجيا . ويدخل فيه النظر فيما هو اليوم والشهر والسنة على اختلاف الاصطلاح عند الأمم القديمة ، وتاريخ ذلك عند الأشوريين واليونانيين الى الاسلام وما بعده الى أيامه .. وما أصاب التقاويم فى أثناء ذلك الزمن من التعديل والتبديل ، وجداول للأشهر الفارسية القديمة على اختلاف العصور والبلاد . ومثل ذلك عند العبرانيين ، وعند العرب فى الجاهلية والاسلام ، وعند الروم والهند والترك بالتفصيل والمقابلة . وفى استخراج التواريخ بعضها من بعض وتواريخ الملوك ومدد حكمهم على اختلاف الاقاويل من آدم فما بعده من رجال التوراة ، ويلحق ذلك جداول عن ملوك اشور وبابل والكلدان والقبط واليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها وملوك الفرس قبل الاسلام على اختلاف طبقاتها ، وبازاء كل ملك مدة حكمه الى يزدجرد الذى توفى بعد الاسلام . وفصول فى مواليد السنين وكيفياتها وكبائسها عند اليهود وغيرهم ، وتواريخ المتنبئين وأممهم من أهل الأوثان أو أهل البدع فى الاسلام وأعياد الفرس . ومذاهب أهل خوارزم وحساب قبط مصر فى السنين

والكبس والاعياد عندهم وعند الملكية . وأعياد النصارى وأحوالهم على اختلاف الطوائف ، ومثل ذلك عن المجوس والصابئة وما كانت العرب تستعمله من هذا القبيل فى أيام الجاهلية وما فعله الاسلام فيها وغير ذلك مما لا نقف عليه فى كتاب آخر . ولذلك فقد عنى المستشرق الالمانى سخاو بترجمته الى الانجليزية ، وقد طبع الأصل فى ليبسك سنة ١٨٧٨ . والترجمة فى لندن سنة ١٨٧٩

٢ ـ تاريخ الهند : وهو من الكتب النادرة فى هذا الموضوع بالعربية . ترجمه سخاو أيضا الى الانجليزية ، وطبع الأصل فى لندن سنة ١٨٨٧ والترجمة فيها ١٨٨٨

٣ ـ التفهيم لأوائل صناعة التنجيم : هو مختصر فى الهندسة والفلك والنجامة ، منه نسخ فى برلين واكسفورد والمتحف البريطانى وفى كتب زكى (باشا) بمصر

٤ ـ القانون المسعودى : فى الهيئة والنجوم قدمه للسلطان مسعود بن محمود الغزنوى ومنه اسمه . موجود فى برلين والمتحف البريطانى واكسفورد

٥ ـ رسالة فى الاسطرلاب . فى برلين وباريس

٦ ـ استيعاب الوجوه الممكنة فى صنعة الاسطرلاب . فى برلين وليدن وباريس

٧ ـ استخراج الأوتاد فى الدائرة بخواص الخط المنحنى فيها . هى مسائل هندسية وله فيها طرق خصوصية ، موجودة فى ليدن

٨ ـ رسالة فى راسيكات الهند : فى التناسب ، منه نسخة فى المكتب الهندى بلندن

٩ ـ مبحث فى مبادىء العلوم ألفه بالفارسية . وتوجد ترجمته العربية فى باريس

١٠ ـ رسالة فى سير سهمى السعادة والغيب : فى اكسفورد

١١ ـ كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر : ألفه للملك المعظم ابى الفتح مودود . موجود فى الاسكوريال وفى كتب زكى (باشا)

وترجمة البيرونى فى طبقات الاطباء ٢٠ ج ٢ ، وفى مقدمة الطبعة العربية للآثار الباقية (*)

ونبغ غير واحد من علماء الفلك فى هذا العصر كالبوزجانى المتوفى سنة

(*) وانظر فى البيرونى تتمة صوان الحكمة للبيهقى ومعجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٠ وتاريخ الفلسفة فى الاسلام لدى بور ص ١٨٤ ومقدمتى سخاو للآثار الباقية وتحقيق ما للهند من مقولة وتاريخ الادب فى ايران من الفردوسى الى السعدى لبراون ص ١٢١ وكاجورى Cajori فى تاريخ علم الطبيعة History of Physics ص ٢٣ وفى تاريخ الرياضيات History of Elementary Mathematics ص ١٠٥ ومادة Biruni فى دائرة المعارف البريطانية وتراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك لقدرى طوقان ص ٢٧٥ وما بعدها وراجع مقالتى بركلمن وفيدمان عن البيرونى فى دائرة المعارف الاسلامية

٣٨١ ، وابن رستم الكوهى ، والمنجم القمى ، وأبو الحسين الصوفى ، وابن اللبان الجبلى ، وعبد الأعلى الصدفى ، وغيرهم يضيق المقام عن ذكرهم . وقد أردنا الاختصار فى هذا الباب لأن التطويل فيه لا يفيد المطالعين بعد تغيير تلك العلوم وانقلابها فى هذا العصر .. فمن أراد التوسع فى هذا الشأن ، فليطالع تراجم أولئك العلماء فى أماكنها

الرياضيات

نريد بالرياضيات هنا الحساب والجبر والهندسة ، وكان للعرب فيها شأن عظيم . ومن أكبر مآثرهم فيها نقلهم الحساب الهندى والارقام الهندية من الهند وسائر أقطار العالم .. فالعرب يسمونها ارقاما هندية لانهم نقلوها عن الهنود ، والافرنج يسمونها عربية لأنهم أخذوها عن العرب . وأول من تناول تلك الارقام من الهنود أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمى

وأما الجبر فللعرب فضل كبير فى وضعه أو تأليفه . ولما أخذ العرب فى نقل العلوم اليونانية ، نقلوا كتابين فى الجبر أحدهما لذيوفانتوس والاخر لأبرخس . وقد وجد الباحثون بعد نهضة التمدن الحديث ان ما كتبه هذان ليس من الجبر فى شىء ، أو هى أصول ضعيفة لا يعتد بها . وهم يعتقدون ان الجبر من وضع العرب . والحقيقة على ما نرى ان الغرب بعد أن اطلعوا على حساب الهنود ، أضافوه الى ما نقلوه عن اليونان وبنوا على ذلك علم الجبر . ومن أشهر كتب المسلمين فى الجبر كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى المذكور .. فالظاهر ان الخوارزمى جمع بين ما عثر عليه من الاصول الجبرية عند اليونان والهنود والفرس ، فاستخرج منه الجبر العربى كما جمع فى زيجه بين آراء الهند والفرس واليونان . وقد عنى العرب بشرح كتاب الخوارزمى مرارا . والف أيضا فىالجبر أبو كامل شجاع بن أسلم وأبو الوفاء البوزجانى وأكثر مؤلفاته فى الحساب ، وأبو حنيفة الدينورى المتوفى سنة ٢٨١ هـ ، وأبو العباس السرخسى المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وغيرهم . ولما نهض الافرنج فى تمدنهم الحديث ، أخذوا الجبر عن العرب

ومما أحدثه المسلمون فى الهندسة أنهم طبقوها على المنطق ، وقد فعل ذلك ابن الهيثم المصرى فى أوائل القرن الخامس للهجرة .. فانه ألف كتابا جمع فيه الاصول الهندسية والعددية من اقليدس وابلنيوس ، ونوع فيها الاصول وقسمها وبرهن عليها ببراهين نظمها من الأمور التعليمية والحسية والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انتقاص توالى اقليدس وابلونيوس . وأدخل فى الجبر والحساب أساليب جديدة فى استخراج المسائل الحسابية من جهتى التحليل الهندسى والتقدير العددى ، وعدل فى أوضاع الجبريين وألفاظهم

وبنو موسى بن شاكر ، اشتغلوا فى استخراج مسائل هندسية لم يستخرجها أحد من الأولين كقسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية

واشتغل العرب فى أعوص المسائل المشكلة فى الهندسة ، كقسمة الدائرة الى سبعة أقسام ، ووضعوا فيها الرسائل والكتب

الفنون الجميلة

ذكرنا تاريخ نشوء الموسيقى العربية فى أوائل هذا الكتاب . وقد ارتقت بعد ذلك ، ونبغ فيها كثيرون ، وقد ورد كثير من قواعدها فى كتاب الاغانى وأمثاله ، وكان لهم شأن فى اختراع الآلات الموسيقية وتحسين الآلات التى أخذوها عن سواهم

ومن مخترعاتهم الموسيقية القانون ، والمشهور انه من اختراع الفارابى الفيلسوف المتقدم ذكره ، فقد قالوا انه اصطنع آلة مؤلفة من عيدان يركبها ويضرب عليها وتختلف أنغامها باختلاف تركيبها ، ولكنها فى كل حال غريبة فى بابها

ذكروا ان الفارابى حضر مجلس غناء لسيف الدولة ، ولم يكن أحد من الحضور يعرفه ، فعاب المغنين .. فسأله سيف الدولة هل يحسن الغناء ، ففتح خريطة كانت معه واستخرج تلك الآلة وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان فى المجلس . ثم فكها وركبها تركيبا آخر وضرب عليها فبكى كل من كان فى المجلس . ثم فكها وغير تركيبها وضرب ضربا آخر فنام كل من كان فى المجلس حتى البواب ، فتركهم نياما وخرج

زرياب وابن فرناس

وزاد المسلمون فى العود وترا خامسا زاده زرياب بالاندلس .. كان للعود أربعة أوتار على الصنعة القديمة التى قوبلت بها الطبائع الأربع ، فزاد عليها وترا خامسا أحمر متوسطا ، ولون الاوتار وطبقها على الطبائع . وهو الذى اخترع مضراب العود من قوادم النسر ، وكانوا قبله يضربون بالخشب

وعباس بن فرناس فى الأندلس ، اصطنع الآلة المعروفة بالميقانة يعرف بها الاوقات على غير رسم ومثال

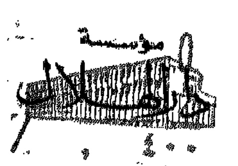
نظرة

انقضى العصر العباسى الثالث ، وبانقضائه تم الجزء الثانى من هذا الكتاب . وقد رأيت أن هذا العصر من أهم عصور آداب اللغة . والباقى لنا من ثمار قرائح أصحابه أكثر من بقايا سائر العصور التى تقدمته ، وفيها نخبة من الكتب المهمة المعول عليها فى اللغة والادب والشعر والتاريخ الجغرافية وغيرها . لكنها مع ذلك أقل من بقايا العصر الرابع الذى سنتناوله فى الجزء الثالث من هذا الكتاب .. فان أكثر ما يتداوله القراء من كتب الموسوعات التاريخية والجغرافية والكتب المطولة فى الادب واللغة ، انما هى من بقايا العصر الرابع المذكور والذى يليه ، كما ستراه مفصلا فى الجزء الثالث

فهرس

طبع بمطابع
مؤسسة دار الهلال




مؤسسة